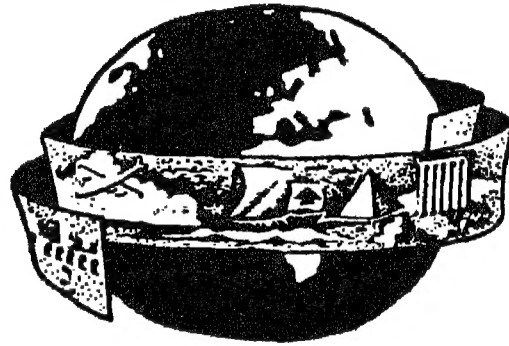


موسوعة العلامة
ابن خلدون

المجلد التاسع

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





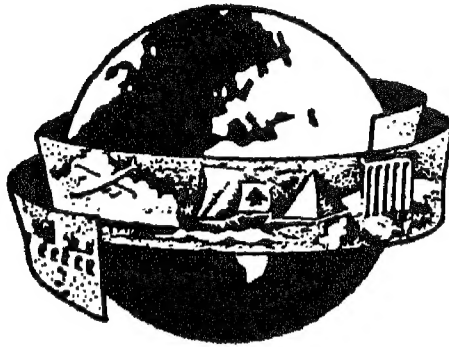
دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٢٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج.م.ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب. ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - بريقيا، كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN



دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع منام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٢٥٧٣١ - ٧٢٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: ناكلبان - ص.ب. ١١/٨٢٣٠ - بيروت - لبنان

FAX: (9611) 351433

ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

تَاجُ الْعِلْمِ
أَبْنُ خَلْدُونِ
المجلد التاسع

I.S.B.N. 977 - 239 - 036 - 6

دار الكتاب اللبناني جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للنائشرين شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول تلفون: ٧٢٥٧٦٦ - ٧٢٥٧٦٦ - فاكسميلي: ٢٥٤٢٢٢ (٩٦١١) برقيا: ناسكبان - ص.ب. ١٧٨٣٠ - بيروت - لبنان FAX: (9611) 351433 ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN	دار الكتاب المصري ٢٢ شارع قصير النيل - القاهرة ج.م.ع. تلفون: ٣٩٢٤٢٠١ / ٣٩٢٢٦٨ - فاكسميلي: ٣٩٢٤٢٥٧ (٢٠٢) ص.ب. ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقيا: كتامصر FAX: (202) 3924657 ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN
--	---

طبعة مزيدة ومنقحة

١٩٩٩ م
A.D. 1999

١٤٢٠ هـ
H. 1420

تَارِيخُ الْعَلَامَةِ أَبْنُ خَلْدُون

كِتَابُ الْعِبَرِ وَدِيَانِ الْمُبْنَدِ وَالْخَبَرِ
فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ وَمَنْ عَاَصَرَهُمْ
مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ
وَهَوَتْ تَارِيخُ وَحِيدِ عَصْرِهِ
الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ خَلْدُونِ الْمَغْرِبِيِّ

المجلد التاسع

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الخامس

القسم الأول

من تاريخ العلامة ابن خلدون

الخبر عن آل دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الإسلام ودوله
بالمشرق كلها إلى حدود مصر مستبحين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم
إلى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان
في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء ودمروهم
وما تفرع عن دولتهم من الدول

قد تقدّم لنا ذكر أنساب الأئمة ، والكلام في أنساب الترك ،
وأنهم من ولد كوتر بن يافث أحد السبعة المذكورين من بني
يافث في التوراة وهم : ماواق وماذاي وماغوغ وقطوبال وماشخ

وطيراش^(١). وعدّ ابن اسحق منهم ستة ولم يذكر ماذاي. وفي التوراة أيضاً أنّ ولد كُومر ثلاثة: توغرما واشكان وريعات. ووقع في الاسرائيليات أنّ الافرنج من ريعات، والصقالبة من اشكان، والحزّر من توغرما. والصحيح عند فسّابة الاسرائيلين أنّ الحزّر هم التُركمان. وشعوب التُرك كلهم من ولد كُومر، ولم يذكر من أيّ ولده الثلاثة، والظاهر أنهم من توغرما. وزعم ترك بن غامور بن سويل، والظاهر أنه غلط. وأنّ غامور تصحيف كما مرّ. وأمّا سويل فلم يذكر احد أنه من بني يافث وقد مرّ ذكر ذلك كله.

والترك أجناس كثيرة وشعوب، فمنهم الروس والإعلان، ويقال لبِلان، والحفشاش، وهم التُّفُجُجُ والهياطلة والخلج والغزّ الذين منهم السَلْجُوقِيَّة، والخطا وكانوا بأرض طُمَناج. ويمك والقور وتزكس واركس والطَطَرُ ويقال الطنغرغر وأنكر، وهم مجاورون للروم. واعلم أنّ هؤلاء الترك أعظم أمم العالم، وليس في أجناس البشر أكثر منهم ومن العرب في جنوب المعمور، وهؤلاء في شماله قد ملكوا عامّة الأقاليم الثلاثة من الخامس والسادس والسابع، في نصف طوله مما يلي المشرق. فأول مواطنهم من

(١) قوله وهم ما واق الخ كذا في النسخ التي بأيدينا ووقع في أول الجزء الثاني ما يخالفه اهـ. مصححه. وقد ذكرنا أسماءهم هناك، في أول الجزء الثاني، كما هي مذكورة في التوراة.

الشرق على البحر بلاد الصين وما فوقها جنوباً الى الهنك ، وما تحتها شمالاً الى سدّ يأجوج ومأجوج . وقد قيل انهم من شعوب الترك ، وآخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالبة المجاورين للافرنج مما يلي رومة الى خليج القسطنطينية . وأول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد القور المجاورة للنهر ، ثم خراسان وأذربيجان وخليج القسطنطينية ، وآخرها من الشمال بلاد فرغانة والشاش وما وراءها من البلاد الشمالية المجهولة بعدها .

وما بين هذه الحدود من بلاد غزنة ونهر جيحون ، وما يحفّاه من البلاد ، وخوارزم ومفاوز الصين . وبلاد القفقز والروس حفافي خليج القسطنطينية من جهة الشمال الغربي ، قد اغتمر لهذه البسائط . منهم أمم لا يحصيهم إلا خالقهم ، رحالة متنقلون فيها مستنجمين مساقط الفيت في نواحيه ، يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم فقرروا عليها .

ومرّ بديار بكر^(١) وخرج اليه صاحبها نصر بن مروان، وحمل مائة الف دينار لنفقته ، فلما سمع أنه قبضها من الرعايا ردّها عليه ثم مرّ بناهرو وأمنها وأطاف على السور ، وجعل يمسحه بيده ويمرّ بها على خدوده تبركاً بشعر المسلمين . ثم مرّ بالرّها وحاصرها فامتنعت عليه . ثم سار الى حلب فبعث اليه صاحبها محمود ريفول

(١) قوله ومرّ بديار بكر الخ غير ملثّم مع ما قبله ، فلعل المصنف ترك هنا بياضاً ، ولم يلتفت إليه الناسخ كما يظهر لمن تأمل هذا محصل ما كتبه الشيخ العطار اهـ مصححه .

القائد الذي عنده يخبر بطاعته وخطبته، ويستمفيه من الخروج اليه منكرأ منه الاذى، وبجي على خير العمل فقال : لا بد من خروجه. واشتد الحصار فخرج محمود ليلاً مع أمه بنت وثاي الهني متطارحاً على السلطان فأكرم مقدمها ، وخلع عليه وأعادته الى بلده .

غزاة السلطان البارسلان الى خلاط وأسر ملك الروم

كان ملك الروم بالقسطنطينية لهذا العهد اسمه أرمانوس ، وكان كبيراً ما يُخيف ثغور المسلمين . وتوجه في سنة اثنتين وستين في عساكر كثيرة إلى الشام ، ونزل على مدينة منبج واستباحها . وجع له محمود بن صالح بن يزداس الكلاي وابن حسن الطائي قومها ، ومن اليهم من العرب فهزمهم الروم . ثم رجع ارمانوس الى القسطنطينية ، واحتشد الروم والفرنج والروس والكرج ومن يليهم من العرب والطوائف ، وخرج الى بلاد كرد من أعمال خلاط . وكان السلطان ألبارسلان^(١) بمدينة خوف من أذربيجان ، منقلباً من حلب فبعث بأهله وأثقاله إلى همدان مع وزيره نظام الملك ، وسار هو في خمسة عشر ألف مقاتل ، وتوجه نحوهم متهاً . ولقيت مقدمته الروس فهزموهم ، وجاؤوا بملكهم

(١) كذا، وهو: ألب أرسلان.

أسيراً إلى السلطان فجدهه ، وبمك أسلاهم إلى نظام الملك . ثم توجه إلى سمرقند ففارقها التكير ، وأرسل في الصلح ، ويعتذر عن تومق فصالحه ملك شاه ، وأقطع بلخ وطخارستان ل أخيه شهاب الدين مكين ، إلى خراسان ثم إلى الري .

فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله

كان بك كرمان قاروت^(١) بك اخو السلطان ألب أرسلان أميراً عليها ، فلما بلغه وفاة أخيه سار إلى الري لطلب الملك فسبقه إليها السلطان ملك شاه ، ونظام الملك ، ومعها مسلم بن قریش ومنصور ابن ديس ، وأمر الأكراد . والتقوا على نهرمان ، فانهزم قاروت بك وجي . به إلى أمام سعد الدولة كوهراس^(٢) فقتله خنقاً . وأمر كرمان بسير بنيه ، وبمك اليهم بالخلع ، وأقطع العرب والأكراد مجازاة لما أبلوا في الحرب . وقد كان السلطان ألب أرسلان شافعاً فيه على الخليفة فلقبهم خبر وفاة ألب أرسلان في طريقهم ، فرؤا إلى ملك شاه ، وسبق إليه مسلم بطاعته . وأما بهاء الدولة منصور ابن ديس فإن أباه أرسله بالمال إلى ملك شاه ، فلقبه سائراً للحرب فشدها معه .

(١) كذا ، واسمه في الكامل : قاروت بك . ج ٨ ص ١١٤ .

(٢) كذا ، وهو : كوهرايين ، كما في نسخة أخرى ، أو كوهرايين كما في الكامل لابن الأثير .

ثم توفي أياز أخو السلطان ملك شاه ببلخ سنة خمس وستين فكفله ابنه ملك شاه الى سنة سبع وستين . وتوفي القائم منتصف شعبان منها لحس وأربعين سنة من خلافته ، ولم يكن له يومئذ ولد ، وإنما كان له حافد ، وهو المقتدي بالله بن محمد . وكان أبوه محمد بن القائم ولي عهده ، وكان يلقب ذخيرة الدين ، ويكنى أبا العباس . وتوفي سنة ^(١) وعهد القائم لحافده ، فلما توفي اجتمع اهل الدولة ، وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك ، والوزير فخر الدولة بن جهير ، وابنه عميد الدولة ، والشيخ ابو اسحق الشيرازي ونقيب النقباء طراد ، وقاضي القضاة الدامناني فبايعوه بالخلافة لعهد جدّه اليه بذلك . وأقر فخر الدولة بن جهير على الوزارة ، وبعث ابنه عميد الدولة الى السلطان ملك شاه لاختد بيعته ، والله الموفق للصواب .

استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارها مصر ثم

استيلاء تتش بن السلطان البارسلان على دمشق

قد تقدم لنا ملك إسنز^(٢) الرملة وبيت المقدس وحصاره دمشق سنة احدى وستين ، ثم عاد عنها وجعل يتماهد نواحها بالعيث والافساد كل سنة . ثم سار اليها في رمضان سنة سبع وستين

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نعر في المراجع التي لدينا على سنة وفاته .

(٢) كذا ، واسمه في الكامل : أنسز ، ج ٨ ص ١١٠ .

وحاصرها ، ثم عاد عنها ، وهرب منها أميرها من قبل المستنصر
 العلوي صاحب مصر المعلى بن حيدرة ، لانه كثر عسفه بالجند
 والرعية وظلمه ، فثاروا به فهرب الى بانياس ، ثم الى صور ، ثم
 الى مصر فحبس ومات بها محبوساً . واجتمعت المصامدة بدمشق ،
 وولي عليهم أنصار بن يحيى المصمودي ، ويلقب نصير الدولة . وغلت
 الاقوات عندهم ، واضطربوا فعاد اليها أنسز في شعبان سنة ثمان
 وستين فاستأمنوا اليه ، وعوض انتصاراً منها بقلعة بانياس ومدينة
 يافا من الساحل ، ودخلها في ذي القعدة ، وخطب بها للمعتدي ، ومنع
 من النداء بحجّي على خير العمل ، وتغلب على كثير من مدن الشام .
 ثم سار سنة تسع وستين الى مصر وحاصرها وضيق عليها . واستنجد
 المستنصر بالبوادي من نواحيها فوعده بالنصر . وخرج بدر الجمالي
 في العساكر التي كانت بالقاهرة وجاء أهل البلاد لميعادهم فانهزم
 أنسز وعساكره ، ونجا الى بيت المقدس فوجدهم قد^(١)

بمخلفه فتحصنوا منه بالمعاقل فافتتحها عليهم عنوة واستباحها ، حتى
 قتلهم في المسجد . وقد تقدّم ضبط هذا الاسم وأنه عند أهل
 الشام النسيس ، والصحيح أنسز ، وهو اسم تركي . ثم ان السلطان
 ملك شاه اقطع اخاه تُنُش بن ألب أرسلان بلاد الشام ، وما يفتحها
 من تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة ، فقصده حلب أولاً وحاصرها ،

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ١٢٣ : وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد
 قبخوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم في محراب داود عليهم السلام .

ومعه جموع من التركمان . وكان يدبر الجمالي المستولي على مصر قد بعث العساكر لحصار دمشق ، وبها اتسز ، فبعث الى تُشش وهو على حلب يستنجد به فصار اليه ، وأخبرت عساكر مصر عنه منهزمين . ولما وصل الى دمشق قعد اتسز على لقائه ، وانتظر قدومه فلقيه عند السور ، وعاتبه على ذلك فتساهل في العذر فقتله لوقته ، وملك البلد ، واستولى على الشام أجمع كما سيأتي ، وكان يلقب تاج الدولة .

ثم سار في سنة اثنتين وسبعين الى حلب فحاصرها أياماً ، وأفرج عنها ، وملك مراغة والبيرة ، وعاد الى دمشق . وخالفه مسلم ابن قریش الى حلب فملكها كما تقدم في أخباره وضمنها للسلطان ملك شاه فولاه إياها . وسار مسلم بن قریش فحاصرها آخر سنة أربع وسبعين . ثم أفرج عنها فخرج تُشش وقصد طرسوس من الساحل فافتتحها ورجع . ثم حاصرها مسلم ثانية سنة تسع وسبعين . وبلغه ان تاج الدولة تُشش سار الى بلاد الروم غازياً فخالفه الى دمشق ، وحاصرها معه العرب والاكراذ . وبعث اليه العلوي صاحب مصر بعده بالمدد . وبلغ الخبر الى تُشش فكر راجعاً ، وسبقه الى دمشق فحاصرها أياماً . ثم خرج اليه تُشش في جموعه فهزمه واضطرب أمره ، ووصله الخير بانتفاض أهل حرّان فرحل من مرج الصفر راجعاً الى بلاده .

ثم سار أمير الجيوش من مصر في العساكر الى دمشق سنة

ثمان وسبعين ، وحاصرها فامتنعت عليه ، ورجع ^(١) . فلحقوا بأخيه
 نُكُش في ^(٢) فقوي به وأظهر العصيان ، واستولى على مرو
 الروذ ومرو الساهجان وغيرهما ، وسار الى نيسابور طامعاً في ملك
 خراسان . وبلغ الخبر الى السلطان فسبقه الى نيسابور ، فرجع نُكُش
 وتحصن بترُمذ . وحاصره السلطان حتى سأل الصلح ، وأطلق من
 كان في أسره من عسكر السلطان ، ونزل عن ترمذ وخرج اليه
 فأكرمه . ثم عاود العصيان سنة سبع وسبعين ^(٣) ، وملك مرو الروذ ،
 ووصل قريباً من سرخس وحاصر قلعة هناك لمسعود ابن الامير فاخر .
 وتحيّل أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام ، وهو بنيسابور على ملطفة
 وضموها على شبه خط نظام الملك ، يخاطب فيها صاحب القلعة
 بأنه واصل في ركاب السلطان ملك شاه ، وأنه مصالح للقلعة .
 وتعرض حاملها لأهل المعسكر حتى أخذوا كتابه بعد الضرب
 والعرض على القتل . وحدثهم بمثل ما في الصحيفة وإن السلطان
 وعساكره في الري فأجفلوا لوقتهم الى قلعة رَبيح . وخرج أهل الحصن
 فأخذوا ما في المعسكر وجاء السلطان بعد ثلاثة أشهر فحاصره في قلعته

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ١٣٩ : في هذه السنة (٤٧٨) في ربيع الأول وصل
 أمير الجيوش في عساكر مصر إلى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه ،
 وقتله فلم يظفر منها بشيء ، فرحل عنها عائداً إلى مصر .

(٢) كذا بياض بالأصل ، ولم نعر في المراجع التي لدينا على اسم الموقع الذي التقوا فيه .

(٣) كذا بالأصل ، ويظهر أن تنسيق العبارات والحوادث غير مطرد . وأن خطأ وقع أثناء
 النسخ . لأن عصيان نكش على أخيه السلطان ملكشاه كان سنة ٤٧٧ ومسير أمير الجيوش من مصر
 إلى دمشق وقع سنة ٤٧٨ .

حتى افتتحها ، وحده ودفعه الى ابنه أحمد فتسلمه وجبسه ، فخرجوا من يمينه معه .

سفارة الشيخ أبي اسحق الشيرازي عن الخليفة

كان الخليفة المقتدي وكان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث يُسي. معاملة الخليفة ، فبعث المقتدي الشيخ أبا اسحق الشيرازي الى السلطان ملك شاه ، ووزيره نظام الملك باصفهان شاكياً من العميد . فسار الشيخ لذلك ، ومعه الامام أبو بكر الشاشي وغيره من الاعيان . ورأى الناس عجباً في البلاد التي يمر بها من اقبال الخلق عليه ، وازدحامهم على محفته يتمسحون بها ، ويلثمون أذيالها ، وينشرون موجودهم عليها من الدراهم والدنانير لاهلها ، والمصنوعات لاهل الصنائع ، والبضائع للتجار ، والشيخ في ذلك يبكي وينتحب . ولما حضر عند السلطان أظهر الحرمة ، وأجابه الى جميع ما طلبه . ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلق بالخليفة . وحضر الشيخ مجلس نظام الملك فجرت بينه وبين إمام الحرمين مناظرة خبرها معروف .

اتصال بني جهير بالسلطان ملك شاه وسير فخر الدولة لفتح ديار بكر

كان فخر الدولة أبو نصر بن جُهير وزير المقتدي قد عزل سنة احدى وسبعين على يد نظام الملك ، ولحق به ابنه عميد الدولة

واسترضاه فرضي نظام الملك ، وشفع الى الخليفة فاعتمد عميد الدولة دون أبيه كما تقدّم في أخبار الخلفاء . ثم أرسل المقتدي سنة أربع وسبعين فخر الدولة الى ملك شاه يخطب له ابنته ، فسار الى اصفهان وعقد له نكاحها على خمسين ألف دينار معجّلة ، وعاد الى بغداد . ثم عزل المقتدي ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين ، وكانوا قد علقوا بخطة من نظام الملك فبعث عن نفسه وعن ملك شاه يطلب حضور بني جهير عندهم ، فساروا بأهلهم فمظمت حظوظهم عند السلطان . وعقد لفخر الدولة على ديار بكر ، وبعث معه العساكر لفتحها من يد بني مروان ، وأذن له اتخاذ الآلة وأن يخطب لنفسه ، ويكتب اسمه على السكة فسار في العساكر السلطانية

استيلاء ابن جهير على الموصل

ولما سار فخر الدولة ابن جُهير لفتح ديار بكر ، استنجد ابن مروان مسلم بن قريش ، وشرط له أمراً وتحالفا على ذلك ، واجتمعا لحرب ابن جُهير . وبعث السلطان الامير أرتق بن أكسك في العساكر مدداً لابن جُهير ، فجنى ابن جُهير الى الصلح ، وبادر أرتق الى القتال فهزم العرب والاكراذ ، وغنم معسكرهم . ونجا مسلم بن قريش الى آمد ، وأحاطت به العسكر ، فلما اشتدّ مخنقه راسل الامير أرتق في الخروج على مال بذله له فقبله ، وكانت له

حراسة الطريق فخرج اليه للورقة . وسار ابن جُهير الى ميفارقين ،
وفارقه منصور بن مزيّد وابنه صدقة فعاد منها الى خلاط . ولما
بلغ السلطان انحصار مسلم في آمد بعث عميد الدولة في جيش
كثيف الى الموصل ، ومعه آقسنقر قسم الدولة الذي أقطعه بعد
ذلك حلب . وساروا الى الموصل فلقبهم أذُنقُ ، ورجع معهم .
ولما نزلوا على الموصل بعث عميد الدولة الى أهلها بالترغيب
والترهيب فأذعنوا واستولى عليها ، وجاء السلطان في عساكره الى
بلاد مسلم بن قريش ، وقد خلس من الحصار ، وهو مقيم قبالة
الرحبة فبعث اليه مؤيد الكتاب ، ولاطف السلطان واسترضاه ،
ووفد اليه بالقوارج ، وردم السلطان الى اعماله وعاد لحرب أخيه
تُتَش الذي ذكرناه آنفاً .

فتح سليمان بن قطامش انطاكية والخبر عن مقتله
ومقتل مسلم بن قريش واستيلاء تُتَش على حلب

كان سليمان بن قُطامش بن اسرائيل بن سلجوق قد ملك
قوسنة ، واقصرا وأعمالها ، من بلاد الروم الى الشام . وكانت
انطاكية بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة . وكان ملكها
لهذه الفردروس فأساء السيرة الى جنده ورعاياه ، وتبغكر لابنه
وجبسه فداخل الشحنة في تبغكين سليمان من البلد ، فاستدعوه سنة
سبع وسبعين فركب اليها البحر ، وخرج اليه البر في أقرب

السواحل اليها في ثلثمائة ألف فارس ورجل كثير. وسار في جبال وأوعار فلما انتهى الى السور، وأمكنه الشحنة من تسنم السور دخل البلد، وقاتل أهلها فهزمهم، وقتل كثيراً منهم. ثم عفا عنهم وملك القلعة، وغنم من أموالهم ما لا يحصى. وأحسن الى أهلها وأمر لهم بعمارة ما خرب، وأرسل الى السلطان ملك شاه بالفتح. ثم بعث اليه مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمل اليه الفرادوس ملك أنطاكية من المال، ويخوفه معصية السلطان فأجابته بتقرير الطاعة للسلطان، وبأن الجزية لا يعطيها مسلم، فسار مسلم ونهب نواحي أنطاكية، فنهب سليمان نواحي حلب.

ثم جمع سليمان العرب والتركمان، وسار لنواحي أنطاكية ومعه جماهير التركمان. وجمع سليمان كذلك، والتقيا آخر صفر سنة ثمان وسبعين، وانحاز جُوق الى سليمان فانهمزمت العرب، وقتل مسلم وسار سليمان بن قُطْلُمُش الى حلب وحاصرها فامتنعت عليه، وارسل اليه ابن الحُثَيْثي العبَّاسي كبير حلب بالأموال، وطالبه أن يميل حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودس الى تاج الدولة بُتُش صاحب دمشق يستدعيه للمكها فجاء لذلك، ومعه أرسوس أُنْكُك، وكان خائفاً على نفسه من السلطان ملك شاه لفعلة في امر فاستجار بُتُش، وأقطعه المورس، وسار معه لهذه الحرب. وبادر سليمان بن قُطْلُمُش الى اعتراضهم وهم على تعبئة. وابلَى أُرْتُق في هذه الحروب، وانهمزم سليمان، وطعن نفسه بخنجر

فات، وغنم تُشْ مَعْسَكْرَه، وبعث الى ابن الحُثَيْثِي العباسي فيما استدعاه اليه فاستجمله الى مشورة السلطان ملك شاه، واغلظ في القول فغضب تُشْ، وداخله بعض اهل البلد فتسورها وملكها. واستجار ابن الحُثَيْثِي بالامير اُذْتُقَ فأجاره وسمع له.

استيلاء ابن جهير على ديار بكر

ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء أبا القاسم الى حصار آمد، ومعه جناح الدولة أسلار فحاصرها واقتلع شجرها، وضيق عليها حتى جهدهم الجوع. وغدر بعض العامة في ناحية من سورها، ونادى بشعار السلطان، واجتمع اليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصاري فبادر زعيم الرؤساء الى البلد، وملكها، وذلك في المحرم. وكان أبوه فخر الدولة محاصراً لميافارقين، ووصل اليه سعد الدولة كوهراين شحنة بغداد بمدد العساكر فاشتد الحصار، وسقطت من السور ثلثة في سادس جمادى فنادوا بشعار السلطان، ومنعوا ابن جهير من البلد. واستولى على أموال بني مروان، وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء الى السلطان، فسار مع كوهرائين الى بغداد. ثم فارقه الى السلطان باصفهان. ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشاً الى جزيرة ابن عمر فحاصرها، وقام بعض أهلها بدعوة السلطان، وفتحوا مما يليهم باباً قريباً دخل منه العسكر فلكوا البلد. وانقرضت دولة بني

مروان من ديار بكر ، والبقاء لله . ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جُهير ، وسار الى الموصل فأقام بها الى أن توفي سنة ثلاث وثمانين .

استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية أفسنقر عليها

لما ملك تاج الدولة تُتَشْ مدينة حلب ، وكان بها سالم بن ملك ابن مروان ابن عم مسلم بن قريش ، وامتنع بالقلعة وحاصره تُتَشْ سبعة عشر يوماً ، حتى وصل الخبر بمقدم أخيه السلطان ملك شاه ، وقد كان ابن الحثيثي كتب اليه يستدعيه لما خاف من تُتَشْ فسار من أصفهان منتصف تسع وسبعين ، وفي مقدمته بُرْشَقُ وبدران وغيرهما من الامراء . ومرّ بالموصل في رجب . ثم سار الى هُراة وبها ابن الشاطي ، فلحقها وأقطعها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش ، وأقطعها معها مدينة الرّحبة وأعمالها وحرّان وسروج والرقّة وخابور ، وزوجه أخته زليخا خاتون . ثم سار الى الرُّها وافتتحها من الروم ، وكانوا اشتروها من ابن عَطِيّة كما مرّ . وسار الى قلعة جعفر فلحقها وقتل من كان بها من بني قُشَيْر ، وكان صاحبها جعفر أعمى ، وكان يخيف السابلة هو وولده فأزال ضررهم . ثم ملك مَنبِج ، وعبر الفرات الى حلب فأجفل تُتَشْ عن المدينة ودخل ^(١) ومعه الامير أَرْتُقُ . ورجع الى دمشق قلماً

(١) كذا، بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ١٤٠ : وسار عنها يسلك البرية ومعه الأمير

أرتق .

وصل السلطان الى حلب ملكها ، ثم الى القلعة فملكها من سالم بن ملك على أن يعطيه قلعة جعفر ، فلم تزل بيد عَقِيهِ الى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد .

ثم بعث اليه نصر بن علي بن مُنقذ الكِنَاني بالطاعة فأقره على شيزر ، وتسلم منه اللّاذقية وبعرطاف وإفاميه ورجع . ثم رجع السلطان بعد أن ولى على حلب قسيم الدولة أَسْتُفَر . ورغب اليه أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحِثَشي فأخرجه عنهم الى ديار بكر وتوفي بها . ثم رجع السلطان الى بغداد فدخلها في ذي الحجة من سنّته ، ونزل بدار المملكة ، وأهدى للخليفة هدايا كثيرة . واجتمع بالخليفة ليلاً . ثم دخل اليه في مجلسه نهاراً وأفيضت عليه الخلع . وسلم أمراء السُلجوقيّة على الخليفة ، ونظام الملك قائم يقرّبهم واحداً واحداً ، ويعرف بهم . ثم صرّح المقتدي للسلطان ملك شاه بالتفويض ، وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينيه ، وخلع الخليفة على نظام الملك ، وجاء الى مدرسته التي فيها الحديث وأملى .

خبر الزفاف

قد قدّمنا أن السلطان ملك شاه زوّج ابنته من الخليفة المقتدي سنة أربع وسبعين ، بخطبة الوزير بن جُهير ، فلمّا كان سنة ثمانين في المحرم نقل جهازها للزفاف الى دار الخلافة على مائة وثلاثين

جملًا مجللة بالديباج الرومي ، أكثرها ذهب وفضة ، ومعه ثلاث
عماريات ، ومعهما أربع وسبعون بغلاً بأنواع الديباج المكي ،
وقلائدها الذهب ، وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة
مملوءة بالخلّي والجواهر ، وهد عظيم من ذهب . وسار بين يدي
الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير أرتق وغيرها من الامراء ،
والناس ينثرون عليهم الدنانير والثياب . وبعث الخليفة وزيره أبا
شجاع الى زوجة السلطان تركان خاتون ، ومعه خادمه ، ظفر بمحفة
لم ير مثلاً ، ومعه ثلثائة من الشمع الموكف ، ومثلها مشاعل .
وأوقدت الشموع في دكاكين الحريم الخلافي . وقال الوزير
لخاتون : سيدنا أمير المؤمنين يقول : أن الله يأمركم أن تؤدّوا
الامانات الى أهلها ، وقد أذن في نقل الوديعة الى داره فقالت :
سماً وطاعة . ومشى بين يديها أعيان الدولة مع كل واحد الشمع
والمشاعل ، يحملها الفرسان . ثم جاءت المأمون من بعدهم في
محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر ما لا يحصى ، ويحيط بالمحفة
مائتا جارية من الاتراك على مراكب رائعة . وأولم الخليفة وليمة
لم يسمع بمثلاً . ثم أطلع للناس من الغد سماء مائدة عليها أربعون
ألفاً من السكر ، وخلع على أعيان العسكر ، وعلى جميع الحواشي .

استيلاء السلطان ماكشاه على ما وراء النهر

كان صاحب سمرقند لهذا العهد من الخانية أحمد خان بن خضر

خان أخى شمس الملك الذي كان أميراً عليها ، وعمته خاتون زوجة ملك شاه . وكان رديء السيرة فبعثوا الى السلطان يسألونه الرجوع الى ايااته . وجاء بذلك مفتي سمرقند أبو طاهر الشافعي قدم حاجاً وأسرَّ ذلك الى السلطان فسار من اصفهان سنة اثنتين وثمانين ، ومعه رسول الروم بالخراج المقدر عليهم فاستمعهم وأحضر للفتح . ولما انتهى الى خراسان جمع العساكر وعبر النهر يجيوش لا تحصي ، وأخذ ما في طريقه من البلاد . ثم انتهى الى بخارى فملكها وما جاورها . ثم سار الى سمرقند فحاصرها ، وأخذ بهجتها ثم رماها بالمنجنيق ، وثلم سورها ودخل من الثمة ، وملك البلد واختفى أحمد خان ، ثم جيء به أسيراً فأطلقه ، وبعث به الى أصفهان وولى على سمرقند أباً طاهر عميد خوارزم ، وسار الى كاشغر فبلغ الى نور ، وكن وبعث الى كاشغر بالخطبة ، وضرب السكة فأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وخلع عليه ، وأعادته الى بلده . ورجع السلطان الى خراسان . وكان بسمرقند عساكر يعرفون بالحكلية فأرادوا الوثوب بالعميد نائب السلطان ، فلاتفهم ولحق ببلده خوارزم .

عصيان سمرقند وفتحها ثانياً

كان مقدّم الحكلية بسمرقند اسمه عين الدولة ، وخاف السلطان لهذه الحادثة فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر ،

وكانت مملكته تعرف بارياسي فاستحضره وملكه . ثم شكر له يعقوب ، وحمل أعداءه من الرعية على طلب الثأر منه ، وقتله بفتاوي الفقهاء ، واستبدَ بِسَمَرْقَنْدَ وسار السلطان ملك شاه اليها سنة اثنتين وثمانين . فلما انتهى الى بُخارى هرب يعقوب الى فرغانة ولحق بولايته . وجاء بعسكره مستأمنين الى السلطان فلقوه بالطواويس من قرى بُخارى ، ووصل السلطان الى سمرقند وولى عليها الامير انز^(١) وأرسل العساكر في طلب يعقوب وأرسل الى ملك كاشغر بالجد في طلبه . وشغب على يعقوب عساكره ونهبوا خزائنه ، ودخل على أخيه كاشغر مستجيراً به . وبعث السلطان في طلبه منه فتردد بين المخافة والانفة . ثم غلب عليه الخوف فقبض على أخيه يعقوب وبعثه مع ابنه وأصحابه الى السلطان ، وأمرهم أن يسملوه في طريقه فان قنع السلطان بذلك والا أساموه اليه ، فلما قربوا على السلطان وعزموا على سمله بلنهم الخبر بأن طغرل بن نبال أسرى من ثمانين فرسخاً بعساكر لا تحصي ، فكبس ملك كاشغر وأسرهم فأطلقوا يعقوب . ثم خشي السلطان شأن طغرل ابن نبال وكثرة عساكره فرجع على البلد ، ودس تاج الملك في استصلاح يعقوب فشفع له ، وردّه الى كاشغر ، وردّ الطغرل ورجع هو الى خراسان . ثم قدم الى بغداد سنة أربع وثمانين العزمة

(١) كذا ، وفي كتاب العلاقات الاجتماعية ، للدكتور زكي النقاش ص ٤٠ اسمه : أنز .

الثانية ، ووجد عليه أخوه تاج الدولة تُتَشُّ صاحب الشام ، وقسيم الدولة أَقْسَنُفَرُ صاحب حلب ، وبوران صاحب الرُّها عمال الاطراف وأقام صنيع الميلاد ببغداد ، وتأنق بما لم يعهد مثله ، وأمر وزيره نظام الملك وأمرائه ببناء الدور ببغداد لتزلمهم ، ورجع الى اصفهان .

استيلاء تتش على حمص وغيرها من سواحل الشام

لما قدم السلطان سنة أربع وثمانين ، وفد عليه أمراء الشام كما قدّمنا ، فلما انصرفوا من عنده أمر أخاه تاج الدولة تُتَشُّ أَنْ يذهب دولة العلويين من ساحل الشام ويفتح بلادهم . وأمر أَقْسَنُفَرُ وبوران أَنْ يسيرا لانجاده . فلما رجعوا الى دمشق سار الى حمصَ وبها صاحبها ابن مُلَاعِب ، وقد عظم ضرره وضرر ولده على الناس فحاصرها وملكها . ثم سار الى قلعة عَرَفَة فدخلها عَنوةً ، ثم الى قلعة أَقامية فاستأمن اليه خادم كان بها ، فأرسل الى أمراء تُتَشُّ في اصلاح حاله فسَدّوا عليه المذاهب ، فأرسل الى وزير أَقْسَنُفَرُ يسمي له عند صاحبه ، وعمل له على ثلاثين ألف دينار ، ومثلها عروضاً فجنىح الى مصالحته ، واختلف مع تُتَشُّ على ذلك ، وأغلظ كل منهما لصاحبه في القول فرحل أَقْسَنُفَرُ مغاضباً ، واضطرّ الباقيون الى الرحيل وانتقض أمرهم .

ملك اليمن

كان فيمن حضر عند السلطان ببغداد كما قدّمناه عثمان جُوق
 أمير التركمان صاحب قرمىيس وغيرها ، فأمره السلطان أن يسير في
 جموع التركمان للحجاز واليمن فيظهر أمرهم هناك . وفوّض الى
 سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد فولى عليهم أميراً اسمه تُرشك .
 وسار الى الحجاز فاستولى عليه ، وأساء السيرة فيه ، حتى جاء
 أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثاً منهم . ثم ساروا سنة خمس
 وثمانين الى اليمن ، وعاثوا في نواحيه ، وملكوا عدن ، وأساؤا
 السيرة في أهلها ، وأهلكوا تُرشك سابع دخولها ، وأعادوه أصحابه
 الى بغداد فدفنوه بها .

مقتل الوزير نظام الملك

ثم ارتحل السلطان ملك شاه الى بغداد سنة خمس وثمانين
 فأنتهى الى أصفهان في رمضان ، وخرج نظام الملك من بيته بعد
 الإفطار عامداً الى خيمته فاعترضه بعض الباطنية في صورة متظلم
 فلما استدناه لسباع شكواه ، طعنه بخنجر فأشواه . وعثر الباطني
 في أطناب الحيام ، ودخل نظام الملك الخيمة فأت ثلاثين سنة من
 وزارته . واحتاج عسكره فركب اليه السلطان وسكن الناس
 ويقال أن السلطان ملك شاه وضع الباطني على قتله لما وقع منه

ومن بنيه من الدالة والتحكم في الدولة. وقد كان السلطان دسّ على ابنه جمال الدين من قتله سنة خمس وسبعين . كان بعض حواشي السلطان سمى به فسطا به جمال الدين وقتله فأحقد السلطان بذلك ، وأخذ عميد خراسان فقتله خنقاً فدسّ لخدام من خدم جمال الدين بذلك ، وأنهم اذا تولوا قتله بأنفسهم كان أحفظ لنعمتهم فسقاه الخادم سُماً ومات .

وجاء السلطان الى نظام الملك وأغراه به . وما زال بطانة السلطان يغضون منه ، ويجاولون السعاية فيه الى أن ولي حافده عثمان بن جمال الملك على مرو ، وبعث السلطان اليها كُردَن من أكابر المماليك والامراء شحنة . ووقعت بينه وبين عثمان منازعة في بعض الايام فأهانته وجبسه ، ثم أطلقه . وجاء الى السلطان شاكياً فاستشاط غضباً ، وبعث فخر الملك ألب أرسلان الى نظام الملك وأغراه به وما زال يقول : ان كنت تابعاً فقف عند حدك ، وان كنت شريكى في سلطاني فافعل ما بدا لك . وقرّر عليه فعل حافده وسائر بنيه في ولايتهم ، وأرسل معه نكبرذ من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ، ويحييه الآخر فانبسط لسان نظام الملك يعمد الوسائل منه ، والمدافعة عن السلطان ، وجمع الكلمة ، وفتح الامصار في كلام طويل حملته عليه الدالة . وقال في آخره ان شاء فله مؤيد مروآتي ، ومتى أطعت هذه زالت تلك فليأخذ حذرہ .

ثم زاد في انبساطه وقال : قولوا عني ما أردتم فإن توبيخكم
نتأ في عضدي . ومضى فكبرّد فصدق السلطان الخبر ، وجاء
الآخرون ، وحاولوا الكتمان فلم يسمعهم لما وثى فكبرّد بحجة القول
فصدقوه كما صدقه . ومات نظام الملك بعدها بقليل ، ومات
السلطان بعده بنحو شهر . وكان أصل نظام الملك من طوس من
أبناء الدهاقين اسمه أبو علي الحسن بن علي بن اسحق ذهبت
نعمة آبائه ، وماتوا فنشأ يتيماً . ثم تعلم وحقق في العلوم
والصنائع ، وعلق بالخدم السلطانية في بلاد خراسان وعُزنة وبلخ .
ثم لازم خدمة أبي علي بن شاذان وزير ألب أرسلان . ومات ابن
شاذان فأوصى به السلطان ألب أرسلان . وعرفه كفايته فاستخدمه
فقام بالامور أحسن قيام فاستوزره .

ثم هلك السلطان ألب أرسلان وهو في وزارته . ثم استوزره
ملك شاه بعد أبيه ، وكان عالماً جواداً صفوحاً مُكرِّماً للعلماء وأهل
الدين ملازماً لهم في مجلسه . شيد المدارس ، وأجرى فيها الجرايات
الكثيرة . وكان يولي الحديث ، وكان ملازماً للصلوات محافظاً على
أوقاتها . وأسقط في أيامه كثيراً من المكوس والضرائب ، وأزال
لعن الأشعرية من المنابر بعد أن فعله الكنذري من قبله وحمل
عليه السلطان طغرل بك ، وأجراهم مجرى الرافضة وفارق امام
الحرمين ، وأبو القاسم القشيري البلاد من أجل ذلك ، فلما ولي
ألب أرسلان حمله نظام الملك على ازالة ذلك ، ورجع العلماء الى

أوطانهم. ومناقبه كثيرة، وحسبك من عكوف العلماء على مجلسه،
وتدوينهم الدواوين باسمه : فمل ذلك امام الحرمين وأشباهه. وأما
مدارسه فقد بنى النظامية ببغداد، وناهيك بها، ورتب الشيخ أبا
اسحق الشيرازي للتدريس بها. وتوفي سنة ست وسبعين فرتب
ابنه مؤيد الملك مكانه أبا سعيد المتولي فلم يرضه نظام الملك؛ وولي
فيها الامام أبا نصر الصباغ صاحب الشامل ومات أبو نصر في
شعبان من تلك السنة فولي أبو سعيد من سنة ثمان وسبعين ،
ومات فدرس بعده الشريف العلوي أبو القاسم الدبوسي ، وتوفي
سنة اثنتين وثمانين وولي تدريسه بعدها أبو عبد الله الطبري ،
والقاضي عبد الوهاب الشيرازي بالنوبة يوماً بيوم. ثم ولي تدريسها
الامام أبو حامد الغزالي سنة أربع وثمانين ، واتصل حكمها على
ذلك. وفي أيامه عكف الناس على العلم واعتنوا به ، لما كان من
حسن أثره في ذلك والله أعلم .

وفاته السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود

ثم لما سار السلطان بعد مقتل نظام الملك الى بغداد ، ودخلها
آخر رمضان ، وكان معه في الدولة أبو الفضل الهروستاني وزير
زوجته الخاتون الجلالية من الملوك الخانية فيما وراء النهر ، وكان
من أشد الناس سعاية في نظام الملك ، وعزم السلطان أن يستوزره
لاول دخوله بغداد فعاقت المنية عن ذلك ، وطرقه المرض ثالث

الفطر، وهلك منتصف شوال سنة خمس وثمانين . وكانت زوجته تركمان خاتون الجلالية عنده في بغداد، وابنها محمود غائباً في اصفهان فكتمت موته، وسارت بشلوه الى اصفهان، وتاج الملك في خدمتها. وقدمت بين يديها قوام الدين كربوقا الذي ولي الموصل من بعد، وأرسلته بخاتم السلطان الى مستحفظ القلعة فلکها ، وجاءت على اثره ، وقد أفاضت الاموال في الامراء والعساكر ودعتهم الى بيعة ولدها محمود، وهو ابن أربع سنين فأجابوا الى ذلك وبايعوه . وأرسلت الى المقتدر في الخطبة له فأجابها على أن يكون الامير أثر قائماً بتدبير الملك ، ومجد الملك مشيراً وله النظر في الاعمال والجبابة فنكرت ذلك أمه خاتون ، وكان السفير أبا حامد الغزالي فقال لها ان الشراع لا يجيز ولاية ابنك فقبلت الشرط، وخطب له آخر شوال سنة خمس وثلاثين، وأرسلت تركمان خاتون الى اصفهان في القبض على بركيارق فحبس باصفهان . وكان السلطان ملك شاه من أعظم ملوك السلجوقية؛ ملك من الصين الى الشام، ومن أقصى الشام الى اليمن ، وحمل اليه ملوك الروم الجزية ومناقبه عظيمة مشهورة .

منازعة بركيارق لأخيه محمود وانتظام سلطانه

كان بركيارق أكبر أولاد السلطان ملك شاه ، وكانت أمه زَيْنَة بنت ياقوتي بن داود ، وياقوتي عم ملك شاه . ولما حبس

بركيارق وخافت عليه أمه زبيدة دسّت لماليك نظام الملك فتعصبوا له، وكانت خاتون غائبة ببغداد مع ابنها محمود لفقده سلطانه فوثب الماليك النظامية على سلاح لنظام الملك باصفهان. وأخرجوا بركيارق من محبسه، وخطبوا له، وبلغ الخبر الى خاتون فسارت من بغداد. وطلب العسكر تاج الملك في عطائهم فهرب الى قلعة بوجين لينزل منها الاموال، وامتنع فيها، ونهب العسكر خزائنه، وساروا الى اصفهان وقد سار بركيارق والنظامية الى الري فأطاعه أزعش النظامي في عساكره، وفتحوا قلعة طغرل عنوة، وبعثت خاتون العساكر لقتال بركيارق فنزع اليه سبكرذ وكستكين الجاندار وغيرهما من امراء عساكره، ولقيهم بركيارق فهزمهم وسار في اثرهم الى اصفهان فعاصرهم بها. وكان عز الملك باصفهان، وكان والياً على خوارزم فحضر عند السلطان قبل مقتل أبيه، وبقي هناك بعد وفاة السلطان فخرج الى بركيارق، ومعه جماعة من اخوانه فاستوزره بركيارق، وفوض اليه الامور كما كان أبوه.

مقتل تاج الملك

وهو أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز، كان وزيراً لخاتون وابنها. ولما هرب إلى قلعة بوجين خوفاً من العسكر كما قدمنا، وملكت خاتون اصفهان عاد اليها واعتذر بأن صاحب القلعة حبسه فقبلت عذره، وبعثته مع العساكر لقتال بركيارق. فلما انهزموا

حمل أسيراً عنده، وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره، وكان النظامية ينافرونه ويتممونونه بقتل نظام الملك، وبذل فيهم أموالاً فلم يغنه، ووشوا به فقتلوه في المحرم سنة ست وثمانين. وكان كثير الفضائل جم المناقب، وانما غطى على محاسنه مما لاته على قتل نظام الملك. وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي اسحق الشيرازي والمدرسة بازائها، ورتب بها أبا بكر الشاشي مدرّساً.

مهلك محمود

ثم هلك السلطان محمود وهو محاصر باصفهان لسنة من ولايته، واستقل بركيارق بالملك.

منازعة تنش بن البارسلان وأخباره الى حين انهزامه

كان تاج الدولة تُنش أخو السلطان ملك شاه صاحب الشام، وسار الى لقاء أخيه ملك شاه ببغداد قبيل موته فلقية خبر موته بهيت فاستولى عليها، وعاد الى دمشق فجمع العساكر وبذل الأموال، وأخذ في طلب الملك فبدأ بجلب، ورأى صاحبها قسيم الدولة أقسّم اختلاف ولد ملك شاه وحفرهم فأطاع تاج الدولة تنش، وتبعه في صاعته. وبعث الى باعي يسار صاحب انطاكية، والى مران صاحب الرها وحرّان يشير عليهما بمثل ذلك فأجاباه وخطبوا لتاج الدولة تنش في بلادهم، وساروا معه الى الرحب

فلكها ، ثم الى نصيبين فلكها واستباحها وسلمها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش. وساروا الى الموصل وقدم عليه الكافي بن فخر الدولة بن جهير من جزيرة ابن عمر فاستوزره ، وكانت الموصل قد ملكها علي بن شرف الدولة مسلم بن قريش ، وأمه صفية عمة ملك شاه ، وأطلقت تركمان خاتون عمة ابراهيم فجاء ، وملك الموصل من يده كما تقدم في أخبار بني المقلد ، فبعث اليه تتش في الخطبة وان يهيئ له الطريق الى بغداد فامتنع ، وزحف لحربه فانهزم العرب ، وسبق ابراهيم أسيراً الى تتش في جماعة من امراء العرب فقتلوا صبراً ، ونهبت أموالهم ، واستولى تتش على الموصل وغيرها. واستناب عليها علي بن مسلم وهو ابن صفية عمة أبيه. وبعث الى بغداد في الخطبة ، ووافقه كوهرائن الشحنة ، وحرر الجواب بانتظار الرسل من العسكر فسار تتش الى ديار بكر فلكها . ثم سار الى أذربيجان ، وزحف بر كيارق يعتذر من سعيه مع تتش فمزله بر كيارق بسعاية كُستَكِنَ الجاندار بقسيم الدولة ، وأقام عوضه شحنة ببغداد الامير مكرد ، وأعطاه أقطاعه ، وسار الى بغداد. ثم رده من دقوقا الكلام بلغه عنه وقتله وولى على شحنة بغداد فتكين حب .

مقتل اسماعيل بن ياقوتي

كان اسمعيل بن ياقوتي بن داود بن عم ملك شاه وخال

بركيارق أميراً على أذربيجان فبعثت تركمان خاتون اليه فأطعمته في الملك وأنها تتزوج به فجمع جموعاً من التركمان وغيرهم، وسار لحرب بركيارق فلقيه عند كرخ وثرع عنه مكرد الى بركيارق فانهزم اسمعيل الى اصفهان فخطبت له خاتون، وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود وأرادت العقد معه فثمنها الأمير أئز مدير الدولة، وصاحب العسكر وخوفهم وفارقهم . ثم أرسل أخته زبيدة أم بركيارق فأصلحت حاله مع ابنها، وقدم عليه فأكرمه . واجتمع به رجال الدولة كمستكن الجاندار وأقسنغر وبوران ، وكشفوا سره في طلب الملك . ثم قتلوه وأعاسوا بركيارق فأهدر دمه .

مهلك توران شاه بن قاروت بك

كان توران شاه بن قاروت بك صاحب فارس ، وأرسلت خاتون الجلاية الامير انز لفتح فارس سنة سبع وثمانين فهزمه أولاً . ثم أساء السيرة مع الجند فلحقوا بتوران شاه ، وزحف الى انز فهزمه واسترد البلد من يده ، وأصاب توران شاه في المعركة بسهم هلك منه بعد شهرين .

وفاة المقتدي وخلافة المستظهر وخطبته لبركيارق

ثم توفي المقتدي منتصف محرم سنة سبع وثمانين ، وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه قنش فخطب له وحملت اليه

الخلع فليسهاء، وعرض التقليد على المقتدي فقراه وتدبره وعلم فيه،
وتوفي فجأة وبويح لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد
إلى بركيارق، وأخذت عليه البيعة للمستظهر.

استيلاء تتش على البلاد بعد مقتل أقسنقر ثم هزيمة بركيارق

لما عاد تتش منهزماً من أذربيجان جمع العساكر واحتشد الأمم
وسار من دمشق إلى حلب سنة سبع وثمانين، واجتمع قسم الدولة
أقسنقر وبوران^(١)، وجاء كربوقا مدداً من عند بركيارق، وساروا
لحرب تتش ولقوه على ستة فراسخ من حلب فهزهم، وأخذ
أقسنقر أسيراً فقتله، ولحق كربوقا وبوران بحلب، واتبعهما تتش
فحاصرهما، وملك حلب وأخذهما أسيرين وبعث إلى حران والرُّها
في الطاعة فامتنعوا فبعث اليهم برأس بوران، وملك البلدين، وبعث
بكربوقا إلى حمص فحبسه بها. وسار إلى الجزيرة فملكها، ثم إلى
ديار بكر وخلاط فملكها، ثم إلى أذربيجان. ثم سار إلى همدان،
ووجد بها فخر الدولة بن نظام الملك، جاء من خراسان إلى بركيارق
فلقيه الأمير قاج من عسكر محمود باصقهان فنهب ماله، ونجا إلى
همدان فصادف بها تتش فأراد قتله، وشجع فيه باغي يسار، وأشار
بوزارته ليل الناس إلى بيته، واستوزروه. وكان بركيارق قد سار
إلى أقسيس فخالفه تتش إلى أذربيجان وهمدان فسار بركيارق من

(١) كذا، واسمه في الكامل ج ٨ ص ١٧١: بوزان.

نصيبين، وعبر دجلة من فوق الموصل الى اربل. فلما تقارب
العسكران أشرف الامير يعقوب بن انق من عسكر تش
فكبس بركيارق، وهزمه ونهب سواده، ولم يبق معه الا برسق
وكُستَكين الجاندار والبارق من أكابر الامراء. فلبأوا الى اصفهان،
وكانت خاتون أم محمود قد ماتت فنعه محمود وأصحابه من الدخول.
ثم خرج اليه محمود وأدخله الى اصفهان واحتاطوا عليه، وأرادوا
أن يسلموه فرض محمود فأبقوه.

مقتل تش واستقلال بركيارق بالسلطان

ثم مات محمود منسلخ شوال سنة سبع وثمانين، واستولى
بركيارق على اصفهان. وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره
عوض أخيه عز الملك، وكان قد توي بنصيبين فكتب مؤيد
الملك الامراء، واستألمهم فرجعوا الى بركيارق، وكشف جمعه.
وبعث تاج الملك تش بعد هزيمة بركيارق يوسف بن انق التركاني
شحنة الى بغداد في جمع من التركمان فنزع من دخول بغداد.
وزحف اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة فقاتله في يعقوب، وانهزم
صدقة الى الحلة، ودخل يوسف بن انق بغداد وأقام بها. وكان تش
لما هزم بركيارق سار الى همدان، وقد تحصن بها بعض الامراء.
فاستأمن اليه، واستولى على همدان وسار في نواحي اصفهان، والى
مرو. وراسل الامراء باصفهان يستميلهم فأجابوه بالمقاربة والوعد،

وهر كيارق مريض . فلما أفاق من مرضه خرج الى جرباذقان ، واجتمع اليه من العسكر ثلاثون ألفاً ، ولقيه تُش فهزمه بر كيارق ، وقتله بعض أصحاب اقسنقر بثأر صاحبه . وكان فخر الملك بن نظام الملك أسيراً عنده فانطلق عند هزيمته ، واستقامت أمور بر كيارق وبلغ الخبر الى يوسف .

استيلاء كربوقا على الموصل

قد كنا قدّمنا أنّ تاج الدولة تُشّ أسر قوام الدولة أبا سعيد كربوقا ، وحبسه بعد ما قتل أُنْسُنْفُ بوزان فأقام محبوساً بحلب الى أن قتل تُشّ ، واستولى رضوان ابنه على حلب فأمره السلطان بر كيارق باطلاقه لانه كان من جهة الامير أُنْز^(١) فأطلقه رضوان ، وأطلق أخاه التوسطاش^(٢) فاجتمعت عليها العساكر . وكان بالموصل عليّ بن شرف الدولة مسلم منذ ولّاه عليها تُشّ بعد وقعة المضيع . وكان بنصيبين أخوه محمد بن مسلم ، ومعه مروان ابن وهب^(٣) وأبو الهيجاء الكردي ، وهو يريد الزحف الى الموصل فكتب كربوقا واستدعاه للنصرة ، ولقيه عليّ مرحلتين من نصيبين فقبض عليه كربوقا ، وسار الى نصيبين وحاصرها أربعين يوماً

(١) كذا في الأصل وكذا في الكامل لابن الأثير، واسمه في الكتب الحديثة أنر. انظر العلاقات الاجتماعية للدكتور زكي النقاش طبع دار الكتاب اللبناني - بيروت ص (٤٢) .

(٢) اسمه في الكامل ج ٨ ص ١٨٠ : التونتاش .

(٣) اسمه في الكامل : ثروان بن وهيب .

وملكها. ثم سار الى الموصل فامتنعت عليه فتحول عنها الى بَلَد^(١) وقتل بها محمد بن شرف الدولة تغريقاً ، وعاد الى حصار الموصل ونزل منها على فرسخ ، واستنجد عليّ بن مسلم بالامير مكرس^(٢) صاحب جزيرة ابن عمر فجاء لانجاده ، واعترضه التوسطاش فهزمه . ثم سار الى طاعة كربوقا ، وأعانه على حصار الموصل . ولما اشتدّ بصاحبه عليّ بن مسلم الحصار بعد تسعة أشهر هرب عنها ، ولحق بصدقة بن مزيد . ودخل كربوقا الى الموصل وعاث التوسطاش في أهل البلد ومصادرتهم ، واستطال على كربوقا فأمر بقتله ثلاثة دخوله سنة تسع وثمانين . وسار كربوقا الى الرّجّة فلحقها ، وعاد فأحسن السيرة في أهل الموصل ، ورضوا عنه . واستقامت اموره .

استيلاء أرسلان أرغون أخيه السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله

كان أرسلان أرغون مقيماً عند أخيه السلطان ملك شاه ببغداد ، فلما مات وبويغ ابنه محمود سار الى خراسان في سبعة من مواليه ، واجتمعت عليه جماعة ، وقصد نيسابور فامتنعت عليه فعاد الى مرو ، وكان بها شحنة الامير قودر^(٣) من موالي

(١) اسم بلدة في العراق .

(٢) كذا ، وهو جكرمش .

(٣) كذا ، واسمه في الكامل : قودن .

السلطان ملك شاه ، وكان أحد الساعين في قتل نظام الملك فمال الى طاعة أرغون ، وملكه البلد . وسار الى بَلَخَ ، وكان بها فخر الدين بن نظام الملك ففرّ عنها ، ووصل الى هَمْدَان ووزر لتاج الدولة تُشّ كما مرّ . وملك ارسلان أرغون بَلَخَ وتُرْمُذ ونيسابور وسائر خراسان ، وأرسل الى السلطان بركيارق وزيره مؤيد الملك في تقرير خراسان عليه بالضمان كما كانت لجدّه داود ما عدا نيسابور فاعرض عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تُشّ . ثم عزل بركيارق مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك .

واستولى فخر الملك ألب أرسلان على الأمور فقطع أرسلان مراسلة بركيارق ، فبعث حينئذ عمه بورسوس^(١) في العساكر لقتاله فانهزم ارسلان الى بَلَخَ ، وأقام بورسوس بهراً ، وسار أرسلان الى مرو وفتحها عنوة وخرّبها واستباحها . وسار اليه بورسوس من هُراة سنة ثمان وثمانين ، وكان معه مسعود بن تآخر^(٢) الذي كان أبو مقدّم عساكر داود ، ومعه ملك شاه من أعاضم الامراء فبعث اليه ارسلان واستماله فمال اليه ، ووُثب لمسعود بن تآخر وابنه فقتلها في خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه ، وجيء به أسيراً الى أخيه أرسلان أرغون فحبسه بترْمُذ .

(١) كذا، واسمه في الكامل ج ٨ ص ١٨٢ : بورسوس .

(٢) كذا، وفي الكامل : مسعود بن تاجر .

ثم قتله في محبسه بعد سنة. وقتل أكابر خراسان ، وخرّب أسوارها : مثل سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور ، وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلثمائة ألف دينار . ثم قتله واستبدّ بخراسان ، وكان مرهف الحدّ كثير العقوبة لمواليه ، وأنكر على بعضهم يوماً بعض فعلاته وهو في خلوة ، وضربه فطعنه الغلام بنخجر معه فقتله ، وذلك في المحرم من سنة تسعين .

ولاية سنجر على خراسان

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيّاً صغيراً من ولده ، وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الأتابك قاج ، ووزيره علي بن الحسن الطغرثي . وانتهى اليه مقتل ارسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق ، وساروا الى نيسابور فملكها في جمادى سنة تسعين وأربعمائة ، وملك سائر خراسان ، وسار الى بلخ . وكان أصحاب ارسلان قد هربوا بابنه الذي نصبوه للملك الى جبل طخارستان ، وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمنهم السلطان ، وجاؤا بالصبيّ في آلاف من العساكر فأكرمه السلطان ، وأقطعه ما كان لايه أيام ملك شاه ، وانفضّ عنه العسكر الذين كانوا معه ، وافترقوا على أمراء السلطان ، وأفردوه فضمته أم السلطان اليها ، وأقامت من يتولى

رتبته ، وسار السلطان الى ترمذ فملكها ، وخطب له بِسْمُرْقَنْدَ ،
ودانت له البلاد ، وأقام على بلخ سبعة أشهر . ثم رجع وترك
أخاه سنجر نائباً بخراسان .

ظهور المذلفين بخراسان

لما كان السلطان بخُراسان خالف عليه محمود بن سليمان من
قربته ، ويعرف بأمر أمير أميران . وسار الى بلخ واستمدَّ صاحب
عَزَنَة من بني سَبَكْتِكِينَ فأمدّه بالمساكر والفيول ، على أن يخطب له
فيما يفتحه من خُراسان فقويت شوكته ، فسار اليه الملك سنجر ،
وكبسه فانهزم وجي . به أسيراً فسمّله . ولما انصرف السلطان عن
خُراسان سار نائب خوارزم واسمه الكنجي في اتباعه ، وسبق الى
مرو فتشاغل بلذاته ، وكان بها الامير تورد قد تشاغل عن
السلطان ، واعتذر بالمرض فدخل بارقطاش من الامراء في قتل
الكنجي صاحب خوارزم فكبسه في طائفة من أصحابه ، وقتلوه
وساروا الى خوارزم فملكوها مظهرين أن السلطان ولأما عليها .
وبلغ الخبر الى السلطان ، وكان قد بلغه في طريقه خروج الامير
انز بفارس عن طاعته فمضى الى العراق ، وأعاد داود الحبشي بن
التونطاق في المساكر لقتالهما فسار الى العراق من هُراة ، وأقام
في انتظار العسكر فعاجلاه فهرب أمامهما . وهرب جيحون ، وتقدّم
بارقطاش قبل تودن وقاتله فهزمه داود وأسرّه ، وبلغ الخبر الى

تودن فشار به عسكره ونهبوا اَثقالة ، ولحق بسنجر فقبض عليه صاحبها . ثم أطلقه فلحق بالملك سنجر ببلخ فقتله سنجر ، وأفرغ هو طاعته في نظمه ، وجمع المساكر على طاعته . ثم مات قريباً وبقي بارقشاش أسيراً عند داود الى أن قتل .

دَوْلَةُ بَنِي خَوَارِزْمِ شَاه

بداية دولة بني خوارزم شاه

كان أبو شكين مملوكاً لبعض أمراء السلجوقية ، واشتراه من بعض أهل غرشقان فدعي أبا شكين غرشه^(١) ، ونشأ على حال مَرْضِيَّةٍ ، وكان مقدماً . وولد له ابنه محمد فأحسن تربيته ، وتقدم هو بنفسه . ولما سار الأمير داود الحبشي الى خراسان كما مرّ سار محمد في جلته فلما مهد خراسان ، وأزال الخوارج نظر فيمن يوليّه خَوَارِزْمَ ، وكان نائبها الكنجي قد قتله كما مرّ ، فوقع اختياره على محمد بن أبي شكين فولاه ، ولقبه خوارزم شاه فحسن سيرته ، وارتفع محله . وأقرّه السلطان سنجر وزاده عناية بقدر كفايته واضطلاعاه . وغاب في بعض الأيام عن خوارزم فقصدّها بعض ملوك الأتراك . وكان طغرل تكين محمد الذي كان أبوه

(١) كذا ، واسمه في الكامل : «أنوشتكين غرشحه» ج ٥ ص ١٨٤ .

اكنجي نائباً بخوارزم ، وبادر محمد بن أبي شكين الى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجر ، وسار بالعساكر مدداً له . وتقدم محمد ابن أبي شكين فتأخر الاثراك الى منقشلاع . ورحل طغرل كين الى جرجان ، وازداد محمد بذلك عناية عند سنجر . ولما توفي ولي ابنه بعده أقسر ، وأحسن السيرة . وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه ، وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاع . ولما توفي اختصه السلطان سنجر ، وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه . واتصل الملك في بني محمد بن أبي شكين خوارزم ، وكانت لهم الدولة . وقمت دولة بني ملك شاه ، وعليها كان ظهور الطغرل^(١) بعد المائة السادسة ومنهم أخذوا الملك كما سيأتي في أخبارهم .

استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشام

كان الافرنج قد ظهر أمرهم في هذه السنين ، وتغلبوا على صقلية ، واعتزموا على قصد الشام ، وملك بيت المقدس . وأرادوا المسير اليها في البر فراسلوا ملك الروم . بالقسطنطينية أن يسهل لهم الطريق الى الشام فاجابهم على أن يعطوه انطاكية ، فعبروا خليج القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة . وسار أرسلان بن سليمان ابن قتلش صاحب مرقية وبلاد الروم لمداغتهم فهزموه . ثم مروا ببلاد ابن ليون الارمني ووصلوا الى انطاكية فحاصروها تسعة

(١) كذا ، وهي التتار والتار ، كما في كتب التاريخ .

أشهر وصاحبها يومئذ باغي سياه فأحسن الدفاع عنها . ثم تبوؤا
البلد بمداخلة بعض الحامية ، أصعدهم السور بعد أن رغبوه بالاموال
والاقطاع . وجاؤا الى السور فدثّم على بعض المخادع ودخلوا منه ،
ونفخوا البوق فخرج باغي سياه هارباً ، حتى اذا كان على أربعة
فراسخ راجع نفسه ، وندم فسقط مغشياً عليه . ومرت به ارمي
فحمل رأسه الى انطاكية ، وذلك سنة احدى وتسعين وأربعمائة .
 واجتمعت عساكر المسلمين ، وزحفوا الى انطاكية من كل
 ناحية ليرتجموها من الافرنج وجاء قوام الدين كربوقا الى الشام ،
 واجتمعت عليه العساكر بمرج دابق فكان معه : دِقاق بن تُتُش
 وُطُفُرُتُكين أتابك ، وجناح الدولة صاحب حمص ، وأرسلان تاش
 صاحب سنجار ، وسُفْمان بن أَرْتُقَ وغيرهم . وساروا الى انطاكية
 فنازلوها واستوحش الامراء من كربوقا ، وأنفوا من ترفعه عليهم .
 وضاق الحصار بالافرنج لعدم الاقوات ، لأن المسلمين عاجلهم عن
 الاستعداد فاستأمنوا كربوقا فنعهم الامان ، وكان معهم من
 الملوك بردويل ، وصنجيل وكمديري والقمص صاحب الرها ،
 وسمند" صاحب انطاكية ، وهو مقدّم العساكر فخرجوا
 مستأمنين وضربوا مصياف ، وتخاذل الناس لما كان في قلوبهم من
 الاضغان لكربوقا فتمت الهزيمة عليهم . وآخر من انهزم سفمان بن

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ١٨٧ : وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل
وكنديري والقمص صاحب الرها ويمنت صاحب إنطاكية ، وهو المقدّم عليهم .

أرتق ، واستشهد منهم العرب ، وغنم العدو سوادهم بما فيه .
وساروا الى معرة النعمان فملكوها وأفحشوا في استباحتها . ثم
ساروا الى غزة فحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم . وصالحهم
ابن منقذ على بلدة شيزر ، وحاصروا حصن فصالحهم صاحبها جناح
الدولة . ثم ساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان هذا بداية
الافرنج بسواحل الشام . ويقال إن المصريين استنابوا رجلاً يعرف
بافتخار الدولة ، من خلفاء العميد بن نصر ، لما خشوا من
السلجوقية عند استيلائهم على الشام الى غزة ، وزحف الاقيس
من أمرائهم الى مصر وحاصروها وراسلوا الافرنج ، واستدعوهم
لملك الشام لينشلوهم عن أنفسهم ، ويجولوا بينهم وبين مصر ،
والله سبحانه وتعالى أعلم .

انتقال الأمير انز وقته

' سار السلطان بركيارق الى خراسان وتي على بلاد فارس
انز ، وكانت قد تغلبت الشوانكار ، واستظهروا بايران شاه
فاروت بك صاحب كرمان . فلما سلخ اليهم انز قاتلوه فهزموه ،
ورجع الى اصفهان فاستأذن السلطان فأمره بالمقام هناك ، وولاه
امارة العراق . وكانت المساكر في جواره بطاعته ، وجاء مؤيد
الملك بن نظام الملك من بغداد على الحلة ، فأغراه بالخلاف وخوفه
غائلة بركيارق ، وأشار عليه بمكاتبة محمد بن ملك شاه وهو في

كنجه . وشاع عنه ذلك فازداد خوفه ، وجمع العساكر ، وسار من اصفهان الى الري . وجاهر السلطان بالخلاف ، وطلب منه أن يسلم اليه فخر الملك ألب أرسلان . وبينما هو في ذلك اذ هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم من جنده فطعنوه فقتلوه ، واهتاج عسكره فنهبوا خزائنه ، وحمل شلوه الى اصفهان فدفن بها . واشتهر خبر قتله وحمل الى السلطان في أحواز الري وهو سائر لقتاله فسر بذلك هو وفخر الملك ألب أرسلان ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين . وكان محمود المذاهب ، كبير المناقب . ولما قتل هرب اصهر صبار^(١) الى دمشق فأقام بها مدة . ثم قدم على السلطان محمد سنة إحدى وخمسمائة فأكرمه وأقطعه رجة مالك بن طوق .

اَسْتِيْلَاءُ الْفَرَنْجِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ

كان بيت المقدس لتاج الدولة تُنُش ، وأقطعه الامير سُثمان بن أَرْتُق التُّرْكْمَانِي ، وكان تُنُش ملكه من يد العلويين أهل مِصْرَ . فلما وهن الاتراك بواقعة أَنْطَاكِيَّة طمع المصريون في ارتجاعه . وسار صاحب دولتهم الأَفْضَلُ بن بدر الجمالي ، وحاصر الامير سُقْمَان وأخاه ابلاغازي وابن أخيها ياقوتي وابن عمهما سونج ، ونصب المجانيق

(١) كذا ، واسمه في الكامل ج ٨ ص ٢٥١ : الأصبهيد صباور .

فثلموا سوره ، ثم ملكوه بالامان لاربعين يوماً من حصاره في شعبان سنة تسع وثمانين وأحسن الأفضل إلى سُقمان وابلغازي ومن معها ، وأطلقهم فأقام سُقمان ببلد الرُّها . وسار ابلغازي الى العراق ووَلَّى الأفضل على بيت المقدس افتخار الدولة من أرائهم ، ورجع الى مصر فلما رجع الافرنج من عكا وجاؤا الى بيت المقدس فحاصروه أربعين يوماً واقتحموه من جهة الشمال آخر شعبان من سنة اثنتين وتسعين ، وعاثوا في أهله . واعتصم فلهم بحراب داود عليه السلام ثلاثاً حتى استأمنوا ، وخرجوا ليلاً الى عسقلان .

وقتل بالمسجد سبعون ألفاً أو يزيدون من المجاورين : فيهم العلماء والزهاد والعباد ، وأخذوا نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة ، زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، ومائة وخمسين قنديلاً من الصقار ، وتنوراً من الفضة زنته أربعون رطلاً بالشامي ، وغير ذلك مما لا يحصى ووصل الضريح الى بغداد مستغيثين فأمر المقتدي أن يسير الى السلطان بركيارق أبو محمد الدامغاني ، وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني ، وأبو الوفاء بن عقيد ، وأبو سعد الحلواني ، وأبو الحسين بن السماك . فساروا الى بركيارق يستصرخونه للمسلمين فانتهوا الى حُلوان ، وبلغهم مقتل مجد الملك ألبازسلان ، وفتنة بركيارق مع أخيه محمد . فرجعوا ، وتمكن الافرنج من البلاد . ونحن عازمون على افراد أخبارهم بالشام ، وما كان لهم فيه من الدولة على حكم أخبار الدول في كتابنا .

ظهور السلطان محمد بن ملك شاه والخطبة له ببغداد وهدويه مع أخيه بركيارق

كان محمد وسنجر شقيقين ، وكان بركيارق يستعمل سنجر على خراسان . ثم لحق به محمد باصفهان وهو يحاصرها سنة ثمان وثمانين فأقطعه كنجة وأعمالها ، وأنزل معه الأمير قطلغ تكين أتابك ، وكانت كنجة من أعمال آران وكانت لفضلون فانتزعها ملك شاه ، وأقطعه استراباذ . وولّى على آران : سرهناسا ، وتكين الخادم . ثم ضمن فضلون بلاده وأعيد إليها . فلما قوي رجع إلى العصيان فسرح إليه ملك شاه الأمير بوزان فغلبه على البلاد وأسره ، ومات ببغداد سنة أربع وثمانين . وأقطع ملك شاه بلاد آران لأصحاب باغي سياه صاحب انطاكية . ولما مات باغي سياه رجع ابنه إلى ولاية أبيه . ثم أقطع السلطان بركيارق كنجة وأعمالها لمحمد كما قلناه سنة ست وثمانين . ولما اشتدوا واستفحل قتل أتابك قطلغ تكين ، واستولى على بلاد آران كلها ولحق مؤيد الملك عبدالله بن نظام الملك بعد مقتل صاحبه انز فاستخلصه وقربه ، وأشار عليه مؤيد الملك فطلب الأمر لنفسه فخطب له بأعماله واستوزر مؤيد الملك . وقارن ذلك مقتل مجد الملك البارسلاني المتغلب في دولة بركيارق فاستوحش أصحابه لذلك ، ونزعوا إلى محمد وساروا جميعاً إلى الري ، وكان بركيارق قد سبقهم إليها . واجتمع إليه الأمير نبال بن أبي شكين الحامي من أكابر الأمراء ،

وعز الملك بن نظام الملك. ولما بلغه مسير أخيه محمد اليه رجع الى اصفهان فنعوه من الدخول فصار الى خوزستان ، وملك محمد الري في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين، ووجد بها زينة أم بركيارق قد تخلقت عن ابنها فحبسها مؤيد الملك وصادها . ثم قتلها خنقاً بعد ان تنصح له أصحابه في شأنها فلم يقبل . وكان سعد الدولة كوهرايين شحنة بغداد قد استوحش من بركيارق ، فاتفق هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر ، وسرخاب بن بدر صاحب كنكسون ، وساروا الى السلطان محمد بقم فخلع عليهم ورد كوهرايين الى بغداد في شأن الخطبة فخطب له بالخليفة ، ولقبه حياة الدين والدنيا وسار كربوقا وجكرمش مع السلطان محمد الى اصفهان والله سبحانه وتعالى أعلم .

مقتل البارسلاني

كان أبو الفضل سعد البارسلاني ويلقب بمجد الملك متحكماً عند السلطان بركيارق ، ومتحكماً في دولته. ولما فشا القتل في امرائه من الباطنية استوحشوا ، ونسبوا ذلك للبارسلاني وكان من اعظم من قتل منهم الامير برسق فاتهم ابنه زنكي وأقبورني البارسلاني في قتله ، ونزعوا عن بركيارق الى السلطان محمد فاجتمع الامراء ، ومقدمهم أمير الخيرة لكابك وطفايرك من الروز ، وبعثوا الى بني برسق يستدعونهم للطلب بشار أبيهم ، فجاءوا واجتمعوا

قريباً من همدان، ووافقهم العسكر جميعاً على ذلك ، وبعثوا الى
بركيارق يطلبون البارسلاني فامتنع ، وأشار عليه البارسلاني
باجابتهم لئلا يفعلوا ذلك بغير رأي السلطان فيكون وهناً على
الدولة ، فاستحلفهم السلطان فدفعه اليهم فقتله الغلمان قبل أن يتصل
بهم ، وسكنت الفتنة ، وحمل رأسه الى مؤيد الملك. واستوحش
الامراء لذلك من بركيارق وأشاروا عليه بالعودة الى الري ، ويكفونه
قتال أخيه محمد فعاد متشاغلاً ، ونهبوا سرادقه وساروا الى أخيه
محمد ، ولحق باصفهان. ثم لحق رستاق كما تقدم .

إعادة الخطبة ببغداد لبركيارق

ولما سار بركيارق الى خوزستان ومعه نبال بن أبي شكين
الحسامي مع عسكره ، سار من هنالك الى واسط ، ولقيه صدقة
ابن مزيد صاحب الحلة . ثم سار الى بغداد ، وكان سعد الدولة
كوهرائين الشحنة على طاعة محمد ، فخرج عن بغداد ، ومعه أبو
الغازي بن أرتق وغيره ، وخطب لبركيارق ببغداد منتصف صفر
سنة ثلاث وتسعين ، بعد ان فارقه كوهرائين وأصحابه. وبعثوا
الى السلطان محمد ومؤيد الملك يستحثونها فأرسلا اليهم كربوقا
صاحب الموصل ، وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر يستكثرون
بهم في المدافعة. وطلب جكرمش من كوهرائين السير لبلده خشية
عليها فأذن له . ثم يش كوهرائين واصحابه من محمد فبعثوا الى

بركيارق بطاعتهم فخرج اليهم واسترضاهم ، ورجع الى بغداد وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة، وطالبه بما أخذ هو وأبوه من الموصل وديار بكر أيام ولايتهم عليها ، فصادرهم على مائة وستين ألف دينار . وأستوزر الاغرّ أبا المحاسن عبد الجليل ابن علي بن محمد الدهستاني ، وخلق الخليفة علي بركيارق .

المصنف الأول بين بركيارق ومحمد ومقتل

كوهرايين وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد

ثم سار بركيارق من بغداد لحرب أخيه محمد، ومر بشهرزور فاجتمع اليه عسكر كثير من التركمان ، وكاتب رئيس همدان يستحبه فركب وسار للقاء أخيه علي فراسخ من همدان في أول رجب من سنة ثلاث وتسعين، وفي ميمنته كوهرايين وعز الدولة ابن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر ، وفي ميسرته كربوقا . وفي ميمنة محمد بن اضر وابنه ايار^(١) وفي ميسرته مؤيد الملك والنظامية . ومعه في القلب أمير سرخو شحنة اصفهان . فحمل كوهرايين من الميمنة على مؤيد الملك والنظامية فهزمهم ، وانتهى الى خيامهم فنهبها . وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزموا . وحمل محمد على بركيارق فهزمه، ووقف محمد مكانه، وعاد كوهرايين من

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ١٩٣ : وكان محمد في القلب ومعه الأمير سرمز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه أياز .

طالب المنهزمين فكبا به فرسه فقتل . وجي . بالأغرّ أبي المحاسن يوسف وزير بركيارق أسيراً فأكرمه مؤيد الملك ، ونصب له خيمة ، وبعثه إلى بغداد في الخطبة لـ محمد فنظب له منتصف رجب من السنة . وكانت أولية سعد الدولة كوهرايين انه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن بويه ، وجعله في خدمة ابنه أبي نصر . ولما حبسه طغرل بك مضى معه إلى قلعة طغرل ، فلما مات انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان ، وترقى عنده ، وأقطعته واسط وجعله شحنة بغداد ، وحضر يوم قتله فوقاه بنفسه . ثم أرسله ملك شاه إلى بغداد في الخطبة ، وجاء بالخلع والتقليد ، وحصل له من نفوذ الاسر واتباع الناس ما لم يحصل لغيره ، إلى أن قُتل في هذه المعركة وولي شحنة بغداد بعده أبلغازي بن أرتق .

مسير بركيارق إلى خراسان وانهمزاه من أخيه
سنجر ومقتل الأمير داود حبشي أمير خراسان

لما انهزم بركيارق من أخيه محمد خُلف في الفلّ إلى الري ، واجتمع له جموع من شيعته فسار إلى خراسان ، وانتهى إلى اسفراين . وكتب الأمير داود^(١) حبشي إلى التونطاقي يستدعيه من الدامغان ، وكان أميراً على معظم خراسان ، وعلى طبرستان وچرجان فأشار عليه بالمقام بنيسابور فقصدتها . وقبض على عميدها

(١) كذا ، واسمه في الكامل ج ٨ ص ١٩٤ ؛ الأمير داود حبشي .

أبي محمد وأبي القاسم بن امام الحرمين . ومات أبو القاسم في محبسه مسموماً . ثم زحف سِنَجَر إلى الأمير داود فبعث إلى بركيارق يستدعيه لنجدته ، فسار إليه والتقى الفريقان بظاهر بوشَنج وفي ميمنة سنجر الأمير بُرْغَش وفي ميسرته الأمير كوكر^(١) . ومعه في القلب الأمير دُشْتَم فحمل بركيارق على دُشْتَم فقتله ، وانقضّ الناس على سِنَجَر ، وكاد ينهزم . وأخذ بركيارق أم سِنَجَر أسيرة ، وشغل أصحاب بركيارق بالنيب فحمل عليهم برغش وكوكر فانهزموا ، واستمرت الهزيمة على بركيارق ، وهرب الأمير داود فجئ . به إلى بُرْغَش أسيراً فقتله . وسار بركيارق إلى جِرْجان ، ثم إلى الدامغان ، ودخل البرية . ثم استدعاه أهل اصفهان ، وجاءه جماعة من الامراء منهم جاول صباو ، وسبقه محمد إلى اصفهان فعدل عنها إلى عسكر مُكْرَم .

المصاف الثاني بين بركيارق وعمد وهزيمة عمده

وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

لما انهزم بركيارق أمام سِنَجَر سنة ثلاث وتسعين ، وسار إلى اصفهان فوجد أخاه محمداً قد سبقه إليها فعدل عنها إلى خوزستان ، ونزل إلى عسكر مُكْرَم . وقدم عليه هناك الاميران زنكي والبكي ابنا بُرْشَق سنة أربع وتسعين ، وساروا معه إلى هَمْدان .

(١) كذا ، واسمه في الكامل : كندكر .

وهرب اليه الامير أياز في خمسة آلاف من عسكر محمد ، لأن أميراً آخر مات في تلك الايام ، وظنوا أن مؤيد الملك دس عليه وزيره فسمه . وكان أياز في جملة أمير أضر^(١) فقتل الوزير المتهم ، ولحق بركيارق . ثم وصل اليه سرخاب بن كنجر وصاحبه فاجتمع له نحو من خمسين ألف فارس . ولقية محمد في خمسة عشر ألفاً ، واستأمن أكثرهم الى بركيارق يوم المصاف أول جمادى الاخرة سنة أربع وتسعين . واستولت الهزيمة على محمد ، وجيء بمؤيد الملك أسيراً فوبخه ثم قتله بيده ، لأنه كان سيء السيرة مع الامراء كثير الحيل في تدبير الملك . ثم بعث الاغر أبو الحسن وزير بركيارق أبا ابراهيم الاستراباذي لاستقصاء أموال مؤيد الملك وذخائره ببغداد ، فحمل منها ما لا يسعه الوصف . يقال إنه وجد في ذخائره ببلاد المعجم قطعة بلخش زفتها أربعون مثقالاً . واستوزر محمد بعده خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين .

ثم سار السلطان بركيارق الى الري ، ووفد عليه هنالك كربوقا^(٢) صاحب الموصل وديس بن صدقة ، وأبوه يومثد صاحب الحلة . وسار السلطان قافلاً الى جرجان ، وبعث الى أخيه سنجر يستجديه فبعث اليه ما أقامه . ثم طلبه في المدد فسار اليه سنجر

(١) كذا، وفي الكامل: أمير آخر.

(٢) كذا، وفي الكتب الحديثة اسمه: كربوغا. العلاقات الاجتماعية، نقاش. ص ٢١.

من خراسان، ثم سارا جميعاً الى الدايمان فخرابها، وسار الى الري، واجتمعت عليه النظامية وغيرهم فكثرت جموعهم. وكان بركيارق بعد الظفر قد فرق عساكره لضيق الميرة، ورجع ديبس بن صدقة الى أبيه. وخرج باذرتيجان داود بن اسمعيل بن ياقوق فبعث لقتاله قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف، واستأذنه أياز في المسير الى ولايته بهمدان، ويعود بعد الفطر فبقي في قلعة من العساكر. فلما بلغه قرب أخيه محمد وسنجر اضطرب حاله، وسار الى همدان ليجتمع مع أياز فبلغه انه قد راسل أخاه محمداً وأطاعه فعاد الى خوزستان.

ولما انتهى الى تستر استدعى ابن برسق، وكان من جملة أياز فلم يحضر، وتأخر فأمنه فسار نحو العراق، فلما بلغ حلوان لحق به أياز، وكان راسل محمداً فلم يقبله. وبعث عساكره الى همدان، فلحق بهمدان أياز. وأخذ محمد محلة^(١) أياز بهمدان وكانت كثيراً من كل صنف وصور أصحابه^(٢) بهمدان بمائة ألف دينار. وسار بركيارق وأياز الى بغداد فدخلها منتصف ذي القعدة من سنة أربع وتسعين، وطلب من الخليفة المال للنفقة فبعث اليه بعد المراجعة بخمسين ألف دينار. وعاش أصحاب بركيارق في

(١) كذا، بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ١٩٧: وأخذ عسكر محمد ما تخلف للأمير أياز

بهمدان.

(٢) كذا بياض بالأصل وفي الكامل: ونهبوا داره وصادروا جماعة من أصحابه وصور رئيس

همدان بمائة ألف دينار.

أموال الناس وضجروا منه ووفد عليه أبو محمد عبدالله بن منصور المعروف بابن المصلحية^(١) قاضي جبلة من سواحل الشام منهزماً من الأفرنج باموال جليلة المقدار فأخذها بركيارق منه . وقد تقدم خبر ابن المصلحية في دولة العباسيين . ثم بعث وزير بركيارق الأغر بالمحسن^(٢) الى صدقة بن مزيد صاحب الجلة في ألف ألف دينار، يزعم أنها تخلفت عنده من ضمان البلاد، وتهده عليها فخرج عن طاعة بركيارق، وخطب لحمد أخيه . وبعث اليه بركيارق في الحضور والتجاوز عن ذلك . وضمن له أياز جميع مطالبه فأبى الا ان يدفع الوزير، واستمر على عصيانه، وطرد عامل بركيارق عن الكوفة واستضافها اليه .

مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر إليها

ولما استولى السلطان محمد ، وأخوه سنجر على همدان ، سار في اتباع بركيارق الى حلوان فقدم عليه هنالك ابو الفازي ابن أرتق في عساكره وخدمه ، وكثرت جموعه فسار الى بغداد ، وبركيارق عليل بها فاضطرب أصحابه ، وعبروا به الى الجانب الغربي . ووصل محمد الى بغداد آخر سنة أربع وتسعين ، وتراى الجمعان بشاطىء دجلة ، وجرت بينهم المراماة والنشاب ، وكان

(١) كذا، واسمه في الكامل ابن صليحة.

(٢) كذا، وهو الأغر أبو المحاسن الدهستاني.

عسكر محمد ينادون عسكر بَر كيارقُ يا باطنية. ثم سار بر كيارق الى واسط ونهب عسكره جميع ما مرّوا عليه ، ودخل محمد الى دار المملكة ببغداد ، وجاءه توقيع المستظهر بالاستبشار بقدومه وخطب له . ونزل الملك سِنَجَر بدار كوهرائين ، ووفد على السلطان محمد ببغداد صَدَقَةُ صاحب الحِلَّة في محرّم سنة خمس وسبعين^(١).

مقتل بركيارق الباطنية

كان هؤلاء الباطنية قد ظهروا بالعراق وفارس وخراسان ، وهم القرامطة ، والدعوة بعينها دعوتهم ، إلا أنهم سموا في هذه الأجيال بالباطنية والاسماعيلية والملاحدة والفداوية . وكل اسم منها باعتبار : فالباطنية لانهم يُنْطِنون دعوتهم ، والاسماعيلية لانتساب دعوتهم في أصلها لاسماعيل بن الامام جعفر الصادق . والملاحدة لانّ بدعتهم كلها إلحاد . والفداوية لانهم يفادون أنفسهم بالمال على قتل من يسلطون . والقرامطة نسبة الى قُرْمُط منشي ، دعوتهم . وكان أصلهم من البحرين في المائة الثالثة وما بعدها . ثم نشأ هؤلاء بالشرق أيام ملك شاه ، فأول ما ظهروا باصفهان . واشتدّ في حصار بركيارق وأخيه محمود وأمه خاتون فيها . ثم

(١) كذا، وقد ذكرت هذه الحادثة في الكامل ج ٨ ص ١٩٨ : في حوادث سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

نارت عامة اصفهان بهم باشارة القضاة وأهل الفتيا فقتلوهم في كل جهة ، وحرقوهم بالنار .

ثم انتشروا واستولوا على القلاع ببلاد العجم كما تقدم في أخبارهم . ثم أخذ بذهبيهم فيران شاه بن بدران شاه بن قاروت بك " صاحب كِرمَان ، حمله عليه كاتب من أهل خَوْزِستان يسمّى أبا زُرعة . وكان بِكِرْمَان فقيه من الحنفيّة يسمّى أحمد بن الحسين البلخي ، مطاعاً في الناس ، فخصني من نكيره فقتله فهرب عنه صاحب جيشه ، وكان شحنة البلد ، ولحق بالسلطان محمد ومؤيد الملك باصفهان . وثار الجند بعده بتيران شاه فسار الى مدينة كِرْمَان فمنعه أهلها ونهبوه فقصّد قلعة سُهْم " واستجار بصاحبها محمد بهستون . وبعث أرسلان شاه عساكر لحصارها فطرده بهستون ، وبعث مقدّم العساكر في طلبه فجى ، به أسيراً وبأبي زُرعة الكاتب معه فقتلها أرسلان شاه ، واستولى على بلاد كِرمَان .

وكان بَرَكْيَارِق كثيراً ما يسلطهم على من يريد قتله من الامراء ، مثل أنز شحنة اصفهان ، وأرغش وغيرهم فأمنوا جانبه ، وانتشروا في عسكره ، واغروا الناس ببدعتهم وتجاوزوا الى التهديد عليها ، حتى خافهم اعيان العسكر . وصار بركيارق يصرفهم

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٠٣ : تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك . ونرجح تورانشاه بدل تيرانشاه .

(٢) كذا ، وفي الكامل : قلعة سميرم .

على أعدائه ، والناس يتهمون به بالميل اليهم فاجتمع أهل الدولة ، وعذبوا بركيارق في ذلك فقبل نصيحتهم ، وأسر بقتل الباطنية حيث كانوا فقتلوا وشرّدوا كل مشرد . وبعث الى بغداد بقتل ابي ابراهيم الاستراباذي الذي بعثه ابو الأغر لاستقصاء اموال مؤيد الملك ، وكان يتهم بمذهبهم ، فقتل . وقتل بالعسكر الامير محمد من ولد علاء الدين بن كاكويه ، وهو صاحب مدينة تيرد ، وكان يتهم بمذهبهم . وسعى بالكيا الهراسي مدرّس النظامية انه باطني فأمر السلطان محمد بالقبض عليه ، حتى شهد المُستظهر ببراءته وعلوّ درجته في العلم فاطلقه ، وحسنت علة الباطنية بين الجمهور . وبقي امرهم في القلاع التي ملكوها إلى ان انقرضوا كما تقدّم في اخبارهم مستوفى .

المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما

ولما رحل بركيارق عن بغداد الى واسط ، ودخل اليها السلطان محمد اقام بها الى منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين . ثم رحل الى همدان ، وصحبه السلطان سنجير لقصد خراسان موضع امارته ، وجاءت الاخبار الى المستظهر باعترام بركيارق على المسير الى بغداد ، ونقل له عنه قبائح من أقواله وأفعاله فاستدعى السلطان محمداً من همدان وقال : أنا أسير معك لقتاله فقال محمد أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين ، ورجع ورتب ببغداد أبا المعالي شحنة وكان

بركيارق لما سار من بغداد الى واسط ، هرب أهلها منه الى الزُّينْدِيَّة ، ونزل هو بواسط عليلاً فلما أفاق أراد العبور الى الجانب الشرقي فلم يجد سفناً ولا نواتية . وجاءه القاضي أبو علي الفارسي الى العسكر واجتمع بالامير أياز والوزير فاستعطفها لاهل واسط ، وطلب إقامة الشحنة بينهم فبعثاه وطلباً من القاضي من يعبر فأحضر لهم رجالاً عبروا بهم . فلما صاروا في الجانب الشرقي نهب العسكر البلد فجاء القاضي واستعطفهم فنعوا النهب . واستأمن اليهم عسكر واسط فأمنوهم .

وسار بركيارق الى بلاد نيج بُرسق في الاهواز ، وساروا معه ثم بلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار في اتباعه الى نهاوند الى أن أدركه ، وتصافوا ولم يقتلوا لشدة البرد . ثم عاودوا في اليوم الثاني كذلك . وكان الرجل يخرج لقريبه من الصف الآخر فيتصافحان ويتساولان ويفترقان . ثم جاء الامير بكراج وعبر من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاغر فاجتمعوا ، وعقدوا الصلح بين الفريقين على ان السلطان بركيارق لا يعترض أخاه محمداً في الطبل ، وتكون المكاتبه بينهما من الوزيرين ، ولا يُعَارِض أحد من العسكر في قصد أيها شاء . والملك محمد ، يضرب له ثلاث نوب ، ويكون له من البلاد حرة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل ، ويمده بركيارق بالعساكر على من يمتنع عليه منها . وتحالفا على ذلك وافترقا . وكان العقد في ربيع الاول

سنة خمس وتسعين. وسار بر كيارق الى ساوة ومحمد الى استراباذ، وكل أمير على اقطاعه. والله سبحانه وتعالى أعلم .

انتفاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد باصفهان

لما انصرف السلطان محمد الى استراباذ، وكان اتهم الامراء الذين سعوا في الصلح بالخدعة فسار الى قزوين، ودس الى رئيسها لان يصنع صنيعاً ويدعوه اليه مع الامراء ففعل وجاء السلطان الى الدعوة. وقد تقدم الى اصحابه بحمل السلاح، ومعه يشمك وافتكين من أمرائه فقبض عليهما، وقتل يشمك وسمل افتكين. وورد عليه الامير نبال بن أنشوكس الحسامي نازعاً عن أخيه بر كيارق.

ولما التقى الفريقان حمل سرخاب بن كيخسرو^(١) الديلمي صاحب ساوة على نبال الحسامي فهزمه، واتبعه عامة العسكر، واستولت الهزيمة على عسكر محمد. ومضى بعضهم الى طَبْرِسْتان، وبعضهم الى قزوين وذلك في جمادى من سنة خمس وتسعين لاربعة أشهر من المصاف قبله. ولحق محمد في الفلّ باصفهان، ومعه نبال الحسامي، واصفهان في حكمه فحصنها وسد ما ثلم من سورها، وأعمق الخندق، وفرّق الامراء في الاسوار وعلى الابواب، ونصب المجانيق. وجاء بر كيارق في خمسة عشر ألف مقاتل فأقام محاصراً للبلد حتى

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٠٧: وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين وبسمل فقتل الأمير بسمل، وهو من أكابر الأمراء، وكحل الأمير أيتكين. وكان الأمير نبال بن أنوشكين الحسامي قد فارق بر كيارق، وأقام مجاهداً للباطنية الذين في القلاع والجباب فقصد الآن السلطان محمد وسار معه إلى الري يضرب التوب الخمس.

اشتد الحصار وعدمت الاقوات . واستقرض محمد المال للجند من اعيان البلدة مرة بعد اخرى ، فلما جهده الحصار خرج من البلد ومعه الامير نبال ، وترك باقي الامراء .

وبعث بركياردق الامير اياز في عسكر لطلبه فلم يدركه ، وقيل بل أدركه ، وذكره العهد فرجع عنه بعد ان اخذ رايته وجشره^(١) وثلاثة أحمال من المال . ولما خرج محمد عن اصفهان طمع المفسدون والسوادية في نهبا فاجتمع منهم ما يزيد على مائة ألف ، وزحفوا بالسلام والذبابات ، وطمؤا الخندق وصعدوا في السلام باشارة اهل البلد، وجدوا في دفاعهم، وعادوا خائبين .

ورحل بركياردق آخر ذي القعدة من سنة خمس وتسعين ، واستخطف على البلاد القديم الذي يقال له شهرستان مرشد المهراس في ألف فارس ، مع ابنه مالك شاه ، وسار الى همدان . وفي هذا الحصار قتل وزير بركياردق الاغر أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني، عرض له يوماً بعض الباطنية عندما ركب من خيمته لباب السلطان، طعنه طعنات وتركه بأخر رمق، وقتل غلام من غلمان بعض المكوس للوزير، ثار فيه بمولاه. وكان كريماً واسع الصدر، وولي الوزارة على حين فساد القوانين وقلة الجباية فكان يضطر لاخذ اموال الناس بالاخافة فنفرت الصفوة منه. ولما مات استوزر بركياردق بعده الخطير أبا منصور التبتزي كان وزيراً لمحمد، وقد

(١) كذا، وفي الكامل: وأخذ علمه والجنز.

وكله في الحصار ببعض الابواب فبعث اليه محمد نبال بن أبي
شكين يطالبه بالاموال لاقامة العسكر فخرج من الباب ليلاً ولحق
ببلده ، وامتنع بقلعتها فارسل السلطان بر كيارق اليها عساكر ،
وحاصروها حتى استأمن وجاء عند قتل وزيره الاغر فاستوزره
بر كيارق مكانه والله تعالى أعلم بغيبه .

سير صاحب البصرة الى واسط

كان صاحب البصرة لهذا العهد اسمعيل بن ارسلان حين كان
السلطان ملك شاه شحنة بالري، وولاه عليها عندما اضطر أهلها ،
وعجز الولاة عنهم فحسن كفايته، وأثنى فيهم وأصلح أمورهم.
ثم عزل عنها، وأقطع السلطان بر كيارق البصرة للامير قاج، وكان
ممن لا يفارقه فاختر اسمعيل لولاية البصرة . ثم نزع قاج عن
بر كيارق وانتقل الى خراسان فحدثت اسمعيل نفسه بالاستبداد
بالبصرة ، وانتفض وزحف اليه هذب الدولة بن أبي الخير من
البطيحة ومقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسدي من الجزيرة
في العساكر والسفن فقاتلوه في مطاري . وقتل مقل بسهم أصابه
فماد ابن أبي الخير الى البطيحة فأخذ اسمعيل السفن ، وذلك سنة
احدى وتسعين . أسرها واستفجل أمره بالبصرة . وبني قلعة بالأبلة
وقلعة الشاطي قبالة مطاري . وأسقط كثيراً من المكوس ، واتسعت
إمارته لشغل السلاطين بالفتنة . وملك المسبار وأضافها الى ما بيده .

ولما كان سنة خمس وتسعين طمع في واسط وداخل بعض أهلها، وركب إليها السفن إلى نعلما جار، وخيّم عليها بالجانب الشرقي أياماً. ودافعوه فارتحل راجعاً حتى ظنّ خلاء البلد من الحامية فدخل إليها من يُضرم النار بها ليرجعوا فرجع عنهم. فلما دخل أصحابه البلد فتك أهل البلد فيهم، وعاد إلى البصرة منهزماً فوجد الأمير أبا سعيد محمد بن نصر بن محمود صاحب الأعمال لعمان وجنايا ويشيراز وجزيرة بني نفيس محاصراً للبصرة. وكان أبو سعيد قد استبدّ بهذه الأعمال منذ سنين. وطمع اسمعيل في الاستيلاء على أعماله وبعث إليها السفن في البحر فرجعوا خائبين فبعث أبو سعيد خمسين من سفنه في البحر فظفروا بأصحاب اسمعيل واتفقوا معهم على الصلح، ولم يقع منه وفاء به فسار أبو سعيد بنفسه في مائة سفينة. وأرسي بفوهة نهر الابلّة، ووافق دخول اسمعيل من واسط فتزاحفوا برأً وبحراً. فلما رأى اسمعيل عجزه عن المقاومة كتب إلى ديوان الخليفة بضمّان البلد. ثمّ تصالحا، ووقعت بينهما المهادنة، وأقام اسمعيل مستبداً بالبصرة إلى أن ملكها من يده صدّقة بن مزيد في المائة الخامسة كما مرّ في أخباره وهلك برامهرمز.

وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش

عليها واستيلاء سقمان بن أبتق على حصن كيفا

كان السلطان بركيارق أرسل كربوقا إلى أذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتي الخارج بها سنة أربع وتسعين،

فاستولى على أكثر أذربيجان من يده . ثم توفي منتصف ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، وكان معه أصبهيد صباوو بن خمارتكين ، وسُنُقَرْجِه من بعده . وأوصى الترك بطاعته فصار سُنُقَرْجِه الى الموصل ، واستولى عليها . وكان أهل الموصل لما بلغهم وفاة كربوقا قد استدعوا موسى التركاني من موضع نيابته عن كربوقا بحصن كيفا للولاية عليهم ، فبادر اليهم ، وخرج سُنُقَرْجِه للقائه فظنّ انه جاء اليه ، وجرت بينهما محاورات . وردّ سُنُقَرْجِه الامر الى السلطان فأل الامر بينهما الى المطاعنة . وكان مع موسى منصور بن مروان ، بقية أمراء ديار بكر . وضرب سُنُقَرْجِه فأبان رأسه ، وملك موسى البلد . ثم زحف جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الى نصيبين فملكها ، وخالفه موسى الى الجزيرة فبادر اليه جكرمش وهزمه . واتبعه الى الموصل فحاصره بها فبعث موسى الى سُقْمَان بن أرتُق بديار بكر يستجده على أن يعطيه حصن كيفا فصار سُقْمَان اليه . وأفرج عنه جكرمش .

وخرج موسى للقاء سُقْمَان فقتله مواليه ، ورجع سُقْمَان الى كيفا . وجاء جكرمش الى الموصل فحاصرها وملكها صلحاً ، واستلحم قتلة موسى . ثم استولى بعد ذلك على الحابور ، وأطاعه العرب والاكراذ . وأما سُقْمَان بن أرتُق فصار بعد مقتل موسى الى حصن كيفا ، واستمرّ بيده .

قال ابن الاثير : وصاحبها الآن في سنة خمس وعشرين وستمائة

محمود بن محمد بن الفراء . وكان صاحبها سنة عشرين وستمائة غازي
ابن قرا ارسلان بن داود بن سُقمان بن أرتق والله تعالى أعلم .

أخبار نبال بالعراق

كان نبال بن أبي شتكين الحسامي مع السلطان محمد باصفهان لما
حاصرها بركيارق بعد المصاف الرابع سنة خمس وتسعين ، فلما
خرج محمد من الحصار الى أذربيجان ، ومعه نبال ، استأذنه في
قصد الريّ ليقم بها دعوتهم ، وسار هو وأخوه عليّ ، وعسف
بأهل الريّ وصادرهم . وبعث السلطان بركيارق الامير برسق بن
بُرسق في ربيع من سنة ست وتسعين فقاتله وهزمه ، واستولى
بُرسق على الريّ ، وأعادته على ولاية بُزوين ، وسلك نبال على
الجلال ، وهلك كثير من أصحابه ، وخلص الى بغداد فأكرمه
المستظهر ، وأظهر طاعة السلطان محمد . وتحالف هو وأبو الغازي
وسُقمان بن أرتق على مناصحة السلطان محمد ، وساروا الى صدقة
ابن مزيد بالجلّة فاستحلفوه على ذلك .

ثم أن نبال بن أبي شتكين عسف بأهل بغداد ، وتسلب عليهم
وصادر العمال فاجتمع الناس الى أبي الغازي بن ارتق . وكان نبال
صهره على أخته التي كانت زوجاً لئش ، وطلبوا منه أن يشفع
لهم عنده . وبعث المستظهر اليه قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني
بالنهي عما يرتكبه فأجاب وحلف . ثم نكث فأرسل المستظهر

الى صَدَقَة بن مَزِيد يستدعيه فوصل في شوال من السنة ، واتفق مع نبال على الرحيل من بغداد . ورجع الى حِلَّتِه ، وترك ولده ديبساً يزعم نبال للخروج فسار نبال الى أوان ، وعاث في السابلة وأقطع القرى لأصحابه . وبعث الى صَدَقَة فأرسل اليه العساكر ، وخرج فيها أبو الغازي بن أرتق ، وأصحاب المستظهر فسار نبال الى أذربيجان ورجعوا عنه .

ولاية كمستكين النصيري شحنة بغداد وفتنته مع أبي الغازي ومعه

قال أبو الغازي بن أرتق شحنة بغداد ، ولّاه عليها السلطان محمد عند مقتل كوهرائين . ولما ظهر الآن بُر كيارق على محمد ، وحاصره باصفهان . ونزل بر كيارق همدان ، وأرسل الى بغداد كمستكين النصيري في ربيع سنة ست وتسعين . وسمع أبو الغازي بمقدمه فاستدعى أخاه سُقْمَان بن أرتق من حصن كيفا يستجده وسار الى صَدَقَة بن مَزِيد فخالفه على النصرة والمدافعة . ورجع الى بغداد ، ووصل اليه أخوه سُقْمَان بعد أن نهب في طريقه . ووصل كمستكين الى قرقيسيا ولقيه شيعة بر كيارق ، وخرج أبو الغازي وسُقْمَان عن بغداد ، ونهب قرى دُجِيل واتبعتها العساكر . ثم رفعت عنهما وأرسل كمستكين الى صَدَقَة صاحب الحلة فامتنع عن طاعة بر كيارق ، وسار من الحلة الى صَرْصَر ، وقطع خطبة بر كيارق ، وعبر بغداد واقتصر على الدعاء للخليفة .

وبعث صدقة الى أبي الغازي وسقمان يعرفها بوصوله ، وها بالحرني^(١) وجاء الى دجيل . ونهب القرى واشتد فسادهم . وأضر ذلك بحال بغداد في غلاء الاسعار . وجاء أبو الغازي وسقمان ومعهما ديبس بن صدقة فخيّموا بالملّة ، وقاتلهم العامة ففتكوا فيهم .

وبعث المستظهر قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني ، وتاج الرؤساء بن الرحلات الى صدقة بن مزيد بمراجعة الطاعة فشرط خروج كمستكين عن بغداد ، فأخرجه المستظهر الى النهروان . وعاد صدقة الى الحلة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد . ثم سار كمستكين النصيري الى واسط ، وخطب فيها لبركيارق ، ونهب عسكره سوادها فسار صدقة وأبو الغازي اليه ، وأخرجاه من واسط . وتحصن بدجلة فقصده صدقة فانفض عنه أصحابه ، ورجع الى صدقة بالامان فأكرمه ، وعاد الى بركيارق . وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط ، وبعده لصدقة وأبي الغازي ، وولى كل واحد فيها ولده . وعاد أبو الغازي الى بغداد ، وعاد صدقة الى الحلة ، وبعث ابنه منصوراً مع أبي الغازي يطلب الرضا من المستظهر لانه كان سخطه من أجل هذه الحادثة .

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢١٥ : وكان بحري يعرفها أنه أتى لنصرتها .

المصافى الخامس بين بركيارق ومحمد

كان السلطان محمد لما سار عن كنجة وبلاد أران استخلف بها الأمير غزغلي ، وأقام بها في طائفة من عسكره مقيماً خطبة السلطان محمد في جميع أعماله إلى زنجان من آخر أذربيجان. فلما انحصر محمد بأصفهان سار غزغلي لانهجاده ، ومعه منصور بن نظام الملك ، ومحمد بن أخيه مؤيد الملك فانتبهوا إلى الري ، وملكوها آخر خمس وتسعين ، ولقوا السلطان محمداً يهمدان ، عندما خرج من أصفهان ، ومعه نبال بن أبي شتكين وأخوه علي ، وأقاموا معه يهمدان . ثم جاء الخبر بمسير بركيارق إليهم فتوجه السلطان محمد قاصداً شروان ، وانتهى إلى أذربيجان فبعث إليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتي ، الذي كان بركيارق قتل أباه اسمعيل ، وكانت أخت مودود هذا تحت محمد ، وكان له طائفة من أعمال أذربيجان ، فاستدعى محمداً ليظهره على بركيارق فسار إليه ، وانتهى إلى سُقمان . وتوفي مودود في ربيع سنة ست وتسعين ، واجتمع عساكره على السلطان محمد وفيهم سُقمان القطي^(١) ومحمد بن ياغي سياه ، الذي كان أبوه صاحب انطاكية . ونزل ارسلان بن السبع الأحمر فسار إليهم بركيارق ، وقاتلهم على خراسان . وسار أياز من عسكر بركيارق ، وجاء من خلف السلطان محمد فأنهزم محمد

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٢١٧ سُقمان القطي .

وأصحابه ، ولحق بارقيش من أعمال خلاط . ولقيه الأمير علي صاحب ارزن الروم فضى الى اصفهان ، وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادي ، ثم سار الى هرمز . وأما محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك فنجا من الوقعة الى ديار بكر ، ثم الى جزيرة ابن عمر ، ثم الى بغداد . وكان أيام أبيه مقيماً ببغداد في جوار المدرسة النظامية فشكى الى أبيه ، وخاطب كوهرايين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة ، ولحق سنة اثنتين وتسعين بمجد الملك البارسلاني ، وابوه بكنجة عند السلطان محمد ، فلما خطب السلطان محمد لنفسه ، واستوزر أباه مؤيد الملك ، ولحق محمد هذا بأبيه ، ثم قتل أبوه وبقي في جملة السلطان محمد .

استيلاء ملك بن بهرام على مدينة عانة

كان ملك بن بهرام بن ارتق بن أخي أبي الفاري بن ارتق مالكا مدينة سروج فلحقها الفرنج من يده ، فسار عنها الى عانة ، وغلب عليها بني العيش بن عيسى من خلاط ، وكانت لهم ، فقصدوا صدقة بن مزيد مستجدين به فأنجدهم ، وجاء معهم فرحل ملك ابن بهرام والتركمان عنها ، ودخلها بنو العيش ، وأخذ صدقة رهائنهم ، وعاد الى الحلة فرجع ملك اليها في ألفي رجل من التركمان ، وحاربها قليلا . ثم عبر الخاضة ، وملكها واستباح أهلها ، ومضى الى هيت ورجع عنها .

الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد

ثم استقرّ الأمر أخيراً بالسلطان بركيارق في الريّ ، وكان له الجبال وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ، ولحمد أذربيجان وبلاد أران وارميقية وأصفهان والعراق جميعاً ، غير تكريت والبطائح بعضها ، وبعضها والبصرة لهما جميعاً ، وخراسان لسنجر من جرجان الى ما وراء النهر يخطب فيها لاختيه محمد . وله من بعده والعساكر كلهم يتحكمون عليهم بسبب الفتنة بينهما . وقد تطاول الفساد وعمّ الضرر ، واختلفت قواعد الملك فأرسل بركيارق الى أخيه محمد في الصلح مع فقيهين من أمثال الناس ، ورغباه في ذلك ، واعاد معهما رسلاً آخرين . وتقرّر الامر بينهما أن يستقرّ محمد على ما بيده سلطاناً ، ولا يعارضه بركيارق في الطبل ، ولا يذكر اسمه في أعمال محمد ، وأنّ المكاتبه تكون بين الوزيرين والعساكر بالخيار في خدمة من شاقوا منها . ويكون للسلطان محمد من النهر المعروف بأستراياذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام والعراق بلاد صدّقة بن مزّيد ، وبقيّة الممالك الاسلاميّة لبركيارق .

وتحالفا على ذلك ، وانتظم الامر ، وأرسل السلطان محمد الى اصحابه باصفهان بالخروج عنها لاختيه بركيارق ، واستدعاهم اليه فأبوا وجنحوا الى خدمة بركيارق . وساروا اليه بحريم السلطان

محمد الذي كانوا معهم فأكرمهم بركيارق ، ودلّهم الى صاحبهم . وحضر أبو الغازي بالديوان ببغداد . وسار المستظهر في الخطبة لبركيارق فخطب له سنة سبع وتسعين ، وكذلك بواسط . وكان أبو الغازي قبل ذلك في طاعة محمد فأرسل صدقة الى المستظهر يعمله في شأنه ، وينجبره بالمسير لآخراجه من بغداد . ثم سار صدقة ونزل عند الفجاج . وخرج أبو الغازي الى عقرقوبا . وبعث لصدقة بأنه إنما عدل عن طاعة محمد للصلح الواقع بينه وبين أخيه ، وأنها تراضيا على ان بغداد لبركيارق ، وأنا شحنة بها ، واقطاعي حُلوان فلا يمكنني التحول عن طاعة بركيارق فقبل منه ورجع الى الحلة . وبعث المستظهر في ذي القعدة سنة سبع وتسعين بالخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والوزير الخطير واستخلفهم جميعاً ، وعاد الى بغداد ، والله سبحانه وليّ التوفيق .

حرب سقمان وجكرمش الافرنج

قد تقدّم لنا استيلاء الافرنج على معظم بلاد الشام وشغل الناس عنهم بالفتنة ، وكانت حرّان لقراجا من مماليك ملك شاه . وكان غشوماً فخرج منها لبعض مذاهبه ، وولّى عليها الأصفهاني من أصحابه فعصى فيها ، وطرد أصحاب قراجا منها ما عدا غلاماً تركياً اسمه جاولي جملة مقدّم المسكر ، وأيس به فقرّره وتركه ، وملك حرّان . وسار الافرنج اليها وحاصروها . وكان بين

جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر وسُقمان صاحب كيفا حروب ،
وسُقمان يطالبه بقتل ابن أخيه فانتدبا لنصر المسلمين واجتمعا على
الحابور وتحالفا . وسار سُقمان في سبعة آلاف من التركمان ،
وجكرمش في ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكراد ، والتقوا
بالافرنج على نهر بلخ فاستطرد لهم المسلمون نحو فرسخين ، ثم
كروا عليهم فغنموا فيهم ، وقتلوا سوادهم .

وأخذ القمص بردويل صاحب الرها ، أسره تركاني من أصحاب
سقمان في نهر بلخ . وكان يميند صاحب انطاكية من الافرنج
وطنكري صاحب الساحل منهم قد كمنوا وراء الجبل ليأتيا
المسلمين من ورائهم عند المعركة . فلما عاينوا الهزيمة كمنوا بقية
يومهم ، ثم هربوا فاتبعهم المسلمون واستلحموهم وأسروا منهم
كثيراً ، وفلت يميند وطنكري بدماء أنفسهم . ولما حصل الظفر
للمسلمين عصى أصحاب جكرمش باختصاص سُقمان وشق ذلك عليه
وأراد أصحابه ^(١) فأبى حذراً من افتراق المسلمين ورحل ،
وفتح في طريقه عدة حصون . وسار جكرمش الى حرّان ففتحها .
ثم سار الى الرها فحاصرها خمس عشرة ليلة ، وعاد الى الموصل .
وقاد من القُصّ بخمسة وثلاثين ألف ديناراً ، ومائة وستين أسيراً
من المسلمين .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ح ٨ ص ٢٢٣ : فلما عاد سقمان شق عليه الأمر ،
وركب أصحابه للقتال فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم باختلافنا .

وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه

ثم توفي السلطان بركيارق بن ملك شاه بنزدرجرد^(١) في أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتي عشرة سنة ونصف من ملكه ، جاء اليها عليلاً من اصفهان ، واشتد مرضه ببروجرد ، فوُتّي عهده لابنه ملك شاه ، وعمره نحو من خمس سنين . وخلع عليه ، وجعل الامير اياز كافله ، وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة . وبعثهم الى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق . ورجع اياز حتى دفنه باصفهان ، وجمع السُرادات والخيّام والجرث والشمسية لابنه ملك شاه . وكان بركيارق قد لقي في ملكه من الرخاء والشدة والحرب والسلم ما لم يلقه أحد . فلما استقر^(٢) واستقامت سعادته أدركته المنية . ولما توفي خطب لابنه ملك شاه ببغداد ، وكان أبو الغازي قد سار من بغداد اليه ، وهو باصفهان يستحثه الى بغداد . وجاء معه ، فلما مات سار مع ابنه ملك شاه والامير اياز الى بغداد ، وركب الوزير أبو القاسم عليّ بن جُمَير فلقاهم به^(٣) مالي . وحضر أبو الغازي والامير

(١) كذا ، وفي الكامل : بروجرد . وهو الصحيح .

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٢٤ : ولما قوي أمره في هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له أدركته منيته .

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : فلقاهم من ديبالي وكانوا خمسة آلاف فارس ، وحضر إيلغازي والامير طغا يدك بالديوان .

طنافيرك بالديوان ، وطلبنا الخطبة للملك شاه فخطب له ، ولقب بألقاب
جده ملك شاه .

حصار السلطان محمد الموصل

لما انمقد الصلح بين بركيارق ومحمد ، واختص كل منهما
اعماله ، وكانت أذربيجان في قسمة محمد ، رجع محمد الى أذربيجان ،
ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الذي كان نائباً باصفهان بعد أن
أبلى في المدافعة عنها . ثم سلمها بعد الصلح الى نواب بركيارق ،
واستوزره فأقام محمد الى صفر من سنة ثمان وتسعين . ثم سار يريد
الموصل على طريق مَرَاغَة ، ورحل وبلغ الخبر الي جكرمش
فاستعد للحصار ، وأدخل أهل الضاحية الى البلد وحاصره محمد . ثم
بعث له يذكره ما استقر عليه بينه وبين أخيه وأنّ الموصل
والجزيرة له ، وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبإيمانه عليه ،
ووعده أن يقرها في عمالته فقال له جكرمش : انّ السلطان كتب
اليّ بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتدّ في حصاره ، وأشدّت أهل البلد
في المدافعة ونفس الله عنهم برخص الاسعار . وكان عسكر
جكرمش مجتمعين قريباً من الموصل ، وكانوا يغزون على أطراف
العسكر ، ويمنعون عنهم الميرة . ثم وصل الخبر عاشر جمادى الاولى
بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمش أهل البلد فردّوا النظر
اليه ، واستشار الجند فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل اليه

بذلك ، واستدعى وزيره سعد الملك فدخل عليه ، وأشار عليه
بلقاء السلطان فخرج اليه على كره من أهل البلد فلتقاء السلطان
بالكرامة ، وأعادته سريعاً الى البلد ليطمئن الناس .

استيلاء السلطان محمد علي على بغداد وفتح ملك شاه ابن أخيه ومقتل إياز

قد كنا قدّمنا صلح بركيارق وأخيه محمد من أنه يستقل
بركيارق بالسلطنة ، وينفرد محمد بالاعمال التي ذكرنا ، وموت
بركيارق اثر ذلك ، وتقديم ابنه ملك شاه ببغداد . فوصل الخبر
بذلك الى محمد ، وهو يحاصر الموصل فاطاعه جكرمش وسار محمد الى
بغداد ، ومعه جكرمش وسقمان القطبي مولى قطب الدولة اسمعيل
ابن ياقوتي عمّ ملك شاه ومحمد وغيرهما من الامراء . وجمع صدقة
صاحب الخلة العساكر ، وبعث ابنه بدران ودييساً الى محمد يستحثانه ،
وجاء السلطان محمد الى بغداد فاعتزم الامير اياز أتابك ملك شاه
على دفاعه ، وخيم خارج بغداد ، وأشار عليه بذلك أصحابه ،
وخالفهم وزيره أبو الحاسن الضبيعي ، وأبلغ في النصيحة له بطاعة
السلطان فأقام متردداً ، ونزل محمد بالجانب الغربي ، وخطب له هنالك
منفرداً ، ولهما معاً في بعض الجوامع . واقتصر على سلطان العالم
في بعضها .

ورجع اياز الى استخلاف الامراء ثانياً فوقف بعضهم وقال :
لا فائدة في اعادة اليمين . وارتاب اياز عندها ، وبعث وزيره

الضبي أبي المحاسن لعقد الصلح مع السلطان واستحلافه ، فقرأ على وزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فدخل معه الى السلطان ، وأجابه الى ما طلب . وجاء معه من الغد قاضي القضاة والمفتيان ، واستحلفاه لايأز وللأمراء فحلف إلا ان ينال الحسامي و ^(١) وقال : أمّا ملك شاه فهو ابني وأنا أبوه . وجاء أياز من الغد ، وقارن وصول صدقة بن مزيد فازلها واحتفى بهما ، وذلك آخر جمادى الاولى من سنة ثمان وتسعين .

ثم احتفل أياز بعدها في عمل صنيع للسلطان في بيته ، وهي دار كوهرائين ، وأهدى اليه تحفاً من جملتها جبل البلخش الذي أخذه من تركة نظام الملك بن مؤيد الملك . واتفق ان أياز تقدم لمواليه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان ، وكان عندهم مصفعان فألبسوه درعاً تحت ثيابه ، وتناولوه بالنخس فهرب عنهم ، ودخل في حاشية السلطان مذعوراً فلمسوه فاذا الدرع تحت ثيابه فارتأوا . ونهض السلطان الى داره ثم دعا الأمراء بعد ذلك بأيام ^(٢) فاستشارهم في بعث يبعثهم الى ديار بكر ^(٣) ان ارسلان

(١) كذا بياض الأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٢٥ فلما سمع الأمير أياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد ، وجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه عن طاعة ملكشاه بن برقيارق وكان أشدهم في ذلك نبال وصباو فليهم بالغوا في الأطباع بالسلطان محمد والمنع له من السلطنة .

(٢) كذا بياض الأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٢٢٦ : استدعى السلطان الأمير صدقة وأياز وجكرمش وغيرهم من الأمراء ، فلما حضروا أرسل إليهم أنه بلغنا أن قلعج إرسلان بن سليمان بن قتلش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها إلى الجزيرة .

ابن سليمان بن قُطْلُمُش قصدها فانفقوا على الاشارة بمسير اياز ، وطلب هو أن يكون معه صَدَقَة بن مَزِيد فأسعفه السلطان بذلك ، واستدعاهما لانفاذ ذلك . وقد أرصد في بعض المخادع بطريقتهم جماعة لقتل اياز فلما مر بهم تعاورته سيوفهم ، وقطع رأسه وهرب صَدَقَة ، وأغمي على الوزير . وهرب عسكر اياز فنهبوا داره . وأرسل السلطان من دفعهم عنها . وسار السلطان من بغداد الى اصبهان وهذا اياز من موالي السلطان ملك شاه . ثم سار في جملة ملك آخرفساء . وأما الضبيعي وزير اياز فاخفى أشهراً . ثم حمل الى الوزير سعد الملك في رمضان فلما وصل كان ذلك سبب رياسته بهمدان .

استيلاء سقمان بن ارتق على ماردین وموته

كان هذا الحصن في ديار بكر أقطعه السلطان بركيارق لمن كان عنده ، وكان حوالها خلق كثير من الاكراد يغيرون عليها ويخيفون سابلتها . واتفق ان كروبوا خرج من الموصل لحصار آمد ، وكانت لبعض التركمان فاستنجد بسقمان فسار لانجاده . ولقيه كروبوا ومعه زنكي بن أفسنر وأصحابه ، وأبلوا ذلك اليوم بلاء شديداً فانهمز ، وأسر ابن أخيه ياقوتي بن أذُنق فحبسه بقلعة ماردین عند المغني ، فبقي مدة محبوساً . وكثر خروج الاكراد بنواحي ماردین فبعث ياقوتي الى المغني يسأله أن يطلقه ، ويقم

عنده بالريف لدفاع الاكراد ففعل ، وصار يغير عليهم في سائر النواحي الى خلاط . وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة فلا يهجمهم . ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام بعد مرجعه من الاغارة ، ودنا من القلعة وعرضهم للقتل ان لم يفتحها أهلهم ففتحوها وملكها . وجع الجوع وسار الى نصيبين وإلى جزيرة ابن عمر وهي لجركش فكبسه جكرمش وأصحابه ، وأصابه في الحرب سهم فقتله . وبكاه جكرمش وكانت تحت ياقوتي بنت عمه سُقمان فضت الى أبيها . وجمعت التركمان وجاء ^(١) بهم الى نصيبين لطلب الثار فبعث اليه جكرمش ما أرضاه من المال في ديتة فرجع . وأقام بماردين بعد ياقوتي أخوه على طاعة جكرمش ، وخرج منها لبعض المذاهب ، وكتب نائبه بها الى عمه سُقمان بأنه تملك ماردين على جكرمش فبادر إليها سُقمان واستولى عليها ، وعوض عنها ابن أخيه بجسل جور ، وأقامت ماردين في حكمه مع حصن كيفا ، واستضاف إليها نصيبين . ثم بعث اليها فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يستنجد على الافرنج ، وكان استبد بها على الخلفاء الميئدين أهل مصر ، وثار له الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصريح الى سُقمان بن ارتق

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ح ٨ ص ٢٢٨ : وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سُقمان نصيبين ، وهي لجكرمش . فسير جكرمش إلى سُقمان مالا كثيرا سراً فأخذه ورضي وقيل : إنه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله .

سنة ثمان وتسعين فأجابه. وبينما هو يتجهز للمسير ، وافاه كتاب طغتكين صاحب دمشق المستبد بها من موالي بني تُشّ يستدعيه لحضور وفاته خوفاً على دمشق من الفرنج ، فأسرع السير معترفاً على قصد طرابلس ، وبعدها فانتهى الى القريتين وندم طغتكين على استدعائه ، وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه. ومات هو بالقريتين فكفاهم الله تعالى أمره. وقد كان أصحابه عندما أيقن بالموت أشاروا عليه بالعودة الى كيفا فامتنع ، وقال : هذا جهاد ، وان مت كان لي ثواب شهيد .

خروج منكبرس على السلطان محمد ونكبته

كان منكبرس بن يورس^(١) بن ألب أرسلان مقبلاً باصفهان ، وانقطعت عنه المواد من السلطان فخرج الى نهاوند ، ودعا لنفسه ، وكاتب الامراء بني برسق بخوزستان ، وبعثوا به الى طاعته . وكان أخوهم زنكي عند السلطان محمد فقبض عليه ، وكاتب اخوته في التدبير على منكبرس فأرسلوا اليه بالطاعة حتى جاءهم فقبضوا عليه بخوزستان ، وبعثوا به الى اصفهان فاعتقل مع ابن تُشّ ، وأطلق زنكي بن برسق ، وأعيد الى مرتبته . وكانت اقطاع بني برسق الاسير وسابور وخوزستان وغيرها ما بين الاهواز

(١) كذا، وفي الكامل: بوربرس، وفي كتب التاريخ الحديثة: بربروس.

وَمَهَذَانِ فَمَوْضِعُهُمْ عَنْهَا بِالْدِينُورِ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

مَقْتَلُ فَخْرِ الْمَلِكِ بْنِ نَظْمِ الْمَلِكِ

قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ أَنْ فَخْرَ الْمَلِكِ بْنِ نَظْمِ الْمَلِكِ كَانَ وَزِيرًا لِنُشْشَ ، ثُمَّ حَبَسَهُ . وَلَمَّا هَزَمَهُ بَرَكِيَارِقُ وَجَدَهُ فِي مَحْبَسِهِ أَطْلَقَهُ ، وَكَانَ أَخُوهُ مُؤَيَّدَ الْمَلِكِ وَزِيرًا لَهُ قَالَ إِلَيْهِ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بِسَعَايَةِ مَجْدِ الْمَلِكِ الْبَارِسَلَانِيِّ ، وَاسْتَوَزَرَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ . ثُمَّ فَارِقَ وَزَارَتِهِ وَلَحِقَ بِسَنْجَرِ بْنِ مَلِكِ شَاهِ بَخْرَاسَانَ فَاسْتَوَزَرَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ ، جَاءَ بَاطِنِي يَتَطَلَّمُ إِلَى بَابِ دَارِهِ فَأَدْخَلَهُ يَسْمَعُ شِكْوَاهُ ، فَطَعَنَهُ بِخَنْجَرٍ فَقَتَلَهُ ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ سَنْجَرَ بِضَرْبِهِ فَأَقْرَعَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَتَلَ .

وَلَايَةُ جَاوَلِي سَكَوَوِ عَلَى الْمَوْصِلِ وَمَوْتُ جُكْرَش

كَانَ جَاوَلِي سَكَوَوِ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى مَا بَيْنَ خَوَزِيسْتَانَ وَفَارَسَ فَعَمَّرَ قَلَاعَهَا ، وَحَصَّنَهَا وَأَسَاءَ السَّيْرَةَ فِي أَهْلِهَا . فَلَمَّا اسْتَقْلَّ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ بِالْمَلِكِ خَافَهُ جَاوَلِي ، وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ الْآمِيرَ مَوْذُودَ بْنَ أَنْوَتَكِينَ فَتَحَصَّنَ مِنْهُ جَاوَلِي ، وَحَاصَرَهُ مَوْذُودُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . وَدَسَّ جَاوَلِي إِلَى السُّلْطَانِ بِطَلَبِ غَيْرِهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خَاتَمَهُ مَعَ أَمِيرٍ آخَرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِاصْفَهَانَ ، وَجَهَّزَهُ فِي الْعَسَاكِرِ لِلْجِهَادِ الْإِفْرَنْجِ بِالشَّامِ ،

واسترجاع البلاد منهم. وكان جكرمش صاحب الموصل قد قطع
الحل فاقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة جاولي فصار
الى الموصل ، وجعل طريقه على البواريج^(١) فاستباحها أياماً . ثم
سار الى اربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردي
الهرباني^(٢) الى جكرمش يستحثه ، فسار في عسكر الموصل والتقوا
قريباً من اربل فانهزم أصحاب جكرمش . وكان يحمل في المحفة^(٣)
فقاتل عنده غلمانه ، وأحمد بن قاروت بك فخرج وانهزم
الى الموصل ومات . وجي. يحكرمش فحبسه ، ووصل من الغد
الى الموصل فولوا ازنكين بن جكرمش .

وأقام بالجزيرة ، وقام بأمره غزغلي مولى مولى أبيه . وفرق
الاموال والخيول ، وكتب الى قُليج أرسلان صاحب بلاد الروم ،
وكان قد شيد الموصل وبني أسوارها وحصنها بالخندق . وبينما
هو كذلك سار اليه قُليج أرسلان من بلاد الروم باستدعاء غزغلي
كما تقدم . وانتهى الى نصيبين فرحل جاولي عن الموصل . ثم جاء
البرسقي شحنة بغداد ، ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يجيبوه
فرجع من يومه . وسار قليج أرسلان من نصيبين الى الموصل ،

(١) كذا، وفي الكامل: البوازيج . والأصوب: البواريج .

(٢) كذا، وفي الكامل: فأتاه كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل

يذكر استيلاء جاولي على البوازيج .

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ح ٨ ص ٢٢٩ : وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع

أولاده ، فاجتمعوا بقرية باكلبا من أعمال اربل .

وتأخر عنها جاوولي الى سنجار واجتمع ابو الغازي أُرْتُقُ وجماعة من عسكر جَكْرُمُش . وجاء صريخ رضوان بن تُشش من الشام على الافرنج^(١) فسار الى الرحبة ، وبعث أهل الموصل وعسكر جكرمش الى قليج أرسلان بنصيبين واستحلفوا فحلف ، وجاء الى الموصل فلما فيها في منتصف ختام المائة الخامسة . وخلص على ابن جَكْرُمُش ، وخطب لنفسه بعد الخليفة . وقطع خطبة السلطان محمد ، وأحسن الى العسكر . وأخذ القلعة من غزغلي فولى جَكْرُمُش . وأقر القاضي أبا محمد ، عبد الله بن القاسم الشهرزوري على القضاء . وجعل الرئاسة لأبي البركات محمد بن خميس . وكان في جملة فليهم أرسلان ابراهيم بن نبال التركماني صاحب آمد ، ومحمد بن حموا صاحب خرّتبزت . كان ابراهيم بن نبال ولاء تُشش على آمد فبقيت بيده . وكان ابن حموا مَلِكَ خَرْتَبَزَت من يد القلادروس ترجمان الروم . كانت له الرُّها وانطاكية فملك سليمان قُطْلُمُش انطاكية ، وبقيت له الرها وخرّتبزت وأسلم القلادروس الرها . فلما ولي فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف القلادوس عن الرُّها على يد ملك شاه وأمره عليها . ولما سار جاوولي الى الرّحبة قاصداً صريخ رضوان ابن تُشش نزل عليها آخر رمضان من السنة ، وحاصرها وبها محمد ابن السَّبَّاق من بني شيبان ، ولاء عليها دقاق فاستبدّ بها وخطب

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٤٠ : فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام ويقول له : إن الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم .

لقليج أرسلان ، فحاصره جاولي ، وكتب الى رضوان يستدعيه
ويعهده بالمسير معه للدفاع ، فجاء رضوان ، وحاصر معه الرحبة .
ثم دس الى جاولي جماعة من حامية الاسوار قوئبوا بها ، ودخلوا .
وملك البلد ، وأبقى على محمد الشيباني ، وسار معه . ثم ان قليج
أرسلان لما فرغ من أمر الموصل وتلى عليها ابنه ملك شاه في عسكر
ومعه أمير يدبره ، وسار الى قتال جاولي ، ورجع عنه ابراهيم بن
نيال الى بلده آمد من الحابور فبعث الى بلده في الحشد ، فعاجله
جاولي بالحرب ، والتقوا في آخر ذي القعدة من السنة ، وانهزم
أصحاب قليج أرسلان على دفاعه . وأعاد الخطبة للسلطان ،
واستصفى أصحاب جكرمش . ثم سار الى الجزيرة وبها حبيس بن
جكرمش ، ومعه غزغلي من موالي أبيه فحاصره مدة ، ثم صالحه على
سنة آلاف دينار ، ورجع الى الموصل ، وأرسل ملك شاه من
قليج أرسلان الى السلطان محمد ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مقتل صدقة بن مزيد

ولما استوحش صدقة بن مزيد صاحب الحلة من السلطان محمد
سار اليه السلطان ، وملك أعماله ، ولقيه صدقة فهزمه السلطان ،
وقتل في المعركة كما ذكرنا ذلك في أخبار صدقة في دولة ملوك
الحلة والله سبحانه وتعالى أعلم .

تقديم ابن عمار صاحب طرابلس على السلطان محمد

كان فخر الدولة أبو علي بن عمار صاحب طرابلس استبذ بها على العبيدين ، فلما ملك الأفريج سواحل الشام ردّوا عليها الحصار فضاقت أحوالها . فلما انتظم الأمر للسلطان محمد ، واستقام ملكه قصده فخر الملك بن عمار ضريحاً للمسلمين بعد أن استخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب ، وفرق في الجند عطاءهم لسنة أشهر ، ورتّب الجامكية في مقاعدهم للقتال ، وسار إلى دمشق فلقبه طنّتكين أتابك ، وخيم بظاهرها أياماً ، ورحل إلى بغداد فأركب السلطان الأمراء لتلقيه ، ولم يدخر عنه برأ ولا كرامة ، وكذلك الخليفة . وأتحف السلطان يدايا وذخائر نفيسة ، وطلب النجدة ، وضمن النفقة على المسكر فوعده بالنصر وأقام . ثم لقي الأمير حسين بن أتابك طنّتكين ليسير بالمساكر إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال صدّقة جاوي ، ثم يسر حسين معه إلى الشام . ثم رحل السلطان عن بغداد سنة إحدى وخمسة لقتال صدّقة ، واستدعى ابن عمار وهو بالنهروان فودعه . وسار معه الأمير حسين إلى دمشق ، وكان ابن عمار لما سار عن طرابلس استخلف عليها ابن عمه ذا المناقب فانتقض ، واجتمع مع أهل طرابلس على إعادة الدولة العلوية ، وبمئوا إلى الأفضل بن أمير الجيوش المستبد على الدولة بمصر بطاعتهم ، ويسألون الميرة فبعث إليهم شرف الدولة

ابن أبي الطَّيِّب والياً ومعه الزاد من الاقوات والسلام ، فدخل
البلد ، وقبض على أهل ابن عَمَّار وأصحابه ، واستصفى ذخائرهم
وحمل الجميع الى مصر في البحر .

استيلاء مودود بن أبي شتكين على الموصل من يد جاولي

قد تقدّم لنا استيلاء جاولي على الموصل من يد قليج بن
أرسلان وابن جَكَرْمُش ، وهلاكها على يده . واستفحل ملكه
بالموصل ، وجعل السلطان محمد بن أَلِيَّة ولاية ما يفتحه من البلاد
له فقطع الحمل عن السلطان ، واستنفره لحرب صَدَقَة فلم ينفر معه .
وداخل صَدَقَة بأنه معه فلما فرغ السلطان من أمر صَدَقَة ، بعث
مودود بن أبي شتكين في العساكر ، وولاه الموصل ، وبعث معه
الامراء ابن بُرْسُق ، وسُقْمَانُ الْفُطَيْي ، وَأَقْسُنْفَرُ الْبُرْسُقِي وَنَصْرُ بن
مُهَلِّيل بن أبي الشوك الكردي ، وأبو الهيجاء صاحب إربل مدداً
فوصلوا الموصل ، وخيّموا عليها فوجدوا جاولي قد استعدّ للحصار ،
وحبس الاعيان ، وخرج عن البلد ، وترك بها زوجته هي وابنه
برسق في ألف وخمسمائة مقاتل ، فأحسن في مصادرة الناس .
واشتدّ عليهم الحصار فلما كان المحرم سنة اثنتين ، خرج بعض
الحامية من فُرْجَة من السور وأدخلوا منها مودود والعساكر ،
وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيام . ثم استأمنت وخرجت الى

أخيها يوسف بن برسق بأموالها ، واستولى مودود على الموصل وأعمالها .

وأما جاولي فلما سار عن الموصل وحمل معه القنص الذي كان أسره بنعمان ، وأخذه منه جَكَرْمُش ، وسار به الى نصيبين . وسأل من صاحبها ابو الغازي بن أذُنُق المظاهرة على السلطان فلم يجبه الى ذلك ، ورحل عن نصيبين الى ماردين بعد ان ترك ابنه مقيماً مع الحامية فتبعه جاولي ، ودخل عليه وحده بالقلعة متطارحاً عليه فأجابه ، وسار معه الى نصيبين ، ثم الى سنجار وحاصرها فامتنعت عليهما . ثم هرب ابو الغازي ليلاً الى نصيبين وتركه فساد جاولي الى الرَّحْبَةِ وأطلق القنص بدويل لخمس سنين من الصرة على مال قرره عليه ، وأسرى من المسلمين يطلقهم ، وعلى النصره مها طلبه . وأرسله الى سالم بن مالك بقلعة جعفر ، حتى جاء ابن خالته جوسكر صاحب تل باشر من زعماء الفرنج ، وكان أسر مع القمص فافتدى بعشرين ألف دينار ، وأقام جوسكر رهينة . وسار القنص الى انطاكية .

ثم أطلق جاولي جوسكر وأخذ رهناً عنه صهره وصهر القنص ، وبعثه في اتمام ما ضمن . ولما وصل الى انطاكية أعطاه شكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلاً وسلاحاً وغير ذلك . وكانت الرُّها وسروج بيد القنص . ولما أسر ملك جَكَرْمُش الرُّها من أصحابه طلبها منه الآن فلم يجبه ، فخرج القنص مغاضباً له ، ولحق بتل

باشر ، وقدم عليه جوسكر عندما أطلقه جاولي . ثم سار اليهما شكري يماجلهما قبل اجتماع أمرهما فعاصرهما أياماً ، ورجع القنصُ وجوسكر على حصون انطاكية ، واستمدَّ أبو سيل الارمني صاحب رعيان وكيسوم والقلاع شمالي حلب فأنجدهم بألف فارس . وسار اليهم شكري ، وحضر البترك ، وشهد جماعة من القسيسين والبطارقة أن أسمند خال شكري قال له عند ما ركب البحر الى بلاده : أعد الرُّها الى القنص اذا خلص من الاسر فحكم البترك بإعادتها فأعادها تاسع صفر من السنة ، وعبر القنص الفرات ليرفع الى جاولي المال والاسرى كما شرط له .

وكان جاولي لما أطلق القنص سار الى الرحبة ولقيه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور ، وكانا مقيمين بعد قتل أبيهما عند سالم ابن مالك فاستجدها ، ووعداه أن يسير معهما الى الحِلَّة ، واتفقوا على تقديم ابي الغازي تكين . ثم قدم عليهم اصبهذ صباوو ، وقد اقطعه السلطان الرحبة فأشار على جاولي بقصد الشام لخلوها عن المساكر ، والتجنب عن العراق وطريق السلطان فقبل اشارته ، وأحصر على الرحبة . ثم وفد عليه صريخ سالم بن مالك صاحب جعفر يستغيث به من بني غنير ، وكان حيوش البصري قد نزل على ابن سالم بالرُّقة وملكها ، وسار اليه رضوان من حلب فصالحه بنو غنير بالمال . ورجع عليهم فاستجد سالم الآن جاولي فجاء

وحاصر بني نمير بالركة سبعين يوماً . فأعطوه مالا وخيلاً ، ورحل عنهم واعتذر لسالم .

ثم وصل جاوли الى الامير حسين بن أتابك قطنج تكين؛ كان أبوه أتابك السلطان محمد بكنجة فقتله ، وتقدم ولده هذا عند السلطان ، وبعثه مع ابن عمار ليصلح أمر جاولي ، وتسير العساكر كلها الى الجهاد مع ابن عمار فأجاب جاولي لذلك ، وقال لحسين سر الى الموصل ، ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدي رهينة ، وتكون الجباية لوالد من قبل السلطان فجاء حسين الى العساكر قبل أن يفتحوها فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه امتنع من الرحيل إلا بأذن من السلطان . وأقام محاصراً لها حتى افتتحها ، وعاد ابن قطنج الى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاولي . وسار جاوли الى بالس فملكها من أصحاب رضوان بن تئش ، وقتل جماعة من أهلها فيهم القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس ، وكان فقيهاً صالحاً . ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاولي ، واستمد شكري صاحب انطاكية فأمدّه بنفسه ، وبعث الى القمص بالرُّها يستمده ، وترك له مال المفاداة فجاء اليه بنفسه ، ولحقه بمنبج . وجاء الخبر الى جاولي باستيلاء مودود وعساكر السلطان على الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره ، وانفض عنه كثير من أصحابه : منهم زنكي بن أقسنقر وبكتاش . وبقي معه أصهبند صباوو وبدران ابن صدقة وابن يكرموش ، وانضم اليه كثير من المتطوعة ، ونزل

تل باشر وأتى عسكر رضوان وشكري ، وكاد أن يهزمهم لولا
أن أصحابه ساروا عنه ، وسار في اتباعهم فأبوا عليه ففضى منهزماً .
وقصد اصبيهند الشام وبدران بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمش
جزيرة ابن عمر ، وقتل من المسلمين خلق ، ونهب صاحب انطاكية
سوادهم . وهرب القنص وجوسكر إلى تل باشر . وكان المنهزمون
من المسلمين يرون بهم فيكرمونهم ويحيزونهم إلى بلادهم . ولحق
جاولي بالرحبة فلقي بها سرايا مودود صاحب الموصل وخفي عنهم
فارتأب في أمره ، ولم ير الخير له من قصد السلطان محمد ثقة
بما ألقى إليه حسين بن قطلغ تكين في شأنه فأوغر في السير ، ولحق
بالسلطان قريباً من أصفهان . ونزل حسين بن قطلغ فدخل به إلى
السلطان فأكرمه ، وطلب منه بكتاش بن عمه تُشّ واعتقله
بأصفهان .

مقتل مودود بن أنوتكين صاحب الموصل في حرب الإفرنج وولاية البسقي مكانه

كان السلطان محمد قد أمر مودوداً صاحب الموصل سنة خمس
وخمسة بالمسير لقتال الإفرنج ، وأمدّه بسُثمان القطبي صاحب ديار
بكر وأرمينية ، وأياكي وزنكي ابني برسق أمراء همدان وما
جاورها ، والامير أحمد بك أمير مراغة ، وأبو الهيجاء صاحب
اربيل والامير أبو الغازي صاحب ماردين وبعث إليه أياز مكانه
فسار إلى سنجار ، وفتحوا حصوناً للإفرنج وحاصروا مدينة الرها

فامتنعت عليهم وأقام الافرنج على الفرات بعد ان طرَقوا أعمال حلب فعاثوا فيها . ثم حاصر المساكر الاسلاميّة قلعة باشر فامتنعت ودخلوا الى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ، ومات سقمان القطبي في دلاس فحمله أصحابه في تابوت الى بلاده . واعترضهم أبو الغازي بن أرتق ليأخذهم فهزموه .

ثم افترقت المساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد بن صاحب مراغة الى السلطان لطلب بلاد سقمان القطبي واجتمع قطفلتكين صاحب دمشق بمودود ، ونزل معه على نهر القاضي . وسمع الافرنج بافتراق المساكر فسادوا الى ماميا . وجاء السلطان ابن منقذ صاحب شيزر الى مودود وقطفلتكين ، وحصرهما على الجهاد . ونزلوا جميعاً على شيزر ونزل الفرنج قبالتهم . ثم وأوا قوة المسلمين فعادوا الى أفامية . ثم سار مودود سنة ست الى الرها وسروج فعات في نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تل باشر في الافرنج ، ونال منه .

ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستنجد قطفلتكين صاحب دمشق لمودود فاجتمع معه بمنزل صاحب سنجار وأياز بن ابي الغازي ، وعبروا الفرات الى قطفلتكين ، وقصدوا القدس فساد اليهم صاحبها بقرّوين ، ومعه جوسكر ، ومعه تل باشر ، على جيشه . ونزلوا الاردن واقتتلوا قريباً من طبرية فانهزم الافرنج ، وقتل كثير منهم ، وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر

الأردن ، وغنم المسلمون سوادهم . ثم لقيهم عسكر طرابلس وانطاكية من الفرنج فاستعانوا بهم ، وعاودوا الحرب ونزلوا في جبل طبرية فحاصروهم فيه المسلمون ثم ساروا فعاثوا في بلاد الإفرنج ما بين عكا إلى القدس .

ثم نزلوا دمشق ، وفرق مودود عساكره ووعدهم العود من قابل للجهاد . ودخل دمشق ليستريح عند قطفنتكين فعصى الجمعة في الجامع فطعنه باطنى فأتوا ، وهلك لآخر يومه . واتهم قطفنتكين به ، وقتل الباطني من يومه . ولما بلغ الخبر السلطان بقتل مودود ولّى على الموصل وأعمالها أقسنقر البرسقي سنة ثمان وخمسمائة ، وبعث معه ابنه الملك مسعود في جيش ككثيف ، وأمره بجهاد الإفرنج ، وكتب إلى الأمراء بطاعته فوصل إلى الموصل ، واجتمعت إليه عساكر النواحي : فيهم عماد الدين زنكي بن أقسنقر ونمير صاحب سنجار . وسار البرسقي إلى جزيرة ابن عمر فأطاعه نائب مودود بها . ثم سار إلى مardin فأطاعه أبو الغازي صاحبها ، وبعث ابنه إياز فسار إلى الرها فحاصرها شهرين ، ثم ضاقت الميرة على عسكره .

ثم رحل إلى سُيَاسَاط بعد أن خرب نواحي الرها وسروج وُسَيَاسَاط وكانت مَرَعَشُ للإفرنج هي وكيسوم ورعيان ؛ وكان صاحبها كُرَاسِك . واتفقت وفاته ، وملكت زوجته بعده فراسلت البرسقي بالطاعة ، وبعث إليها رسوله فأكرمه ورجعته إلى البرسقي

بالمهدايا والطاعة . وفرّ عنها كثير من الافرنج الى انطاكية . ثم قبض البرُسقي على أياز بن أبي الغازي لاثامه اياه في الطاعة فسار اليه أبو الغازي في العساكر ، وهزمه واستنقذ ابنه اياز من أسره كما ترى في اخبار دولة أبي الغازي وبنيه . وبعث السلطان يهدده فوصل يده بقطلفتكين صاحب دمشق والفرنج ، وتحالفوا على التظاهر . ورجع أبو الغازي الى ديار بكر فسار اليه قزجان بن مراجبا صاحب حمص ، وقد تفرّق عنه أصحابه فظفر به وأسره . وجاء قطلفتكين في عساكره ، وبعث الى قزجان في اطلاقه فامتنع وهمّ بقتله فعاد عنه قطلفتكين الى دمشق . وكان قزجان قد بعث الى السلطان بنخبره وانتظر من يصل في قتله فأبطأ عليه ، فأطلق أبا الغازي بعد أن توثق منه بالخلف ، واعطاه ابنه اياز رهينة . ولما خرج سار الى حلب ، وجمع التركمان وحاصر قزجان في طلب ابنه الى ان جاءت عساكر السلطان .

سير السلك لقتال أبي الغازي وقطلفتكين والجهاد بعدهما

ولما كان ما ذكرناه من عصيان أبي الغازي وقطلفتكين على السلطان محمد ، وقوّة الفرنج على المسلمين جهز السلطان جيشاً كبيراً مقدّمهم الامير برسق صاحب همدان ، ومعه الامير حيّوس بك ، والامير كشغرة ، وعساكر الموصل والجزيرة ، وأمرهم بقتال أبي الغازي وقطلفتكين . فاذا فرغوا منها ساروا الى الفرنج

فارتجعوا البلاد من أيديهم ، فساروا لذلك في رمضان من سنة ثمان ، وعبروا الفرات عند الرقة . وجاؤا الى حلب وطلبوا من صاحبها لؤلؤ الخادم ، ومن مقدم العسكر المعروف بشمس الخواص تسليم حلب بكتاب السلطان في ذلك فتعل عليهم ، وبعث الى أبي الغازي وقطلفتكين بالخبر ، واستنجد بها فسار اليه في ألفين وامتنعت حلب على عساكر السلطان فسار يرسق بالعساكر الى حماة ، وهي لقطلفتكين فلكها عنوة ، وسلمها الى قرّجان صاحب حصص بم عهد السلطان له بذلك في كل ما يفتحونه من البلاد فقتل ذلك على الامراء ، ونحاذلوا وتسلم قرّجان حماة من يرسق ، وأعطاه ابن أبي الغازي ابنه رهينة عنده .

ثم سار أبو الغازي وقطلفتكين وشمس الخواص الى انطاكية مستنجدين بصاحبها بردويل ، وجاءهم بعد ذلك بنعدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرها من الافرنج ، واتفقوا على تأخير الحرب الى انصرام الشتاء . واجتمعوا بقلعة أفامية ، وأقاموا شهرين ، وانصرم الشتاء ، والمسلمون مقيمون فوهنت عزائم الافرنج ، وعادوا الى بلادهم . وعاد أبو الغازي الى ماردين وقطلفتكين الى دمشق ، وسار المسلمون الى كفرطاب من بلاد الافرنج فحاصروه ، وملكوه عنوة وأسرُوا صاحبه ، واستلحموا من فيه . ثم ساروا الى قلعة أفامية فامتنعت عليهم فعادوا الى المرة . وفارقهم حيّوس بك الى مراغة فلكه .

وسارت المساكر من المَرّة الى حلب ، وقدموا أثقالهم
 وخيامهم فصادفهم بردويل صاحب انطاكية في خمسمائة فارس وألفي
 راجل صريحاً لاهل كفرطاب . وصادف مخيم المسكر ففتك فيهم ،
 وفعل الافاعيل ، وهم متلاحقون . وجاء الامير برسق ، وعان
 مصارعهم ، وأشار عليه اخوته بالنجاء بنفسه فنجا بنفسه . واتبعهم
 الافرنج ، ورجعوا عنهم على فرسخ وعاثوا في المسلمين في كل
 ناحية . وقتل اياز بن أبي الغازي قتله الموكلون به . وجاء أهل
 حلب وغيرها من بلاد المسلمين ما لم يحسبوه ، ويثسوا من النصرة
 ورجعت المساكر منهزمة الى بلادها وتوفي برسق زنكي سنة
 عشر بعدها .

ولاية حيوس بك وسعود بن السلطان محمد علي الموصل

ثم أقطع السلطان الموصل ، وما كان بيد أقتنغر البرسقي
 للأمير حيوس بك ، وبعث معه ابنه مسعوداً ، وأقام البرسقي
 بالرحبة وهي اقطاعه الى أن توفي السلطان محمد .

ولاية جاولي سكاو علي فارس وأخباره فيها ووفاته

كان جاولي سكاو لما رجع الى السلطان محمد ورضي عنه ولّاه
 فارس وأعمالها ، وبعث معه ابنه جمفري بك طفلاً كما فصل من
 الرضاع . وعهد اليه باصلاحها فسار اليها ومرّ بالامير بلداجي في

بلاده كليل وسرمة وقلعة اصطخر ، وكان من ممالك السلطان ملك شاه فاستدعاه للقاء جعفري بك . وتقدم اليه بأن يأمر بالقبض عليه فقبض عليه ، ونهبت أمواله ، وكان أهله وذخائره في قلعة اصطخر ، وقد استناب فيها وزيره الخيمي ، ولم يمكنه إلا من بعض أهله فلما وصل جاوولي الى فارس ملكها منه ، وجعل فيها ذخائره . ثم أرسل الى خسرو ، وهو الحسين بن مبارز صاحب نسا وأمير الشوامكار من الاكراد فاستدعاه للقاء جعفري بك من السلطان ، خشية مما وقع لبلداجي فاعرض عنه ، وأظهر الرجوع الى السلطان . ومضى رسول بخبره فبشر بانصرافه عن فارس فما أدى اليه الخبر إلا وجاوولي قد خالطهم ، رجع من طريقه وأوغر في السير اليهم .

ثم هرب خسرو الى عمدايج ، وفتك جاوولي في أصحابه وماله . ثم سار جاوولي الى مدينة نسا فلكها ، ونهب جهرم وغيرها ، وسار الى خسرو فامتنع عليه بحصنه فرجع الى شيراز وأقام بها . ثم سار الى كازرون فلكها ، وحاصر أبا سعيد بن محمد في قلعته مدة عامين وراسله في الصلح فقتل الرسول مرتين . ثم اشتد عليه الحصار ، واستأمن فأمنه وملك الحصن . ثم استوحش من جاوولي فهرب وقبض على ولده ، وجي به أسيراً فقتل . ثم سار جاوولي الى دارابجرد فهرب صاحبها الى كيرمان ، وصاحبها ارسلان شاه ابن كيرمان شاه بن ارسلان بك بن قاروت بك ، فسار جاوولي

الى حصار دارايجرد فامتنعت عليه فخرج الى البرية . ثم جاءهم من طريق كرمان كأنه مدد لهم من صاحب كرمان فأدخلوه فملك البلد ، واستلحم أهله .

ثم سار الى كرمان ، وبعث الى خسرو مقدم الشوذكان يستدعيه للمسير معه فلم يجد بداً من موافقته . وجاء وصاحبه الى كرمان ، وبعث الى ملك كرمان باعادة الشواذكان الذين عنده فبعث بالشفاعة فيهم ، فاستخلص السلطان الرسول بالاحسان وحشه على صاحبه ، ووعد به بأن يرّد المساكر عن وجهه ويخذهم عنه ما استطاع . وانقلب عنه الى صاحبها في عساكر كرمان مع وزيره بالسيرجان فتراى لهم أنّ جاوولي عازم على مواصلتهم ، وانه مستوحش من اجتماع المساكر بالسيرجان . وأشار عليه بالرجوع فرجعوا وسار جاوولي في أثر الرسول ، وحاصر حصناً بطرف كرمان فارتاب ملك كرمان بخبر الرسول . ثم اطلع عليه من غير جامعة فقتله ، ونهب أمواله ، وبعث المساكر لقتاله . واجتمع معهم صاحب الحصن المحاصر ، وسلك بهم غير الجادة . وسمع جاوولي بخبرهم فأرسل بعض الامراء ليأتيه بالخبر فلم يجد بالجادة أحداً فرجع ، وأخبره أنّ عسكر كرمان قد رجع فأطمأن ، ولم يكن إلا قليل حتى بيته عساكر كرمان في شوال سنة ثمان وخمسمائة فانهزم وفتسكوا فيه قتلاً وأسرّاً ، وأدركه خسرو بن أبي سعد الذي كان قتل أباه فلما رآهما خاف منهما فأتساه ، وأبلغاه الى

مأمنه بمدينة نسا، ولحقه عساكره، وأطلق ملك كرمان الاسرى، وجهزهم اليه . وبينما هو يجهز العساكر لكرمان لاخذ ثاره توفي جعفري بك ابن السلطان في ذي الحجة من تسع لئس سنين من عمره فقطعه ذلك عن معاداة كرمان . ثم بعث ملك كرمان الى السلطان ببغداد في منع جاوولي عنه فقال : لا بدّ أن تسلّم الحصن الى حاصره جاوولي في حدّ كرمان ، وانهزم عليه ، وهو حصن فرح . ثم توفي جاوولي في ربيع سنة عشر فأمنوا اعادته والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة سنة اثني عشرة من ملكه ، بعد ان أجلس ولده محموداً على الكرسي قبل وفاته بعشر ليال . وفوض إليه أمور الملك فلما توفي نفذت وصيته لابنه محمود فأمره فيها بالعدل والاحسان ، وخطب له ببغداد ، وكان مناهز الحلم . وكان السلطان محمد شجاعاً عادلاً حسن السيرة ، وله آثار جميلة في قتال الباطنية ، وقد مرّ ذكرها في أخبارهم ولما ولي قام بتدبير دولته الوزير أبو منصور ، وأرسل الى المستظهر في طلب الخطبة ببغداد له في منتصف المحرم من سنة اثني عشرة . وأقرّ طهرون شحنة على بغداد ، وقد كان السلطان محمد ولّاه عليها سنه اثنتين وخمسة . ثم عاد البرسقي وقاتله ، وانهزم الى عسكر

السلطان محمود على الحِلَّة دَيس بن صَدَقَة . وقد كان عند السلطان محمد منذ قتل أبوه صدقة ، وأحسن اليه وأقطعه . وولَّى على الحِلَّة سعيد بن حميد العُمري صاحب جيش صَدَقَة . فلما توفي رغب من ابنه السلطان محمود بالعودة الى الحِلَّة فأعاده ، واجتمع عليه العرب والاکراد .

وفاة المستظهر وخلافة ابنه المسترشد

ثم توفي المستظهر بن المقتدي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة منتصف ربيع الآخر ، ونصب للخلافة ابنه المسترشد ، واسمه الفضل وقد تقدّم ذلك في أخبار الخلفاء .

خروج مسعود بن السلطان محمد على أخيه محمود

تقدّم لنا أنّ السلطان ولَّى على الموصل ابنه مسعوداً ، ومعه حيّوس بك وأن السلطان محموداً ودَيس بن صَدَقَة سارا الى الحِلَّة . فلما توفي السلطان محمد ، وولي ابنه محمود ، سار مسعود من الموصل مع اتابك حيّوس بك ووزيره فخر الملك عليّ بن عمّار ، وقسم الدولة ، وزنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ، وأبي الهيجاء صاحب اربل ، وكرباوي بن خراسان صاحب البوازيح وقصدوا الحِلَّة فدافعهم دَيس فرجعوا الى بغداد . وسار البرسقي الى قتالهم فبعث اليه حيّوس بك بأنهم انما جاؤا لطلب الصريخ على دَيس صاحب

الحِلَّة ، فاتفقوا وتعاهدوا ، ونزل مسعود بدار الملك ببغداد . وجاء الخبر بوصول عماد الدين منكبرس الشحنة . وقد كان البرسقي هزم ابنه حسيناً كما مر فصار بالمساكر الى البرسقي ، فلما علم بدخول مسعود الى بغداد عبر دجلة من النعمانية الى ديس بن صدقة فاستنجده . وخرج مسعود وحيوس بك والبرسقي ومن معهم للقائهم ، وانتهوا الى المدائن فأتتهم الاخبار بكثرة جموع منكبرس وديس فرجعوا ، وأجازوا نهر صرصر ، ونهبوا السواد من كل ناحية . وبعث المسترشد الى مسعود والبرسقي ^(١) والحك على المودة والصلح وجاءهم الخبر بأن منكبرس وديس بعثا مع منصور أخي ديس وحسين بن ارز ^(٢) وبني منكبرس عسكرياً لحماية بغداد فرجع البرسقي الى بغداد ليلاً ، ومعه زنكي بن أقسنقر ، وترك ابنه عز الدين مسعوداً على العسكر بصرصر فالتقى ^(٣) ومنع عسكر منكبرس من العبور ، وأقام يومين . ثم وافاه كتاب ابنه بأن الصلح تم بين الفريقين بعده ففشل وعبر الى الجانب الغربي ، ومنصور وحسين في أثره ونزلا عند جامع السلطان ، وخيم البرسقي عند القنطرة القبلية ، وخيم مسعود وحيوس بك عند المارستان ،

(١) كذا بياض بالأصل : وفي الكامل ج ٨ ص ٢٨٣ : فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقي ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد .
 (٢) كذا بالأصل وفي الكامل : الأمير حسين بن أزيك ربيب منكبرس .
 (٣) كذا بياض بالأصل وفي الكامل : واستحب معه عماد الدين زنكي بن أقسنقر فوصل إلى ديالى ، ومنع عسكر منكبرس من العبور .

وديس ومنكبرس تحت الرقة وعز الدين مسعود بن البرسقي عند
منكبرس منفرداً عن أبيه .

وكان سبب انعقاد الصلح ان حيوس بك أرسل الى السلطان
محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فأقطعها أذربيجان . ثم وصل
الخبر بمسيرهما الى بغداد فاستسمر منها العصفان ، وجهاز العساكر
الى الموصل فكتب اليه رسوله وبذلك ، ووقع الكتاب بيد منكبرس
الشحنة فبعث اليه ، وضمن له اصلاح الحال له وللسلطان مسعود .
وكان منكبرس متزوجاً بأُم السلطان مسعود ، واسمها سرجهان
فكان يؤثر مصلحته فاستقر الصلح ، واتفقوا على اخراج البرسقي
من بغداد الى الملك ، وأقام عنده ، واستقر منكبرس شحنة بغداد ،
وساء أثره في الرعية ، وتعرض لاموال الناس وحرهم ، وبلغ
الخبر الى السلطان محمود فاستدعاه اليه فبقي يدافع . ثم سار خوفاً
من عامة بغداد ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

خروج الملك طغرل عن أخيه السلطان مسعود

كان الملك طغرل بن السلطان محمد عند وفاة أبيه مقيماً بقلعة
سرجهان ، وكان أبوه أقطع سنة أربع سماءة وآوة وزينجان ، وجعل
اتابكه الامير شير كير الذي حاصر قلاع الاسماعيلية كما مرّ في
اخبارهم ، وكان عمره يومئذ عشرين عاماً فأرسل السلطان محمد الامير

كسعدى أتاكاً له وأعجله اليه ، وكان كسعدى^(١) حاقداً عليه
فحمل طغرل على العصيان ، ومنعه من الحجى الى أخيه وانتهى
ذلك الى محمود فأرسل الى أخيه بتحف وخلع ، وثلاثين ألف دينار
ومواعيد جميلة فلم يصيخوا اليها ، وأجابه كسعدى اننا في الطاعة ،
ومعترضون لمراسم الملك فسار اليهم السلطان مفذاً ليكبسهم ،
وجعل طريقه على قلعة شهران ، التي فيها ذخائر طغرل وامواله .
ونفى الخبر الى طغرل وكسعدى فخرجوا من العسكر في خفية
قاصدين شهران وأخلى الطريق عنها لما سبق من اللطف ، فوقما
على قلعة سرجان . وجاء السلطان الى العسكر فأخذ خزائن أخيه
طغرل وفيها ثلثمائة ألف دينار . ثم أقام بزنجان أياماً ولحق منها
بالري ، ولحق طغرل وكسعدى بكنجة ، واجتمع اليه أصحابه ،
وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه .

فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر

ولما توفي السلطان محمود ، وبلغ الخبر الى أخيه سنجر بنخراسان
أظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله حتى جلس للعزاء على
الرماد ، وأغلق بابيه سبعا . ثم سمع بولاية ابنه محمود فنكر
ذلك ، وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق ، وطلب السلطنة
لنفسه مكان أخيه . وكان قد سار الى غزنة سنة ثمان وخمسين ،

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٨٥ : كنتغدي .

وفتحها وتنكر لوزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر ابن نظام الملك ، لما بلغه أنه أخذ عليه الرشوة من صاحب غُرْزَة ليشنيه عن قصده اليه ، وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ، وأمتحن أهل غُرْزَة بعد فتحها ، وأخذ منها أموالاً عظيمة ، وشكا اليه الامراء اهانتهم إياهم فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله ، واستصفى أمواله ، وكانت لا يعبر عنها : كان فيها من العين وحده ألف ألف دينار مرتين ، واستوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق بن أخي نظام الملك ، وكان يعرف بابن الفقير ، فلما مات أخوه السلطان محمد عزم على طلب الامر لنفسه ، وعأوده الندم على قتل وزيره أبي جعفر لما يعلم من اضطجاعه بمثلها .

ثم إن السلطان محموداً بعث اليه يصطنعه بالهدايا والتحف ، وضمن له ما يزيد عن مائتي ألف دينار كل سنة ، وبعث في ذلك شرف الدين أنو شروان بن خالد وفخر الدين طغرل فقال لهما سنجر ان ابن أخي صغير ، وقد تحكم عليه وزيره وعلى ابن عمر الحاجب فلا بد من المسير ، وبعث في مقدمته الامير انز . وسار السلطان محمود ، وبعث في مقدمته الحاجب علي بن محمد ، وكان حاجب أبيه قبله ، فلما تقاربت المقدمتان بعث الحاجب علي بن عمر الى الامير انز ، وهو يجرجان بالعتاب ونوع من الوعيد فتأخر عن جرجان فلحقته بعض العساكر ، ونالوا منه . ورجع الحاجب الى السلطان محمود بالري فشكر له فعله ، وأقاموا بالري . ثم ساروا

الى كرمان ، وجاءته الامداد من العراق مع منكبرس ومنصور
ابن صدقة أخي ديس وأمرأه فسار الى همدان ، وتوفي وزيره
الريب فاستوزر ابا طالب الشهيري .

ثم سار السلطان في عشرين ألفاً وثمانية عشر فيلاً ، ومعه ابن
الامير أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد ، والامير
انز والامير قاج ، وكرشاف بن ضرام بن كاكويه صاحب بؤذ ،
وهو صهره على أخته ، وكان خصيصاً بالسلطان محمد فاستدعاه بعد
موته سنجر ، وتأخر عنه ، وأقطع بلده لقراجا السامر فبادر اليه ،
وتراجعوا بقرب ساوة في جمادى ثالث عشر فسبقت عساكر السلطان
محمود الى الماء من أجل المسافة التي بين ساوة وخراسان . وكانت
عساكر السلطان ثلاثين ألفاً ومعه الحاجب علي بن عمر ومنكبرس
وأتابك غزلي ، وبنو يرسق وأفسنغر البخاري وقراجا الساني ،
ومعه سبعمائة حمل من السلاح . فعندما اصطفوا الى الحرب انهزم
عساكر السلطان سنجر ميمنة وميسرة ، وثبت هو في القلب ،
والسلطان محمود قبائله .

وحمل السلطان سنجر في الفيلة فانهزمت عساكر السلطان
محمود ، وأسر أتابك غزلي ، وكان يكاتب السلطان سنجر بأنه
يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك ، ثم قتله . وفزل سنجر في
خيام محمود ، واجتمع اليه أصحابه ، ونجا محمود من الواقعة ،
وأرسل ديس بن صدقة للمسترشد في الخطبة لسنجر فخطب له

أواخر جمادى الأولى من السنة ، وقطعت خطبة محمود . ثم إن السلطان سنجر رأى قلة أصحابه وكثرة أصحاب محمود فراسله في الصلح ، وكانت تحضه على ذلك والدته ، فامتنع ولحق البرسقي بسنجر ، وكان عند الملك مسعود بإذربيجان من يوم خروجه من بغداد فزار سنجر من همدان إلى الكرخ ، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ، ووعدته بولاية عهده فأجاب وتحالفا على ذلك .

وسار محمود إلى عمه سنجر في شعبان بهدية حافلة ، ونزل على جدته فتقبل منه سنجر ، وقدم له خمسة أفراس عربية . وكتب لعماله بالخطبة لمحمود بعده في جميع ولايته ، وإلى بغداد بمثل ذلك . وأعاد عليه جميع ما أخذه من بلاده سوى الري ، وصار محمود في طاعة عمه سنجر . ثم سار منكبرس عن السلطان محمود إلى بغداد ، وبعث ديس بن صدقة من منعه من دخولها فعاد ووجه الصلح بين الملكين قد أسفر فقصد السلطان سنجر مستجيراً به من الاستبداد عليه ، ومسيره لشحنة بغداد من غير أذنه . ثم إن الخاحب علي بن عمر ارتفعت منزلته في دولته وكثرت سعاية الأمراء فيه ، فأضر السلطان نكبته فاستوحش وهرب إلى قلعة له كان ينزل بها أهله وأمواله ، وسار منها إلى خوزستان . وكانت بنو بوسق : أسوري وابن أخويه ارغوي ابن ملتيكي وهدد بن زنكي^(١)

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٨٩ : وكانت بيد أفبوري بن برسق وابن أخويه أرغلي بن يلبيكي وهندوبن زنكي .

بعثوا عسكرياً يصدّونه عن بلادهم ، ولقوه قريباً من تستر
فهزموه ، وجاؤا به أسيراً . وكاتبوا السلطان محموداً بأمره فأمرهم
بقتله ، وحمل رأسه اليه . ثم أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين
تهتّدوا الى شحنة بغداد فعاد اليها وعزل نائب ديس بن صدقة^(١)

استيلاء علي بن سكران بالبصرة

كان السلطان محمد قد أقطع البصرة للامير أفسنغر البخاري ،
واستخلف عليها سنقر الشامي فأحسن السيرة . فلما توفي السلطان
محمد ، وثب عليه غزغلي مقدّم الأتراك الاسماعيلية - وكان يجح
بالناس منذ سنين - وسنقر ألبا ، وملكا البصرة من يده وجبسا ،
وذلك سنة احدى عشرة .

وهم سنقر ألبا بقتله فعارضه غزغلي فلم يرجع وقتله . فقتله
غزغلي به ، وسكن الناس . وكان بالبلد أمير اسمه علي بن سكران
حج بالناس ، وغاب عن هذه الواقعة ففصّ به غزغلي لتمام الحج
على يده ، وخشي أن يثار منهم بسنقر ألبا لتقدمه عليهم فأوغر
الى عرب البرية فنهب الحاج^(٢) وانثنى علي بن سكران في الدفاع
عنهم الى أن قارب البصرة ، والعرب يقاتلونه فبعث اليه غزغلي

(١) كذا ، وفي الكامل : أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنة العراق ،
وكان بها نائب ديس بن صدقة فعزل عنها .

(٢) توصل لغرض فاسد بلحق ضرر لحجاج بيت الله فلم يتمّ له ذلك الغرض وحالت
المنية دون الأمنية - من خط الشيخ العطار .

بالمنع من البصرة فقصده القرى أسفل دجلة ، وصدق الحملة على العرب فهزمهم . ثم سار اليه غزغلي وقاتله فأصابه سهم فأت وسار علي بن سكرمان الى البصرة وملكها ، وكاتبه اقسنقر البخاري وصاحب عُمان بالطاعة وأقرّ نوابه على أعماله ، وكان عند السلطان ، وطلبه أن يوليه البصرة فأبى وبقي ابن سكرمان مستبداً بالبصرة الى أن بعث السلطان اقسنقر البخاري الى البصرة سنة أربع عشرة فملكها من علي بن سكرمان .

الكُرج

استيلاء الكرج على تغليس

كان الكرج قديماً يغيرون على أذربيجان ، وبلاد أَرَان . قال ابن الاثير : والكُرجُ هم الحُزُرُ وقد بينا الصحيح من ذلك عند ذكر الانساب . وإن الحُزُرَ هم التركمان^(١) الا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن . ولما استفحل ملك السُّلجوقيّة امسكوا عن الإغارة على البلاد المجاورة لهم . فلما توفي السلطان محمد رجعوا الى الغارة فكانت سراياهم وسرايا القفجاق

(١) الصحيح أن الكرج من الأرمن ، وأما الحُزُرُ فهم يعدّون من الأتراك ، والآن قد اختلطوا بالروم لقرب الديار والتغلب عليهم . من خطه أيضاً .

تغير على البلاد . ثم اجتمعوا وكانت بلد الملك طفرک ، وهي أَرَان ونقجوان الى أوس مجاورة لهم فكانوا يغيرون عليها الى العراق لملك بغداد . وُزِلَ على دَيس ابن صَدَقَة فسار هو وأتابك كبغري ودَيس بن صَدَقَة وأبي الغازي بن ارتق . وسار في ثلاثين ألفاً الى الكرج والقفقاق فاضطرب المسلمون وانهزموا ، وقتل منهم خلق ، وتبعهم الكفار عشرة فراسخ . وعادوا عنهم وحاصروا مدينة تفليس ، وأقاموا عليها سنة وملكوها عنوة سنة خمس عشرة^(١) ووصل صرينجهم سنة ست عشرة الى السلطان محمود بهمدان فسار لصرينجهم ، وأقام بمدينة تبريز ، وانفذ عساكره الى الكرج فكان من أمرها ما يذكر ان شاء الله تعالى .

الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود

قد تقدّم لنا مسير مسعود الى العراق وموت أبيه السلطان محمد ، وما تقرّر بينهما من الصلح ورجوعه الى الموصل بلده ، وان السلطان محموداً زاده أذربيجان ، ولحق به قسم الدولة البرسقي عندما طرده عن شحنة بغداد فأقطعه مسعود رَاعَة مضافة الى الرَجَبَة . وكاتب دَيس حُوس بك أتابك مسعود يحرضه على على نكبة البرسقي ، وانه يباطن السلطان محموداً ووعدته على ذلك

(١) قد كانت تفليس داخلة في الفتح الإسلامي ، واستمرت بيد المسلمين إلى هذا الحد . وبعد أخذها بقيت بيد الكرج واتخذوها مقرّ ملكهم وتحت أيديهم إلى الآن - من خطه .

بالأموال ، وحرصهم على طلب الأمر لمسمود ليقع الاختلاف فيحصل له علو الكلمة كما حصل لآبيه في فتنة بركيارق ومحمد .
وشعر البرسقي بسعاية ديس فغشي على نفسه ولحق بالسلطان محمود قبله وأعلى محله .

ثم اتصل بالملك مسمود الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن علي الأصفهاني الطبرائي^(١) وكان ابنه أبو الوليد محمد بن أبي اسمعيل يكتب الطغراء للملك مسمود ، فلما وصل أبوه استوزره مسمود ، وعزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة فأغرى مسموداً بالخلاف على أخيه السلطان محمود فكتب اليهم السلطان بالترغيب والترهيب فظهروا أمرهم ، وخاطبوا الملك مسموداً بالسلطان وضربوا له النوب الخمس ، وأغذوا اليه السير وهو في خف من العسكر فسار اليهم في خمسة عشر ألفاً ، وفي مقدمته البرسقي . ولقيهم بعقبة أستراباز منتصف ربيع الأول سنة أربع عشرة فانهزم الملك مسمود وأصحابه ، وأسر جماعة من أعيانهم : منهم الاستاذ أبو اسمعيل الطبرائي وزير الملك مسمود . فبأمر السلطان محمود بقتله وقال : ثبت عندي فياد عقيدته ، وكان قتله لسنة من وزارته . وكان كاتباً شاعراً يميل إلى صناعة الكيمياء ، وله فيها تصانيف معدودة .

(١) وهو صاحب اللامية المشهورة بلامية العجم ، وهي من فرائد الشعر مملوءة حكماً وأمثالاً . يقال إن الطبرائي كان من الواصلين في علم الكيمياء - من خط الشيخ العطار .

ولما انهزم الملك مسعود لحق ببعض الجبال على اثني عشر فرسخاً من المعركة فاختم في فيه مع غلمان صغار ، وبعث يستأمن الى أخيه فأرسل اليه أقسنقر البرسقي يؤمنه ويحجي به اليه ، وخالفه اليه بعض الامراء ، فحرضه على اللحاق بالموصل وأذربيجان ومكاتبه ديس ومعاودة الحرب فصار معه لذلك . وجاء البرسقي الى مكانه الاول فلم يجد ، فاتبعه الى أن أدركه على ثلاثين فرسخاً ، وأعلمه حال أخيه من الرضا عنه وأعادته فرجع ، ولقيه العساكر بأمر السلطان محمود وأنزله عند أمه . ثم أحضره وهش له وبكى وخلطه بنفسه ، وذلك لثمانية وعشرين يوماً من الخطبة بأذربيجان وأما حيوس بك الأتابك فافترق عن السلطان من المعركة ، وسار الى الموصل ، وجمع الغلال من سوادها . واجتمعت اليه العساكر ، وبلغه فعل السلطان مع أخيه فصار الى الزاب مورياً بالصيد . ثم أجده السير الى السلطان بهتان فأمناه ، وأحسن اليه ، وبلغ الخبر بالهزيمة الى ديس وهو بالعراق فنهب البلاد وأخربها ، وبعث اليه السلطان فلم يصنع الى كتابه .

ولاية أقسنقر البرسقي على الموصل ثم على واسط وشنة العراق

ولما وصل حيوس بك الى السلطان محمود بعثه الى أخيه طغرل وأتابك كبغري فصار الى كنجة وبقي أهل الموصل فوضى من غير وال ، وكان أقسنقر البرسقي قد أبلى في خدمة السلطان محمود

وردّ إليه أخاه مسعوداً يوم الهزيمة فعرف له حق نصحه وحسن أثره فأقطعه الموصل وأعمالها ، وما يضاف إليها كسنجار والجزيرة فسار إليها سنة خمس عشرة ، وتقدّم إلى سائر الأمراء بطاعته . وأمره بمجاهدة الأفرنج واسترجاع البلاد منهم فوصل إلى الموصل ، وقام بتدبيرها وإصلاح أحوالها . ثم أقطعه سنة ست عشرة بعدها مدينة واسط وأعمالها مضافة إلى الموصل ، وجعله شحنة بالعراق فاستخلف عماد الدين زنكي بن أقسنقر وبعثه إليها فسار إليها في شعبان من السنة .

مقتل جيوس بك والوزير الشهيري

ثم إن السلطان بعد وصول جيوس بك بعثه لحرب أخيه طغرل كما قلناه ، وأقطعه أذربيجان فتنكر له الأمراء وأغروا به السلطان فقتله على باب هُرْمُز في رمضان سنة عشر وأصله تركي من موالي السلطان محمد ، وكان عادلاً حسن السيرة . ولما ولي الموصل والجزيرة ، وكان الأكراد بتلك الأعمال انتشروا وكثرت قلاعهم وعظم فسادهم فقصدتهم ، وفتح كثيراً من قلاعهم كبلا الهكارية وبلد الزوزن وبلد النكوسة وبلد التخشبية ، وهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق ، وصلحت السابلة وأمن الناس . وأمّا الوزير لكمال أبو طالب الشهيري فإنه برز مع السلطان دَيس إلى همدان ، وخرج في موكبه ، وضاق الطريق فتقدّم الموكب بين

يديه فوثب عليه باطني وطمعه بسكين فأنفذه ، واتبعه الغلمان فوثب عليه آخر فجذبه عن سرجه وطمعه طعنات . وشردهم الناس عنه فوثب آخر فجذبه ، وذلك لاربع سنين من وزارته . وكان سيء السيرة ظلوماً غشوماً كثير المصادرات . ولما قتل رفع السلطان ما كان أحدث من المكوس .

رجوع طغرل إلى طاعة أخيه السلطان محمود

قد ذكرنا عصيان طغرل على أخيه السلطان محمود بالري سنة ثلاث عشرة ، وأن السلطان محمود سار إليه وكبسه فلحق برجهان . ثم لحق منها بكنجه وبلاد أران ، ومعه أتابك كبغري^(١) فاشتدت شوكته ، وقصد التغلب على بلاد أذربيجان ، وهلك كبغري في شوال سنة خمس عشرة ، ولحق باقسنقر الارمني صاحب مَرَاغَة ليقم له الاتابكية ، وحرّضه على قتال السلطان محمود فسار معه الى مَرَاغَة ، ومروا باردبيل فامتنعت عليهم فساروا الى هرمز . وجاءهم الخبر هنالك بأن السلطان محمود بعث الامير حيّوس بك الى أذربيجان وأقطعه البلاد ، وأنه وصل الى مَرَاغَة في عسكر كثيف فساروا عن هرمز الى خَوَنَج ، وانتقض عليهم وراسلوا الامير شير كير الذي كان أتابك طغرل أيام أبيه يستنجد به . وكان كبغري الاتابك قبض عليه بعد السلطان محمد ، ثم أطلقه السلطان

(١) كذا ، واسمه في الكامل ج ٨ ص ٢٠٦ : كنتغدي .

سنجر ، وعاد الى أبهر وزنجان ، وكانت أقطاعه فأجاب داعيهم ،
وسار أماسهم الى أبهر ، ولم يتم أمرهم فراسلوا السلطان في الطاعة ،
وعاد طغرل الى أخيه وأنتظم أمرهم .

مقتل وزير السلطان محمود

وكان وزير السلطان محمود شمس الملك بن نظام الملك ، وكان
حظياً عنده فكثرت سعاية أصحابه فيه . وكان ابن عمه الشهاب
أبو المحاسن وزير السلطان سنجر فتوفي ، واستوزر سنجر بعده
أبا طاهر القتيبي ، عدواً لبني نظام الملك فأغرى السلطان سنجر حتى
أمر السلطان محمود بنكبته فقبض عليه ، ودفعه الى طغرل فحبسه
بقلعة جلجلال^(١) . ثم قتله بعد ذلك ، وكان أخوه نظام الدين أحمد
قد استوزره المسترشد ، وعزل به جلال الدين أبا علي بن صدقة
فلما بلغه نكبة شمس الملك ومقتله ، عزل أخاه نظام الدين وأعاد
ابن صدقة الى وزارته والله سبحانه وتعالى أعلم .

ظفر السلطان بالكرج

ثم وفد سنة سبع عشرة على السلطان محمود جماعة من أهل
دنياوند وشروان يستصرخونه على الكرج ، ويشكون ما يلقون
منهم فسار لصريحهم . ولما تقارب الفتان هم السلطان بالرجوع ،

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢١٣ : فبعثه إلى بلدة خلخال فحبسه فيها .

وأشار به وزيره شمس ، وتطارح عليه أهل شروان فأقام وباتوا على وجل . ثم وقع الاختلاف بين الكرج وقفجاق واقتتلوا ليلتهم ورحلوا منهزمين وعاد السلطان الى همدان والله تعالى اعلم .

عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية برتقش الزكوي

كان الخليفة المسترشد قد وقعت بينه وبين ديس بن صدقة حروب شديدة بنواحي الماركة من اطراف عانة ، وكان البرسقي معه وانهمز ديس فيها هزيمة شنيعة كما مر في أخباره وقصد غزنة صريحاً فلم يصرخوه فقصده المنتفق ، وسار بهم الى البصرة فدخلوها واستباحوها ، وقتلوا سلمان نائبها فأرسل الخليفة الى البرسقي بالانكير على اهمال أمر ديس ، حتى فتك في البصرة فسار البرسقي اليه ، وهرب ديس فلحق بالافرنج وجاء معهم لحصار حلب فامتنعت فلحق بطغرل بن السلطان محمد يستحثه بقصد العراق كما مر ذلك في أخبار ديس . وبقيت في نفس المسترشد عليه . ولحق بها أمثالها فتنكر له ، وبعث الى السلطان محمود في عزله فعزله ، وأمره بالعود الى الموصل لجهاد الافرنج ، ووصل نائب برتقش الى بغداد وأقام بها الشحنة ، وبعث السلطان ابناً له صغيراً ليكون معه على الموصل ، وسار البرسقي به ، ووصل الموصل وقام بولايتها .

بداية أمر بني أفسنقر وولاية عماد الدين زنكي على البصرة

كان عماد الدين زنكي في جملة البرسقي ، ولما أقطعه السلطان واسط بعث عليها زنكي فأقام فيها أياماً . ثم كان مسير البرسقي الى البصرة في أتباع ديبس . فلما هرب ديبس عنها بعث البرسقي اليها عماد الدين زنكي فأقام بحمايتها ، ودفع العرب عنها . ثم استدعاه البرسقي عندما سار الى الموصل ففجر من تلون الاحوال عليه ، واختار اللحاق باصفهان فقدم عليه باصفهان فآكرمه السلطان ، وأقطعه البصرة ، وعاد اليها سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم .

استيلاء البرسقي على حلب

لما سار ديبس الى الافرنج حرّضه على حلب ، وان ينوب فيها عنهم ، ووجدتهم قد ملكوا مدينة صور ، وطمعوا في بلاد المسلمين . وساروا مع ديبس الى حلب فحاصروها حتى جهد أهلها الحصار ، وبها يومئذ تاس بن ^(١) ابن أرتق فاستنجد بالبرسقي صاحب الموصل ، وشرط عليهم ان يكنّوه من القلعة ، ويسلموها الى نوابه . وسار الى انجادهم فاجفل عنهم الافرنج ، ودخل الى حلب فأصلح أمورها . ثم سار الى كفرطاب فملكها من الافرنج .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٣١٥ : حسام الدين ثمرتاش بن أبلغازي بن

أرتق .

ثم سار الى قلعة إعزاز من أعمال حلب ، وصاحبها جوسكين
فحاصرها وسادت اليه عساكر الافرنج فانهزم ، وعاد الى حلب
فخلف فيها ابنه مسعوداً ، وعبر الفرات الى الموصل .

مسير طغرل ودييس إلى العراق

ولما ارتحل الافرنج عن حلب فارقه ديس ، ولحق بالملك
طغرل فتلقاه بالكرامة والمبرة ، وأغراه بالعراق ، وضمن له ملكه
فساروا لذلك سنة تسع عشرة ، وانتهوا الى دقوقا فكتب مجاهد
الدين بهروز من تكريت الى المسترشد بنحبرهم فتجهز للقائهم وأمر
برتقش الزكوي ان يتجهز معه ^(١) خامس صفر وانتهى الى
الخالص ، وعدل طغرل ودييس الى طريق خراسان ، ثم ثلوا وباط
جولاً . ونزل الخليفة بالديسكرة ، في مقدمته الوزير جلال الدين
ابن صدقة . وسار ديس الى جسر النهر وان لحظ المقابر ، وقد
كان رأيه مع طغرل أن يسير طغرل الى بغداد فيملكها ، وتقدم
دييس في انتظاره فقمعد به المرض عن لحاقه وغشيتهم أمطار أثقلتهم
عن الحركات . وجاء ديس الى النهر وان طريقاً من التعب والبرد
والجوع .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٣١٧ : وأمر برتقش الزكوي شحنة العراق
أن يكون مستعداً للحرب . وجمع العساكر والأمراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثني عشر
ألفاً سوى الرجال وأهل بغداد ، وفرق السلاح وبرز خامس صفر .

واعترضوا ثلاثين حملاً للخليفة جاءت من بغداد بالملبوس
والمأكل فطمعوا وأكلوا وناموا في دفء الشمس ، وإذا بالمسترشد
قد طلع عليهم في عساكره ، بلغه الخبر بأن دَيساً وطغرل خالفوه
الى بغداد فاضطرب عسكره ، وأجفلوا راجعين الى بغداد فلقوا في
طريقهم دَيساً كما ذكرنا على دِيالي غرب النهروان ، وقف الخليفة
عليه فقبل دَيس الأرض ، واستعطف حتى همَّ الخليفة بالعفو
عنه ، ثم وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه ، ووقف دَيس
مع بُزْنُش الزكوي يجادته . ثم شغل الوزير بمد الجسر للعبور
فقتل دَيس ، ولحق بطغرل . وعاد المسترشد الى بغداد ، ولحق
طغرل ودَيس بهمدان فعاثوا في أعمالها ، وصادروا أهلها . وخرج
اليهم السلطان محمود فانهزموا بين يديه ، ولحقوا بالسلطان سنجر
بخراسان شاكين من المسترشد . وبُزْنُش الشحنة والله أعلم
بغيبه وأحكم .

مقتل البهسقي وولايته ابنه عز الدين على الموصل

ثم أن المسترشد تنكر للشحنة بُزْنُش وتهدهه فلهق بالسلطان
محمود في رجب سنة عشرين فأغراه بالمسترشد ، وخوفه غائلته ،
وانه تعود الحروب ، وركب العيث ويوشك أن يمتنع عنك
ويستصعب عليك فاعتزم السلطان على قصد العراق ، وبعث اليه
الخليفة يلاطفه في الرد لفلاء البلاد وخرابها ، ويؤخره الى حين

صلاحها فصدق عنده حديث الزكوي ، وسار مجدآ فعبير المسترشد بأهله وولده ، وأولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة راحلاً عن بغداد ، والناس باكون لفراقه . وبلغ ذلك الى السلطان فشق عليه ، وأرسل يستمطفه في العودة الى داره فشرط عليه الرجوع عن العراق في القوت كما شرط أولاً فغضب السلطان ، وسار نحو بغداد ، والخليفة بالجانب الغربي . ثم أرسل خادمه عفيفا الى واسط يمنع عنها نواب السلطان فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة ، وهزمه وقتك في عسكره قتلاً وأسراً . وجمع المسترشد السفن اليه وسد أبواب قصره ، ووكل حاجب الباب ابن الصاحب بدار الخلافة .

ووصل السلطان الى بغداد في العاشر من ذي الحجة ، ونزل باب الشماسية . وأرسل المسترشد في العود والصلح ، وهو يمتنع . وجرت بين العسكرين مناوشة . ودخل جماعة من عسكر السلطان الى دار الخليفة ، ونهبوا التاج أول المحرم سنة احدى وعشرين وخمسمائة فضج العامة لذلك ، ونادوا بالجهاد ، وخرج المسترشد من سراذه ينادي بأعلى صوته . وضربت الطبول ونفخت البوقات ، ونصب الجسر وعبر الناس دفعة ، وعسكر السلطان مشغلون بالنهب في دور الخلافة والامراء ، وكان في دار الخلافة ألف رجل كامنون في السرداب فخرجوا عند ذلك ، ونالوا من عسكر

السلطان وأسروا جماعة من أمرائه . ونهب العامة دور وزير السلطان وأمرائه وحاشيته ، وقُتِلَ منهم خلق .

وعبر المسترشد الى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد . ودفع السلطان وعسكره عن بغداد ، وحفر عليها الخنادق ، واعتزموا على كبس السلطان فأخافهم أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل ركب للقتال فلحق بالسلطان ، ووصل عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم في البر والبحر أذهل الناس برويته فقام المسترشد عن اللقاء . وتردد الرسل بينهما فأجاب الى الصلح ، وعفا السلطان عن أهل بغداد ، وأقام بها الى عاشر ربيع الآخر . وأهدى اليه المسترشد سلاحاً وخيلاً وأمواًلاً ، ورحل الى همدان . وولى زنكي بن اقسنقر شحنة بغداد ثقة بكفايته ، واستقامت أحواله مع الخليفة . وأشار به أصحابه ورأوا أنه يرفع الخرق ، ويصلح الامر فولاه على ذلك مضافاً الى ما بيده من البصرة وواسط ، وسار الى همدان ، وقبض في طريقه على وزيره أبي القاسم علي بن الناصر الشادي أتهمه بمالأة المسترشد لكثرة سعيه في الصلح فقبض عليه ، واستدعى شرف الدولة أنوشروان بن خالد من بغداد فلحقه بأصفهان في شعبان ، واستوزره عشرة أشهر ، ثم عزله ورجع الى بغداد ، وبقي أبو القاسم مجبوساً الى أن جاء السلطان سنجر الى الري فأطلقه وأعادته الى وزارة السلطان محمود آخر اثنتين وعشرين .

وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلائه على حلب

ولما استولى عز الدين على الموصل وأعمالها ، واستفحل أمره طمحت همته الى الشام فاستأذن السلطان في السير اليه . وسار الى دمشق ومرّ بالرحبة فحاصرها وملكها . ثم مات إثر ذلك وهو عليها ، وافترقت عساكره وشغلوا عن دفنه . ثم دفن بعد ذلك ورجعت العساكر الى الموصل ، وقام بالامر مملوكوه جاولي . ونصب أخاه الاصغر ، وأرسل الى السلطان يطلب تقرير الولاية له . وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي الشهرزوري ، وصلاح الدين محمد الباغسياني أمير حاجب البرسقي ، واجتمعا بنصير الدين جعفر مولى عماد الدين زنكي ، وكان بينه وبين صلاح الدين سر فخوفها جعفر بن جاولي ، وحملها على طلب عماد الدين زنكي ، وضمن لها عنه الولايات والاقطاع فأجابوه ، وجاء بها الى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا له أن الجزيرة والشام قد تمكن منها الافرنج ، من حدود ماردن الى عريش مصر .

وكان البرسقي يكفهم وقد قتل وولده صغير ، ولا بد للبلد ممن يضطلع بأمرها ويدفع عنها ، وقد خرجنا عن النصيحة اليكم فبلغ الوزير مقاتلها الى السلطان فأحضرها واستشارها فذكر

جماعة: منهم عماد الدين زنكي، وبذلا عنه مقرباً الى خزانة السلطان مالا جزيلاً فولاه السلطان لما يعلم من كفايته، وولّى مكانه شحنة العراق مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت، وسار عماد الدين زنكي فبدأ بالبواريج وملكها، ثم سار الى الموصل وتلقاه جاوли مطيعاً وعاد الى الموصل في خدمته فدخلها في رمضان، وأقطع جاولي الرحبة وبعثه اليها، وولّى نصير الدين جعفرأ قلعة الموصل وسائر القلاع، وجعل صلاح الدين محمد الباغسياني أمير صاحب، وولى بها الدين الشهرزوري قضاء بلاده جميعاً، وزاده أملاكاً وأقطاعاً وشركه في رأيه.

ثم سار الى جزيرة ابن عمر، وقد امتنع بها ممالك البرّسقي فجذب في قتالهم، وكانت دجلة تحول بينه وبين البلد فمير بعسكره الماء سبحاً، واستولى على المسافة التي بين دجلة والبلد، وهزم من كان فيها من الحامية حتى أحجزهم بالبلد وضيق حصارهم فاستأمنوا وأمنهم. ثم سار الى نصيبين وهي لحسام الدين تمرتاش ابن أبي الغازي صاحب ماردین فحاصرها واستنجد حسام الدين بن عمه ركن الدولة داود بن يسكان ابن أزنق صاحب كيفا فأنجده بنفسه، وأخذ في جمع العساكر. وبعث تمرتاش ماردین الى نصيبين يعرف العساكر بالخبر، وأنّ العساكر واصله اليهم عن خمسة أيام، وكتبه في رقعة وعلقها في جناح طائر فاعترضه عسكر زنكي وصادره، وقرأ زنكي الرقعة، وعوض الخمسة أيام

بعشرين يوماً ، وأطلق الطائر بها الى البلد فقرأوا الكتاب وأسقط في أيديهم ، واستطالوا العشرين ، واستأمنوا لعماد الدين زنكي فأمنهم وملك نصيبين ، وسار عنها الى سنجار فلحقها صلحاً ، وبعث العساكر الى الحابور فلحقها .

ثم سار الى حرّان وخرج اليه أهل البلد بطاعتهم ، وكانت الرُّها وسروج والميرة ونواحيها للافرنج ، وعليها جُرسكين صاحب الرُّها فكتب زنكي وهادنه ليتفرّغ للجهاد بعد . ثم عبر الفرات الى حلب في المحرم سنة اثنتين وعشرين ، وقد كان عز الدين مسعود بن أقسُنقر البرسقي لما سار عنها الى الموصل بعد قتل أبيه استخلف عليها قرمان من أمرائه . ثم عزله بأخر اسمه فُطْلُغُ أبيه وكتب له الى قُرْمَان فمنعه الا أن يرى العلامة التي بينه وبين عز الدين ابن البرسقي فعاد قُطْلُغُ الى مسعود ليُجيء بالعلامة فوجده قد مات بالرحبة ، فعاد الى حلب وأطاعه رئيسها فضائل بن بديع والمقدمون بها ، واستنزلوا قُرْمَان من القلعة على ألف دينار أعطوه إياها ، وملك قُطْلُغُ القلعة منتصف احدى وعشرين . ثم ساءت سيرته ، وظهر ظلمه وجوره .

وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أُرْدُوق ، وكان ملكها قبل ، وخلع عنها فدعاه الناس الى البيعة وثاروا بقطْلُغُ فامتنع بالقلعة فحاصروه . وجاء مهيار صاحب مَنبِج وحسن صاحب مَراغة لاصلاح أمرهم فلم يتفق ، وطمع الافرنج في

ملكها . وتقدم جوسكين بعسكره اليها فدافعوه بالمال . ثم وصل صاحب انطاكية فحاصرهم الى آخر السنة ، وهم محاصرون القلعة فلما ملك عماد الدين زنكي الموصل والجزيرة والشام فأطاعوا ، وسار عبد الجبار وقُطْلغ الى عماد الدين بالموصل وأقام أحد الاميرين بحلب حتى بعث عماد الدين زنكي صاحبه صلاح الدين محمد الباغسياني في عسكر فلك القلعة ، ورتب الامور ، وولى عليها . وجاء عماد الدين بعساكره في أثره ، وملك في طريقه مَنبِج ومَراغة . ثم دخل حلب ، وأقطع أعمالها الاجناد والامراء ، وقبض على قُطْلغ ابيه ، وسلمه لابن بديع فكحله فأت . واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعفر ، وأقام عماد الدين مكانه في رئاسة حلب أبا الحسن علي بن عبد الرزاق .

قدوم السلطان سنجر الى الري ثم قدوم السلطان محمود الى بغداد

الموصل طغرل وديس الى السلطان سنجر بخراسان . حرّضه ديس على العراق والسلطان محمود قد اتفقا على الامتناع منه^(١)

(١) كذا بالأصل ، عبارات غير مستقيمة ولا منسجمة . وفي الكامل ج ٨ ص ٣٢٧ : في هذه السنة (٥٢٢) خرج السلطان سنجر من خراسان الى الري في جيش كثير . وكان سبب ذلك أن ديس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه في العراق ويسهل عليه قصده ، ويلقي في نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محموداً متفقان على الامتناع منه ، ولم يزل به حتى أجابه إلى السير إلى العراق . فلما ساروا وصل إلى الري وكان السلطان محمود بهمدان فأرسل إليه السلطان سنجر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على ما زعم ديس .

فسار سنجر وأخبر السلطان محمود باستدعائه فوافاه لا قرب وقت ، وأمر المساكر بتلقيه وأجلسه معه على التخت . وأقام السلطان محمود عنده الى آخر اثنتين وعشرين . ثم رجع سنجر الى خراسان ، بعد أن أوصى محمود بدّيس ، وأعادته الى بلده ، ورجع محمود الى همدان . ثم سار الى العراق ، وخرج الوزير للقائه ، ودخل بغداد في تسوعاء سنة ثلاث وعشرين . ثم لحقه دّيس بمائة ألف دينار في ولاية الموصل ، وسمع بذلك زُنكي ، وجاء الى السلطان وحمل المائة ألف مع هدايا جليلة فخلع عليه ، وأعادته وسار منتصف السنة عن بغداد الى همدان ، بعد أن ولّى الحلة مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد .

وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود

ثم توفي السلطان محمود بهمدان في شوال سنة خمس وعشرين ، ثلاث عشرة سنة من ملكه ، بعد أن كان قبض على جماعة من امرائه وأعيان دولته . منهم عزيز الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي ، وأبو شكين المعروف بشير كين بن حاجب ، وابنه عمر ، خافهم الوزير أبو القاسم الشابادي فاغرى بهم السلطان فنكبهم وقتلهم . ولما توفي اجتمع الوزير أبو القاسم والأتابك أقتنغر الأحمدي وبأيموا لابنه داود ، وخطبوا له في جميع بلاد الجبل

وأذريجان. ووقعت الفتنة بهمدان وسائر بلاد الجبل. ثم سكنت
وهرب الوزير الى الري مستجيراً بالسلطان فأمر بها.

منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلائه على السلطان بهمدان

لما هلك السلطان محمود سار أخوه مسعود من جرجان الى
تبريز فلحقها ، فسار داود من همدان في ذي القعدة سنة خمس
وعشرين ، وحاصره بتبريز في محرم سنة ست وعشرين. ثم اصطالحوا
وتأخر داود عن الامر لعمه مسعود فسار مسعود من تبريز الى
همدان ، وكاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل يستنجد به
فوعده بالنصر ، وأرسل الى المسترشد في طلب الخطبة ببغداد .
وكان داود قد أرسل في ذلك قبله ، وردّ المسترشد الأمر في
الخطبة الى السلطان سنجر . ودسّ اليه أن لا يأذن لواحد منهما ،
وأن تكون الخطبة له فقط . وحسن موقع ذلك عنده ، وسار
السلطان مسعود الى بغداد ، وسبقه اليها أخوه سلجوق شاه مع
أتاك بك قراجا الساقى صاحب فارس وخوزستان ، ونزل في دار
السلطان ، واستخلفه الخليفة لنفسه .

ولما سار السلطان مسعود أوعز الى عماد الدين زنكي أن
يسير الى بغداد فسار من الموصل اليها ، وانضم اليه السلطان مسعود
الى عباسية الخالص ، وبرزت اليه عساكر المسترشد وسلجوق شاه .
وسار قراجا الساقى الى مدافعة زنكي فدافعه على المشوق

فهزمه ، وأسر كثيراً من أصحابه ، ومرّ منهزماً الى تَكْرِيتَ ،
 وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو الاملاك الأيُوبِيَّةَ فهياً له المعابر ،
 وعبر دِجْلَةَ الى بلاده . وسار السلطان مسعود من العَبَّاسَةِ ، وقاثلت
 طلائمه طلائع أخيه سُلْجُوقَ ، وبعث سُلْجُوقُ يستحث قراجا بعد
 انهزام زُنْكي فعاد سريعاً . وتأخر السلطان مسعود بعد هزيمة
 زُنْكي ، وأرسل الى المُسْتَرشِدِ بأن عمه سِنْجِرُ وصل الى الريّ عازماً
 على بغداد ، ويشير بمدافعتة عن العراق ، وتكون العراق لو كيل
 الخليفة . ثم راسل القوم واتفقوا على ذلك ، وتحالفوا عليه ، وان
 يكون مسعود السلطان وليّ العهد ، ودخلوا الى بغداد فقتل
 مسعود ديار السلطان وسُلْجُوق دار الشَّخْنة ، والله سبحانه وتعالى
 وليّ التوفيق .

هزيمة السلطان مسعود وملك طغرل أخيه

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سِنْجِرُ من خُراسان الى
 بلاد الجبال ، ومعه طُغرُل ابن أخيه محمد ، وانتهى الى الريّ . ثم
 سار الى هَمْدَانِ فسار مسعود لقتاله ، ومعه قراجا السّاقِي وسُلْجُوقُ
 شاه . وقد كان الخليفة عزم أن لا يتجهز معهم فأبطأ فبعثوا اليه
 قراجا فسار الى خانقين وأقام ، وقطعت خطبة سِنْجِرُ من العراق .
 وخالفهم الى بغداد دَيبِيسُ وزُنْكي ، وقد سمى إقطاعه لِسِنْجِرِ
 الحِلَّةَ ، وزُنْكي ولأه شِخْنةَ بغداد فرجع المُسْتَرشِدُ الى بغداد

لموافقتها . وسار السلطان وأخوه سُلجوق شاه للقاء سِنْجَر . ثم سما بكثرة عساكره فتأخرا فسار في طلبهم يوماً وليلة . ثم تراجعوا عند الدينور . وكان مسعود يماطل باللقاء انتظاراً للمسترشد فلم يجد بداً من اللقاء فالتقوا على النقيبة^(١) ، وحل قراجا عليهم وتورط في المعركة وأصيب بجراحات . ثم التفتوا عليه وأسروه ، وانهزم من أصحاب مسعود قُزُل وقد كان واطأهم على الهزيمة فانهزم السلطان مسعود عند ذلك منتصف ستة وعشرين ، وقتل كثير من أكابر الأمراء . ونزل سِنْجَر في خيامهم ، وأحضر قراجا فقتله ، وجيء إليه بالسلطان مسعود فأكرمه وأعادته الى كنجة ، وخطب للملك طغرل ابن أخيه في السلطنة ، وخطب له في جميع البلاد . واستوزر له أبا القاسم الساباذي وزير السلطان محمود ، وعاد الي نيسابور آخر رمضان سنة ست وعشرين وخمسة .

هزيمة السلطان داود واستيلاء طغرل بن محمد على الملك

لما ولي طغرل هَمْدَان وولّى عنه السلطان سِنْجَر الى خراسان ، وبلغه أن صاحب ما وراء النهر المرخان قد انتقض عليه فسار لإصلاحه ، وشغل بذلك فقام الملك داود بأذربيجان وبلاد كنجة ،

(١) كذا ، ولم يذكرها صاحب معجم البلدان ولعلها قرية صغيرة في العراق وورد في معجم البلدان : النقيب ، قال : وهو تصغير نقيب ، موضع في بلاد الشام بين تبوك ومعان على طريق حاج الشام . وورد أيضاً : نقيب بالفتح : شعب من أجراء .

وطلب الامر لنفسه . وجع العساكر ، وسار الى همدان ومعه
 بُرْنُشُ الزَّكْوِي وأتابك أَقْسُنُرُ الْأَحْمَدِي ، ومعه طُغْرُلُ بْنُ
 بُرْنُشُ ، ونزل وقد استقر . ثم اضطرب عسكر داود وأحسوا من
 بُرْنُشُ الزَّكْوِي بالفشل فذهب التركمان خيامه ، وهرب أَقْسُنُرُ
 أتابك ، وانهمزم في رمضان سنة ست وعشرين . ثم قدم بغداد
 في ذي القعدة ومعه أتابك أَقْسُنُرُ فأكرمته الخليفة وأنزله بدار
 السلطان .

عود السلطان مسعود إلى الملك وهزيمة طغرل

قد تقدّم لنا هزيمة السلطان مسعود من عمه سِنْجَر ، وعوده
 الى كَنْجَة ، وولاية طغرل السلطان ، ثم محاربة داود ابن أخيه له
 وانهمزام داود ، ثم رجوع داود الى بغداد . فلما بلغ الخبر الى
 مسعود جاء الى بغداد ، ولقيه داود قريباً منها ، وترجّل له عن
 فرسه ، ودخلا بغداد في صفر سنة سبع وعشرين . ونزل مسعود
 بدار السلطان ، وخطب له ولداود بعده ، وطلباً من السلطان
 عسكراً ليسير معهما الى أذربَيْجَان فبعث معهما العساكر الى
 أذربَيْجَان ، ولقيهم أَقْسُنُرُ الْأَحْمَدِي في مَرَاغَة بالاقامة والاموال
 وملك مسعود بلاد أذربَيْجَان ، وهرب بين يديه من كان بها من
 الامراء ، وامتنعوا بمدينة أذربَيْجَان فحاصروهم بها ، وملكها عليهم ،
 وقتل منهم جماعة وهرب الباقون .

ثم سار الى همدان لمحاربة أخيه طغرل فهزمه ، وملك همدان في شعبان من السنة ، ولحق طغرل بالريّ وعاد الى أصفهان . ثم قتل أفسنغر الأحديلي بهمدان غيلةً ، ويقال إن السلطان مسعوداً دسّ عليه من قتله . ثم سار الى حصار طغرل بأصفهان ففارقها طغرل الى فارس ، وملكها مسعود ، وسار في أثر طغرل الى البيضاء فاستأمن اليه بعض أمراء طغرل فأمنه . وخشي طغرل أن يستأمنوا اليه فقصده الريّ ، وقتل في طريقه وزيره أبا القاسم الساباذي في شوال من السنة ، ومثل به غلمان الأمير شيركين الذي سعى في قتله كما مرّ . ثم سار الأمير مسعود يتبعه الى أن تراجعا ودارت بينهما حرب شديدة ، وانهمز طغرل وأسر من أمرائه الحاجب تُنكي ، وأتى بقرا ، وأطلقها السلطان مسعود وعاد الى همدان والله تعالى أعلم .

عود الملك طغرل الى الجبل وهزيمة السلطان مسعود

ولما عاد مسعود من حرب أخيه طغرل بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود بأذربيجان فسار اليه ، وحاصره بقلعة ^(١) فحصر جمع طغرل العساكر ، وتغلب على بلاده وسار اليه ، واستعمل بعض قواده فسار مسعود للقائه ، ولقيه عند قزوين . وفارق

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٤٣ : فسار إليه وحصره بقلعة «رونزروكان» فتحصن بها واشتغل بحصره .

مسعود الامراء الذين استمالهم طغرل ، ولحقوا به فانهمزم مسعود في رمضان سنة ثمان وعشرين وبعث الى المسترشد يستأذنه في دخول بغداد فأذن له . وكان أخوه سُلْجُوقُ بأَصْفَهَان مع نائبه فيها البقش السِّلَاحِي . فلما سمع بانهمزاه سبقه الى بغداد ، وأنزله المسترشد بدار السلطان ، وأحسن اليه بالاموال . ووصل مسعود ، وأكثر أصحابه رَجَلًا فوسع عليه الخليفة بالانفاق والمراكب والظهر واللباس والآلة ، ودخل دار السلطان منتصف شوال وأقام طغرل بهْمَذَان .

وفاة طغرل واستيلاء مسعود على الملك

ولما وصل مسعود الى بغداد حمل اليه المسترشد ما يحتاج اليه ، وأمره بالمسير الى هَمْذَان لمداغة طغرل ووعده بالمسير معه بنفسه فتبطل مسعود عن المسير ، واتصل جماعة من أرائه بخدمة الخليفة . ثم أطلع على مداخلة بعضهم لطغرل فقبض عليه ، ونهب ماله وارتاب الآخرون فهربوا عن السلطان مسعود . وبعث المسترشد في اعادتهم اليه فدافعه ووقعت لذلك بينهما وحشة فقعد المسترشد عن نصره بنفسه . وبينما هم في ذلك وصل الخبر بوفاة أخيه طغرل في المحرم سنة تسع وعشرين فسار مسعود الى هَمْذَان ، واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد حمله من بغداد ، وأقبلت اليه العساكر فاستولى على هَمْذَان وبلاد الجبل .

فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد

قد تقدم لنا انّ الوحشة وقعت عندما كان ببغداد بسبب أمرائه الذين اتصلوا بخدمة المسترشد ، ثم هربوا عنه الى السلطان مسعود فلما سار السلطان مسعود الى همدان بعد أخيه طغرل ، وملكها استوحش منه جماعة من أعيان أمرائه : منهم بُزْغُش وقزل وقرا سُنْغَر الحار تكين والي همدان وعبد الرحمن بن طغرل بك ودييس بن صدقة . وساروا الى خوزستان ووافقهم صاحبها بُزْغُش بن بُزْغُش ، واستأمنوا الى الخليفة فارتاب من ديس ، وبعث الى الآخرين بالامان مع سيد الدولة بن الانباري . وارتاب ديس منهم أن يقبضوا عليه فرجع الى السلطان مسعود ، وسار الآخرون الى بغداد فاستحثوا المسترشد للمسير الى قتال مسعود فأجابهم ، وبالف في تكريمهم .

وبرز آخر رجب من سنة تسع وعشرين وهرب صاحب البصرة اليها وبعث اليه بالامان فأبى فتكاسل عن المسير فاستحثوه ، وسهلوا له الامر فسار في شعبان . ولحق به بُزْغُش بن بُزْغُش ، وبلغ عدّة عسكره سبعة آلاف ، وتحلف بالعراق مع خادمه اقبال ثلاثة آلاف . وكاتبه أصحاب الاطراف بالطاعة ، وأبطأ في مسيره فاستعجلهم مسعود ، وزحفوا اليه فكان عسكره خمسة عشر ألفاً . وتسلسل عن المسترشد جماعة من عسكره ، وأرسل اليه داود بن محمود

من أذَرَيْنَجَان يشير بقصد الدينور والمقام بها حتى يصل في
عسكره فأبى واستمرّ في مسيره .

وبعث دُنْكَي من الموصل عسكراً فلم يصل حتى تواقفوا .
وسار السلطان محمود اليهم مجداً فوافاهم عاشر رمضان ، ومالت
ميسرة المسترشد اليه ، وانهزمت ميمنته وهو ثابت لم يتحرك حتى
أخذ أسيراً ، ومعه الوزير والقاضي وصاحب المحرّر وابن الانباري
والخطباء والفقهاء والشهود فأُزِل في خيمة ، ونهب مخيمه ، وحمل
الجماعة أصحابه الى قلعة تَرْجَمَان . ورجع بقية الناس الى بغداد .
ورجع السلطان الى هَمْدَان ، وبعث الامير بك أبه الى بغداد شحنةً
فوصلها سلخ رمضان ومعه عميد ، وقبضوا أملاك المسترشد وغلاتها
وكانت بينهم وبين العامة فتنة قتل فيها خلق من العامة . وسار
السلطان في شوال الى مَرَاغَة ، وقد ترددت الرسل بينهما في الصلح
على مال يؤدّيه المسترشد ، وأن لا يجمع العساكر ، ولا يخرج من
داره لحرب ماعاش ، وأجابه السلطان وأذن له في الركوب .
وحمل الغاشية ، وفارق المسترشد بعض الموكلين به فهجم عليه
جماعة من الباطنية فألحموه جراحاً وقتلوه ، ومثلوا به جدهاً وصلباً ،
وتركوه سليباً في نفر من أصحابه قتلوهم معه ، وتبع الباطنية
فقتلوا ، وكان ذلك منتصف ذي القعدة سنة ستة وعشرين لثمان
عشرة سنة من خلافته . وكان كاتباً بليغاً شجاعاً قرماً . ولما قتل
بمَرَاغَة كتب السلطان مسعود الى بك أبه شحنة بغداد بأن يبايع

لابنه فبويج ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهد إليه لثمانية أيام من مقتله ، وحضر بيعته جماعة من أولاد الخلفاء ، وأبو النجيب الواعظ . وأما اقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة ، وكان مقيماً ببغداد كما قدّمناه عبر إلى الجانب الغربي ، ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز .

فتنة الراشد مع السلطان مسعود

لما بويج الراشد بعث إليه السلطان مسعود يُرْتُقَش الزكوي يطالبه بما استقرّ عليه الصلح مع أبيه المسترشد ، وهو أربعمائة ألف دينار . فأنكر الراشد أن يكون له مال ، وإنما مال الخلافة كان مع المسترشد فذهب . ثم جمع الراشد العساكر وقُدِّم عليهم كجراية وشرع في عمارة السور . واتفق يُرْتُقَش مع بك أبيه على هجوم دار الخلافة ، وركبوا لذلك في العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامة ، وأخرجوهم عن البلد إلى طريق خراسان . وسار بك أبيه^(١) إلى واسط ، وُيْرْتُقَش إلى سَرْخَس . ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من أذربيجان إلى بغداد في صفر سنة ثلاثين ، ونزل بدار السلطان . ووصل بعده عماد الدين زنكي من الموصل ، وصَدِّقَة بن دَيس من الحِلَّة ، ومعه عش بن أبي

(١) كذا ، وفي الكامل : بك أبيه .

العسكر يدبر أمره ويديره ، وكان أبوه دَيس قد قتل بعد مقتل المسترشد بأذَرَيَّجان ، وملك هو الحِلَّة .

ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم بُرْتُقُش بازْدَار صاحب فروق ، والبَقْش الكبير صاحب أَصْفَهَان ، وابن بُرْتُقُش وابن الاحمدي . وخرج للقائهم كجراية والطرنطاي ، وكان اقبال خادم المسترشد قد قدم من تَكْرِيت فقبض عليه الراشد ، وعلى ناصر الدولة أبي عبدالله الحسن بن جُهَيْر فاستوحش أهل الدولة ، وركب الوزير جلال الدين بن صَدَقَة الى لقاء عماد الدين زُنكي فأقام عنده مستحيراً حتى أصلح حاله مع الراشد . واستجار به قاضي القضاة الزيني ، ولم يزل معه الى الموصل . وشفع في اقبال فأطلق وسار اليه . ثم جدّ الراشد في عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود استخلفه الراشد ، واستخلفه عماد الدين زُنكي ، وقطعت خطبة مسعود من بغداد ، ووُلّي داود شحنة بغداد بُرْتُقُش بازدار . ثم وصل الخبر بأنّ سلجوق شاه أخا الامير مسعود ملك واسط ، وقبض على الامير بك أبيه فسار الامير زُنكي لدفاعه فصالحه ، ورجع وعبر الى طريق خُرَاسان للحاق داود واحتشد العساكر . ثم سار السلطان مسعود لقتالهم ، وفازق زُنكي داود ليسير الى تَرَاغَة ، ويخالف السلطان مسعود الى هَمْدَان . وبرز الراشد من بغداد أوّل رمضان ، وسار الى طريق خُرَاسان ، وعاد بعد ثلاث . وعزم على الحصار ببغداد واستدعى داود الامراء

ليكونوا معه عنده فجاءوا لذلك ، ووصلت رسل السلطان مسعود بطاعة الراشد ، والتعريض بالوعيد للامراء المجتمعين عنده فلم يقبل طاعة من أجلمهم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

حصار بغداد ومسير الراشد الى الموصل وقلعه وخلافة المقتضي

ثم إن السلطان مسعود أجمع المسير الى بغداد ، وانتهى الى الملكية فسار زين الدين علي من أصحاب زنكي حتى شارف معسكره ، وقتلهم ورجع . ونزل السلطان على بغداد . والعيارون أفسدوا سائر المحال ببغداد ، وانطلقت أيديهم وأيدي العساكر في النهب ، ودام الحصار نيفاً وخمسين يوماً . تأخر السلطان مسعود الى النهروان عازماً على العود الى أصفهان فوصله طرنتاي صاحب وايسط في سفن كثيرة فركب الى غربي بغداد فاضطرب الامراء ، وافترقوا وعادوا الى أذربيجان . وكان زنكي بالجانب الغربي فمير اليه الراشد ، وسار معه الى الموصل ، ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة فسكن الناس ، وجمع القضاة والفقهاء وأوقفهم على عيين الراشد التي كتبها بخطه . اني متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فأفتوا بخلعه . واتفق أرباب الدولة بمن كان ببغداد ومن أسر مع المسترشد ، وبقي من عند السلطان مسعود كلهم على ذمه وعدم أهليته على ما مر في أخباره بين أخبار الخلفاء .

وبويع محمد بن المستظهر ولقب المقتفي ، وقد قدمت هذه
 الاخبار بأوسع من ذلك . ثم بعث السلطان العساكر مع قراسنقر
 لطلب داود فأدركته عند مَرَاغَة ، وقاتله فهزمه ، وملك أذربيجان
 ومضى داود الى خَوْزِستان ، واجتمع عليه عساكر من التركمان
 وغيرهم فحاصروا تُسْتَر ، وكان عمه سلجوق بوابسط فصار اليه بعد
 أن أمره أخوه مسعود بالعساكر ، ولقي داود على تُسْتَر فهزمه داود
 ثم عزل السلطان وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد ، واستوزر
 كمال الدين أبا البركات بن سلامة من أهل خراسان . ثم بلغه أن
 الراشد قد فارق الموصل فأذن للعساكر التي عنده ببغداد في
 العودة الى بلادهم ، وصرف فيهم صدقة بن ديس صاحب الحلة
 بعد أن أصهر اليه في ابنته ، وقدم عليه جماعة من الامراء الذين
 كانوا مع داود منهم البقش السلامي وبرُسقُ بن بُرُسقُ وصاحب
 تُسْتَر وسُنْشَر الحارثيين شحنة هَمْدَان فرضي عنهم ، وأمنهم وعاد
 الى هَمْدَان سنة احدى وثلاثين .

الفتنة بين السلطان مسعود وبين داود والراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد

كان الامير بَوَازبة صاحب خَوْزِستان ، والامير عبد الرحمن
 طغرل بك صاحب خَلْخال ، والملك داود ابن السلطان محمود خائفين
 من السلطان فاجتمعوا عند الامير مَنكِيرس صاحب فارس .
 وبلغهم مسير الراشد من الموصل الى مَرَاغَة فراسلوه في أن

يُجْتَمِعُوا عَلَيْهِ ، وَيَرُدُّوهُ إِلَى خِلَافَتِهِ فَأَجَابَهُمْ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ . وَأَخَذَ مِنْكَبِرِسٍ أَسِيرًا فَقَتَلَهُ ، وَافْتَرَقَتْ عَسَاكِرُهُ لِلنَّهْبِ فَانْفَرَدَ بُوَزَابَةُ وَطُغْرَلْبَكُ ، وَصَدَقَا الْحِلَّةَ عَلَيْهِ فَانْهَزَمَ . وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ مِثْلَ صَدَقَةَ بْنِ دَيْيَسٍ صَاحِبِ الْحِلَّةِ ، وَكَافَلَهُ نَجْتَرِينَ أَبِي الْعَسَاكِرِ ، وَابْنَ أَتَابَكِ قَرَأُسْتُغُرَّ صَاحِبِ أَذْرَبَيْجَانَ . وَحَبَسَهُمْ بُوَزَابَةُ حَتَّى تَحْقُقَ قَتْلَ مِنْكَبِرِسٍ .

وَلَحِقَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ بِأَذْرَبَيْجَانَ مِنْهَزِمًا ، وَسَارَ دَاوُدُ إِلَى هَهْدَانَ فَلَمَّكَهَا ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ الرَّاشِدُ هُنَاكَ . وَأَشَارَ بُوَزَابَةُ وَكَانَ كَبِيرُ الْقَوْمِ بِالْمَسِيرِ إِلَى فَارَسٍ فَسَارُوا مَعَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَمَلَكَهَا وَلَمَّا عَلِمَ سُلْجُوقُ شَاهٍ وَهُوَ بِوَأَسْطِ أَنْ أَخَاهُ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ أَمْضَى إِلَى أَذْرَبَيْجَانَ سَارَ هُوَ إِلَى بَغْدَادَ لِيَمْلِكَهَا ، وَدَافَعَهُ الْبَقْشُ النَّحْتُ ، وَنَظَّمَ الْخَادِمُ أَمِيرُ الْحَاجِّ . وَثَارَ الْعِيَارُونَ بِالْبُلْدَانِ وَأَفْحَشُوا فِي النَّهْبِ فَلَمَّا رَجَعَ الشَّحْنَةُ اسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ ، وَأَخَذَ الْمُسْتَوْرِينَ يَحْنَأِيَتَهُمْ فَجَلَا النَّاسُ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَغَيْرِهَا . وَلَمَّا قَتَلَ صَدَقَةَ بْنَ دَيْيَسٍ أَقْرَأَ السُّلْطَانُ مَسْعُودَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا عَلَى الْحِلَّةِ وَمَعَهُ مُهَلِّلُ بْنُ أَبِي الْعَسَاكِرِ أَخُو عَشِ الْمَقْتُولِ كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِهِ .

ثُمَّ لَمَّا مَلَكَ بُوَزَابَةُ فَارَسَ رَجَعَ مَعَ الرَّاشِدِ وَالْمَلِكِ دَاوُدَ ، وَمَعَهَا خَوَارِزْمُ شَاهٍ إِلَى خَوَزِيسْتَانَ وَخَرَّبُوا الْجَزِيرَةَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَسْعُودٌ لِيَمْنَعَهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ فَعَادَ الْمَلِكُ دَاوُدَ إِلَى فَارَسٍ وَخَوَارِزْمَ

شاه الى بلده، وسار الراشد الى أصفهان فثار به نفر من الخُرسانيَّة كانوا في خدمته فقتلوه عند القائلة في خامس عشر رمضان من السنة، ودفن بظاهر أصفهان . ثم قبض السلطان آخر السنة على وزيره أبي البركات بن سلامة الدركريني ، واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الخازن ، وكان نبيهاً حسن السيرة فرفع المظالم وأزال المكوس ، وأقام وظائف السلطان ، وجمع له الاموال وضرب على أيدي العمال ، وكشف خيانتهم فثقل عليهم وأوقعوا بينه وبين الامراء فبالغوا في السعاية فيه عند السلطان . وتولى كبرها قراسنقر صاحب أذربيجان فانه بعث الى السلطان يتهدده بالخروج عن طاعته ، فأشار على السلطان خواصه بقتله خشية الفتنة فقتله على كره ، وبعث برأسه الى قراسنقر فرضي .

وكان قتله سنة ثلاث وثلثين وخمسة لسبعة أشهر من وزارته ، واستوزر بعده أبا العز طاهر بن محمد اليزدجدي وزير قراسنقر ، ولقب عز الملك ، وضاعت الامور على السلطان وأقطع البلاد للامراء . ثم قتل السلطان البقش السلاجي الشحنة بما ظهر منه من الظلم والمسف فقبض عليه وجبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز . ثم أمر بقتله فلما قرب للقتل ألقى نفسه في دجلة فأت ، وبعث برأسه الى السلطان فقدم مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فحسن أثره . ثم عزله السلطان سنة ست وثلثين ، وولى

فيها قرلي أميراً آخراً من موالي السلطان محمود، وكانت له يزدجرد والبصرة فأضيف له اليهما والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه .

فتنة السلطان سنجر مع خوارزم شاه

وهو أول بداية بني خوارزم قد تقدم لنا ذكر أولية محمد خوارزم شاه، وهو محمد بن أبي شتكين، وإن خوارزم شاه لقب له، وإن الأمير داود حبشي لما ولأه بركيارق خراسان وقتله إكنجي ولي محمد بن أبي شتكين، وولي بعده ابنه أئسز فظهرت كفاوته، وقرّ به السلطان سنجر واستخلصه واستظهر به في حروبه فزاده ذلك تقدماً ورفعة، واستفحل ملكه في خوارزم. ونمي للسلطان سنجر انه يريد الاستبداد فसार اليه سنة ثلاث وثلاثين، وبرز أئسز ولقيه في التعبئة فلم يثبت وانهمز، وقتل من عسكره خلق، وقتل له ابن فحزن عليه حزناً شديداً. وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمد، ورّتب له وزيراً وأتابك وحاجباً، وعاد الى مرو منتصف السنة فخالفه أئسز الى خوارزم، وهرب سليمان شاه ومن معه الى سنجر، واستولى أئسز على خوارزم وكان من أمره ما يذكر بعد ان شاء الله تعالى.

استيلاء قراسنقر صاحب أذربيجان على بلاد فارس

ثم جمع أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان، وبرز طالباً ثار أبيه الذي

قتله بوزابة في المصاف كما مرّ. وأرسل السلطان مسعود في قتل وزيره الكمال قتلته كما مرّ فانصرف عنه إلى بلاد فارس، وتحصن عنه بوزابة في القلعة البيضاء، ووطي، قرأسنغر البلاد وملكها، ولم يمكنه مقام فسله لسلجوق شاه ابن السلطان محمود وهو أخو السلطان مسعود، وعاد إلى أذربيجان فنزل بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين، وهزم سلجوق شاه وأسرّه وجبسه ببعض قلاعها واستولى على البلاد. ثم هلك قرأسنغر صاحب أذربيجان وأران بمدينة أزدبيل، وكان من ممالك طغرل، وولي مكانه جاولي الطغرلي، والله سبحانه وليّ التوفيق.

مسير جهان دانكي إلى فارس

ثم أمر السلطان سنة خمس وثلاثين الأمير اسمعيل جهان دانكي فصار إليها، ومنعها مجاهد الدين بهروز من الوصول، واستمدّ لذلك بخسف المعابر وتغريقها فقصده الحلة فنعها أيضاً فقصده واسط، فقاتله طرنتاي وانهمز، ودخل واسط ونهبها، ونهب النعمانية وما إليها، واتبعهم طرنتاي إلى البطيحة، ثم فارقه عسكره إلى طرنتاي فلحق بيسنر وكتب اسمعيل إلى السلطان فعفى عنه.

هزيمة السلطان سنجر أمام الخطا واستيلائهم على ما وراء النهر

وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الاثير : أن آتسز بن محمد

مَلَكَ خَوَارِزْمَ واستقرَّ بها فبعث الى الخطأ ، وهم أعظم الترك فيها وراء النهر ، وأغراهم بمملكة السلطان سِنَجِرَ ، واستحثهم لها فساروا في ثلثمائة ألف فارس . وسار سِنَجِرَ في جميع عساكره وعبر اليهم النهر ، ولقيهم سنة ست وثلاثين واقتتلوا أشدَّ قتال . ثم انهزم سِنَجِرَ وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة ، وأسرت زوجة السلطان سِنَجِرَ ولحق سِنَجِرَ يترمذ ، وسار منها الى بلخ . وقصد أُنسُزَ مدينة مرو فدخلها مُرَاغِمًا للسلطان وفتك فيها ، وقبض على جماعة من الفقهاء والاعيان . وبعث السلطان سِنَجِرَ الى السلطان مسعود يأذن له في النصر وفي الريّ ليدعوه ان احتاج اليه فجاء عباس صاحب الريّ بذلك الى بغداد . وسار السلطان مسعود الى الريّ امتثالاً لأمر عمه سِنَجِرَ .

قال ابن الاثير : وقيل ان بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد سامسون وجبى^(١) وطراز وغيرها مما وراء النهر ، كانت بيد الخانيّة وهم مسلمون من نسل مُرَاسِيان ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكينيّة ، وأسلم جدّهم الاول سبق قراخان ، لأنّه رأى في منامه ان رجلاً نزل من السماء وقال له بالتركيّة ما معناه : أسلم تسلم في الدنيا والآخرة ، وأسلم في منامه ، ثم أسلم في يقظته .

(١) جبى بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وفي الآخر ياء آخر الحروف ، مدينة كثيرة النخل وقصب السكر . ومنها أبو علي الجبائي المعتزلي . قال في المشترك جبى كورة وبلد من نواحي خوزستان . قال وجبى أيضاً قرية من نواحي النهروان اهـ . تقويم البلدان لأبي الفداء .

ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ، ولم يزل الملك في عقبه الى أرسلان خان بن سليمان بن داود بن بقرخان بن ابراهيم طغاج خان ابن ايلك نصر بن أرسلان بن علي بن موسى بن سبق فخرج عليه قَرَدَخَان وانتزع الملك منه . ثم نصر سِنَجِر وقتل قَرَدَخَان ، وخرج بعد ذلك خوارِزْم ونصره السلطان سِنَجِر منهم وأعادته الى ملكه ، وكان في جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية ، والاتراك الغزبية الذين نهبوا خراسان على ما ذكره بعد . وهم صنفان : صنف يقال لهم جق وأميرهم طوطى بن داديك ، وصنف يقال لهم برق وأميرهم برغوث بن عبد الحميد .

وكان لأرسلان نصرخان شريف يصحبه من أهل سَمَرْقَنْد ، وهو الاشرف بن محمد بن أبي شجاع الملوِي فعمل ابن أرسلان نصرخان ، وطلبوا انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سِنَجِر فمهر اليه في عساكره سنة أربع وعشرين وخمسة وانهى الى سَمَرْقَنْد فهرب القارغلية أمامه ، وعاد الى سَمَرْقَنْد فقبض على أرسلان خان وجبسه ببلخ فأت بها ، وولي على سَمَرْقَنْد مكانه قليج طغاج أبا المعالي الحسن بن علي بن عبد المؤمن ، ويعرف بحسن تكرر من أعيان بيت الخانية . إِلَّا أَنَّ أرسلان خان اطرحه فولاه سِنَجِر ، ولم تطل أيامه فولى بعده ابن أرسلان خان ، وأبوه هو الذي ملك سَمَرْقَنْد من يده وهو ابن أخت سِنَجِر .

وكان في سنة اثنتين وعشرين وخمسة قد خرج كوهرخان

من الصين الى حدود كاشغر في جموع عظيمة ، و كوهرا الاعظم
 بلسانهم ، وخان السلطان فعناه أعظم ملك . ولقيه صاحب كاشغر
 أحمد بن الحسن الخان فهزمه ، وقد كان خرج قبله من الصين اترك
 الخطا ، وكانوا في خدمة الخانية أصحاب تُرْكْسَان . وكان أرسلان
 خان محمد بن سليمان ينزلهم على الدروب بينه وبين الصين مسالح ،
 ولهم على ذلك جرايات واقطاعات . وسخط عليهم بعض السنين
 وعاقبهم بما عظم عليهم فطلبوا فسيحاً من البلاد يأمنون فيه من
 أرسلان خان لكثرة ما كان يفزروهم ، ووصفت لهم بلاد سامسون
 فساروا اليها .

ولما خرج كوتان من الصين ساروا اليه واجتمعوا عليه . ثم
 ساروا جميعاً الى بلاد ما وراء النهر ، ولقيهما الخان محمود بن أرسلان
 خان محمد في حدود بلاده في رمضان سنة احدى وثلاثين فهزموه
 وعاد الى سمرقند ، وعظم الخطب على أهلها وأهل بُخَارَى . واستمدَّ
 محمود السلطان يسنجر ، وذكر ما لقي السلطان من العنت ، واجتمع
 عنده ملوك خراسان . وملك سيجستان من بني خلف ، وملك غزنة
 من الغوريين ، وملك مازندران ، وعبر النهر للقاء الترك في أكثر
 من ألف وذلك لآخر خمس وثلاثين وخمائة .

وشكا اليه محمود خان من القارغلية فقصدتهم ، واستجاروا
 بكوخان ملك الصين فكتب الي يسنجر بالشفاعة فيهم فلم يشفعه ،
 وكتب اليه يدعوه للإسلام ويتعهد به بكثرة العساكر فأهان الرسول

وزحف للقاء سنجر . والتقى الجمعان بموضع يسمى قطران خامس
 صفر سنة ست وثلاثين ، وأبلى القارغلية من الترك وصاحب سجستان
 من المسلمين . ثم انهزم المسلمون فقتل كثير منهم ، وأسر صاحب
 سجستان والامير قاج وزوجة السلطان سنجر فأطلقهم كوخان
 ومضى السلطان سنجر منهزماً . وملك الترك الكفار والخطا بلاد
 ما وراء النهر الى أن مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ،
 ووليت بعده ابنته . ثم ماتت قريباً وملك آتمة من بملدها وهي
 زوجة كوخان وابنة محمد . وسار ما وراء النهر بيد الخطا الى أن
 غلبهم عليه عماد الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستائة .

أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلحه مع سنجر

ولما عاد السلطان منهزماً سار خوارزم شاه الى سرخس في
 ربيع سنة ست وثلاثين فأطاعته ، ثم الى مرو الشاهجان فشفع
 فيهم الامام أحمد البخاري ، ونزل بظاهرها . وبينما هو قد استدعى
 أبا الفضل الكرماني وأعيان أهلها للشورى ثار عامة البلد وقتلوا
 من كان عندهم من جنده ، وامتنعوا فطاولها ودخلها عنوة ، وقتل
 كثيراً من علمائها . ثم رجع في شوال من السنة الى نيسابور ،
 وخرج اليه علماءها وزهادها يسألون معافاتهم مما نزل بأهل مرو
 فأعفاهم ، واستصفى أصحاب السلطان ، وقطع خطبة سنجر . وبعث
 عسكرياً الى أعمال صغد فقاتلوه أياماً ، ولم يطق سنجر مقاومته

لمكان الخطا وجوارهم له . ثم سار السلطان سنجر سنة ثمان وثلاثين لقتال خَوَارِزْمَ ، وحاصرها أياماً وكاد يملكها ، واقتحمها بعض أمرائه يوماً فدافعه أُنُسُزُ بعد حروب شديدة . ثم أرسل أُنُسُزُ الى سنجر بالطاعة والعود الى ما كان عليه فقبله وعاد سنة ثمان وثلاثين .

طلع زنكي مع السلطان مسعود

ثم وصل السلطان مسعود سنة ثمان وثلاثين الى بغداد ^(١) عادته فتجهز لقصد الموصل ، وكان يحمل لزنكي جميع ما وقع من الفتن فبعث اليه زنكي يستعطفه مع أبي عبد الله بن الأنباري ، وحمل معه عشرين ألف دينار ، وضمن مائة ألف على ان يرجع عنه فرجع ، وانعقد الصلح بينهما . وكان مما رغب السلطان في صلحه أن ابنه غازي بن زنكي هرب من عند السلطان خوفاً من أبيه فردّه الى السلطان ، ولم يجتمع به فوق ذلك من السلطان أحسن موقع والله تعالى أعلم .

انتقل صاحب فارس وصاحب الري

كان بوزابة صاحب فارس وخوزستان كما قدمنا فاستوحش من السلطان مسعود فانتقض سنة أربعين وخمسة مائة ، وبايع محمد

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٦ : وصل السلطان مسعود إلى بغداد على .

ابن محمود، وهو ابن أخي السلطان مسعود، وسار الى مامشون، واجتمع بالامير عباس صاحب الري ووافقه على شأنه. واتصل به سليمان شاه أخو السلطان مسعود، وتغلبوا على كثير من بلاده فسار اليهم من بغداد في رمضان السنة، ومعه الامير طغابرك حاجبه، وكان له التحكم في الدولة والميل الى القوم. واستخلفه على بغداد الامير مهليل ونصير أمير الحاج وجماعة من غلمان بهروز. وسار فلما تقاربوا للحرب نزع السلطان شاه عنهم الى أخيه مسعود، وسعى عبد الرحمن في الصلح فانهقد بينهما على ما أحبه القوم، وأضيف الى عبد الرحمن ولاية أذربيجان وأران الى خلخال عوضاً من جاولي الطغري، واستوزر أبا الفتح بن دراست وزير بوزابة. وقد كان السلطان سنة تسع وثلاثين قبض على وزيره اليزدجردي، واستوزر مكانه المرزبان بن عبد الله بن نصر الأصفهاني، وسلم اليه اليزدجردي واستصفى أمواله. فلما كان هذه السنة وفعل بوزابة في صلح القوم ما فعل اعتضد بهم على مقامه عند السلطان وتحكم عليه وعزل وزيره واستوزر له أبا الفتح هذا.

مقتل طغابرك وعباس

قد قدّمنا أن طغابرك وعبد الرحمن تحكّما على السلطان واستبدّا عليه، ثم آل أمره الى أن منعا بك أرسلان المعروف بابن خاص بك بن بنكري من مباشرة السلطان، وكان تربّته وخصاً به

ونجى خلوته . وتجهز طغايك لبعض الوجوه فحملة في جلته فأسرَّ
السلطان الى أرسلان الفتك بطغايك^(١) وداخل رجال العسكر في
ذلك فأجاب منهم زنكي جاندار ان يباشر قتله بيده ، ووافق
بك أرسلان جماعة من الامراء ، واعترضوا له في موكبه فضربه
الجاندار فصرعه عن فرسه ، وأجهز عليه ابن خاص بك ، ووقف
الامراء الذين واطؤوه على ذلك دون الجاندار فتمعه ، وكان
ذلك بظاهر صهوة^(٢) . وبلغ الخبر الى السلطان مسعود ببغداد ، ومعه
عباس صاحب الري في جيش كثيف فامتعض لذلك ونكره
فداراه السلطان حتى سكن . وداخل بعض الامراء في قتله فأجابوه
وتولى كبر ذلك البقش حروسوس^(٣) اللحف ، وأحضر السلطان
عباساً وأدخله في داره وهذان الاميران عنده ، وقد أكمنا له
في بعض الخادع رجالاً وعدلوا به الى مكانهم فقتلوه ، ونهبت
خيامه وأصاحت البلاد لذلك ، ثم سكنت . وكان عباس من
موالي السلطان محمود ، وكان عادلاً حسن السيرة ، وله مقامات
حسان في جهاد الباطنية . وقتل في ذي القعدة سنة احدى وأربعين
ثم حبس السلطان أخاه سليمان شاه في قلعة تكريت ، وسار عن
بغداد الى أصفهان والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٥ : طغايك .

(٢) كذا بالأصل ، وفي معجم البلدان : صهوة كل شيء أعلاه والصهوة بنواحي المدينة . وفي
الكامل : قتله بظاهر جنزة . وجنزة اسم مدينة بأران كما في معجم البلدان واستناداً إلى رواية معجم
البلدان تكون مقالة ابن الأثير أصح .

(٣) كذا ، وفي الكامل : البقش كون خروتنر ، وهو أمير اللحف .

مقتل بوزابة صاحب فارس

قد تقدّم لنا أنّ طغابرك كان مستظهِراً على السلطان بعبّاس صاحب الريّ وبوزابة صاحب فارس وخَوْزِستان ، فلما قتل طغابرك وامتنع له عبّاس قتل أثره ، وانتهى الخبر الى بوزابة فجمع العساكر وسار الى أصفهان سنة اثنتين وأربعين فحاصرها ، وبعث عسكرياً آخرّاً لحصار هَمْدان وآخرّاً الى قلعة الماهكي من بلاد اللحف من قلاع البَقش كون خر فصار اليها ، ودفعهم عنها . ثم سار بوزابة عن أصفهان لطلب السلطان مسعود فامتنع وتراحفاً بمرج مُزَاتِكْن ، واشتدّ القتال بينهما ، وكبا الفرس ببوزابة وسيق الى السلطان فقتل بين يديه ، وقيل أصابه سهم فسقط ميتاً وانهمزمت عساكره ، وكان هذا الحرب من أعظم الحروب بين السُلجُوقيّة .

انتقاض الإمبراء على السلطان

ولما قتل طغابرك وعبّاس وبوزابة اختص بالسلطان ابن خاص بك لميله اليه ، وأطرح بقية الامراء فاستوحشوا وارتابوا بأنفسهم أن يقع بهم ما وقع بالآخرين ففارقوه ، وساروا نحو العراق أبو ركن المسعودي صاحب كِنَجَة وأدان والبَقش كون خر صاحب الجبل ، والحاجب خريطاي المحمودي شحنة واسط ، وابن طغابرك والركن وقرقوب ومعمهم ابن أخي السلطان وهو محمد بن محمود ،

وانتهوا الى حرّان فاضطرب الناس ببغداد وغلت الاسعار . وبعث اليهم المقتفي بالرجوع فلم يرجعوا ، ووصلوا الى بغداد في ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وزلوا بالجانب الشرقي ، وهرب أجناد مسعود يشحّنة بغداد الى تكريت ، ووصل اليهم عليّ بن دّيس صاحب الحلة ونزل بالجانب الغربي ، وجمع الخليفة العساكر . ثم قاتل العامة عساكر الامراء فاستطردوا لهم ، ثم كروا عليهم فلوّوا الأرض بالقتلى . ثم جاست خيولهم خلال الديار فنهبوا وسبوا . ثم جاؤا مقابل التاج يعتذرون ، وردّدوا الرسل الى الخليفة سائر يومهم . ثم ارتحلوا من الغد الى النهروان فعاثوا فيها . وعاد مسعود من بلاد تكريت الى بغداد . ثم افترق الامراء وفارقوا العراق ، ثم عاد البقش كون خر والطرنطاي وابن دّيس سنة أربع وأربعين ، ومعهم ملك شاه بن محمود ، وهو ابن أخي السلطان وطلبوا من الخليفة الخطبة للملك شاه فأبى ، وجمع العساكر وشغل بما كان فيه من أمر عم السلطان سنجر . وذلك أنّ السلطان سنجر بعث اليه يلومه في تقديم ابن خاص بك ويأمره بإبعاده ، وتهدّده فغالطه ولم يفعل فسار الى الريّ فبادر اليه مسعود وترضاه فرضي عنه . ولما علم البقش كون خر مراسلة المقتفي لمسعود نهب النهروان ، وقبض على عليّ بن دّيس . وسار السلطان بعد لقاء عمه الى بغداد فوصلها منتصف شوال سنة أربع وأربعين فهرب الطرنطاي الى النعمانية ، ورحل البقش الى النهروان بعد

أن أطلق علي بن دَيس فجاء الى السلطان واعتذر فرضي عنه .

وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه

ابن أخيه محمود ثم أخيه محمد بن بعده

ثم توفي السلطان مسعود بهمدان في رجب منتصف سبع وأربعين لاثنتين وعشرين سنة من طلبه الملك ، وبه كمل استفحال ملك السلجوقية ، وركب الخمول دولتهم بعده ، وكان عهد الى ملك شاه ابن أخيه محمود فلما توفي بايع له الامير ابن خاص بك وأطاعه العسكر ، وانتهى خبر موته الى بغداد فهرب الشحنة بلاك الى تكريت ، وأمر المقتفي بالحوطة على داره ودور أصحاب السلطان مسعود . ثم بعث السلطان ملك شاه ، عسكراً الى الحلة مع ملاذ كرد من أرائه فلكها ، وسار اليه بلاك الشحنة فخادعه حتى استمكن منه فقبض عليه وغرقه ، واستبد بلاك الشحنة بالحلة . وجهاز المقتفي العساكر مع الوزير عون الدين بن هبيرة الى الحلة . وبعث عساكر الى الكوفة وواسط فلكها ووصلت عساكر السلطان ملك شاه فلكوها ، وسار اليها الخليفة بنفسه فارتجعها منهم وسار منها الى الحلة ثم الى بغداد آخر ذي القعدة من السنة . ثم إن ابن خاص بك طمع في الانفراد بالامر فاستدعى محمد ابن محمود من خوزستان فأطعمه في الملك ليقبض عليه وعلى أخيه ملك شاه فقبض على ملك شاه أولاً لسته أشهر من ولايته ،

ووصل محمد في صفر من سنة ثمان وأربعين فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة وحمل اليه الهدايا ، وقد سمى للسلطان محمد بما انطوى عليه ابن خاص بك . فلما باكره صبيحة وصوله فتك به وقتله وقتل معه زنكي الجاندار قاتل طغايك ، وأخذ من أموال ابن خاص بك كثيراً ، وكان صبياً كما بينا ، اتصل بالسلطان مسعود وتنصح له فقدمه على سائر العساكر والامراء . وكان أنوغري التركي المعروف بشملة في جملة ابن خاص بك ومن أصحابه ، ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلما قتل ابن خاص بك نجا شملة الى خوزستان ، وكان له بها بعد ذلك ملك والله أعلم بغيبه وأحكامه .

الغز

تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسر

كان هؤلاء الغز فيا وراء النهر ، وهم شعب من شعوب الترك ، ومنهم كان السلجوقية أصحاب هذه الدولة ، ويقوا هنالك بعد عيورهم ، وكانوا مسلمين فلما استولى الخطا على ملك الصين وعلى ما وراء النهر هاجر هؤلاء الغز الى خراسان ، وأقاموا بنواحي بلخ . وكان لهم من الامراء محمود ودينار وبخشيوار وطوطي

وأرسلان ومعر . وكان صاحب بلخ الأمير قاج فتقدم اليهم أن يبعدوا عن بلخ فصانعوه فتركهم ، وكانوا يعطون الزكاة ويؤمنون الحابلة . ثم عاد اليهم في الانتقال فامتنعوا وجمعوا فخرج اليهم في العساكر وبذلوا له مالا فلم يقبل وقاتلوه فهزموه ، وقتلوا العسكر والرعايا والفقهاء وسبوا العيال ، ونجا قاج الي مرو ، وبها السلطان سنجر فبعث اليهم يتهددهم ويأمرهم بمفارقة بلاده فلاطفوه وبذلوا له فلم يقبل . وسار اليهم في مائة ألف فهزموه وأنخنوا في عسكره ، وقتل علاء الدين قاج ، وأسروا السلطان سنجر ومعه جماعة من الامراء فقتلوا الامراء واستبقوا السلطان سنجر وبايعوه ، ودخلوا معه الي مرو فطلب منه بختيار اقطاعها فقال : هي كرسي خراسان فسخروا منه .

ثم دخل سنجر خانقاه فقسط على الناس وأطهرهم وعسفهم ، وعلق في الاسواق ثلاث غرائر وطالبهم بملئها ذهباً فقتله العامة ، ودخل الغز نيسابور ودمروها تدميراً ، وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها ، وقتلوا القضاة والعلماء في كل بلد . ولم يسلم من خراسان غير هراة وسبستان لحصانتها . وقال ابن الاثير عن بعض مؤرخي العجم : إن هؤلاء الغز انتقلوا من نواحي التفرغر من أقاصي الترك الي ما وراء النهر أيام المقتفي وأسلموا ، واستظهر بهم المقتنع الكندي على بخارقه وشعوذته حتى تم أمره فلما سارت اليه العساكر خذلوه وأسلموه ، وفعلوا مثل ذلك مع الملوك

الحائيّة . ثم طردهم الاتراك القارغلية عن اقطاعهم فاستدعاهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طخارستان ، وأنزلهم بلاده واستظهر بهم على قاج صاحب بلخ ، وسار بهم لمحاربته فخذلوه لأن قاج كان استلمهم فانهم زنكي وأسر هو وابنه وقتلها قاج وأقطع الغز في بلاده .

فلما سار الحسين بن الحسين الغوري الى بلخ برز اليه قاج ومعه هؤلاء الغز فخذلوه ، ونزعوا عنه الى الغوري حتى ملك بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ وهزم الغوري واستردها ، وبقي الغز بنواحي طخارستان . وفي نفس قاج حقد عليهم فأمرهم بالانتقال عن بلاده فتألفوا وتجمعوا في طوائف من الترك ، وقدموا عليهم إرسال بوقاء التركي ، ولقيهم قاج فهزموه وأسروه وابنه أبا بكر وقتلوهما واستولوا على نواحي بلخ وعاثوا فيها . وجمع السلطان سنجر وفي مقدمته محمد بن أبي بكر بن قاج المقتول والمؤيد ابنه في محرّم سنة ثمان وأربعين . وجاء السلطان سنجر على أثره وبعثوا اليه بالطاعة والاموال فلم يقبل منهم ، وقتلهم فهزموه الى بلخ . ثم عاود قتالهم فهزموه الى مرو واتبعوه فهرب هو وعسكره من مرو رعباً منهم ، ودخلوا البلد وأفحشوا فيه قتلاً ونهباً ، وقتلوا القضاة والأئمة والعلماء . ولما خرج سنجر من مرو وأسروه أجلسوه على التخت على عادته وآتوه طاعتهم . ثم عاودوا الغارة على مرو فمنهم أهلها وقتلوه ، ثم عجزوا واستسلموا

فاستباحوها أعظم من الأولى . ولما أسر سنجر فارقه جميع أمراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ، ووصلوا الى نيسابور واستدعوا سليمان شاه بن السلطان محمود ، وخطبوا له بالسلطان في منتصف السنة ، واجتمعت عليه عساكر خراسان وساروا لطلب الغز فبارزوه على مرو ، وانهزمت العساكر رجاً منهم ، وقصدوا نيسابور والغز في اتباعهم ، ومروا بطوس فاستباحوها وقتلوا حتى العلماء والزهاد ، وخرّبوا حتى المساجد .

ثم ساروا الى نيسابور في شوال سنة تسع وأربعين ففعلوا فيها أفحش من طوس ، حتى ملأوا البلاد من القتلى ، وتحصن طائفة بالجامع الأعظم من العلماء والصالحين فقتلوه عن آخرهم ، وأحرقوا خزائن الكتب . وفعلوا مثل ذلك في جوين واسفراين فحاصروهما واقتحموهما مثل ما فعلوا في البلاد الأخرى . وكانت أفعال الغز في هذه البلاد أعظم وأقبح من أفعال الغز في غيرها . ثم إن السلطان سليمان شاه توفي وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك في شوال سنة ثمان وأربعين فاستوزر ابنه نظام الملك ونحل أمره وعجز عن القيام بالملك فعاد الى جرجان في صفر سنة تسع وأربعين فاجتمع الامراء وخطبوا للخان محمود بن محمد بن بقرخان وهو ابن أخت سنجر ، واستدعوه فلكوه في شوال من السنة وساروا معه لقتال الغز وهم محاصرون هراة فكانت حروبه معهم سجالاً ، وأكثر الظفر للغز . ثم رحلوا عن هراة الى

مرو منتصف خمسين ، وأعادونا مصادرة أهلها . وسار الخان محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد كما يذكر فراسل الغز في الصلح فصالحوه في رجب .

استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها

هذا المؤيد من موالى سنجر واسمه ... وكان من أكابر أوليائه ومطاعاً فيهم ولما كانت هذه الفتنة ، وافترق أمر الناس بخراسان تقدم ... فاستولى على نيسابور وطوس ونسا^(١) وان ورد وشهرستان والدايمان وحصنها ، ودافع الغز عنها ، ودانت له الرعية لحسن سيرته فمظم شأنه وكثرت جموعه . واستبد بهذه الناحية وطالبه الخان محمود عندما ملكوه بالحضور عنده وتسليم البلاد فامتنع . وترددت الرسل بينهما على مال يحمله للخان محمود فضمنه المؤيد وكف عنه محمود ، واستقر الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء إيتاخ على الري

وكان إيتاخ من موالى السلطان سنجر ، وكانت الري أيضاً

(١) كذا بياض بالأصل في ثلاثة أماكن ، وفي الكامل ج ٩ ص ٧٤ تقدم المؤيد «أي أبه» بقبض أعيان نيسابور وحبسهم وقال : أنتم الذين أطمعتم الزنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعال ، ولو أردتم منعهم لامتنعوا . وقتل من أهل الفساد جماعة فخرت نيسابور بالكلية .

من أعمال سنجر فلما كانت فتنة التُّزُّ لحق بالريّ واستولى عليها ،
وصانع السلطان محمد شاه بن محمود صاحب هَمْدَان وأصفهان وغيرهما
وبذل له الطاعة فأقرّه فلما مات السلطان محمد مدّ يده الى أعمال
تجاوزته ، وملكها فمعظم أمره ، وبلغت عساكره عشرة آلاف فلما
ملك سليمان شاه هَمْدَان على ما نذكره . وقد كان أنس به عند
ولاية سليمان على خُراسان سار اليه ، وقام بخدمته وبقي مستبدّاً
بتلك البلاد ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الخبر عن سليمان شاه وجبسه بالموصل

كان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه
السلطان سنجر ، وجعله وليّ عهده ، وخطب له على منابر خُراسان
فلما وقعت فتنة التُّزُّ وأسر سنجر قدّمه أمراء خُراسان على أنفسهم .
ثم عجز ومضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة أخيه ، ثم سعى به
عنده فأخرجه من بلده ، وجاء الى أصفهان فنعه الشحنة من
الدخول فضى الى قاشان ، فبعث السلطان محمد شاه بن أخيه محمود
عسكراً ليدفعه عنها فسار الى خوزستان فنعه ملك شاه منها
فقصده اللحف ونزل . وأرسل المقتفي في أثره فطلبه في زوجته
رهينة ببغداد فبعث بها مع جواريتها وأتباعها فأكرمهم المقتفي ،
وأذن له في القدوم وخرج الوزير ابن هُبَيْرَة وقاضي القضاة والفتيان
لتلقيه ، وخلع عليه المقتفي وأقام ببغداد . حتى اذا دخلت سنة

أحدى وخمسين أحضر بدار الخلافة ، وحضر قاضي القضاة والإعيان واستحلف على الطاعة والتجافي للخليفة عن العراق ، وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه ، وأمد بثلاثة آلاف من المسكر ، وجعل معه الامير دوران أمير حاجب صاحب الحلة .

وسار الى بلاد الجبل في ربيع الاول من السنة ، وسار المقتفي الى حلوان وبعث الى ملك شاه بن السلطان محمود يدعوهم الى موافقة عمه سليمان شاه ، وان يكون ولي عهده فقدم في ألفي فارس وتحالفا وأمدّهما المقتفي بالمال والاسلحة ، واجتمع معهم ايلدكز صاحب كنجة وأرانية ، وساروا لقتال السلطان محمد فلما بلغه خبرهم أرسل الى قطب الدين مودود بن زنكي ونائبه زين الدين علي كوجك في المساعدة والارتفاق فأجابه ، وسارا للقاء عمه سليمان شاه ومن معه ، واقتتلوا في جمادى الاولى فهزما السلطان محمد وافترقوا ، وتوجه سليمان شاه الى بغداد على شهرزور وكانت لصاحب الموصل ، وبها الامير دوران من جهة علي كوجك نائب الموصل فاعترضه هنالك كوجك وبوران فاحتمله كوجك الى الموصل فحبسه بها ، وبعث الى السلطان محمد بالخبر وانه على الطاعة والمساعدة فقبل منه وشكر له .

فبار سنجر من أسر الغز

قد تقدم لنا ما كان من أسر السلطان سنجر بيد الغز وافتراق

خُراسان ، واجتماع الامراء بنيسابور وما اليها على الخان محمود بن محمد ، وامتنعوا من الغز ، وامتنع اُتسزُ بن محمد أنوشكين بخوارزم وانقسمت خُراسان بينهم ، وكانت الحرب بين الغز وبينها سجالاً ثم هرب يسنجر من أسر الغز وجماعة من الامراء كانوا معه في رمضان سنة احدى وخمسين ولحق يترمذ . ثم عبر جنيحون الى دار ملكه بمرور فكانت مدة أسره من جمادى سنة ثمان وأربعين ثلاث سنين وأربعة أشهر . ولم يتفق فراره من الاسر الا بعد موت علي بك مقدم القارغلية لانه كان أشد شيء عليه . فلما توفي انقطعت القارغلية اليه وغيرهم ووجد فسحة في أمره والله سبحانه وتعالى أعلم .

حصار السلطان محمد بغداد

كان السلطان محمد بن محمود لأول ولايته الملك بعد عمه مسعود بعث الى المقتفي في الخطبة له ببغداد والعراق على عادتهم ، فنهه لما رجا من ذهاب دولتهم استفحالهم واستبدادهم ، فسار السلطان من تهمذان في العساكر نحو العراق ، ووعدده صاحب الموصل ونائبه بمدد العساكر فقدم آخر احدى وخمسين . وبعث المقتفي في الحشد فجاء خطأ وفُرس في عسكر واسط . وخالفهم مهلهل الى الجلة فلما ، واهتم المقتفي وابن هبيرة بالحصار ، وقطع الجسر وجمع السفن تحت التاج ، ونودي في الجانب الغربي بالعبور فعبروا

في محرم سنة اثنتين وخمسين . وخرَّب المقتفي ما وراء الحرسه صلاحاً في استبداده . وكذلك السلطان محمد من الجهة الاخرى ونصبت المنجنيقات والرعادات ، وفرَّق المقتفي السلاح على الجند والعامه .

وجاء زين الدين كُجُك في عسكر الموصل ، ولقي السلطان علي أوان ، واتصلت الحرب واشتدَّ الحصار وفقدت الاقوات وانقطعت المواد عن أهل بغداد ، وفتر كُجُك وعسكره في القتال أدباً مع المقتفي . وقيل أوصاه بذلك نور الدين محمود بن زُنكي أخو قطب الدين الاكبر . ثم جاء الخبر بأنَّ ملك شاه أخا السلطان محمد وايلدكز صاحب أَرَّان وربييه أرسلان بن طُغرُل قصدوا هَمْدَان فسار عن بغداد مسرعاً الى هَمْدَان آخر ربيع الاول ، وعاد زين الدين الى الموصل . ولما وصل ملك شاه وايلدكز وربييه أرسلان الى هَمْدَان أقاموا بها قليلاً ، وسمعوا بمجيء السلطان فاجفلوا ، وساروا الى الري فقاتلهم الشِخْنة انبانج فهزموه وحاصروه . وأمدّه السلطان محمد بعسكر بن سُفُس ابن قاز فوجدتهم قد أفرجوا عنه ، وقصدوا بغداد فقاتلهم فهزموه ، ونهبوا عسكره فسار السلطان محمد ليسابقتهم الى بغداد . فلما انتهى الى حُلوان بلغه أن ايلدكز بالدينور . ثم وافاه رسول انبانج بأنه ملك هَمْدَان وخطب له فيها ، وان شِملة صاحب خراسان

هرب عن ايلدكز وملك شاه الى بلاده فعاد الى اران ، ورجع
السلطان الى همدان قاصداً للتجهز الي بلاد ايلدكز بأرآن .

وفاة سنجر

ثم توفي السلطان سنجر صاحب خراسان في ربيع سنة اثنتين
وخمسين ، وقد كان ولي خراسان منذ أيام أخيه بركيارق . وعهد
له أخوه محمد فلما مات محمد خوطب بالسلطنة ، وكان الملوك كلهم
بعدها في طاعته نحو أربعين سنة . وخطب له قبلها بالملك عشرين
سنة ، وأسره الغزّ ثلاث سنين ونصف ، ومات بعد خلاصه من
الاسر ، وقطعت خطبته ببغداد والعراق . ولما احتضر استخلف
على خراسان ابن أخته محمد بن محمود بن بقراخان فأقام يجرجان ،
وملك الغزّ مرو وخراسان ، وملك أبه المؤيد نيسابور وناحيته من
خراسان ، وبقي الامر على هذا الخلاف سنة أربع وخمسين ،
وبعث الغزّ الى محمود الخان ليحضر عندهم فيملكوه فخافهم على
نفسه ، وبعث ابنه اليهم فأطاعوه مدة ثم لحق هو بهم كما
نذكر بعد .

منازعة ايتاق للمؤيد

كان ايتاق هذا من موالي السلطان سنجر فلما كانت الفتنة ،
واقترق الشمل ، ومات السلطان سنجر ، وملك المؤيد نيسابور ،

وحصل له التقدم بذلك على عساكر خراسان حسده جماعة من
الامراء ، وانحرف عنه ايتاق هذا فتارة يكون معه وتارة يكون
في ما زَنْدَرَان . فلما كان سنة اثنتين وخمسين سار من مازندران
في عشرة آلاف فارس من المنحرفين عن المؤيد ، وقصد نسا
وأبيوزد ، وأقام بها ^(١) المؤيد ايتاق فسار اليه وكبسه
وغنم معسكره . ومضى ايتاق منهزماً الى مازندران ، وكان
بين ملكها دُستُم وبين أخيه علي منازعة فتقرب ايتاق الى دُستُم
بقتال أخيه علي فوجد لذلك غلبة ودفعه عنه ، وسار يتردد في
نواحي خراسان بالغيث والفساد . وألح على اسفراين فخرَّبها .
وراسله السلطان محمود الخان والمؤيد في الطاعة والاستقامة فامتنع ،
فساروا اليه في العساكر في صفر سنة ثلاث وخمسين فهرب الى
طَبْرِسْتَان ، وبعث دُستُم شاه مازندران الى محمود والمؤيد بطاعته ،
بأموال جليلة وهدية فقبلوا منه ، وبعث ايتاق ابنه رهناً على
الطاعة فرجعوا عنه واستقرَّ بجرجان وديستان وأعمالها .

منازعة سنقر العزيمي للمؤيد ومقتله

كان سُنْقَرُ العزيمي من أمراء السلطان سينجر ، وكان في
نفسه من المؤيد ما عند الباقيين فلما شغل المؤيد بحرب ايتاق سار

(١) بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٥٦ : وأقام بنواحي نسا وأبيورد لا يظهر المخالفة
للمؤيد ، بل يرأسه بالموافقة والمعاضدة له ويوطن ضدها . وانتقل المؤيد من المكاتبه إلى المكافحة وسار
إليه جريدة فأغار عليه وأوقع به فتفرق عنه جموعه .

سُنْفَر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هُراة فملكها ، واشترط عليه أن يستظهر بملك الغوريّة الحسين فأبى وطمع في الاستبداد لما رأى من استبداد الأمراء على السلطان محمود بن محمد فحاصره المؤيد بهراة ، واستمال الأتراك الذين كانوا معه فأطاعوه ، وقتلوا سُنْفَر العزيزي غيلة . وملك السلطان محمد هُراة ، ولحق الفلّ من عسكر سُنْفَر بايتاق وتسلطوا على طوس وقراها ، واستولى الخراب على البلاد والله تعالى أعلم .

فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد

كان الغز بعد فتنتهم الاولى أوطنوا بَلُخ وزعوا عن النهب والقتل بخراسان ، واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان محمود بن محمد الخان وكان القائم بدولته المؤيد أي أبه . فلما كان سنة ثلاث وخمسين في شعبان سار الغز الى مرو فزحف المؤيد اليهم ، وأوقع طائفة منهم وتبعهم الى مرو وعاد الى سَرْخَس ، وخرج معه الخان محمود لحربهم فالتقوا خامس شوال وتواقعوا مراراً ثلاثاً انهزم فيها الغز على مرو وأحسنوا السيرة وأكرموا العلماء والائمة . ثم أغاروا على سَرْخَس وطوس واستباحوها وخربوها ، وعادوا الى مرو . وأما الخان محمود بن محمد فسار الى جرجان ينتظر مآل أمرهم ، وبعث اليه الغز سنة أربع وخمسين يستدعونه ليملكوه فاعتذر لهم خشية على نفسه ، فطلبوا منه جلال الدين عمر فتوثق منهم

بالحلف ، وبعثه اليهم فعظموه وملكوه في ربيع الآخر من سنة أربع .

ثم سار أبوه محمود الى خراسان وتحلف عنه المؤيد أي أبه ، وانتهى الى حدود نسا وأبيوزد فولّى عليهم الامير عمر بن حمزة النسوي فقام في حمايتهما المقام المحمود بظاهر نسا . ثم سار الغز من نيسابور الى طوس لامتناع أهلها من طاعتهم فلكوها واستباحوها وعادوا الى نيسابور فساروا مع جلال الدين عمر بن محمود الخان الى حصار سارور^(١) وبها النقيب عماد الدين محمد بن يحيى العلوي الحسيني فحاصروه ، وامتنعت عليهم فرجعوا الى نسا وأبيورد للقاء الخان محمود يجران كما قدّمناه ، فخرج منها سائراً الى خراسان واعترضه الغز ببعض القرى في طريقه فهرب منه وأسر بعضهم . ثم هرب منه ولحق بنيسابور . فلما جاء الخان محمود اليها مع الغز فارقها منتصف شعبان ودخلها الغز وأحسنوا السيرة ، وساروا الى سرخس ومرو فعاد المؤيد في عساكره الى نيسابور ، وامتنع أهلها عليه فحاصرها وافتتحها عنوة وخرّبها ، ورحل عنها الى سبق في شوال سنة أربع وخمسين .

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٥٩ : سابرور . ولم يذكر صاحب معجم البلدان سارورا ولعلها سارية . وقال البلاذري : كور طبرستان ثنائي كور ، سارية وبها منزل العامل في أيام الطاهرية ، وكان العامل قبل ذلك في أمل . وجعلها أيضاً الحسن بن زيد ومحمد بن زيد العلويان دار مقامها .

استيلاء ملك شاه بن محمود على خوزستان

ولما رجع السلطان ملك شاه محمد بن محمود من حصار بغداد ، وامتنع الخليفة من الخطبة له أقام بهمدان عليلاً ، وسار أخوه ملك شاه الى قم وقاشان فأفحش في نهبا ومصادرة أهلها ، وراسله أخوه السلطان محمد في الكف عن ذلك فلم يفعل ، وسار الى أصفهان وبعث الى ابن الجقري وأعيان البلد في طاعته فاعتذروا بطاعة أخيه فعات في قراها ونواحيها ، فسار السلطان اليه من همدان ، وفي مقدمته كرجان الخادم فافتרכת جموع ملك شاه ولحق ببغداد . فلما انتهى الى قوس لقيه موبران وسُنُفُر الهمداني فأشار عليه بقصد خوزستان من بغداد ، فسار الى واسط ونزل بالجانب الشرقي ، وساء أثر عسكره في النواحي ففتحوا عليهم البشوق وغرق كثير منهم . ورجع ملك شاه الى خوزستان فمنعه شِمْلَة من العبور فطلب الجوار في بلده الى أخيه السلطان فمنعه فنزل على الاكراد الذين هنالك ، فاجتمعوا عليه من الجبال والبسائط ، وحارب شِمْلَة ، ومع ملك شاه سُنُفُر الهمداني وموبدان وغيرهما من الامراء فانهمز شِمْلَة ، وقتل عامة أصحابه ، واستولى ملك شاه على البلاد وسار الى فارس ، والله هو المؤيد بنصره .

وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه

ثم توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه آخر سنة

أربع وخمسين، وهو الذي حاصر بغداد يطلب الخطبة له من الخليفة ومنعه فتوفي آخر هذه السنة لسبع سنين ونصف من ولايته . وكان له ولد صغير فسلمه الى سُنْغَرُ الاحمديلي وقال : هو وديعة عندك فأوصل به الى بلادك فإن العساكر لا تطيعه فوصل به الى مَرَاغَةَ ، واتفق معظم الجند على البيعة لعمه سليمان شاه . وبعث أكابر الأمراء هَمْدَان الى أتابك^(١) زين الدين مودود أتابك ووزير مودود وزيره فأطلقه مودود ، وجهزه بما يحتاج اليه في سلطانه وسار معه زين الدين علي كجك في عساكر الموصل . فلما انتهى الى بلاد الجبل ، وأقبلت العساكر للقاء سليمان شاه ذكر معاملتهم مع السلطان ودالهم عليه فخشي على نفسه ، وعاد الى الموصل ، ودخل سليمان شاه هَمْدَان وبايعوا له والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة المقتفي وخلافة المستنجد

ثم توفي المقتفي لامر الله في ربيع الأول سنة خمس وخمسين لأربع وعشرين سنة من خلافته ، وقد كان استبدّ في خلافته

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٦٨ : سار سليمان شاه من الموصل إلى همدان ليتولى السلطنة، وقد تقدم سبب قبضه وأخذه إلى الموصل . وسبب مسيره إليها أن الملك محمد بن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه لما مات أرسل أكابر الأمراء من همدان إلى أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يطلبون منه إرسال الملك سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه إليهم ليولوه السلطنة فاستقرت القاعدة بينهم أن يكون سليمان شاه سلطاناً وقطب الدين أتابك وجمال الدين وزير قطب وزيراً لسليمان شاه وتحالفوا على هذا .

وخرج من حجر السُّجُوقِيَّة عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود كما ذكرناه في أخبار الخلفاء ، ولما توفي ببيع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد ، واستولى على بلاد الماهلي وزل اللحف ، وولى عليها من قبله كما كانت لآبيه ، وقد تقدم ذكر ذلك في أخبارهما انتهى .

اتفاق المؤيد مع محمود الخان

قد كنا قدّمنا أنّ الغزّ لما تغلبوا استدعوا محمود الخان ليملكوه فبعث اليهم بابنه عمر فملكوه . ثم سار محمود من جرجان الى نسا وجاء الغزّ فساروا به الى نيسابور فهرب عنها المؤيد ودخلها محمود والغزّ ، ثم ساروا عنها فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة وخرّبها في شوال سنة أربع وخمسين . ورحل عنها الى سَرَخس فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة ورحل عنها الى يَبَهِق . ثم رجع اليها سنة خمس وخمسين وعمّر خرابها وبالع في الاحسان اليها . ثم سار لاصلاح أعمالها ومحو آثار المفسدين والثوار من نواحها ففتح حصن أشقيل ، وقتل الثوار الزيدية وخرّبها ، وفتح حصن خسروجور من أعمال يَبَهِق وهو من بناء كنجرو ملك الفرس أيام حربته مع جراسياق ، وملكه ورّتب فيه الحامية وعاد الى نيسابور . ثم قصد مدينة كُنْدُر من أعمال طرسا وفيها متغلب اسمه خَرَسَدَه يفسد السابلة ويخرّب الاعمال ويكثر الفتك ، وكان

البلاء به عظيماً في خراسان فحاصره . ثم ملك عليه الحصن عنوة وقتله وأراح البلاد منه . ثم قصد في رمضان من السنة مدينة بيهق ، وكانوا قد عصوا عليه فراجعوا الطاعة وقبلهم واستفحل أمره فأرسل اليه الخان محمود بن محمد وهو مع الغز بالولاية على نيسابور وطوس وما إليها فاتصلت يده به واستحكم الصلح بينه وبين الغز وذهبت الفتن .

المب بين عسكر خوارزم شاه والأتراك البرزوية

كان هؤلاء الأتراك البرزوية من شعوب الترك بخراسان ، وأميرهم بُقراخان بن داود فأغار عليهم جمع من عساكر خوارزم شاه وأوقعوا بهم وفتكوا فيهم ، ونجا بُقراخان في الفلّ منهم الى السلطان محمود بخراسان ومن معه من الغز مستصرخاً بهم ، وهو يظن أن ايتاق هو الذي هيّج عليهم فسار الغز معه على طريق نساً وأبيوزد ، وقصدوا ايتاق فلم يكن له بهم قوة فاستنصر... شاه مازندران فسار لنصره واحتشد في أعماله من الأكراد والديلم والتركمان وقاتلوا الغز والبرزوية ^(١) بنواحي دِهستان فهزمهم خساً . وكان ايتاق في ميمنة شاه مازندران ، وأفحش الغز في

(١) كذا بياضان بالأصل ، وعبارة ابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ٧٠ : فاستنجد شاه مازندران فجاءه ومعه من الأكراد والديلم والأتراك والتركمان الذين يسكنون نواحي أيسكون جمع كثير فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم .

قتل عسكرهم ، ولحق شاه مازندران بِسَارِيَّةٍ وايتاق شهرزور
وخوايرزم . ثم ساروا الى دِهستان فنهبوا وخرَّبوها سنة ست
وخمسين وخرَّبوا جَرَّجان كذلك ، وافترق أهلها في البلاد . ثم سار
ايتاق الى بقراتكن المتغلب على أعمال قُزوين فانهزم من بين يديه
ولحق بالمؤيد وصار في جملة واكتسح ايتاق سائر أعماله ونهب
أمواله فقوي بها .

وفاة ملك شاه بن محمود

قد قدَّمنا أنَّ ملك شاه بن محمود سار بعد أخيه السلطان محمد
مِنْ خَوَزِسْتان الى أصفهان ، ومعه شَمْلَةُ التركاني ودكلا صاحب
فارس فأطاعه ابن الحَجَندي رَئيس أصفهان وسائر أهلها وجمع له
الاموال . وأرسل ملك شاه الى أهل الدولة بأصفهان يدعوهم الى
طاعته وكان هواهم مع عمه سليمان فامَّ يَجِيبوه الى ذلك ، وبعثوا
عن سليمان من الموصل وملكوه ، وانفرد ملك شاه بأصفهان
واستفحل أمره ، وبعث الى المستنجد في الخطبة له ببغداد مكان
عمه سليمان شاه ، وان تعاد الامور الى ما كانت ويتهددهم فوعدهم
الوزير عميد الدين بن هُبيرة جارية جاعلها على سمه فسمته في
الطعام ، وفطن المطيب بأنه مسموم ، وأخبر بذلك شَمْلَةُ ودكلا
فاحضروا الجارية وأقرت . ومات ملك شاه ، وأخرج أهل أصفهان

أصحابه وخطبوا لسليمان شاه . وعاد شملة الى خراسان فارتجع ما
كان ملك شاه تغلب عليه منها .

قتل سليمان شاه والخطبة للإسلام

كان سليمان لما ملك أقبل على اللهو ومعاقرة الخمر حتى في
نهار رمضان، وكان يعاشر الصفّاعين والمساخر، وعكف على ذلك
مع ما كان فيه من الخرق والتهور فقعد الأمراء عن غشيان بابه،
وشكوا الى شرف الدين كودبازده الخادم، وكان مدبر مملكته،
وكان حسن التربية والدين فدخل عليه يوماً يعذله على شأنه وهو
مع ندمائه بظاهر همدان، فأشار اليهم أن يعجبوا بكردبازة فخرج
مغضباً، واعتذر اليه عندما صبحا فأظهر له القبول وقعد عن
غشيان مجلسه. وكتب سليمان شاه الى انبانج صاحب الريّ يدعوه
الى الحضور فوعده بذلك اذا أفاق من مرضه. وزاد كُردبازة
استيحاشاً فاستحلف الأمراء على خلع سليمان، وبدأ بقتل جميع
الصفّاعين الذين كانوا ينادمونه وقال: انما فعلته صوناً للملك. ثم
عمل دعوة في داره فحضر سليمان شاه والأمراء، وقبض على
سليمان شاه ووزيره أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الحاقدي وعلى
خواصه، وذلك في شوال سنة خمس وخمسين، وقتل وزيره
وخواصه، وحبس سليمان شاه قليلاً ثم قتله.

ثم أرسل الى ايلدكز صاحب أزان وأذربيجان يستقدم ربيبه

أرسلان بن طغرل ليبايع له بالسلطنة، وبلغ الخبر الى انبانيج صاحب
الريّ فسار الى همدان ، ولقيه كُردبازَه وخطب له بالسلطنة بجميع
تلك البلاد ، وكان ايلدكز قد تزوج بأم أرسلان ، وولدت له
ابنه البهلوان محمد ومزد ارسلان عثمان فكان ايلدكز أتابك ، وابنه
البهلوان حاجباً ، وهو أخو أرسلان لأمه . وايلدكز هذا من
موالي السلطان مسعود . ولما ملك أقطعه أرّان وبمض أذربيجان ،
وحدثت الفتن والحروب فاعتصم هو بأرّان ولم يحضر عند أحد
من ملوكهم . وجاء اليه أرسلان شاه من تلك الفتن فأقام عنده
الى أن ملك . ولما خطب له بهمدان بعث ايلدكز أتابك الى انبانيج
صاحب الريّ ، ولأطفه وصاهره في ابنته لابنه البهلوان وتحالفوا
على الاتفاق .

وبعث الى المستجد بطلب الخطبة لأرسلان في العراق ،
واعادة الامور الى عاداتها أيام السلطان مسعود فطرد رسوله بعد
الاهانة . ثم أرسل ايلدكز الى أفسنقر الاحمديلي يدعوه الى طاعة
السلطان أرسلان فامتنع ، وكان عنده ابن السلطان شاه بن محمود
المدني أسلمه اليه عند موته فتهدده بالبيعة له ، وكان الوزير ابن
هُبيرة يكاتبه من بغداد ويقمعه في الخطبة لذلك الصبيّ قصداً
لنصر من بينهم فجهاز ايلدكز العساكر مع البهلوان الى أفسنقر .
واستمد أفسنقر شاهر بن سُقمان القُطبي صاحب خلاط ، وواصله

فدّه بالعساكر . وسار نحو البهلوان وقاتله فظفر به ورجع البهلوان الى همدان مهزوماً والله تعالى أعلم .

الحرب بين ايلدكز واينانج

لما مات ملك شاه بن محمود بأصفهان كما قلناه لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ، ومعه ابنه محمود فانتزعه منهم صاحب فارس زُنكي بن دكلا السلقيدي^(١) وأنزله في قلعة أصطخر فلما ملك ايلدكز السلطان ارسلان وطلب الخطبة ببغداد ، وأخذ الوزير ابن هبيرة في استفساد الاطراف عليهم ، وبعث لابن أقسُنغر في الخطبة لابن السلطان محمد شاه الذي عنده ، وكاتب صاحب فارس أيضاً يشير عليه بالبيعة للسلطان محمد بن السلطان ملك شاه الذي عنده ، ويعده بالخطبة له ان ظفر بايلدكز فبايع له ابن دكلا وخطب له بفارس ، وضرب النوب الخمس على بابه وجمع العساكر وبلغ الى ايلدكز فجمع وسار في أربعين ألفاً الى أصفهان يريد فارس فأرسل الى زُنكي في الخطبة لارسلان شاه فأبى فقال له ايلدكز أن المستنجد أقطعني بلادك وأنا سائر اليها ، وتقدّمت طائفة الى نواحي أَرْجان فلقيتها سرية لارسلان بوقا صاحب أَرْجان فأوقعوا بطائفته وقتلوا منهم ، وبعثوا بالخبر الى اينانج^(٢) فنزل

(١) كذا، وفي الكامل: السلغري.

(٢) كذا، واسمه في الكامل: اينانج. ج ٩ ص ٧٣.

من الري في عشرة آلاف ، وأمدّه أقسُفُ الأحمديلي بخمسة آلاف فقصد ^(١) وهرب صاحب ابن البازدان وابن طغايرك وغيرها من أولياء ايلدكز للقاء انبانج ، ورد عسكر المدافعة زُنكي عن شهيرم وغيرها من البلاد فهزمهم زُنكي بن دكلا ، ورجعوا اليه فاستدعى عساكره من أذربيجان . وجاء هُيس بن مزد أرسلان واستمدَّ انبانج ، وقتل أصحابه ونهب سواده ، ودخل الري وتحصن في قلعة طُبْرُك . ثم ترددت الرسل بينه وبين ايلدكز في الصلح وأقطعه حربادفان ^(٢) وغيرها وعاد ايلدكز الى هَمْدان والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفتنة بنيسابور وتخريبها

وفي ربيع سنة ست وخمسين قبض المؤيد على أحياء ^(٣) نيسابور وجبهم وفيهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسني ، وآخذهم على ما فعله آبائهم بأهل البلد من النهب والاعتداء على الناس في أموالهم وأعراضهم فأخذ هؤلاء الاعيان ينهاهم كأنهم لم يضربوا على أيديهم ^(٤) وقتل جماعة من أهل الفساد فخرّب البلد

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٧٥ : فارسل إليه ابن أقسفر الأحمديلي خمسة آلاف فارس ، وهرب ابن البازدار صاحب قزوین .

(٢) كذا ، ولم يذكر صاحب : معجم البلدان بلدة بهذا الاسم ، وفي الكامل ج ٩ ص ٧٥ جرمادقان .

(٣) كذا ، وفي الكامل : أعيان نيسابور .

(٤) كذا ، وفي الكامل : وجبهم في ربيع الآخر سنة ست وخمسين ، وقال : أنتم الذين أظعتم الزنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعال ، ولو أردتم منعهم لامتنعوا .

وامتدت الايدي الى المساجد والمدارس وخزائن الكتب ، وأحرق بعضها ونهب بعضها . وانتقل المؤيد الى الشاذياخ فأصلح سورده وسد ثلعه وسكنه ، وخرّب نيسابور بالكلية . وكان الذي اختط هذا الشاذياخ عبدالله بن طاهر أيام ولايته على خراسان ، ينفرد بسكناه هو وحشمه عن البلد تجافياً عن مزاحمتهم . ثم خربت وجددها ألب أرسلان . ثم خربت فجدها الآن المؤيد ، وخربت نيسابور بالكلية . ثم زحف الغز والخان محمود معهم ، وهو ملك خراسان لذلك العهد فحاصروا المؤيد بالشاذياخ شهرين . ثم هرب الخان عنهم الى شهرستان كأنه يريد الحمام وأقام بها ، وبقي الغز الى آخر شوال . ثم رجعوا فنهبوا البلاد ونهبوا طوس . ولما دخل الخان الى نيسابور أهله المؤيد الى رمضان سنة سبع وخمسين ، ثم قبض عليه وسمله وأخذ ما كان معه من الذخائر وحبس ، وحبس معه جلال محمد فماتا في حبسهما ، وخطب المؤيد لنفسه بعد المستنجد . ثم زحف المؤيد الى شهرستان وقرب نيسابور فعاضرها حتى نزلوا على حكمه في شعبان سنة تسع وخمسين ، ونهبها عسكره ، ثم رفع الايدي عنهم واستقامت في ملكه والله أعلم.

فتح المؤيد طوس وغيرها

ثم زحف المؤيد الى قلعة دسكرة من طوس وكان بها أبو بكر جانداز ممتنعاً فحاصره بها شهراً ، وأعاناه أهل طوس لسوء

سيرته فيهم . ثم جهده الحصار فاستأمن ونزل فحبسه ، وسار الى كزمان فأطاعوه ، وبعث عسكرياً الى اسفراين فتحصن بها رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصره واستنزله ، وحمله مقيداً الى الشاذياخ فحبس ، ثم قتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين . ثم ملك المؤيد قهندار ونيسابور واستفحل ملكه وعاد الى ما كان عليه . وعمر الشاذياخ وخرب المدينة العتيقة . ثم بعث عسكرياً الى بوشنج وهرأة وهي في ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها ، وبعث الملك محمد عسكرياً لمدافعتة فأفرجوا عنها وصفت ولاية هُرة للغورية .

الحرب بين المسلمين والكرج

كان الكرج قد ملكوا مدينة أني من بلاد أَرَان في شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها قتلاً وأسرًا ، وجع لهم شاه أرمن ابن ابراهيم بن سُكمان صاحب خلاط جموعاً من الجند والمتطوعة ، وسار اليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين . ثم جمع الكرج في شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوس من أذربيجان والجليل وأصفهان فسار اليهم ايلدكز . وسار معه شاه أرمن بن ابراهيم بن سُكمان صاحب خلاط وأقسنقر صاحب مراغة في خمسين ألفاً ، ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان ،

وأسلم بعض أمراء الكرج ، ودخل مع المسلمين وكن بهم في بعض
الشعاب حتى زحف الكرج ، وقاتلوا المسلمين شهراً أو نحوه . ثم
خرج الكمين من ورائهم فانهزموا ، واتبعهم المسلمون يقتلون
ويأسرون . وعادوا ظافرين .

ملك المؤيد أعمال قومس والخطبة للسلطان أرسلان بخراسان

ثم سار المؤيد أي أبه صاحب نيسابور إلى بلاد قومس فملك
بسطام ودامغان ، وولى بسطام مولاه ننگز فجري بينه وبين
شاه مازندران اختلاف أدى إلى الحرب واقتتلوا في ذي الحجة
سنة ثمان وخمسين . ولما ملك المؤيد قومس بعث إليه السلطان
أرسلان بن طغرل بالخلع والاولية لما كان بين المؤيد ايلدكز من
المودة ، وأذن له في ولاية ما يفتحه من خراسان ، ويخطب له
فيها فخطب له في أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ،
ويخطب لنفسه بعد أرسلان وكانت الخطب في جرجان ودهستان
لخوارزم شاه أرسلان بن أئمز ، وبعده للامير إتيان ، والخطبة في
مرو وبلخ وسرخس - وهي بيد الغز - وهراة وهي بيد الامير
أتيكين ، وهو مسلم للغز - للسلطان سنجر ، يقولون اللهم أغفر
للسلطان السعيد سنجر ، وبعده لامير تلك المدينة ، والله تعالى
ولي التوفيق .

اجلاء القارغلية من وراء النهر

كان خان خاقان الصيني ولّى على سمرقند وبخارى الخان جعفر بن حسين تكين وهو من بيت قديم في الملك . ثم بعث اليه سنة سبعة وخمسين باجلاء القارغلية من أعماله الى كاشغر ، ويشغلون بالماش من الزراعة وغيرها فامتنعوا فألحّ عليهم فاجتمعوا وساروا الى بخارى . فدرس أهل بخارى الى جفراخان وهو بسمرقند ، ووعدوا القارغلية بالمصانعة وطاوعوهم الى أن صبّحهم جفرا في عساكره فأوقع بهم ، وقطع دابرهم والله تعالى أعلم .

استيلاء سنقر على الطالقان وخرستان

وفي سنة تسع وخمسين استولى الامير صلاح الدين سنقر من موالي السلطان سنجر على بلاد الطالقان ، وأغار على غرستان حتى ملكها وصارت في حكمه بحصونها وقلاعها ، وصالح أمراء الغز وحمل لهم الاتاوة .

قتل صاحب هراة

كان صاحب هراة الامير أتكين وبينه وبين الغز مهادنة . فلما قتل الغز ملك الغور محمد بن الحسين كما مرّ في أخباره طمع أتكين في بلاده فجمع جموعه ، وسار اليها في رمضان سنة تسع

وخمسين وتوغل في بلاد الغور فقاتله أهلها وهزموه ، وقتل في المعركة . وقصد الغز هُراة وقد اجتمع أهلها على أثير الدين منهم فاتهموه بالميل للغز وقتلوه ، واجتمعوا على أبي الفتوح بن علي بن فضل الله الطُفرائي . ثم بعثوا الى المؤيد بطاعتهم فبعث اليهم مملوكه سيف الدين تنكز فقام بأمرهم ، وبعث جيشاً الى سَرْخَس ومرو ، وأغاروا على دواب الغز فأفرجوا عن هُراة ورجعوا لطاعته والله تعالى أعلم .

ملك شاه مازندران قومس وبسطام ووفاته

قد ذكرنا استيلاء المؤيد على قومس وبسطام وولاية مولاه تنكز عليها . ثم أن شاه مازندران وهو رستم بن علي بن هزبار ابن قاروت جهز اليها عسكرياً مع سابق الدين القزويني من أمرائه فلما دَامِغان ، وسار اليه تُنكُزُ فيمن معه من العسكر فكبسهم القزويني وهزمهم واستولى على البلاد . وعاد تُنكُزُ الى المؤيد بنيسابور ، وجعل يغير على بسطام وقومس . ثم توفي شاه مازندران في ربيع سنة ستين فكنم ابنه علاء الدين موته حتى استولى على حصونه وبلادده . ثم أظهره وملك مكانه ونازعه إتياق صاحب جرجان ودِهستان ولم يرع ما كان بينه وبينه أبيه فلم يظفر بشيء ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

حصار عسكر المؤيد نسا

ثم بعث المؤيد عساكره في جمادى سنة ستين لحصار مدينة نسا فبعث خوارزم شاه بك أرسلان بن أئسز في عساكره اليها ، فأجفلت عنها عساكر المؤيد ، ورجعوا الى نيسابور وصارت نسا في طاعة خوارزم شاه ، وخطب له فيها . ثم سار عسكر خوارزم الى دِهستان وغلبوه عليها وأقام فيها بطاعته والله أعلم .

الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة

ثم بعث أئسنغر الاحمدي صاحب مراغة سنة ثلاث وستين الى بغداد في الخطبة للملك الذي عنده ، وهو ابن السلطان محمد شاه على أن يتجافى عن العراق ، ولا يطلب الخطبة منه إلا اذا أسعف بها فأجيب بالوعد الجميل ، وبلغ الخبر الى ايلدكر صاحب البلاد فبعث ابنه البهلوان في العساكر لحرب أئسنغر فحاربه وهزمه ، وتحصن بمراغة فنازله البهلوان وضيق عليه ، وتردد بينهما الرسل واصطلحوا ، وعاد البهلوان الى أبيه بهمدان .

ملك شملة فابس واخذه عنها

كان زنكي بن دكلا قد أساء السيرة في جنده فأرسلوا الى شملة صاحب خوزستان واستدعوه ليملكوه فسار ولقي زنكي

وهزمه ، ونجا الى الاكراد الشوابكار ، وملك شِمْلَةَ بلاد فارس
فأساء السيرة في أهلها ، ونهب ابن أخيه خَرَسَنكا البلاد فنفر أهل
فارس عنه ولحق بزُكَي بعض عساکره فزحف الى فارس ،
وفارقها شِمْلَةَ الى بلاده خَوَزِشْتَان وذلك كله سنة أربع وستين
 وخمسمائة .

ملك ايلدكز الري

كان اينانج قد استولى على الري واستقر فيها بعد حروبه
مع ايلدكز على جزية يؤذيها اليه . ثم منع الضريبة واعتذر
بنفقات الجند فسار اليه ايلدكز سنة أربع وستين وحاربه اينانج
فهزمه ايلدكز ، وحاصره بقاعة طبرك ، وراسل بعض مماليكه
ورغبهم ففقدوا به وقتلوه . واستولى ايلدكز على طبرك وعلى
الري وولى عليها علي بن عمر باغ ، ورجع الى همدان ، وشكر
لموالي اينانج الذين قتلوه ولم يف لهم بالوعد فافترقوا عنه . وبار
الذي تولى قتله الى خوارزم شاه فصلبه لما كان بينه وبين اينانج
من الوصلة ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه .

وفاته صاحب كرمان والظف بين أولاده

ثم توفي سنة خمس وستين الملك طغرل بن قاروت بك صاحب
كِرْمَان ، وولي ابنه أرسلان شاه مكانه ، ونازعه أخوه الاصغر

بُهرام شاه فحاربه أرسلان وهزمه فلاحق بالمؤيد في نيسابور فأنجده بالعساكر . وسار الى أخيه أرسلان فهزمه وملك كِرمَان ، ولحق أرسلان بأصفهان مستنجداً بالدكر فأنجده بالعساكر وارتجع كِرمَان ولحق بُهرام بالمؤيد وأقام عنده . ثم هلك أرسلان فسار بهرام الى كِرمَان وملكها . ثم توفي المستنجد وولي ابنه المستضي . ولم نترجم لوفاة الخلفاء ههنا لأنها مذكورة في أخبارهم ، وإنما ذكرناها قبل هؤلاء . لانهم كانوا في كِفالة السُلجوقية وبني بُويه قبلهم فوفاتهم من جملة أخبار الدولتين . وهؤلاء من لدن المقتفي قد استبدوا بأمرهم وخلافتهم من بعد ضعف السُلجوقية بوفاة السلطان مسعود ، وافترقت دولتهم في نواحي المشرق والمغرب . واستبد بها الخلفاء ببغداد ونواحيها ونازعوا من قبلهم أنهم كانوا يُخطبون لهم في أعمالهم ، ونازعهم فيها مع ذلك حرصاً على الملك الذي سلبوه ، وأصبحوا في ملك منفرد عن أولئك المنفردين مضافاً الى الخلافة التي هي شعارهم ، وتداول أمرهم الى أن انقرضوا بملك المستعصم على يد هلاكه .

وفاة خوارزم شاه وولاية ابنه سلطان شاه

وسنازعه مع أخيه الأكبر علاء الدين تكش

لما انهزم خوارزم شاه أرسلان امام الخطا رجع الى خوارزم
فوات سنة ثمان وستين ، وولي ابنه سلطان شاه فنازعه أخوه

الأكبر علاء الدين تُكُش ، واستنجد بالخطا وسار الى خوارزم فلکها ، ولحق سلطان شاه المؤيد صريخاً فصار معه يجيوشه ، ولقيهم تُكُش فانهزم المؤيد وجي به أسيراً الى تكش فقتل بين يديه صبراً . وعاد أصحابه الى نيسابور فولوا ابنه طغان شاه أبو بكر ابن المؤيد ، وكان من أخبار طغان شاه وتُكُش ما نذكره في أخبار دولتهم وفي كيفية قتله خبر آخر نذكره هنالك . ثم سار خوارزم شاه سنة تسع وستين الى نيسابور وحاصرها مرتين ، ثم هزم في الثانية طغان شاه بن المؤيد وأخذه أسيراً ، وحمله الى خوارزم وملك نيسابور وأعمالها وجميع ما كان لبني المؤيد بخراسان ، وانقرض أمرهم والبقاء لله وحده والله تعالى أعلم .

وفاته أتابك شمس الدين ايلدكز وولايته ابنه محمد البهلوان

ثم توفي الأتابك شمس الدين ايلدكز أتابك أرسلان شاه بن طغرل صاحب همذان وأصفهان والري وأذربيجان ، وكان أصله مملوك الكمال الشهير ابن وزير السلطان محمود . ولما قتل الكمال صار السلطان وترقى في كتب الولاية . فلما ولي السلطان مسعود ولأه أرائية فاستولى عليها ، وبقيت طاعته للملوك على البعد ، واستولى على أكثر أذربيجان . ثم ملك همذان وأصفهان والري وخطب لريبه أرسلان بن طغرل وبقي أتابك . وبلغ عسكره خمسين ألفاً واتسع ملكه من تفليس الى مكران ، وكان متحكماً

على أرسلان ، وليس له من الدولة إلا جارية تتصل إليه .
ولما هلك إيلدكز قام بالامر بعده ابنه محمد البهلوان ، وهو
أخو السلطان أرسلان لأمه فسار أول ملكه لاصلاح أذربيجان ،
وخالفه ابن سنكي ، وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان الى
بلد نهاوند فحاصرها . ثم تأخر ابن سنكي من تستر ، وصحبهم
من ناحية أذربيجان يوجههم انه مدد البهلوان ففتحوا له البلد ،
ودخل فطلب القاضي والاعيان ونصبهم وتوجه نحو ماسبذان
قاصداً العراق ، ورجع الى خوزستان . ثم سار شملة سنة سبعين ،
وقصد بمض التركان فاستنجدوا البهلوان بن إيلدكز فأنجدهم ،
وقاتلوه فهزموه . وأسر شملة جريحاً وولده وابن أخيه . وتوفي بعد
يومين وهو من التركان الأتسزئية ، وملك ابنه من بعده . وسار
البهلوان سنة سبعين الى مدينة تبريز ، وكان صاحبها أقسنقر
الاحمديلي قد هلك ، وعهد بالملك بعده لابنه ملك الدين فسار الى
بلادهم ، وحاصر مراغة وبعث أخاه قنزل وعاد عن مراغة الى همدان
والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة السلطان أرسلان بن طغرل

ثم توفي السلطان أرسلان بن طغرل مكفول البهلوان بن
إيلدكز ، وأخوه لأمه بهمدان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ،
وخطب بعده لابنه طغرل .

وفاة البهلوان محمد بن ايلدكز وملك أخيه قزل

ثم توفي البهلوان محمد بن ايلدكز. أول سنة اثنتين وثمانين وخمسة ، وكانت البلاد والرعايا في غاية الطمأنينة فوق عقب موته بأصفهان بين الحنفية والشافعية وبالري بين أهل السنة والشيعة فتن وحروب آلت الى الخراب ، وملك البلاد بعد البهلوان أخوه قُزُل أرسلان واسمه عثمان ، وكان البهلوان كافلاً للسلطان طغرل وحاكماً عليه . ولما هلك قُزُل لم يرض طغرل بتحكمه عليه ، وفارق همدان ، ولحق به جماعة من الامراء والجند ، وجرت بينه وبين قُزُل حروب . ثم غلبه طغرل الى الخليفة فأمره بعمارة دار السلطان فطرد رسوله ، وهدمت دار السلطنة وألحقت بالارض ، وبعث الخليفة الناصر لدين الله سنة أربع وثمانين عسكرياً مع وزيره جلال الدين عبيدالله بن يونس لانجاده قُزُل على طغرل قبل همدان ، وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس .

قتل قزل أرسلان قطاغ وولايته أخيه

قد تقدّم لنا ما كان بين السلطان طغرل وبين قُزُل بن ايلدكز من الحروب ، ثم ان قُزُل غلبه واعتقله في بعض القلاع ، ودانت له البلاد وأطاعه ابن دكلا صاحب فارس وخوزستان ، وعاد الى أصفهان والفتن بها متجيلة فأخذ جماعة من أعيان الشافعية وصلبهم

وعاد الى هَمْدَان ، وخطب لنفسه بالسلطنة سنة سبعة وثمانين . ثم قُتل غيلة على فراشه ولم يعرف قاتله . وأخذ جماعة من غلمانه بالظنة ، وكان كريماً حليماً يحب العدل ويؤثره . ولما هلك ولي من بعده قُتلغ بن أخيه البهلوان واستولى على الممالك التي كانت بيده.

قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاته أخيه سلطان شاه

ولما توفي قُرْل وولي قُتلغ بن أخيه البهلوان كما قلناه أخرج السلطان طُغرُل من محبسه بالقلعة التي كان بها ، واجتمع اليه العساكر ، وسار الى هَمْدَان فلقية قُتلغ بن البهلوان فانهمز بين يديه ولحق بالري ، وبعث الى خَوَارِزْم شاه علاء الدين تُكُش ليستنجده فسار اليه سنة ثمان وثمانين وندم قُتلغ على استدعائه فتحصن ببعض قلاعہ ، وملك خَوَارِزْم شاه الري ، وملك قلعة طُبْرُك ، وصالح السلطان طغرل وولي على الري وعاد الى خَوَارِزْم سنة تسعين فأحدث أحدوثة السلطان شاه^(١) فذكره في أخبارهم . وسار السلطان طغرل الى الري فأغار عليها ، وفر منه قُتلغ بن

(١) كذا، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٣٠ : فشتي خوارزم شاه بخوارزم فلما انقضى الشتاء سار إلى مرو لقصد أخيه سنة تسع وثمانين فترددت الرسل بينها في الصلح ، وإذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لأخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم إليه القلعة لأنه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه ، فسار خوارزم شاه إليه مجدداً فتسلم القلعة وصار معه . وبلغ ذلك سلطان شاه ففت ذلك في عضده ، وتزايد كرده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسائة فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته إلى مرو فتسلمها ، وتسلم مملكة أخيه سلطان شاه جميعها ونزائنه .

لبهلوان وبعث الى خوارزم شاه يستنجده ، ووافق ذلك وصول منشور من الخليفة اليه باقطاعه البلاد فसार من نيسابور الى الري ، وأطاعه قُتلغ وسار معه الى همدان . وخرج طغرل للقائهم قبل أن يجمع العساكر ، ولقيهم قريباً من الري في ربيع الاول فحمل عليهم ، وتورط بينهم فصرع عن فرسه وقتل . وملك خوارزم شاه همدان وتلك البلاد جميعاً . وانقرضت مملكة بني ملك شاه ، وولي خوارزم شاه على همدان ، وملك الاعمال فبلغ اينانج بن البهلوان ، وأقطع كثيراً منها بماليكه وقدم عليهم مساحق منهم . ثم استولى وزير الخليفة ابن العطف على همدان وأصفهان والري من يد مواليه ، وانتزعها منهم خوارزم كما ذكرناه في أخبار الخلفاء . وجاءت العساكر من قبل الخليفة الى همدان مع أبي الهيجا الشمس من أمراء الايوية ، وكان أميراً على القدس فعزلوه عنها وسار الى بغداد فبعثه الناصر سنة ثلاث وتسعين بالعساكر الى همدان ، ولقي عندها أربك بن البهلوان مطيعاً فقبض عليه ، وأنكر الخليفة ذلك وبعث باطلاقه ، وخلع عليه وعاد الى بلاد أذربيجان .

ملك الكرج الدويبة

كان أربك بن البهلوان قد استولى على أذربيجان بعد موته ،

وكان مشغولاً بلذاته فسار الكرج الى مدينة دُورَة^(١) وحاضروها
وبعث أهلها اليه بالصريخ فلم يصرخهم حتى ملكها الكرج عنوة
واستباحوها والله تعالى أعلم .

قتل كوجة ببلاذ الجبل وملك ايدغمش

كان كوجة^(٢) من موالي البهلوان قد تغلب على الري وهمدان
وبلاذ الجبل ، واصطنع صاحبه ايدغمش ووثق به فنازعه الامر
وحاربه فقتله ، واستولى ايدغمش على البلاد وبقي أذربك بن البهلوان
مغلباً ليس له من الحكم شيء .

تقد صاحب مراغة وصاحب اهل أذربيجان

قد ذكرنا أن أذربك كان مشغولاً بلذاته مهملًا للملكه ، ثم
حدثت بينه وبين صاحب إذربل ، وهو مظفر الدين كوكبري سنة
اثنين وستائة فتنة حملت مظفر الدين على قصده فسار الى مراغة ،
واستجد صاحبها علاء الدين بن قرأسنغر الاحمد يلي فسار معه
لحصار تبريز ، وبعث أذربك الصريخ الى ايدغمش بمكانه من بلاد
الجبل فسار اليه ، وأرسل مظفر الدين بالفتن والتهديد فعاد الى

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٩ ص ٢٦٠ : استولى الكرج على مدينة دوين من أذربيجان
ونهبوها واستباحوها وأكثروا القتل في أهلها ، وكانت هي وجميع بلاد أذربيجان للأمير أبي بكر بن
البهلوان .

(٢) كذا ، واسمه في الكامل : كوكجا .

بلده ، وعاد علاء الدين بن قراسنقر الى بلاد مراغة فسار ايدعش وأزبك وحاصروه بمراغة حتى سلم قلعة من قلاعہ ، ورجعوا عنه ، والله تعالى أعلم .

وفاته صاحب مازندران والخلف بين أولاده

ثم توفي حسام الدين أزدشير صاحب مازندران وولي ابنه الأكبر وأخرج أخاه الأوسط عن البلاد فلحق بجرجان ، وبها علي شاه بُزْتُكُش نائباً عن أخيه خوارزم فاستنجدہ على شرط الطاعة له ، وأمره أخوه بُزْتُكُش بالمسير معه فساروا من جرجان ، وبلغهم في طريقهم هلك صاحب مازندران المتولي بعد أبيه ، وإن أخاه الأصغر استولى على الكراع والاموال فساروا اليه ، وملكوا البلاد ونهبوها مثل سارية وآمد وغيرها ، وخطب لخوارزم شاه فيها ، وعاد علي شاه الى خراسان ، وأقام ابن صاحب مازندران ، وهو الأوسط الذي استصرخ به ، وقد امتنع أخوه الأصغر بقلعة كوري ، ومعه الاموال والذخائر وأخوه الأوسط فرأسله واستعطف ، وقد ملك البلاد جميعاً والله ولي التوفيق .

ملك ابن البهلوان مراغة

ثم توفي سنة أربع وستائة علاء الدين بن قراسنقر الأحمد يلي صاحب مراغة ، وأقام بأمرها من بعده خادمه ونصب ابنه طفلاً

صغيراً، وعصى عليه بعض الامراء. وبعث العسكر لقتاله فانهزموا أولاً، ثم استقر ملك الطفل. ثم توفي سنة خمس وستائة وانقرض أهل بيته فسار أذربك بن البهلوان من تبريز الى مراغة، واستولى على مملكة آل قراسنقر ما عدا القلعة التي اعتصم بها الخادم، وعنده الخزائن والذخائر.

استيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصفهان وغيرها وهرب ايدغمش وقتله

لما تمكن ايدغمش في بلاد الجبل بهمدان واصفهان والري وما اليها عظم شأنه حتى طلب الامر لنفسه، وسار لحصار اذربك بن مولاه الذي نصبه للامر. وكان باذريجان فخرج عليه مولى من موالي البهلوان اسمه منكلي وكثر جمعه، واستولى على البلاد. وقدم ايدغمش الى بغداد، واحتفل الخليفة لقدومه، وتلقاه وذلك سنة ثمان. وأقام بها ^(١) كان ايدغمش قد وفد سنة ثمان وستائة الى بغداد وشرّفه الخليفة بالخلع والالوية، وولاه على ما كان بيده ورجع الى همدان، ووعد الخليفة بمسير العساكر فأقام ينتظرها عند سليمان بن مرحم ^(٢) أمير الايوانية من التركمان فدرس الى منكلي بنجره. ثم قتل ايدغمش وحمل أصحابه الى منكلي

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٠٥: فخرج الناس كافة، وكان يوم وصوله مشهوداً. ثم قدمت زوجته في رمضان في حمل فأكرمت وأنزلت عند زوجها، وأقام ببغداد إلى سنة عشر وستائة.

(٢) كذا، واسمه في الكامل: ابن ترجم.

وافترق أصحابه ، واستولى منكلي ، وبعث اليه الخليفة بالنكير فلم يلتفت اليه فبعث الى مولاہ ازبك بن البهلوان صاحب اذريجان يجرّضه عليه ، والى جلال الدين الاسماعيلي صاحب قلعة لموت لمساعدته على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولازبك بعضها وجلال الدين بعضها . وبعث الخليفة المساكر مع مولاہ سنقر الملقب بوجه السبع ، وأمره بطاعة مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كُجك صاحب إزبل وشهرزور ، وهو مقدم المساكر جميعاً فسار لذلك ، وهرب منكلي وتعلق بالجبل ، ونزلوا بسفحه قريباً من كوج فناوشهم الحرب فانهمزم أوزبك . ثم عاد ثم أسرى من ليلته منهزماً ، وأصبحوا فاققسموا البلاد على الشريطة ، وولى أوزبك فيما أخذ منها ^(١) مولى أخيه فاستولى عليها ، ومضى منكلي الى ساوة وبها شحنة كان صديقاً له فقتله ، وبعث برأسه الى أوزبك واستقر ^(٢) في بلاد الجبل حتى قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة ، وجاء خوارزم شاه فلكها كما نذكر في أخباره

(١) كذا ، بياض في الأصل وفي الكامل ج ٩ ص ٣٠٩ : واستولى عسكر الخليفة وأوزبك على البلاد فأعطى جلال الدين ملك الإسماعيلية من البلاد ما كان استقر له ، وأخذ الباقي أوزبك فسلمها إلى أغلمش مملوك أخيه . وكان توجه إلى خوارزمشاه علاء الدين محمد وبقي عنده . ثم عاد عنه وشهد الحرب فأبلى فيها فولاه أوزبك البلاد ، وعاد كل طائفة من العسكر إلى بلادهم .
(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : وأرسل رأسه إلى أوزبك ، وأرسله أوزبك إلى بغداد .

وفي صفحة ٣١٣ : ومنها أن أغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فيها جميعها ، فلما قتله الباطنية غضب له وخرج لئلا تخرج البلاد عن طاعته ، فسار مجدداً في عساكر تطبق الأرض فوصل إلى الري فملكها .

ودخل أذربك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأردان في طاعته ،
 وخطب له على منابر أعماله ، وانقرض أمر بني ملك شاه ومواليهم
 من العراقيين وخراسان وفارس وجميع ممالك المشرق ، وبقي أوزبك
 ببلاد أذربيجان . ثم استولى التتر على أعمال محمد بن تكش فيما وراء
 النهر وخراسان وعراق العجم سنة ثمان عشرة وستمائة وموالي الهند .
 وسار جنكيزخان فأطاعه أذربك بن البهلوان سنة احدى وعشرين ،
 وأمره بقتل من عنده من الخوارزمية ففعل ، ورجع عنه الى
 خراسان . ثم جاء جلال الدين بن محمد بن تكش من الهند سنة
 اثنتين وعشرين فاستولى على عراق العجم وفارس ، وسار الى
 أذربيجان فملكها ، ومرّ من أذربك الى كنجة من بلاد أردان . ثم
 ملك كنجة وبلاد أردان ، ومرّ أذربك الى بعض القلاع هنالك . ثم
 هلك وملك جلال الدين على جميع البلاد ، وانقرض أمر بني أذربك ،
 واستولى التتر على البلاد ، وقتلوا جلال الدين سنة ثمان وعشرين
 كما يأتي في أخبارهم جميعاً . انتهى الكلام في دولة السلجوقية
 فلنرجع الى أخبار الدول المتشعبة عنها واحدة بعد واحدة ، والله
 وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

بنو أنوشتكين

كان أنوشتكين جدّهم تُركياً مملوكاً لرجل من غُرستان ،
ولذلك يقال له أنوشتكين غُرشه . ثم صار لرجل من أمراء السُلجُوقِيَّة
وعظمائهم اسمه مِلْكَايَك ، وكان مقدّماً عنده لنجابته وشجاعته .
ونشأ ابنه محمد على مثل حاله من النجابة والشجاعة ، وتحلّى بالأدب
والمعارف ، واختلط بأمراء السُلجُوقِيَّة ، ووليّ لهم الاعمال واشتهر
فيهم بالكفاية وحسن التدبير .

ولما ولي بركيارق ابن السلطان ملك شاه ، وانتقض عليه عمّه
أرسلان أرغون ، واستولى على خراسان ، وبعث اليه العساكر
سنة تسعين وأربعمائة مع أخيه سِنْجَر ، وسار في أثره ، ولقيهم في
طريقهم خبر مقتل أرغون عمهم ، وإن بعض مواليه خلفه فعدا عليه
فقتله كما مر قبل . فسار بركيارق في نواحي خراسان وما وراء
النهر حتى دوّخها ووّلّى عليها أخاه سِنْجَر ، وانتقض عليه أمير أميران
من قرابته اسمه محمد بن سليمان فسار اليه سنجر وظفر به وسمله .
وعاد بركيارق الى العراق بعد أن ولي على خوارزم إكِنْجِي شاه .
ومعنى شاه بلسانهم السلطان فأضيف الى خوارزم على عادتهم في
تقديم المضاف اليه على المضاف .

ولما انصرف بركيارق الى العراق تأخر من أمرائه قودز
وبارقطاش وانتقضا على السلطان ووثبا بالامير إكِنْجِي صاحب

خوارزم وهو بمرور ذاهباً الى السلطان شاه فقتلاه . وبلغ الخبر الى السلطان وقد انتفض عليه بالعراق الامير أنزو مؤيد الملك بن نظام الملك فضى لحربها ، وأعاد الامير داود جبشي بن ايتاق في عسكر الى خراسان لقتالهما فسار الى هُراة وعاجلاه قبل اجتماع عساكره فعبّر جيحون وسبق اليه بَارِقْطَاش فهزمه داود وأسرّه . وبلغ الخبر الى قودز فثار به عسكره ، وفرّ الى بُجَارَى فقبض عليه نائبها ثم أطلقه ، ولحق بالملك سنجر قبله . وأقام بَارِقْطَاش أسيراً عند الامير داود وصفت خراسان من الفتنة والثوار ، واستقام أمرها للامير داود جبشي فاختر لولاية خوارزم محمد بن أنوشكين فولّاه وظهرت كفايته وكان محباً لاهل الدين والعلم مقرباً لهم عادلاً في رعيته فحسن ذكره وارتفع محله . ثم استولى الملك سنجر على خراسان فاقر محمد بن أنوشكين وزاده تقدماً وجمع بعض ملوك الترك وقصد خوارزم وكان محمد غائباً عنها ولحق بالترك محمد بن إكنجي الذي كان أبوه أميراً على خوارزم واسمه طغرل تكين محمد ، فحرض الترك على خوارزم وبلغ الخبر الى محمد بن أنوشكين فبعث الى سنجر بنيسابور يستمدّه وسبق الى خوارزم فافترق الترك وطغرل تكين محمد وسار كل منهما الى ناحية ودخل محمد بن أنوشكين الى خوارزم فازداد عند سنجر ظهوراً والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق لا رب سواه .

وفاة محمد بن أنوشكين وولاية ابنه أئمز

ثم هلك محمد بن أنوشكين خوارزم وولي بعده ابنه أئمز وسار بسيرة أبيه ، وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وحارب الاعداء فلما ولي افتتح أمره بالاستيلاء على مدينة مَشَلَّاع ، وظهرت كفايته في شأنها فاستدعاه السلطان سنجر فاخصه ، وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه ، وكلا مرّ يزيد تقدماً عنده ، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكامه .

الحرب بين السلطان سنجر وأئمز خوارزم شاه

ثم كثرت السعاية عند السلطان سنجر في أئمز خوارزم شاه ، وانه يحدث نفسه بالامتناع فسار سنجر اليه لينتزع خوارزم من يده فتجهز أئمز للقائه ، واقتتلوا فانهزم أئمز وقتل ابنه وخلق كثير من أصحابه ، واستولى سنجر على خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمداً ، ورُتب له وزيراً وأتابكاً وحاجباً ، وعاد الى مرو منتصف ثلاث وثلاثين . وكان أهل خوارزم يستغيثون لأئمز فعاد اليهم بعد سنجر فأدخلوه البلد ، ورجع سليمان شاه الى عمه سنجر ، واستبد أئمز بخوارزم والله أعلم .

انهزام السلطان سنجر من التتراك الخطا وملكهم ما وراء النهر

ثم سار سنجر سنة ست وثلاثين لقتال الخطا من الترك فيما وراء النهر لما رجعوا للملك تلك البلاد، فيقال ان أئسز أغراهم بذلك ليشغل السلطان سنجر عن بلده وأعماله. ويقال ان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بُقْرَاخان ملك الخانية في كاشغر وتركستان وهو ابن أخت سنجر زحفت اليه أمم الخطا من الترك ليتملكوا بلاده فسار اليهم، وقتلهم فهزموه وعاد الى سمرقند، وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فعبر النهر اليه في عساكر المسلمين وملوك خراسان، والتقوا في أول صفر سنة ست وثلاثين فانهزم سنجر والمسلمون وفشا القتل فيهم. يقال كان القتلى مائة ألف رجل وأربعة آلاف امرأة، وأسرت زوجة السلطان سنجر وعاد منهزماً، وملك الخطا ما وراء النهر، وخرجت عن ملك الاسلام، وقد تقدّم ذكر هذه الواقعة مستوفى في أخبار السلطان سنجر.

ولما انهزم السلطان سنجر قصد أئسز خوارزم شاه خراسان فملك سرخس، ولقي الامام أبا محمد الزيادي، وكان يجمع بين العلم والزهد فأكرمه وقبل قوله. ثم قصد مرو الشاهيجان فخرج اليه الامام أحمد الباخوري وشفع في أهل مرو، وأن لا يدخل لهم أحد من العسكر فشفعه، وأقام بظاهر البلد فشار عامة مرو وأخرجوا أصحابه وقتلوا بعضهم، وامتنعوا فقاتلهم أئسز وملكها عليهم غالباً

أول ربيع سنة ست وثلاثين وقتل الكثير من أهلها، وكان فيهم جماعة من أكابر العلماء، وأخرج كثيراً من علمائها إلى خوارزم: منهم أبو بكر الكرماني. ثم سار في شوال إلى نيسابور، وخرج إليه جماعة من العلماء والفقهاء متطارحين أن يعفيهم مما وقع بأهل مرو فأعفاهم، واستصفى أموال أصحاب السلطان وقطع الخطبة لسنجر وخطب لنفسه. ولما صرّح باسمه على المنبر همّ أهل نيسابور بالثورة، ثم ردّهم خوف العواقب فاقصروا، وبعث جيشاً إلى أعمال بيهق فحاصرها خمساً. ثم ساروا في البلاد ينهبون ويكتسحون والسلطان سنجر خلال ذلك متغافل عنه فيما يفعله في خراسان لما وراءه من مدد الخطأ وقوتهم.

ثم أوقع الغز سنة ثمان وأربعين بالسلطان سنجر واستولوا على خراسان، وكان هؤلاء الغزّ مقيمين بما وراء النهر منذ فارقههم ملوك السلجوقية، وكانوا يدينون بالاسلام فلما استولى الخطأ على ما وراء النهر أخرجوهم منها فأقاموا بنواحي بلخ وأكثروا فيها العيث والفساد، وجمع لهم سنجر وقاتلهم فظفروا به وهزموه وأسروه. وانتثر سلك دولته فام يعد انتظامه وافترقت أعماله على جماعة من مواليه، واستقلّ حينئذ أُنسز بملك خوارزم وأعمالها وأورثها بنيه. ثم استولوا على خراسان والعراق عندما ركبت ريح السلجوقية وكانت لهم بعد ذلك دولة عظيمة فذكر أخبارها مفصلة عند دول أهلها، والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه.

وفاته أئمز وملك واحد أرسلان

ثم توفي أئمز بن محمد أنوشتكين في منتصف احدى وخمسين وخمسة لستين سنة من ولايته ، وكان عادلاً في رعيته حسن السيرة فيهم . ولما توفي ملك بعده أرسلان بن أئمز فقتل جماعة من عماله وسمل أخاه . ثم بعث بطاعته للسلطان سنجر عندما هرب من أسر الغز فكتب له بولاية خوارزم . وقصد الخطا خوارزم ، وجمع أرسلان للقائهم وسار غير بعيد . ثم طرده المرض فرجع وأرسل الجيوش لنظر أمير من أمرائه فقاتله الخطا وهزموه وأسروه ، ورجع الى ما وراء النهر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاته خوارزم شاه أرسلان وملك واحد سلطان شاه وبعده واحد الآخر

تكش وملك طغان شاه بن المؤيد ثم موته وملك ابنه سنجر شاه

ثم توفي خوارزم شاه أرسلان بن أئمز من مرضه الذي قعد به عن لقاء الخطا ، وملك بعده ابنه الأصغر سلطان شاه محمود في تدبير أمه . وكان ابنه الأكبر علاء الدين تُكش مقيماً في اقطاعه بالجند فاستنكف من ولاية أخيه الأصغر ، وسار الى ملك الخطا مستنجداً ، ورغبه في أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيش كثيف ، وجاء الى خوارزم ولحق سلطان شاه وأمّه بالمؤيد أنه صاحب نيسابور ، والمنتقلب عليها بعد سنجر وأهدى له ، ورغبه في الاموال

والذخائر فجمع وسار معه حتى اذا كان على عشرين فرسخاً من خوارزم سار اليه تُكُش وهزمه ، وجيـ بالمؤيد أسيراً الى تكش فأمر بقتله ، وقتل بين يديه صبراً . ولحق أخوه سلطان شاه بدِهستان ، وتبعه تُكُش فلحقها عنوةً وهرب سلطان شاه وأخذت أمه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ، ولحق سلطان شاه بنيسابور وقد ملكوا طغان شاه أبا بكر بن ملكهم المؤيد .

ثم سار سلطان شاه من عنده الى غياث الدين ملك الغورية فأقام عنده ، وعظم تُكُشُ الحُطَا على علاء الدين تُكُش صاحب خوارزم واشتطوا عليه ، وبعثوا يطلبونه في المال فأثّر لهم متفرقين على أهل خوارزم ودس اليهم فيئتهم ولم ينج منهم أحد . ونبذ الى ملك الحُطَا عهده وسمع ذلك أخوه سلطان شاه فساد من غُزْنَة الى ملك الحُطَا يستنجده على أخيه تُكُش ، وأدعى أن أهل خوارزم يميلون اليه فبعث معه جيشاً كثيفاً من الحُطَا ، وحاصروا خوارزم فامتنعت وأمر تُكُش باجراء ماء النهر عليهم فكادوا يفرقون ، وأفرجوا عن البلاد ، ولاموا سلطان شاه فيما غرهم فقال لقائدهم : ابعث معي الجيش لمرؤ لانتزعها من دينار الغزي الذي استولى عليها من حين فتنهم مع سِنَجِر فبعث معه الجيش ، وسار الى سَرخس واقتحمها على الغُزِّ الذين بها ، وأفحش في قتلهم واستباحهم ، ولجأ دينار الى القلعة فتحصن بها . ثم سار سلطان شاه الى مرو وملكها وأقام بها ، ورجع الحُطَا الى ما وراء النهر .

وأقام سلطان شاه بخُراسان يقاتل الغزّ فيصيب منهم كثيراً ،
وعجز دينار ملك الغزّ عن سَرخس فسلمها لطنان شاه بن المؤيد
صاحب نيسابور فولّى عليها مراموش من أمرائه .

ولحق دينار بنيسابور فحاصر دينار سلطان شاه ، وعاد الى
نيسابور ولحق به مراموش ، وترك قلعة سَرخس . ثم ملك نطوش
والتم ، وضاعت الامور على طنان شاه بنيسابور الى أن مات في
محرم سنة اثنتين وثمانين ، وملك ابنه سنجر شاه ، واستبدّ عليه
منكلي تكيين مملوك جده المؤيد . وأنف أهل الدولة من استبداده
وتحكّمه فلحق أكثرهم بسلطان شاه في سَرخس . وسار الملك دينار
من نيسابور في جموع الغزّ الى كِرمان فملكها . ثم أساء منكلي
تكيين السيرة بنيسابور في الرعيّة بالظلم ، وفي أهل الدولة بالقتل
فسار اليه خوارزم شاه علاء الدين نُكش في ربيع سنة اثنتين
وثمانين فحاصره بنيسابور شهرين ، فامتنعت عليه فعاد الى خوارزم
ثم رجع سنة ثلاث وثمانين فحاصرها وملكها على الامان ، وقتل
منكلي تكيين ، وحمل سنجر شاه الى خوارزم فأنزله بها وأكرمه .
ثم بلغه أنه يكاتب أهل نيسابور فسلمه وبقي عنده الى أن مات
سنة خمس وتسعين .

قال ابن الاثير : ذكر هذا أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي
في كتاب مسارب التجارب ، وذكر غيره أن نُكش بن أرسلان
لما أخرج أخاه سلطان شاه من خوارزم ، وقصد سلطان شاه الى

مرو فملكها من يد الغز ثم ارتجموها منه ونالوا من عساكره
 فعبث الى الخطا واستنجدهم ، وضمن لهم المال ، وجاء يخيوشهم فملك
 مرو وسرخس ونسا وأبيورد من يد الغز ، وصرف الخطا فعاد الى
 بلادهم. ثم كاتب غياث الدين الغوري وله هُراة وبوشنج وباذغيس
 وأعمالها من خراسان يطلب الخطبة له ، ويتوَعده فأجابته غياث
 الدين بطلب الخطبة منه بمرور سرخس وما ملكه من بلاد خراسان.

ثم ساءت سيرة سلطان شاه في خراسان وصادر رعاياها فجهر
 غياث الدين العساكر مع صاحب سجستان ، وأمر ابن أخته بهاء
 الدين صاحب باميان بالسير معه فساروا الى هُراة ، وخاف سلطان
 شاه من لقائهم فرجع من هُراة الى مرو حتى انصرم فصل الشتاء
 ثم أعاد مراسلة غياث الدين فامتعض وكتب الى أخيه شهاب
 الدين بالخبر ، وكان بالهند فرجع مسرعاً اليه ، وساروا الى خراسان
 واجتمعوا بعساكرهم الاول على الطالقان . وجمع سلطان شاه
 جموعه من الغز وأهل الفساد وزل يجمع الطالقان ، وتواقفوا
 كذلك شهرين ، وتردّت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين
 حتى جنح غياث الدين الى النزول عن بوشنج وباذغيس ، وشهاب
 الدين ابن أخته وصاحب سجستان ينجحان الى الحرب ، وغياث
 الدين يكفهم حتى حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين

لأتمام العقد ، والملوك جميعاً حاضرون فقام ^(١) الدين العلوي الهودي ، وكان غياث الدين يختصه وهو يدلّ عليه فوقف في وسط المجمع ، ونادى بفساد الصلح ، وصرخ ومزّق ثيابه ، وحشى التراب على رأسه ، وأفحش لرسول سلطان شاه . وأقبل على غياث الدين وقال كيف تعمد الى ما ملكناه بأسيفنا من النُزّ والأتراك والسنجريّة فتعطيه هذا الطريد إذ لا يقنع منا أخوه ، وهو الملك بخوارزم ولا بُغزّة والمهند فأترب غياث الدين ساكناً فنادى في عسكره بالحرب والتقدّم الى مرو الروذ ، وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه وأخذ أكثر أصحابه أسرى ، ودخل الى مرو في عشرين فارساً .

ولحق الفلّ من عسكره ، وبلغ الخبر الى أخيه تُكش فساد من خوارزم لاعتراضه ، وقدم العساكر الى جيحون يمنعون ^(٢) الى الخطأ ، وسمع أخوه سلطان شاه بذلك فرجع عن جيحون وقصد غياث الدين ، ولما قدم عليه أمر بتلقيه وأنزله معه في بيته ، وأنزل أصحابه عند نظرائهم من أهل دولته ، وأقام الى انصرام الشتاء . وكتب أخوه علاء الدين خوارزم الى غياث

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ١١٧: فبينما الناس مجتمعون في تحرير الأمر وإذا قد أقبل مجد الدين العلوي الهروي إليه، وكان خصيصاً بغياث الدين، بحيث يفعل في ملكه ما يختار له فلا يخالف.

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل: وأرسل إلى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون الطريق على أخيه إن أراد الخطأ.

الدين في رده اليه ويمدّد فعلاته في بلاده ، وكتب مع ذلك الى نائب غياث الدين بهراة يتهدّده فامتعض غياث الدين لذلك ، وكتب الى خوارزم شاه بأنه يجير له وشفيع في التجافي عن بلاده وانصافه من وراثة أبيه ، ويطلب مع ذلك الخطبه له بخوارزم ، والصهر مع أخيه شهاب الدين فامتعض خوارزم شاه ، وكتب اليه يتهدّده بيمض بلاده فجهر غياث الدين اليه العساكر مع ابن اخته أبو غازي الى بهاء الدين سامي صاحب سجستان ، وبعثهما مع سلطان شاه الى خوارزم ، وكتب الى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجد به ، وكانت ابنته تحت غياث الدين فجمع المؤيد عساكره وخيّم بظاهر نيسابور .

وكان خوارزم شاه عزم على لقاء أخيه والغورية ، وسار عن خوارزم فلما سمع خبر المؤيد عاد الى خوارزم ، واحتمل أمواله وذخائره وعبر جيحون الى الخطا وترك خوارزم . وسار أعيانها الى أخيه سلطان شاه والبوغازي ابن اخت غياث الدين فاتوا طاعتهم ، وطلبوا الوالي عايهم . وتوفي سلطان شاه منسلخ رمضان سنة تسع ، وعاد البوغازي الى خاله غياث الدين ومعه أصحاب سلطان شاه فاستخدمهم غياث الدين وأقطعهم ، وبلغ وفاة سلطان شاه الى أخيه خوارزم تُكش فعاد الى خوارزم ، وعاد الشحنة الى بلاد سرخس ومرو فجهر اليهم نائب الغورية بمرور عمر المرغني عسكرياً ومنعهم منها حتى يستأذن غياث الدين . وأرسل خوارزم شاه الى

غياث في الصلح والصر في وفد من فقهاء خراسان ، والعلوية يعظمونه ويستجيرون به من خوارزم شاه أن يجيز اليهم الخطأ ، ويستحثهم ولا يحسم ذلك إلا صلحه أو سكناه بمرور فأجابهم الى الصلح وعقدوه . وردة على خوارزم تكش بلاد أخيه ، وطمع الغز فيها فعاثوا في نواحيها وجاء خوارزم شاه اليها ، ودخل مرو وسرخس فسار الى البورد وتطرق الى طوس وهي للمؤيد ابنه فجمع وسار اليها ، وعاد خوارزم شاه الى بلده ، وأفسد الماء في طريقه واتبعه المؤيد فلم يجد ماء . ثم كرر عليه خوارزم شاه وقد جهد عسكره العطش فأوقع بهم ، وجي اليه بالمؤيد أسيراً فقتله وغاد الى خوارزم وقام بنيسابور بعد المؤيد ابنه ^(١) طغان شاه ، ورجع اليه خوارزم شاه من قابل فحاصره بنيسابور ، وبرز اليه فأسره وملك نيسابور . واحتمل طغان شاه وعياله وقرابته فأثرلهم بخوارزم . قال ابن الاثير : هذه الرواية مخالفة للاولى ، وانما أوردتها ليتأمل الناظر ويستكشف أيها أوضح فيعتمدها والله تعالى أعلم .

وفاته ايلدكز وملك ابنه محمد البهلوان

قد تقدم لنا في أخبار الدولة السلجوقية ولاية أرسلان شاه ابن طغرل في كفالة ايلدكز وابنه محمد البهلوان من بعده ، ثم

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١١٨ : فلما قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه طغان شاه .

أخيه أَرْزُبُكْ أَرْسَلَانْ بَنْ ايلدِ كَزْ ، وأنه اعتقل السلطان طغرل ،
ثم توفي فولى مكانه قُطْلُغُ ابن أخيه البهلوان ، فخرج السلطان
من محبسه وجمع لقتاله سنة ثمان وثمانين فهُزِمَ ولحق قُطْلُغُ بالري ،
وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تُكُشْ فسار اليه ، وندم قُطْلُغُ
على استعدائه فتحصن منه ببعض قلاعهِ . وملك خوارزم شاه
الريّ وقلمة طُبْرُكْ ، ورتّب فيها الحامية ، وعاد الى خوارزم لما
بلغه أن أخاه سلطان شاه خالفه اليها ، ولما كان ببعض الطريق لقيه
الخبّر بأن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه وعاد خائباً فتمادى الى
خوارزم وأقام الى انسلاخ فصل الشتاء . ثم سار الى أخيه سلطان
شاه بمرور سنة تسع وثمانين ، وتردّدت الرسل بينهما في الصلح .
ثم استأمن اليه نائب أخيه بقلعة سَرْخُسْ فسار اليها وملكها ،
ومات أخوه سلطان شاه سنة تسع فسار خوارزم شاه الى مرو
وملكها وملك ابيورد و نسا وطوس وسائر مملكة أخيه ، واستولى
على خزائنه ، وبعث على ابنه علاء الدين محمد فولاه مرو ، وولى
ابنه الكبير ملك شاه نيسابور وذلك آخر تسع وثمانين .

ثم بلغه أن السلطان طغرل أغار على أصحابه بالريّ قُطْلُغُ اينانج
فبعث اليه بابنه يستنجده ، ووصل اليه رسول الخليفة يشكو
من طغرل ، وأقطعه أعماله فسار من نيسابور الى الريّ وتلقاه
قُطْلُغُ اينانج بطاعته ، وسار معه ولقيهم السلطان طغرل قبل استحکال
تعبيته ، وحمل عليهم بنفسه وأحيط به فقتل في ربيع سنة تسعين ،

وبعث خوارزم شاه برأسه الى بغداد ، وملك همدان وبلاد الجبل
أجمع . وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد بعثه الخليفة الناصر
مدداً لخوارزم شاه في أمره . فرحل اليه واستوحش بن القصاب
فامتنع ببعض الجبال هنالك ، وعاد خوارزم شاه الى همدان وسلمها
وأعمالها الى قطلغ اينانج ، واقطع كثيراً منها ممالكه . وقدم
عليهم مناجي ، وانزل معه ابنه وعاد الى خوارزم . ثم اختلف
مناجي وقطلغ اينانج واقتتلوا سنة احدى وتسعين فانهزم قطلغ .
وكان الوزير ابن القصاب قد سار الى خوزستان فلحقها وكثيراً
من بلاد فارس ، وقبض على بني شملة وأمرائها وبعث بهم الى بغداد ،
وأقام هو يهدد البلاد فلحق به قطلغ اينانج هنالك مهزوماً سلباً .
واستجده على الري فأزاح عله ، وسار معه الى همدان فخرج
مناجي وابن خوارزم شاه الى الري وملك ابن القصاب همدان
في سنة احدى وتسعين وسار الى الري فأجفل الخوارزميون
أمامهم ، وبعث الوزير العساكر في اثرهم حتى لحقوهم بالدايمنان
وبسطام وجرجان ورجعوا عنهم ، واستولى الوزير على الري . ثم
انتقض قطلغ اينانج على الوزير ، وامتنع بالري فحاصره الوزير وغلبه
عليها ، ولحق اينانج بمدينة ساوة . ورحل الوزير في اتباعه حتى
لحقه على دزبنكرخ فهزمه ، ونجا اينانج بنفسه .

وسار الوزير الى همدان فأقام بظاهرها ثلاثة أشهر وبعث اليه
خوارزم شاه بالنكير على ما فعل ، ويطلب اعادة البلاد فلم يجب

الى ذلك . وسار خوارزم اليه ، وتوفي قبل وصوله فقاتل العساكر بعده في شعبان سنة اثنتين وتسعين فهزمهم وأئخن فيهم ، وأخرج الوزير من قبره فقطع رأسه وبعث به الى خوارزم لانه كان قتل في المعركة ، واستولى على همدان وبعث عسكره الى اصفهان فلكها وأثزل بها ابنه وعاد الى خوارزم . وجاءت عساكر الناصر اثر ذلك مع سيف الدين طغرل فقطع بلاد اللحف من العراق فاستدعاه أهل اصفهان فلكوا البلد ، ولحق عسكر خوارزم شاه بصاحبهم . ثم اجتمع ممالك البهلوان وهم أصحاب قُطْلُغ ، وقدموا على أنفسهم كَرَكْجَة من أعيانهم ، وساروا الى الري فملكوها ثم الى اصفهان كذلك . وأرسل كركجة الى الديوان ببغداد يطلب أن يكون الري له مع جوار الري وسادة وقم وقاشان وما ينضاف اليها ، وتكون اصفهان وحمدان وزنجان ومرو من الديوان فكتب له بذلك والله أعلم .

وفاة ملك شاه بن خوارزم شاه تكش

قد تقدم لنا أن خوارزم شاه تُكش ولي ابنه ملك شاه على نيسابور سنة تسع وثمانين وأضاف اليه خراسان ، وجعله ولي عهده في الملك فأقام بها الى سنة ثلاث وتسعين . ثم هلك في ربيع منها ، وخلف ابناً اسمه هندوخان ، وولي خوارزم شاه على نيسابور ابنه الآخر قطب الدين الذي كان ولأه بمر .

النخطة

انهزام الخطا من الغورية

كان خوارزم شاه تُكش لما ملك الري وهمدان وأصفهان ، وهزم ابن القصاب وعساكر الخليفة بعث الى الناصر يطلب الخطبة ببغداد فامتعض الناصر لذلك ، وأرسل الى غياث الدين ملك غزنة والغور ققصد بلاد خوارزم شاه فكتب اليه غياث الدين يتهده بذلك ، فبعث خوارزم شاه الى الخطا يستجدهم على غياث الدين ويحذرهم أن يملك البلاد كما ملك بلخ فسار الخطا في عساكرهم ، ووصلوا بلاد الغور وراسلوا بهاء الدين سام ملك باميان وهو يبلخ يأمرونه بالخروج عنها ، وعاثوا في البلاد وخوارزم شاه قد قصد هراة وانتهى الى طوس ، واجتمع أمراء الغورية بخراسان مثل محمد بن بك مقطع الطالقان والحسين بن مرميل^(١) وحروس ، وجمعوا عساكرهم وكبسوا الخطا وهزموهم وألحقوهم يبيحون فتقسموا بين القتل والفرق . وبعث ملك الخطا الى خوارزم شاه يتجنى عليه في ذلك ويطلب الدية على القتلى

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٩ ص ٢٤١ : فانتدب الأمير محمد بن جريك الغوري ، وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعاً ، وكاتب الحسين بن حرميل وكان بقلعة كرزيان ، واجتمع معها الأمير حروش الغوري .

من قومه ، ويجعله السبب في قتلهم فراجع غيات الدين واستعطفه ووافقه على طاعة الخليفة ، واعادة ما أخذ الخَطَّاء من بلاد الإسلام . وأجاب ملك الخَطَّاء بأن قومه انما جاؤا لانتزاع بَلْخ من يد الغورية ، ولم يأتوا لنصري وأنا قد دخلت في طاعة غيات الدين فجهز ملك الخَطَّاء عساكره اليه ، وحاصروه فامتنع فرجعوا عنه بعد أن فني أكثرهم بالقتل . وسار في اثرهم وحاصر بخاري وأخذ بمخنقتها حتى ملكها سنة أربع وتسعين فأقام بها مدة وعاد الى خوارزم ، والله تعالى ولي التوفيق .

ملك خوارزم شاه تكين الري وبلاد الجبل

ثم سار خوارزم شاه تكين لارتجاع الري وبلاد الجبل من يد مُنَاجِق والبهلوانية الذين انتقضوا عليه فهرب مُنَاجِق عن البلاد وتركها ، وملكها خوارزم شاه واستدعاه فامتنع من الحضور ، واتبعه فاستأن أكثر أصحابه ووجعوا عنه ، ولحق هو بقلعة من أعمال مازندران فامتنع بها فبعث خوارزم شاه الى الخليفة الناصر فبعث بالخلع له ولولده قُطْب الدين ، وكتب له تقليداً بالأعمال التي بيده . ثم سار خوارزم شاه لقتال الملاحدة فافتتح قلعة لهم قريبة من قزوین ، وانتقل الى حصار قلعة أَلُوت من قلاعهم فقتل عليها رئيس الشافعية بالري صدر الدين محمد بن الوزان وكان مقدماً عنده ولازمه ، ثم عاد الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره

نظام الملك مسعود بن علي قتلوه ، فجهز ابنه قطب الدين لقتالهم فصار الى قلعة ترشيش من قلاعهم فحاصرها حتى سألوه في الصلح على مائة ألف دينار يعطونها فامتنع أولاً . ثم بلغه مرض أبيه فأجابهم وأخذ منهم المال المذكور وعاد والله اعلم .

وفاته خوارزم شاه

ثم توفي خوارزم شاه تُكش بن ألب أرسلان بن أتمش بن محمد أنوشكين صاحب خوارزم بعد ان استولى على الكثير من خراسان وعلى الري وهمدان وغيرها من بلاد الجبل ، وكان قد سار من خوارزم الى نيسابور فمات في طريقه اليها في رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة . وكان عندما اشتد مرضه بعث لابنه قطب الدين محمد بنخبره بحاله ويستدعيه فوصل بعد موته فبايع له أصحابه بالملك ، ولقبوه علاء الدين لقب أبيه ، وحمل شلو أبيه الى خوارزم فدفنه بالمدرسة التي بناها هنالك . وكان تُكش عادلاً عارفاً بالاصول والفقه على مذهب أبي خنيفة . ولما توفي ابنه علاء الدين محمد كان ولده الآخر علي شاه باصفهان فاستدعاه أخوه محمد فصار اليه ، ونهب أهل اصفهان فخلعه ، وولاه أخوه علي خراسان فقصده نيسابور ، وبها هندوخان ابن أخيها ملك شاه منذ ولده جده تُكش عليها بعد أبيه ملك شاه . وكان هندوخان يناف عمه محمداً لعداوة بينه وبين أبيه ملك شاه ، ولما مات جده تُكش

نهب الكثير من خزائنه ولحق بمرو ، وبلغ وفاة نُكش الى غياث الدين ملك غُزَنَة فجلس للعزاء على ما بينها من العداوة اعظماً لقدره . ثم جمع هندوخان جموعاً وسار الى خراسان فبعث علاء الدين محمد بن نُكش العساكر لدفاعه مع جُنُفَر التركي فقام^(١) هندوخان عن لقائه ، ولحق بغياث الدين مستنجداً فأكرمه ووعدته النصر . ودخل جُنُفَر مدينة مرو ، وبعث بام هندوخان وولده الى خوارزم مكرمين فأرسل غياث الدين صاحب غُزَنَة الى محمد بن خربك نائبه بالطالِئَان أن ينبذ الى جُنُفَر العهد ففعل . وسار من الطالِئَان الى مروالروذ فلكنها ، وبعث الى جُنُفَر يأمره بالخطبة في مرو لغياث الدين أو يفارقها فبعث اليه جُنُفَر يتهدده ظاهراً وبسأله سرّاً ان يستأمن له غياث الدين فقوي طمعه في البلاد بذلك ، وأمر أخاه شهاب الدين بالمسير الى خراسان والله أعلم .

مُلُوكُ الْغُورِيَّةِ

استيلاء ملوك الغورية أعمال خوارزم شاه محمد تكش
بخراسان وانتجاع ايلها منهم ثم حصاره هراة من أعمالهم

ولما استأمن جُنُفَر^(٢) نائب مرو الى غياث الدين طمع في أعمال

(١) قوله فخام الخ قال المجد وخام عنه ينجيم خيلاً وخيئاناً وخيوماً وخيومة وخيومية وخياماً
نكص وجبن اهـ .

(٢) اسمه في الكامل ج ٩ ص ٢٥٣ : جفر التركي ، نائب علاء الدين خوارزم شاه بمرو .

خوارزم شاه بخراسان كما قلناه ، واستدعاه أخوه شهاب الدين للمسير اليها فصار الى غزنة . واستشار غياث الدين نائبه بهراة عمر ابن محمد المرغني في المسير الى خراسان فنهاه عن ذلك ، ووصل أخوه شهاب الدين في عساكر غزنة والغور وسجستان ، وساروا منتصف سجع وتسعين . ووصل كتاب جنغر نائب مرو الى شهاب الدين وهو بقرب الطالقان يحثه للوصول ، وأذن له غياث الدين فصار الى مرو وقاتل العساكر الذين بها من الخوارزمية فغلبهم وأحجرهم بالبلد . وسار بالقبيلة الى السور فاستأمن أهل البلد وأطاعوا وخرج جنغر الى شهاب الدين . ثم جاء غياث الدين بعد الفتح الى هراة مكرماً ، وسلم مرو الى هندوخان بن ملك شاه كما وعده . ثم سار الى سرخس فلما صلاها وولى عليها زنكي ابن مسعود من بني عمه ، وأقطعه معها نساً وأيوزد .

ثم سار الى طوس وحاصرها ثلاثاً ، واستأمن اليه أهلها فلما كتب وبعث الى علي شاه علاء الدين محمد بن تكش بنيسابور في الطاعة فامتنع فصار اليه وقاتل نيسابور من جانب وأخوه شهاب الدين من الجانب الآخر ^(١) اليه سقوطه ودخلوا نيسابور وملكوها ونادوا بالامان . وجي: بعلي شاه من خوارزم الى غياث الدين

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : فلم يردهم أحد عن السور ، حتى اصعدوا علم غياث الدين إليه . فلما رأى شهاب الدين علم أخيه على السور قال لأصحابه : اقصدوا بنا هذه الناحية ، واصعدوا السور من هنا ، وأشار إلى مكان فيه ، فسقط السور متهدماً فضج الناس بالتكبير ، وذهل الخوارزميون وأهل البلد ، ودخل الغورية البلد وملكوه عنوة .

فأمنه وأكرمه ، وبعثه بالانرا . الخوارزمية الى هُراة ، وولّى علي خراسان ابن عمه وصهره علي ابنته ضياء الدين محمد بن علي الغوري ولقبه علاء الدين ، وأثّله نيسابور في جمع من وجوه الغورية ، وأحسن الى أهل نيسابور وسلم علي شاه الى أخيه شهاب الدين ، ورحل الى هُراة .

ثم سار شهاب الدين الى قَهستان^(١) وقيل له عن قرية من قراها انهم اسماعيلية فأمر بقتلهم ، وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وخرّب القرية . ثم سار الى حصن من أعمال قَهستان وهم اسماعيلية فلكه بالأمان بعد الحصار ، وولّى عليه بعض الغورية فأقام بها الصواب وشعار الاسلام . وبعث صاحب قَهستان الى غياث الدين يشكو من أخيه شهاب الدين ويقول : انّ هذا نقض العهد الذي بيني وبينكم . فخارعه إلا نزول أخيه شهاب الدين على حصن آخر للاسماعيلية من أعمال دَهستان فحاصره ، فبعث بعض ثقاته الى شهاب الدين يأمره بالرحيل فامتنع فقطع أطناب سُرادقه ورحل مراغماً ، وقصد الهند مغاضباً لأخيه .

ولما اتصل بعلاء الدين محمد بن تُكُش مسيرهما عن خراسان كتب الى غياث الدين يعاتبه عن أخذه بلاده ويطلب اعادتها ، ويتوَعّده باستجداء الخطا عليه فاطله بالجواب الى خروج أخيه شهاب الدين من الهند لمعجزه عن الحركة لاستيلاء مرض النقرس عليه ،

(١) كذا بالأصل ، وكذا في الكامل . وفي معجم البلدان : قوهستان .

فكتب خوارزم شاه الى علاء الدين الغوري نائب غياث الدين بنيسابور يأمره بالخروج عنها فكتب بذلك الى غياث الدين فلجابه يبعده بالنصر. وسار اليه خوارزم شاه محمد بن توكش آخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة . فلما قرب أبيوزد هرب هندوخان من موالي غياث الدين ، وملك محمد بن توكش مدينة مرو ونسا وأبيورد ، وسار الى نيسابور وبها علاء الدين الغوري فحاصرها وأطال حصارها حتى استأمنوا اليه واستحلفوه ، وخرجوا اليه فأحسن اليهم وسأل من علاء الدين الغوري السعي في الإصلاح بينه وبين غياث الدين فضمن ذلك ، وسار الى هراة وبها أقطاعه ، وغضب على غياث الدين لعوده عن انجاده فلم يسر اليه .

وبالغ محمد بن توكش في الاحسان الى الحسن بن حرمل من أمراء الغورية . ثم سار الى سرخس وبها الامير زنكي من قرابة غياث الدين فحاصرها أربعين يوماً وضيق مخرجها بالحرب وقطع الميرة . ثم سألته زنكي الافراج ليخرج عن الامان فأفرج عنه قليلاً . ثم ملأ البلد من الميرة بما احتاج اليه ، وأخرج العاجزين عن الحصار وعاد الى شأنه فندم محمد بن توكش ورحل عنهما ، وجهز عسكرياً لحصارها . وجاء نائب الطالقان مدداً لمحمد بن خربك واحس بعد أن أرسل اليه بأنه ^(١) عساكر الخوارزمية

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٥٧ : فلما أبعد خوارزم شاه سار محمد بن جربك من الطالقان، وهو من أمراء الغورية وأرسل إلى زنكي أمير سرخس يعرفه أنه يريد يكبس الخوارزميين لئلا ينزعج إذا سمع الغلبة. وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس.

المجمرة عليه ، وأشاع ذلك فأفرجوا عنه . وجاء اليه ذُنكي من الطالقان فخرج معه ابن خُزْبُك الى مرو الروذ ، وجبى خراجها وما يجاورها . وبعث اليه محمد بن تَكش عسكراً نحواً من ثلاثة الاف مع خاله فلقبهم محمد بن خُزْبُك في تسعمائة فارس فهزمهم ، وأثنى فيهم قتلاً وأسراً ، وغنم سوادهم ، وعاد خوارزم شاه محمد ابن تَكش الى خوارزم .

وأرسل الى غياث الدين في الصلح فأجابه مع الحسن بن محمد المرغني من كبراء الفورية ، وغالطه في القول . ولما وصل الحسن المرغني الى خوارزم شاه وأطلع على أمره قبض على الحسن ، وسار الى هُراة فحاصرها . وكتب الحسن الى أخيه عمر بن محمد المرغني أمير هُراة بالخبر فاستعد للحصار . وقد كان لحق بغياث الدين أخوان من حاشية سلطان شاه عم محمد بن تكش المتوفي في سَرَخَس فأكرمهما غياث الدين وأنزلهما بهُراة فكاتبهما محمد بن تكش وداخلاه في تملكه هُراة فسار لذلك ، وحاصر البلد وأميرها عمر المرغني ، مرّ الى الأخوين وعندهما مفاتيح البلد . وأطلع أخوه الحسن في محبسه على شأن الأخوين في مداخلته محمد بن تكش فبعث الى أخيه عمر بذلك فلم يسعفه ، فبعث اليه بخط أحدهما فقبض عليهما وعلى أصحابهما واعتقلهم .

وبعث محمد بن تكش عسكراً الى الطالقان للغارة عليها فظفر بهم ابن خُزْبُك ، ولم يفلت منهم أحد . ثم بعث غياث الدين ابن

أخته البوغاني في عسكر من الغوريّة فنزلوا قريباً من عسكر خوارزم شاه محمد بن تُكش وقطع عنهم الميرة . ثم جاء غياث الدين في عسكر قليل لأنّ أكثرها مع أخيه شهاب الدين بالهند وعُزّة فنزل قريباً من هُراة ، ولم يقدم على خوارزم فلما بلغ الحصار أربعين يوماً ، وانهزم أصحاب خوارزم شاه بالطالقان ، ونزل غياث الدين وابن أخته البوغاني قريباً منه ، وبلغه وصول أخيه شهاب الدين من الهند الى عُزّة أجمع الرحيل عن هُراة ، وصالح عمر المرغني على مال حمله اليه ، وارتحل الى مرو منتصف ثمان وتسعين .

وسار شهاب الدين من عُزّة الى بَلخ ، ثم الى باييان معتزماً على محاربة خوارزم شاه ، والتقت طلائعها فقتل بين الفريقين خلق . ثم ارتحل خوارزم شاه عن مرو فجفلا الى خوارزم ، وقتل الامير سينجر صاحب نيسابور لاثامه بالخادعة . وسار شهاب الدين الى طوس ، وأقام بها الى انسلاخ الشتاء معتزماً على السير لحصار خوارزم فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فرجع الى هُراة ، واستخلف بمر محمد بن خُربك فسار اليه جماعة من أمراء خوارزم شاه سنة تسع وتسعين ^(١) ابن خربك ، ولم ينج منهم الا القليل فبعث خوارزم شاه الجيوش مع منصور التركي لقتال ابن

(١) كذا يباض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٥٩ : فخرج إليهم محمد ليلاً وبيتهم فلم منهم إلا القليل .

خربك ، ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو ، وقتلهم فهزموه ،
ودخل مرو منهزماً فحاصروه خمسة عشر يوماً .

ثم استأمن اليهم وخرج فقتلوه . وأسف ذلك شهاب الدين ،
وتردّت الرسل بينه وبين خوارزم شاه في الصلح فلم يتم . وأراد
العود الى عُزْنَة فاستعمل على هُراة ابن اخته البوغاني ، وملك
علاء الدين بن أبي علي الغوري مدينة مرو وزَكَوْرَة وبلد الغور
وأعمال خراسان ، وفوض اليه في مملكته ، وعاد عُزْنَة سنة تسع
وتسعين وخمسمائة . ثم عاد خوارزم شاه الى هُراة منتصف سنة
ستمائة ، وبها البوغاني ابن أخت شهاب الدين الغوري ، وكان
شهاب الدين قد سار عن عُزْنَة الى لهاون^(١) غازياً فحصر خوارزم
شاه هُراة الى منسلخ شعبان . وهلك في الحصار بين الفريقين خلق .
وكان الحسن بن حرميل مقيماً بخَوْزِستان وهي اقطاعه فأرسل
الى خوارزم شاه يخادعه ، ويطلب منه عسكرياً يستلمون الفيلة
وخزانة شهاب الدين فبعث اليه ألف فارس فاعترضهم هو والحسن
ابن محمد المرغني فلم ينج منهم الا القليل ، فندم خوارزم شاه على
انفاذ العسكر ، وبعث الى البوغاني أن يظهر بعض طاعته ويفرج
عنه الحصار فامتنع . ثم أدركه المرض فخشى أن يشغله المرض عن
حماية البلد فيملكها عليه خوارزم شاه فرجع الى اجابته ، واستحلفه

(١) كذا ، وهي لهاور كما في الكامل ، أولاهور اسمها في عصرنا الحاضر .

وأهدى ، وخرج له ليلقاه ويعطيه بعض الخدمة فأتى في طريقه .
وارتحل خوارزم شاه عن البلد ، وأحرق المجانيق وسار الى
سرخس فأقام بها .

حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانخراطه أمام الخطا

ولما بلغ شهاب الدين بغزنة ما فعل خوارزم شاه بهراة وموت
قائمه بها البوغاني ابن أخيه ، وكان غازياً الى الهند فأنشئ عزمه ،
وسار الى خوارزم وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس ، وأقام
بظاهر مرو ، فلما بلغه خبر مسيره أجفل راجعاً الى خوارزم فسبق
شهاب الدين اليها وأجرى الماء في السبخة حواليها ، وجاء شهاب
الدين فأقام أربعين يوماً يطرق المسالك حتى أمكنه الوصول . ثم
التقوا واقتتلوا ، وقتل بين الفريقين خلق كان منهم الحسن المرغني
من الغورية ، وأسر جماعة من الخوارزمية فقتلهم شهاب الدين
صبراً . وبعث خوارزم شاه الى الخطا فيما وراء النهر يستجدهم على
شهاب الدين فجمعوا وساروا الى بلاد الغور ، وبلغ ذلك شهاب
الدين فسار اليهم فلقبهم بالفائزة فهزموه وحصلوه في ايد حوى
حتى صالحهم ، وخلص الى الطالقان ، وقد كثر الارجاف بموته
فتلقاه الحسن بن حرميل صاحب الطالقان وأزاح عنه .
ثم سار الى غزنة واحتل ابن حرميل معه خشية من شدة
جزعه أن يلحق بخوارزم شاه ويعطيه هؤلاء حجابته ، وسار معه

ووجد الخلف قد وقع بين أمرائه لما بلغهم من الارجاف بموته حسباً مرّ في أخبار الغورية فأصلح من غُزَنَة ومن الهند ، وتأهب للرجوع لخوارزم شاه ، وقد وقع في خبر هزيمته أمام الخطا بالمفازة وجه آخر ذكرناه هنالك ، وهو انه فرق عساكره في المفازة لقلّة الماء فأوقع بهم الخطا منفردين . وجاء في الساقة فقاتلهم أربعة أيام مصابراً . وبعث اليه صاحب سمرقند من عسكر الخطا وكان مسلماً ، وأشار عليه بالتهويل عليهم فبعث عسكراً من الليل ، وجاؤا من الغد متسائلين وخوفهم صاحب سمرقند بوصول المدد لشهاب الدين فرجموا الى الصلح ، وخلص هو من تلك الواقعة ، وذلك سنة احدى وستائة ، ومات شهاب الدين أثر ذلك .

استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان

كان نائب الغورية بهُراة من خُراسان الحسن بن حَرَمِيل ، ولما قتل شهاب الدين الغوري في رمضان سنة اثنتين وستمائة قام بأمرهم غياث الدين محمود ابن أخيه غياث الدين ، واستولى على الغور من يد علاء الدين محمد بن أبي علي سرور كاه . ولما بلغ وفاة شهاب الدين الى الحسن بن حرميل نائب هُراة جمع أعيان البلد وقاضيه واستحلفهم على الامتناع من خوارزم شاه ظاهراً ، ودسّ إلى خوارزم شاه بالطاعة ، ويطلب عسكراً يمتنع به من الغورية وبعث ابنه رهينة في ذلك فأنفذ اليه عسكراً من نيسابور ، وأمرهم بطاعة ابن حَرَمِيل ،

وغيث الدين خلال ذلك يكاتب ابن حرميل ويطلبه في الطاعة فيراوغه بالمواعدة . وبلغه خبره مع خوارزم شاه فاعتزم على النهوض اليه ، واستشار ابن حرميل بهراة أعيان البلد يختبر ما عندهم فقال له علي بن عبد الخالق مدرس أمية وناظر الاوقاف : الرأي صدق الطاعة لغيث الدين. فقال انّ ما أخشاه فسر اليه وتوثق لي منه ففعل. وسار الى غياث الدين فأطلعه عن الجلي من أمر ابن حرميل ، ووعدته الثورة به .

وكتب غياث الدين الى نائبه بمرور يستدعيه فتوقف ، وحمله أهل مرو على المسير فسار فخلع عليه غياث الدين وأقطعه . واستدعى غياث الدين أيضاً نائبه بالطالقان أميران قطر فتوقف فأقطع الطالقان سونج مملوك ابنه المعروف بأمير شكار ، وبعث الى ابن حرميل مع ابن زياد بالخلع ، ووصل معه رسوله يستنجز خطبته له فطلعه أياماً حتى وصل عسكر خوارزم شاه من نيسابور ، ووصل في اثرهم خوارزم شاه ، وانتهى الى بلخ على اربعة فراسخ فندم ابن حرميل عندما عاين مصدوقة الطاعة . وعرف عسكر خوارزم شاه بأن صاحبهم قد صالح غياث الدين ، وترك له البلاد فانصرفوا الى صاحبهم ، وبعث اليه معهم بالهدايا .

ولما سمع غياث الدين بوصول عسكر خوارزم شاه الى هراة أخذ اقطاع بن حرميل ، وقبض على أصحابه واستصفى أمواله وما كان له من الذخيرة في حروبان . وتبين ابن حرميل في أهل هراة الميل الى غياث الدين والانحراف عنه ، وخشي من ثورتهم به فأظهر

طاعة غياث الدين . وجمع أهل البلد على مكاتبتة بذلك فكتبوا جميعاً وأخرج الرسول بالكتاب ودسّ اليه بأن يلحق عسكر خوارزم شاه فيردّهم اليه ، فوصل الرسول بهم لرابع يومه . ولقيهم ابن حرميل وأدخلهم البلد ، وسمل ابن زياد الفقيه ، وأخرج صاعداً القاضي وشيع الغورية فلاحقوا بغياث الدين ، وسلم البلد لعسكر خوارزم شاه . وبعث غياث الدين عسكره مع علي بن أبي علي ، وسار معه أميران صاحب الطالقان ، وكان منحرفاً عن غياث الدين بسبب عزله قدسّ الى ابن حرميل بأن يكبسه وواعده الهزيمة ، وحلف له على ذلك فكبسه ابن حرميل فانهزم عسكر غياث الدين وأسر كثير من أمرائه .

وشن ابن حرميل الفارة على بلاد بادغيس وغيرها من البلاد واعتزم غياث الدين على المسير بنفسه الى هراة ، ثم شغل عن ذلك بأمر غزنة ومسير صاحب باميان الى الدوس فأقصر ، واستظهر خوارزم شاه الى بلخ ، وقد كان عند مقتل شهاب الدين أطلق الغورية الذين كان أسرهم في المصاف على خوارزم ، وخيرهم في المقام عنده أو اللحاق بقومهم ، واستصفى من أكابرهم ، محمد بن بشير وأقطعه فلما قصد الآن بلخ قدم اليها أخوه علي شاه في العساكر ، وبرز اليه عمر بن الحسن أميرها فدافعه عنها ، ونزل على أربعة فراسخ وأرسل الى أخيه خوارزم شاه بذلك فسار اليه في ذي القعدة من السنة ، ونزل على بلخ وحاصرها وهم ينتظرون

المدد من صاحبهم باميان بن بهاء الدين، وقد شغلوا بغزنة فحاصرها خوارزم شاه اربعين يوماً ، ولم يظفر فبعث محمد بن بشير الغوري الى عماد الدين عمر بن الحسن نائبها يستنزله فامتنع فاعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة .

ثم بلغه أن أولاد بهاء الدين أمراء باميان ساروا الى غزنة وأسرهم تاج الدين الذر فأعاد محمد بن بشير الى عمر بن الحسين فأجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ، وخرج اليه فأعاده الى بلاده وذلك في ربيع سنة ثلاث وستمائة . ثم سار خوارزم شاه الى جوزجان وبها علي بن علي فنزل له عنها ، وسلمها خوارزم شاه الى ابن حرميل لانها كانت من أقطاعه ، وبعث الى غياث الدين عمر بن الحسين من بلخ يستدعيه . ثم قبض عليه وبعث به الى خوارزم شاه ، وسار الى بلخ فاستولى عليها واستخلف عليها جعفري التركي وعاد الى بلاده .

استيلاء خوارزم شاه على تبرمذ وتسليمها للخطا

ولما أخذ خوارزم شاه بلخ سار عنها الى ترمذ ، وبها عماد الدين عمر بن الحسين الذي كان صاحب بلخ ، وقدم اليه محمد بن علي ابن بشير بالعذر عن شأن أبيه ، وأنه انما بعثه لخوارزم مكرماً وهو أعظم خواصه ويعده بالاطلاع فاتهم^(١) على صاحبها أمره ، واجتمع عليه خوارزم شاه والخطا من جميع جوانبه ، وأسر اصحابه ملوك

(١) كذا، ومقتضى السياق: فاهم .

بإمّيان بقرّنه فاستأمن الى خوارزم شاه وملك منه البلد ، ثم سلمها الى الخطا وهم على كفرهم ليسالموه حتى يملك وينتزعها منهم فكان كما قدره ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء خوارزم شاه على الطالقان

ولما ملك خوارزم شاه ترمذ سار الى الطالقان وبها سونج ، واستتاب على الطالقان أمير شكار نائب غياث الدين محمود ، وبعث اليه يستميله فامتنع وبرز للحرب حتى تراءى الجمعان فتزل عن فرسه ونبد سلاحه ، وجاء متطارحاً في العفو عنه فأعرض عنه وملك الطالقان واستولى على ما فيها ، وبعث اليه سونج واستتاب على الطالقان بعض أصحابه ، وسار الى قلاع كالومين ويهوار ، وبها حسام الدين عليّ بن عليّ فقاتله ودفعه على ناحيته . وسار الى هُراة وخيّم بظاهرها . وجاء رسول غياث الدين بالهدايا والتحف ، ثم جاء ابن حرميل في جمع من عساكر خوارزم شاه الى أسفرين فلكها على الامان في صفر من السنة ، وبعث الى صاحب سجستان وهو حرب بن محمد بن ابراهيم من عقب خلف الذي كان ملكها منذ عهد ابن سبكتكين في الطاعة لخوارزم والخطبة له فامتنع ، وقصد خوارزم شاه وهو على هراة القاضي صاعد بن الفضل الذي أخرجه ابن حرميل ، ولحق بغياث الدين فلما جاء الى خوارزم شاه رماه ابن حرميل بالبليل الى الغوريّة فحبسه بقلعة زوزن ، وولي

القضاء بهراة الصفي أبا بكر بن محمد السرخسي ، وكان ينوب عن
صاعد وابنه في القضاء .

استيلاء خوارزم شاه على مازندران وأعمالها

ثم توفي صاحب مازندران حسام الدين أزدشير ، وولي مكانه
ابنه الأكبر ، وطرده أخاه الأوسط فقصد جرجان ، وبها الملك علي
شاه ينوب عن أخيه خوارزم شاه محمد بن توكش واستجده فاستأذن
أخاه وسار معه من جرجان سنة ثلاث وستمائة ، ومات الأخ الذي
ولي على مازندران وولي مكانه أخوها الأصغر ، ووصل علي
شاه ، ومعه أخو صاحب مازندران فماتوا في البلاد ، وامتنع
الملك بالقلاع مثل سارية ، وآمد فلكوها من يده ، وخطب فيها
لخوارزم شاه ، وعاد علي شاه الى جرجان ، وترك ابن صاحب
مازندران الذي استجار به ملكاً في تلك البلاد وأخوه بقلعة
كوره .

استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتاله من الخطا وأسمه وخلاصه

قد تقدم لنا كيف تغلب الخطا على ما وراء النهر منذ هزموا
سنجر بن ملك شاه ، وكانوا أمة بادية يسكنون الخيام التي
يسمونها الخركاوات ، وهم على دين المجوسية كما كانوا . وكانوا
موطنين بنواحي أوزكنده وبلاد ساغون وكاشغر ، وكان سلطان

سَمُرْقَنْدَ وَبُخَارَى مِنْ مَلُوكِ الْخَائِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ عَرِيقًا فِي الْإِسْلَامِ
وَالْبَيْتِ وَالْمَلِكِ ، وَيَلْقَبُ خَان خَاقَانَ ، بِمَعْنَى سُلْطَانَ السُّلَاطِينَ .
وَكَانَ الْخَطَا وَضَعُوا الْجَزِيَّةَ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ،
وَكَثُرَ عَيْشُهُمْ وَثَقُلَتْ وَطَأَتُهُمْ فَأَنْفَ صَاحِبِ بُخَارَى مِنْ تَحْكُمِهِمْ ،
وَبَعَثَ إِلَى خَوَارَزْمِ شَاهٍ يَسْتَصْرِخُهُ لِحَارِبَتِهِمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ مَا
يَحْمِلُونَهُ لِلْخَطَا ، وَتَكُونُ لَهُ الْخُطْبَةُ وَالسَّكَّةُ . وَبَعَثَ فِي ذَلِكَ وَجُوهَ
بُخَارَى وَسَمُرْقَنْدَ فَحَلَفُوا لَهُ وَوَضَعُوا رَهَائِنَهُمْ عِنْدَهُ فَتَجَهَّزَ لِذَلِكَ ،
وَوَلَّى أَخَاهُ عَلِيَّ شَاهٍ عَلَى طَبْرِسْتَانَ مَعَ جِرْجَانَ ، وَوَلَّى عَلَى نِيْسَابُورِ
الْأَمِيرَ كَزْلُوكَ خَانَ مِنْ أَخْوَالِهِ وَأَعْيَانَ دَوْلَتِهِ ، وَفَدَبَ مَعَهُ
عَسْكَرًا . وَوَلَّى عَلَى قَلْعَةِ زُوزَنَ أَمِينَ الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ ، وَكَانَ
أَصْلُهُ حَمًّا لَا فَارْتَفَعَ وَتَرَقَّى فِي الرُّتَبِ إِلَى مَلِكِ كِرْمَانَ ، وَوَلَّى عَلَى
مَدِينَةِ الْجَامِ الْأَمِيرَ جُلْدُوكَ ، وَأَقْرَبُ عَلَى هَرَاةِ الْحَسَنِ بْنِ حَزْمِيلَ ،
وَأَنْزَلَ مَعَهُ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَاسْتَنَابَ فِي مَرُوسَرَحْسَ وَغَيْرِهِمَا .
وَصَالِحَ غِيَاثِ الدِّينِ مُحَمَّدًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ بِلَادِ الْغُورِ وَكَرْمَسِينَ ،
وَجَمَعَ عَسَاكِرَ وَسَارَ إِلَى خَوَارَزْمَ فَتَجَهَّزَ مِنْهَا ، وَعَبَرَ جِيحُونَ وَاجْتَمَعَ
بِسُلْطَانِ بُخَارَى وَسَمُرْقَنْدَ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ الْخَطَا فِتَوَاقَعُوا مَعَهُ مَرَّاتٍ ،
وَبَقِيَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ سَجَالًا .

ثُمَّ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَأَسْرَ خَوَارَزْمِ شَاهٍ ، وَرَجَعَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى
خَوَارَزْمَ مَعْلُومَةً ، وَقَدْ أَرْجَفَ بِمَوْتِ السُّلْطَانِ . وَكَانَ كَزْلُوكَ خَانَ
نَائِبَ نِيْسَابُورَ مُحَاصِرًا لِهَرَاةَ ، وَمَعَهُ صَاحِبُ زُوزَنَ فَرَجَا إِلَى بِلَادِهِمَا

وأصلح كُزْلُكْ خان سور نيسابور، واستكثر من الجند والاقوات
وحدثته نفسه بالاستبداد، وبلغ خبر الارجاف الى أخيه علي شاه
بطبرستان فدعا لنفسه، وقطع خطبة أخيه. وكان مع خوارزم
شاه حين أسر أمير من أمرائه يعرف بابن مسعود فتحيل للسلطان
بأن أظهر نفسه في صورته، واتفقا على دعائه باسم السلطان، وأن
وأرهما صاحبهما الذي أسرها أن ابن مسعود هو السلطان، وأن
خوارزم شاه خديمه فأوجب ذلك الخطائي حقه، وعظمه لاعتقاده
انه السلطان. وطلب منه بعد أيام أن يبعث ذلك الخديم لاهله،
وهو خوارزم شاه في الحقيقة ليعرف أهله بخبره، ويأتيه بالمال
فيدفعه اليه فأذن له الخطائي في ذلك وأطلقه بكتابه، ولحق
بخوارزم ودخل اليها في يوم مشهود. وعلم بما فعله أخوه علي شاه
بطبرستان، وكزلك خان بنيسابور، وبلغها خبر خلاصه فهرب
كزلك خان الى العراق، ولحق علي شاه بنياث الدين محمود
فأكرمه وأثله. وسار خوارزم شاه الى نيسابور فأصلح أمورها
وولي عليها، وسار الى هراة فتزل عليها وعسكره محاصر دونها،
وذلك سنة أربع وستائة والله أعلم.

مقتل ابن حوميل ثم استيلاء خوارزم شاه على هراة

كان ابن حوميل قد تنكر لعسكر خوارزم شاه الذين كانوا
عنده بهراة لسوء سيرتهم، فلما عبر خوارزم شاه جيحون، واشتغل

بقتال الخطا قبض ابن حرميل على العسكر وجبسهم ، وبعث الى خوارزم شاه يعتذر ويشكو من فعلهم فكتب اليه يستحسن فعله ، ويأمره بانفاذ ذلك العسكر اليه ينتفع بهم في قتال الخطا ، وكتب الى جلدك بن طغرل صاحب الجام أن يسير اليه بهراة ثقة بفعله وحسن سريره . وأعلم ابن حرميل بذلك ، ودس الى جلدك بالتجبل على ابن حرميل بكل وجه والقبض عليه فصار في الفتي مقاتل ، وكان يهوى ولاية هراة لان ابا طغرل كان والياً بها لسنجر ، فلما قارب هراة أمر ابن حرميل الناس بالخروج لتلقيه ، وخرج هو في اثرهم بعد ان اشار عليه وزيره خواجا صاحب فلم يقبل . فلما التقى جلدك وابن حرميل ترجلا عن فرسيهما للسلام ، وأحاط أصحاب جلدك بابن حرميل وقبضوا عليه ، وانهزم اصحابه الى المدينة فأغلق الوزير خواجا الابواب ، واستعد للحصار ، وأظهر دعوة غياث الدين محمود .

وجاء جلدك فناداه من السور وتهده بقتل ابن حرميل ، وجاء ابن حرميل حتى أمره بتسليم البلد لجلدك فأبى وأساء الرد عليه وعلى جلدك فقتل ابن حرميل ، وكتب الى خوارزم شاه بالخبر فبعث خوارزم شاه الى كزلك خان نائب نيسابور والى أمين الدين أبي بكر نائب زوزن بالمسير الى جلدك ، وحصار هراة معه فصار لذلك في عشرة آلاف فارس . وحاصروها فامتنعت وكان خلال ذلك ما قدمناه من انهزام خوارزم شاه أمام الخطا وأسرهم اياه .

ثم تخلص ولحق بخوارزم، ثم جاء إلى نيسابور ولحق بالعساكر الذين يحاصرون هراة فأحسن إلى أمرائهم لصبرهم، وبعث إلى الوزير خواجا في تسليم البلد لأنه كان يعد عسكره بذلك حين وصوله فامتنع وأساء الرد، فشد خوارزم في حصاره، وضجر أهل المدينة وجهدهم الحصار وتحذثوا في الثورة فبعث جماعة من الجند للقبض عليه فثاروا بالبلد، وشعر جماعة العسكر من خارج بذلك فرجعوا إلى السور واقتحموه، وملك البلد عنوةً وجيء بالوزير أسيراً إلى خوارزم شاه فأمر بقتله فقتل، وكان ذلك سنة خمس وستمائة، وولى على هراة خاله أمير ملك وعاد وقد استقر له أمر خراسان.

استيلاء خوارزم شاه على بيروزكوه^(١) وسفر بلاد خراسان

لما ملك خوارزم شاه هراة وولى عليها خاله أمير ملك، وعاد إلى خوارزم بعث إلى أمير ملك يأمره^(٢) بيروزكوه، وكان بها غياث الدين محمود بن غياث الدين، وقد لحق به أخوه علي شاه، وأقام عنده فسار أمير ملك، وبعث إليه محمود بطاعته، ونزل إليه فقبض عليه أمير ملك وعلى علي شاه أخيه خوارزم شاه وقتلها جميعاً

(١) بيروزكوه من المشترك بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاء معجمة وضم الكاف ثم واو وهاء، معناه الجبل الأزرق، وهي قلعة حصينة دار مملكة جبال الغوراء من أبي الفداء.

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٩٣: وبلغ أخاه علي شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجئاً إلى غياث الدين محمود الغوري صاحب فيروزكوه فتلقاه وأكرمه وأنزله عنده.

سنة خمس وستمئة . وصارت خراسان كلها لخوازم شاه محمد بن
تُكش ، وانقرض أمر الغورية ، وكانت ذواتهم من أعظم الدول
وأحسنها ، والله تعالى ولي التوفيق .

هزيمة الخطا

ولما استقر أمر خراسان لخوازم شاه واستنفر وعبر نهر جيحون
وسار اليه الخطا وقد احتفلوا للقاءه ، وملكهم يومئذ طانيكوه ابن
مائة سنة ونحوها ، وكان مظفراً مجرباً بصيراً بالحرب . واجتمع
خوازم شاه وصاحب سمرقند وبخارى وتراجعوا سنة ست وستمئة
ووقعت بينهم حروب لم يعهد مثلها . ثم انهزم الخطا واخذ فيهم القتل
كل مأخذ واسر ملكهم طانيكوه فأكرمه خوازم شاه واجلسه معه
على سريرته ، وبعث به الى خوازم ، وسار هو الى ما وراء النهر ،
وملكها مدينة مدينة الى اوركند ، وانزل نوابه فيها وعاد الى
خوازم ومعه صاحب سمرقند فأصهر اليه خوازم شاه بأخته ، وردّه
الى سمرقند ، وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان أيام
الخطا ، والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء .

انتقاض صاحب سمرقند

ولما عاد صاحب سمرقند الى بلده ، أقام شحنة خوازم شاه ،
وعسكره معه نحواً من سنة . ثم استقبح سيرتهم وتنگر لهم ، وأمر

أهل البلاد فثاروا بهم وقتلوه في كل مذهب ، وهم بقتل زوجته
 اخت خوارزم شاه فغلقت الأبواب هويته واسترجعته فتركها وبعث
 الى ملك الخطا بالطاعة . وبلغ الخبر الى خوارزم شاه فامتعض ، وهم
 بقتل من في بلده من أهل سمرقند . ثم انشئ عن ذلك وأمر عساكره
 بالتوجه الى ما وراء النهر فخرجوا أرسالا ، وهو في أثرهم ، وعبر
 بهم النهر ونزل على سمرقند وحاصرها ، ونصب عليها الآلات ،
 وملكها عنوة واستباحها ثلاثاً وقتل فيها نحواً من مائتي ألف ،
 واعتصم صاحبها بالقلمة . ثم حاصرها وملكها عنوة وقتل صاحبها
 صبراً في جماعة من اقرانه . ومحا آثار الخانية ، وأُزيل في سائر البلاد
 وراء النهر نوابه ، وعاد الى خوارزم ، والله تعالى ولي النصر
 بيمينه وفضله .

استلهم الخطا

قد تقدم لنا وصول طائفة من أمم الترك الى بلاد تركستان
 وكاشغر ، وانتشارهم فيما وراء النهر ، واستخدموا للملوك الخانية
 أصحاب تركستان . وكان أرسالان خان محمد بن سليمان ينزلهم مسالح
 على الريف فيما بينه وبين الصين ، ولهم على ذلك الاقطاعات والجرايات .
 وكان يعاقبهم على ما يقع منهم من الفساد والعيث في البلاد ويوقع
 بهم ففروا من بلاده ، وابتغوا عنه فسيحاً من الارض ، ونزلوا
 بلاد ساغون . ثم خرج كوخان ملك الترك الاعظم من الصين

سنة اثنتين وعشرين ، وخمسمائة فسارت اليه أمم الخطاء ، ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان ، وهو ابن أخت السلطان سنجر فهزموه ، وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين ، وعبر جَيْحُون للقائهم في صفر سنة ست وثلاثين ، ولقيه أمم الترك والخطا فهزموه وأثخنوا في المسلمين وأسرت زوجة السلطان سنجر . ثم أطلقها كوخان بعد ذلك ، وملك الترك بلاد ما وراء النهر .

ثم مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ، ووليت بعده ابنته وماتت قريباً ، وملك من بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ، ثم انقرض ملكهم . واستولى الخطا على ما وراء النهر الى ان غلبهم عليه خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش كما قدّمنا . وكانت قد خرجت قبل ذلك خارجة عظيمة من الترك يُعرفون بالتتر ، ونزلوا في حدود الصين وراء تركستان ، وكان ملكهم كيشلي خان ، ووقع بينه وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الأمم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم ، وزحف كيشلي في أمم التتر الى الخطا لينتهاز الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يتلطفون له ، ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمرهم وتضيق عنه قدرته وقدرتهم . وبعث اليه كيشلي يغريه بهم ، وأن يتركه وإياهم ، ويخلف له على مسالة بلاده فسار خوارزم شاه يومهم كل واحد من الفريقين انه

له ، وأقام منتبذاً عنها حتى تواقعوا . وانهزم الخطا فال التتر عليهم ، واستلحموهم في كل وجه ، ولم ينج منهم الا القليل فتحصنوا بين جبال في نواحي تركستان ، وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه كانوا معه .

وبعث خوارزم شاه الى كشي خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا ، وانما إنما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ، ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم ، وسار لحربهم . ثم علم انه لا طاقة له بهم فكث يراوهم على اللقاء ، وكشي خان يعذله في ذلك وهو يغالطه ، واستولى كشي خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون . ثم عهد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة وإسحان وكاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله انزه منها ، ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد الاسلام ، وخرّب جميعها خوفاً أن يملكها التتر ثم اختلف التتر بعد ذلك ، وخرج على كشي طائفة أخرى منهم يعرفون بالمغل ^(١) وملكهم جنكيزخان فشغل كشي خان بحربهم عن خوارزم شاه فعبر النهر الى خراسان وترك خوارزم شاه الى أن كان أمره مانذكره والله تعالى أعلم .

استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسند

قد تقدم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش

(١) كذا ، وهم المغول .

تاج الدين أبو بكر^(١) وانه كان كرياً للدواب. ثم تربّت به الاحوال الى ان صار «سروان» لتكش، والسروان مقدّم الجهاد. ثم تقدّم عنده لجلده واستماتته، وصار أميراً وولاه قلعة زوزن. ثم تقدّم عند علاء الدين محمد بن تكش، واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكرياً، وسار الى كرمان سنة اثنتي عشرة، وصاحبها يومئذ محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكها. ثم سار الى كرمان وملكها كلها الى السند من نواحي كابل، وسار الى هُرمُز من مدن فارس بساحل البحر، واسم صاحبها مكيك فأطاعه وخطب لخوارزم شاه، وضمن مالا يحمّله، وخطب له بقلعات وبعض عمان من وراء النهر لانهم كانوا يتقربون الى صاحب هُرمُز بالطاعة، وتسير سفنهم بالتجار الى هرمز لانه المرسى العظيم الذي تسافر اليه التجار من الهند والصين. وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش مغاورات وقتن، وكل واحد منهما ينهى مراكب بلاده أن ترسي ببلاد الآخر. وكان خوارزم شاه يطيف بنواحي سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كيشلي خان بلاده.

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٠٨: وكان من جملة أمراء أبيه أمير اسمه أبو بكر ولقبه تاج الدين، وهو الذي فتح كرمان.

استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها

ولما استولى خوارزم شاه محمد بن تكش على بلاد خراسان ، وملك باميان وغيرها ، وبعث تاج الدين أُلُمرز صاحب غزنة ، وقد تغلب عليها بعد ملوك الغورية . وقد تقدّم في أخبار دولتهم فبعث اليه في الخطبة له ، وأشار عليه كبير دولته قُطْلُغ تكين مولى شهاب الدين الغوري وسائر أصحابه بالاجابة الى ذلك فنخطب له ونقش السكة باسمه . وسار الى قنصيرا ، وترك قُطْلُغ تكين بغزنة نائباً عنه فبعث قُطْلُغ تكين لخوارزم شاه يستدعيه فأعد له السير ، وملك غزنة وقلعتها ، وقتل الغورية الذين وجدوا بها خصوصاً الاتراك . وبلغ الخبر المرز فهرب الى أساون . ثم أحضر خوارزم شاه قُطْلُغ ووثّجه على قلة وفائه لصاحبه ، وصادره على ثلاثين حملاً من أصناف الاموال والامتعة ، وأربعمائة مملوك . ثم قتله وعاد الى خوارزم وذلك سنة ثلاث عشرة وستائة ، وقيل سنة اثنتي عشرة بعد ان استخلف عليها ابنه جلال الدين منكبرس والله أعلم بغيبه وأحكامه .

استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل

كان خوارزم شاه محمد بن تُكُش قد ملك الرُّها وهَمْدان وبلاد الجبل كلها أعوام تسعين وخمسمائة من يد قُطْلُغ أنبايخ بقيّة أسراء السُّلجوقيّة ، ونازعه فيها ابن القصّاب وزير الخليفة الناصر فعلمه

خوارزم شاه وقتله كما مرَّ في أخباره . ثم شغل عنها تكش الى أن توفي ، وذلك سنة سبع وتسعين ، وصار ملكه لابنه علاء الدين محمد بن تكش . وتغلب موالي البهلوان على بلاد الجبل واحداً بعد واحد ، ونصبوا أوزبك بن مولا هم البهلوان . ثم انتقضوا عليه وخطبوا لخوارزم شاه ، وكان آخر من ولي منهم أغماش ، وأقام بها مدة يخطب لعلاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه . ثم وثب عليه بعض الباطنية ، وطمع أوزبك بن محمد البهلوان بقية الدولة السلجوقية بأذربيجان وأران في الاستيلاء على أعمال أصفهان والري وهمدان وسائر بلاد الجبل . وطمع سعد بن زنكي صاحب فارس ويقال سعد بن دكلا في الاستيلاء عليها أيضاً كذلك . وسار في العساكر فلما أوزبك أصفهان بمالأة أهلها ، وملك سعد الري وقزوین وسمنان . وطار الخبر الى خوارزم شاه بأصفهان وسمرقند فسار في العساكر سنة أربع عشرة وستائة في مائة ألف بعد أن جهز العساكر فيما وراء النهر وبشغور الترك ، وانتهى الى قومس ففارق العساكر ، وسار متجرداً في اثني عشر ألفاً . فلما ظفرت مقدمته بأهل الري ، وسدَّ نخيم بظاهرها ركب للقتال يظن أنه السلطان . ثم تبين الآلة والمركب ، واستيقن انه السلطان فولت عساكره منهزمة ، وحصل في أسر السلطان .

وبلغ الخبر الى أوزبك بأصفهان فسار الى همدان . ثم عدل عن الطريق في خواصه ، وركب الأوعار الى أذربيجان ، وبعث

وزيره أبا القاسم بن علي بالاعتذار فبعث إليه في الطاعة فأجابه ،
وحمله الضريبة فاعتذر بقتال الكرج . وأماً سعد صاحب فارس
فبلغ الخبر بأسره الى ابنه نصره الدين أبي بكر فهاج بخلمان أبيه ،
وأطلق السلطان سعداً على أن يعطيه قلعة أصطخُر ، ويحمل إليه
ثلك الخراج ، وزوجه بعض قرابته ، وبعث معه من رجال الدولة
من يقبض أصطخُر . فلما وصل الى شيراز وجد ابنه منتقضاً فداخله
بعض أمراء ابنه ، وفتح له باب شيراز ، ودخل على ابنه واستولى
على ملكه ، وخطب لخوازم شاه . واستولى خوارزم شاه على
شاور وقزوين وجرجان وأبهر وهمدان وأصفهان وقم وقاشان
وسائر بلاد الجبل . واستولى عليها كلها من أصحابها ، واختص
الامير طائين بهمدان ، وولى ابنه ركن الدولة ياورشاه عليهم جميعاً ،
وجعل معه جمال الدين محمد بن سابق الشاوي وزيراً .

طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها

ثم بعد ذلك بعث خوارزم شاه محمد بن تكش الى بغداد
يطلب الخطبة بها من الخليفة كما كانت لبني سُلجُوق ، وذلك سنة
أربع عشرة . وذلك لما رأى من استفحال أمره ، واتساع ملكه
فامتنع الخليفة من ذلك ، وبعث في الاعتذار عنه الشيخ شهاب
الدين السهروردي فأكبر السلطان مقدمه ، وقام لتلقيه . وأول ما
بدأ به الكلام على حديث الخطبة ببغداد ، وجلس على ركبته

لاستماعه . ثم تكلم وأطال وأجاد ، وعرض بالموعظة في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم في بني العباس وغيرهم والتعرض لآذيتهم فقال السلطان : حاشا لله من ذلك ، وأنا ما آذيت أحداً منهم ، وأمير المؤمنين كان أولى مني بموعظة الشيخ ، فقد بلغني أن في محبسه جماعة من بني العباس مخلصين يتناسلون ، فقال الشيخ : الخليفة إذا حبس أحداً للإصلاح لا يعترض عليه فيه فابويع إلا للنظر في المنصالح . ثم ودّعه السلطان ، ورجع الى بغداد^(١) . وكان ذلك قبل أن يسير الى العراق^(٢) . فلما استولى على بلاد الجبل وفرغ من أمرها سار الى بغداد ، وانتهى الى عَقَبَة سراباد وأصابه هنالك ثلج عظيم أهلك الحيوانات ، وعفن أيدي الرجال وأرجلهم حتى قطعوها ، ووصله هنالك شهاب الدين السهروردي ، ووعظه فندم ورجع عن قصده فدخل الى خوارزم سنة خمس عشرة ، والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

قصة السلطان خوارزم شاه الملك بين ولده

ولما استكمل السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش ملكه بالاستيلاء على الريّ وبلاد الجبل ، قسّم أعمال ملكه بين ولده فجعل خوارزم وخراسان ومازندران لوليّ عهده قُطْب الدين أُولاغ

(١) أي رجع الشيخ إلى بغداد .

(٢) أي يسير السلطان إلى العراق .

شاه، وإنما كان وليّ عهده دون ابنه الأكبر جلال الدين مُنكَبِرِس لأنّ أمّ قطب الدين وأمّ السلطان ، وهي تركمان خاتون من قبيلة واحدة ، وهم : فياروت من شعوب يَمَك إحدى بطون الخطا فكانت تُركمان خاتون متحكمة في ابنها السلطان محمد بن تكش وجعل غزنة وباميان والغور وُبُسْت ومُكْسَا مادومان من الهند لابنه جلال الدين منكبرس . وكِرْمان وكِش ومَكْرِمان لابنه غياث الدين يترشاه . وبلاد الجبل لابنه ركن الدين غورشاه كما قدّمناه . وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له ، وهي دَبَادِب صغار تُقرع عقب الصلوات الخمس . واختصّ هو بنوبة سَمَاها نوبة ذي القرنين سبع وعشرين دبدابة كانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر. هكذا ذكر الوزير محمد ابن أحمد النسوي المنشي . كاتب جلال الدين منكبرس في أخباره وأخبار أبيه علاء الدين محمد بن تكش ، وعلى كتابه اعتمدت دون غيره لانه أعرف بأخبارهما .

وكانت كِرْمان ومَكْرِمان وكِش لمؤيد الملك قوام الدين . وهلك متصرف السلطان من العراق فأقطعها لابنه غياث الدين كما قلناه . وكان الملك هذا سوقةً فأصبح ملكاً . وأصل خبره أنّ أمّه كانت داية في دار نصرة الدين محمد بن أثر صاحب زوزن ، ونشأ في بيته واستخدمه وسفر عنه للسلطان فسعى به أنه من الباطنية . ثم رجع فخوّفه من السلطان بذلك فانقطع نصرة الدين

الى الاسماعيلية، وتحصن ببعض قلاع زوزن، وكتب قوام الدين بذلك الى السلطان فجعل اليه وزارة زوزن، وولاية جبايتها. ولم يزل يخادع صاحبه نصره الدين الى أن رجع فتمكن من السلطان وسلمه. ثم طمع قوام الدين في ملك كرمان، وكان بها أسير من بقية الملك دينار، وأمدّه السلطان بعسكر من خراسان فلما كرمّان وحسن موقع ذلك من السلطان فلقية مؤيد الملك وجعلها في أقطاعه. ولما رجع السلطان من العراق وقد نفقت جماله بعث اليه بأربعة آلاف بختي، وتوفي أثر ذلك فردّ السلطان أعماله الى ابنه غياث الدين كما قلناه، وحمل من تركته الى السلطان سبعون حملاً من الذهب خلا الاصناف.

أخبار تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش

كانت تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش من قبيلة يياروت من شعوب الترك يك من الخطا، وهي بنت خان حبكش من ملوكهم، تزوّجها السلطان خوارزم شاه تكش فولدت له السلطان محمداً. فلما ملك لحق بها طوائف يك ومن جاورهم من الترك، واستظهرت بهم وتحكمت في الدولة فلم يملك السلطان معها أمره.

وكانت تولي في النواحي من جهتها كما يولي السلطان، وتحكم بين الناس وتنصف من الظلامات وتقدم على الفتك والقتل

وتقيم معاهد الخير والصدقة في البلاد، وكان لها سبعة من الموقعين يكتبون عنها ، وإذا عارض توقيعها لتوقيع السلطان عمل بالتأخر منها . وكان لقبها : خُداوَنَدِيْجَان أي صاحبة العالم ، وتوقيعها في الكتاب عصمة الدنيا والدين أولاغ تركمان ملك نساء العالمين . وعلامتها اعتصمت بالله وحده ، تكتبها بقلم غليظ وتجوّد كتابتها أن ترور عليها ، واستوزرت للسلطان وزيره نظام الملك ، وكان مستخدماً لها فلما عزل السلطان وزيره أشارت عليه بوزارة نظام الملك هذا فورر له على كره من السلطان ، وتحكم في الدولة بتحكما . ثم تنكر له السلطان لامور بلفته عنه ، وعزله فاستمر على وزارتها ، وكان شأنه في الدولة أكبر . وشكاه اليه بعض الولاة بنواحي خوارزم أنه صادره فأمر بعض خواصه بقتله فنفعته تُركمان من ذلك ، وبقي على حاله وعجز السلطان عن انفاذ أمره فيه ، والله يؤيد بنصره من يشاء .

الْبَيْت

فروخ التتر وغلبهم على ما ويا ، انهز وقبار السلطان أمامهم من خراسان

ولما عاد السلطان من العراق سنة خمس عشرة . كما قدّمناه ، واستقرّ بنيسابور وفدت عليه رسل جنكيزخان بهدية من المعدّنين ،

ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الطائية التي تنسج من وبر
الابل البيض ، ويخبر أنه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك ،
ويسأل الموادة والاذن للتجار من الجانبين في التردد في متاجرهم
وكان في خطابه اطراء السلطان بأنه مثل أعز أولاده فاستكف
السلطان من ذلك ، واستدعى محموداً الخوارزمي من الرسل ،
واصطنعه ليكون عيناً له على جنكيزخان ، واستخبره على ما قاله
في كتابه من ملكه الصين ، واستيلائه على مدينة طوغاج فصدق
ذلك ، وانكر عليه الخطاب بالولد .

وسأله عن مقدار العساكر فغشاه وقلها ، وصرفهم السلطان بما
طلبوه من الموادة والاذن للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم
الى إزار ، وبها نبال خان ابن خان السلطان في عشرين ألفاً من
العساكر فشره الى أموالهم ، وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا
بتجار فأمره بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية ، وأخذ أموالهم . وفشا
الخبر الى جنكيزخان فبعث بالنكير الى السلطان في نقض العهد .
وان كان فعل نبال افتياتاً فبعث اليه يتهدده على ذلك فقتل
السلطان الرسل ، وبلغ الخبر الى جنكيزخان فصار في العساكر .
واعترم السلطان أن يحصن سمرقند بالأسوار فجبى لذلك خراج
سنتين ، وجبى ثلاثة استخدم بها الفرسان . وسار الى أحياء
جنكيزخان فكبسهم وهو غائب عنها في محاربة كيشلي خان فغنم
ورجع ، وأتبهم ابن جنكيزخان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك

فيها كثير من الفريقين .

ولما خوارزم شاه الى جيحون فأقام عليه ينتظر شأن التتر .
ثم عاجله جنكزخان فأجفل وتركها وفرق عساكره في مدن ما
وراء النهر : إنزار وبُخارى وسمرقند وترمذ وجند . وأنزل
آبنايخ من كبراء أمرائه وحجاب دولته في بخارى . وجاء
جنكزخان الى إنزار فحاصرها وملكها غلاباً ، وأسر أميرها نبال
خان الذي قتل التجار وأذاب الفضة في أذنيه وعينيه . ثم حاصر
بخارى وملكها على الامان ، وقتلوا معه القلعة حتى ملكوها .
ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخرّبها . ورحل جنكزخان الى سمرقند
ففعّلوا فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وستائة . ثم كتب كتباً على
لسان الامراء قرابة أمّ السلطان يستدعون جنكزخان ، ويعدها
بزيادة خراسان الى خوارزم ، وبعث من يستخلفه على ذلك .
وبعث الكتب مع من يتعرّض بها السلطان فلما قرأها ارتاب
بأمره وبقرابتها .

أجفال السلطان خوارزم شاه الى خراسان ثم الى طبرستان وملكه

ولما بلغ السلطان استيلاء جنكزخان على إنزار وبخارى
وسمرقند ، وجاءه نائب بُخارى ناجياً في الفلّ أجفل حينئذ وعبر
جيحون . ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه ، وعلا
الدين صاحب قيدير ، وتحاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر في

أثره نحواً من عشرين ألفاً يسميهم التتر المغربة لسيرهم نحو غرب خراسان فتوغّلوا في البلاد ، وانتهوا الى بلاد بيجور واكتسحوا كل ما مروا عليه . ووصل السلطان الى نيسابور فلم يثبت بها ، ودخل الى ناحية العراق بعد أن أودع أمواله . قال المنشي : في كتابه حدثني الامير تاج الدين البُسطامي قال : لما انتهى خوارزم شاه في مسيره الى العراق استحضرتني وبين يديه عشرة صناديق مملوءة لآلي ، لا تعرف قيمتها ، وقال في اثنين منها فيها من الجواهر ما يساوي خراج الارض بأسرها ، وأمرني بحملها الى قلعة أزدق من أحصن قلاع الارض ، وأخذت خطيد الموالي بوصولها ثم أخذها التتر بعد ذلك حين ملكوا العراق انتهى .

ولما ارتحل خوارزم شاه من نيسابور قصد مازندران والتتر في أثره ، ثم انتهى الى أعمال همدان فكبسوه هناك ، ونجا الى بلاد الجبل ، وقتل وزيره عماد الملك محمد بن نظام الملك وأقام هو بساحل البحر بقرية عند الفريضة يصلي ويقرأ ويعاهد الله على حسن السيرة . ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر وخاضوا في أثره فغلبهم الماء ، ورجعوا ووصلوا الى جزيرة في بحر طبرستان فأقام بها وطرقه المرض فكان جماعة من أهل مازندران يمرضونه ويحمل اليه كثيراً من حاجته فيوقع لحاملها بالولايات والاقطاع ، وأمضى ابنه جلال الدين بعد ذلك جميعها . ثم هلك سنة سبع عشرة وستائة ودفن بتلك الجزيرة لاحدى وعشرين سنة من ملكه بعد أن عهد

لابنه جلال الدين مُنكبرس، وخلع ابنه الاصغر قطب الدين أولاغ شاه. ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركمان خاتون بخوارزم خرجت هاربة بعد أن قتلت نحواً من عشرين من الملوك والاكاير المحبوسين هنالك، ولحقت بقلعة إيلان من قلاع مازندران فلما رجع التتر المغربة عن السلطان خوارزم شاه بعد ان خاض بحر طبرستان الى الجزيرة التي مات بها فقصدوا مازندران، وملكوا قلاعها على ما فيها من الامتناع. ولقد كان فتحها تأخر الى سنة تسعين أيام سليمان بن عبد الملك فملكوها واحدة واحدة، وحاصروا تركمان خاتون في قلعة إيلان الى ان ملكوا القلعة صلحاً وأسروها. وقال ابن الاثير انهم لقوها في طريقها الى مازندران فأحاطوا بها وأسروها ومن كان معها من بنات السلطان، وتزوجهن التتر، وتزوج دوش خان بن جنكيزخان باحداهن، وبقيت تُركمان خاتون أسيرة عندهن في غمول وذل. وكانت تحضر سباط جنكيزخان كاحداهن، وتحمل قوتها منه. وكان نظام الملك وزير السلطان مع أمه تركمان خاتون فحصل في قبضة جنكيزخان، وكان عندهم معظماً لما بلغهم من تنكر السلطان له. وكانوا يشاورونه في امر الجباية فلما استولى دوش خان على خوارزم، وجاء بحرم السلطان الذين كانوا بها، وفيهن مغنيات فوهب احداهن لبعض خدمه فنعت نفسها منه، ولجأت للوزير نظام الملك فشكاه ذلك الخادم لجنكيزخان ورماه بالجارية فأحضره جنكيزخان وعدد عليه خيانة استاذه وقتله.

تاريخ العلامة أبو خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبرة
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الخامس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثاني

٩

دار الكتاب اللبناني بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الخامس

القسم الثاني

من تاريخ الصلابة ابن خلدون

مسير التتر بعد مملك خوارزم شاه من العراق
الى أذربيجان وما وراءها من البلاد هناك

ولما وصل التتر الى الري في طلب خوارزم شاه محمد بن تكش
سنة سبع عشرة وستائة ولم يحدوه عادوا الى همدان ، واكتسحوا
ما مروا عليه ، وأخرج اليهم أهل همدان ما حضرهم من الاموال
والثياب والدواب فأمنوهم . ثم ساروا الى زنجان ففعلوا كذلك ،
ثم الى قزوین فامتنعوا منهم فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها
ويقال ان القتلى بقزوین زادوا على أربعين ألفاً . ثم هجم عليهم

الشتاء فساروا الى أذربيجان على شأنهم من القتل والاكتساح ،
 وصاحبها يومئذ أذربك بن البهلوان ، مقيم بتبريز عاكف على لذاته
 فراسلهم وصانهم ، وانصرفوا الى بوقان ليشتوا بالسواحل . ومروا
 الى بلاد الكرج فجمعوا لقتالهم فهزمهم التتر وأثخنوا فيهم فبعثوا
 الى أذربك صاحب أذربيجان ، وإلى الاشرف بن العادل بن أيوب
 صاحب خلاط والجزيرة يطلبون اتصال أيديهم على مدافعة التتر .
 وانضاف الى التتر أقوش من موالي أذربك ، وإليه^(١) جموع من
 التركمان والاكراد . وسار مع التتر الى الكرج واكتسحوا بلادهم
 وانتهموا الى بلقين^(٢) . وسار اليهم الكرج فلقبهم أقوش أولاً .
 ثم لقبهم التتر فانهمز الكرج ، وقتل منهم ما لا يحصى وذلك في
 ذي القعدة من سنة سبع عشرة .

ثم عاد التتر الى مراغة ومروا بتبريز فصانهم صاحبها كعادته ،
 وانتهموا الى مراغة فقاتلوها أياماً وبها امرأة تملكها . ثم ملكوها في
 صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها . ثم رحلوا عنها الى مدينة إزبل
 وبها مظفر الدين^(٣) فاستمد بدر الدين صاحب الموصل
 فامده بالعساكر . ثم هم بالخروج لحفظ الدروب على بلاده فجاءت
 كتب الخليفة الناصر اليهم جميعاً بالمسير الى دقوقا ليقبضوا بها مع

(١) أي وانضاف إليه .

(٢) كذا ، وهي البليقان كما في معجم البلدان .

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٤١ : مظفر الدين صاحب أربل .

عساكره ، ويدافع عن العراق . وبعث معهم بشتمر كبير أمرائه ، وجعل المقدم على الجميع مظفر الدين صاحب إربل فحاموا عن لقاء التتر وخام التتر عن لقاءهم وساروا إلى همدان ، وكان لهم بها شحنة منذ ملكوها أولاً فطالبوه بفرض المال على أهلها . وكان رئيس همدان شريفاً علوياً قديماً الرياسة بها فحضرهم على ذلك فضجروا وأسأوا الرد عليه ، وأخرجوا الشحنة وقتلوا التتر ، وغضب العلوي فتسلل عنهم إلى قلعة بقربها فامتنع ، وزحف التتر إلى البلد فلكوه عنوة واستباحوه واستلحموا أهلها .

ثم عادوا إلى أذربيجان فلكوا أذربيل واستباحوها وخربوها وساروا إلى تبريز وقد فارقتها أذربك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأران ، وقصد لئجوان وبعث بأهل وحرمة إلى خوي فراراً من التتر لمجزه وانهاكه فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائي ، وجمع أهل البلد واستعد للحصار فأرسل إليه التتر في المصانعة فصانعهم وساروا إلى مدينة سوي فاستباحوها وخربوها ، وساروا إلى يلقان فحاصروها وبعثوا إلى أهل البلد رجالاً من أكابرهم يقررون معهم في المصانعة والصلح فقتلوه فأسرى التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوة في رمضان سنة ثمان عشرة واستلحموا أهلها وأفحشوا في القتل والمثلة ، حتى بقروا البطون على الاجنة واستباحوا جميع الضاحية قتلاً ونهباً وتخريباً . ثم ساروا إلى قاعدة أران وهي كنجة ورأوا امتناعها فطلبوا المصانعة من أهلها فصانعوهم .

ولما فرغوا من أعمال أذربيجان وأران ساروا الى بلاد الكرج وكانوا قد جمعوا لهم واستعدوا ووقعوا في حدود بلادهم فقاتلهم التتر فهزموهم الى بَلَقِينَ قاعدة ملكهم فجمعوا هنالك؛ ثم خاموا عن لقائهم لما رأوا من اقتحامهم المضائق والجبال فعادوا الى بلقين واستولى التتر على نواحيها فخربوها كيف شاؤا ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة الاوعار والدوسرات فعادوا عنها، ثم قصدوا درنبر^(١) شروان، وحاصروا مدينة سماهي^(٢) وفتكوا في أهلها ووصلوا الى السور فعالوه باشلاء القتل حتى ساموه^(٣) واقتحموا البلد فأهلكوا كل من فيه. ثم قصدوا الدرنبر فلم يطيقوا عبوره فأرسلوا الى شروان في الصلح فبعث اليهم رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم، واتخذوا الباقين أذلاء، فسلكوا بهم درنبر شروان وخرجوا الى الارض الفسيحة، وبها أمم الفُفْجاق واللان واللكن وطوائف من الترك مسلمون وكفار فأوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البسائط، وقاتلهم قفجاق واللان ودافعوهم.

ولم يطق التتر مغالبتهم، ورجعوا وبعثوا الى الفُفْجاق وهم واثقون بمسالتهم فأوقعوا بهم، وجرّ من كان بعيداً منهم الى بلاد

(١) كذا، وهي مدينة دريند. كما في الكامل وفي معجم البلدان.

(٢) كذا، وهي مدينة شياخي كما في الكامل وفي معجم البلدان.

(٣) كذا، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٤٠: ثم إن التتر صعدوا سورها بالسلايليم، وقيل بل جمعوا كثيراً من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتل الناس منهم ومن قتل من غيرهم، وألقوا بعضه فوق بعض فصار مثل الغل وصعدوا عليه.

الروس ، واعتصم آخرون بالجبال والنياض . واستولى التتر على بلادهم وانتهموا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهي مادتهم ، وفيها تجارتهم فلحقها التتر وافترق أهلها في الجبال . وركب بعضهم الى بلاد الروم في ايلة بني قليج أرسلان . ثم سار التتر سنة عشر وستائة من بلاد قفجاق الى بلاد الروس المجاورة لها ، وهي بلاد فسيحة ، وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا الى مدافعتهم في تخوم بلادهم ؛ ومعهم جوع من القفجاق سافروا اليهم فاستطرد لهم التتر مراحل . ثم كروا عليهم وهم غارون فطاردهم القفجاق والروم أياماً . ثم انهزموا وأنخن التتر فيهم قتلاً وسبياً ونهباً . وركبوا السفن هارين الى بلاد المسلمين ، وتركوا بلادهم فاكسحها التتر . ثم عادوا اليها وقصدوا بلغار أواخر السنة ، واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم ، وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينبج منهم الا القليل ، وارتحلوا عائدين الى خنكرخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها . والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء .

أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه

قد كنا قدّمنا مهلك خوارزم شاه ، ومسير هؤلاء التتر المغربة في طلبه ، ثم انتهائهم بعد مهلكه الى النواحي التي ذكرناها .

وكان جنكزخان بعد اجفال خوارزم شاه من جيحون ، وهو بَسْمَرْقَنْد قد بعث عسكراً الى تَرَمِذ ، فساروا منها الى كلات من أحسن القلاع الى جانب جيحون فاستولوا عليها وأوسعوها نهياً وسير عسكراً آخر الى قَرْغَانَة ، وكذلك عسكراً آخر الى خوارزم ، وعسكراً آخر الى خَوْزِستان فعبّر عسكر خراسان الى بَلَخ وملكوها على الأمان سنة سبع وستمائة ، ولم يعرضوا لها بعيث ، وأزّلوا شحنتهم بها . ثم ساروا الى زَوْزَن وايدخوى وفاراب فملكوها وولوا عليها ، ولم يعرضوا لاهلها بأذى وانما استنفروهم لقتال البلد معهم .

ثم ساروا الى الطالقان ، وهي ولاية متسعة فقصدوا قلعة صور كوه من أمتع بلادها فحاصروها ستة أشهر ، وامتنعت عليهم فساد اليهم جنكزخان بنفسه ، وحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى اذا رأى امتناعها أمر بنقل الحشب والتراب ، حتى اجتمع منه تلّ مشرف على البلد ، واستيقن أهل البلد الهلكة واجتمعوا وفتحوا الباب ، وصدقوا الحملة فنجا الحيالة وتفرقوا في الجبال والشعاب وقتل الرجال ، ودخل التتر البلد فاستباحوها . ثم بعث جنكزخان صهره قفجاق قوين الى خراسان وىرواسا وقتلوه فامتنعت عليهم ، وقتل قفجاق قوين فأقاموا على حصارها وملكوها عنوة واستباحوها وخرّبوها . ويقال قتل فيها أزيد من سبعين ألفاً وجع من الجثث عدداً كبيراً فكان كالنلال العظيمة وكان

رؤساؤها بني حمزة بخوارزم منذ ملكها خوارزم شاه تكش ، فعاد اليها اختيار الدين جنكي بن عمر بن حمزة وبنو عمه وضبطوها . ثم بعث جنكزخان ابنه في العساكر الى مدينة مرو ، واستنفر أهل البلاد التي ملكوها من قبل مثل بلخ وأخواتها . وكان الناجون من هذه الوقائع كلها قد لحقوا بهرو ، واجتمع بها ما يزيد على مائتي ألف ، وعسكروا بظاهرها لا يشكون في الغلب . فلما قاتلهم التتر صابروهم فوجدوا في مصابرتهم ما لم يحتسبوه فولوا منهزمين . وأثخن التتر فيهم ، ثم حاصروا البلد خمسة أيام ، وبعثوا الى أميرها يستميلونه للنزول عنها فاستأمن اليهم وخرج فأكرموه أولاً . ثم أمروا باحضار جنده للعرض حتى استكملوا وقبضوا عليهم .

ثم استكتبوا رؤساء البلد وتجاره وصناعه على طبقاتهم . وخرج أهل البلد جميعاً ، وجلس لهم جنكزخان على كرسي من ذهب^(١) فقتل الجند في صعيد واحد ، وقسم المائة رجالاً وأطفالاً ونساء بين بين الجند فاقسموهم ، وأخذوا أموالهم . وامتحنوهم في طلب المال ونبشوا القبور في طلبه . ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سينجر . ثم استلحم في اليوم الرابع أهل البلد جميعاً . يقال كانوا سبعمائة . ثم ساروا الى نيسابور وحاصروها خمساً . ثم اقتحموها

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٤٢ : وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم فاحضروا وضربت رقابهم صبرا ، والناس ينتظرون إليهم ويبكون .

عنوةً وفعلوا فيها فعلهم في مرو أو أشدّ . ثم بعثوا عسكرياً الى طوس وقملوا فيها مثل ذلك وخرّبوها ، وخرّبوا مشهد علي بن موسى الرضا . ثم ساروا الى هُراة وهي من أمنع البلاد فحاصروها عشراً وملكوها ، وأمنوا من بقي من أهلها ، وأزّلوا عندهم شحنة وساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه كما يذكر بعد فوئب أهل هُراة على الشحنة وقتلوه . فلما رجع التتر منهزمين اقتحموا البلد واستباحوه وخرّبوه وأحرقوه ونهبوا نواحيه أجمع ، وعادوا الى جنكرخان بالطالقان وهو يرسل السرايا في نواحي خراسان حتى أتوا عليها تحريماً ؛ وكان ذلك كله سنة سبع عشرة ، وبقيت خراسان خراباً . وتراجع أهلها بعض الشيء . فكانوا فوضى ، واستبدّ آخرون في بعض مدنها كما نذكر ذلك في أماكنه ، والله أعلم .

أخبار السلطان جلال الدين منكبرس مع التتر

بعد هلاك خوارزم شاه واستقراره بغزنة

ولما توفي السلطان خوارزم شاه محمد بن تَكش بجزيرة بحر طبرستان ركب ولده البحر الى خوارزم يقدمهم كبيرهم جلال الدين منكبرس ، وقد كان وثب بها بعد منصرف تَزْكُمان خاتون أم خوارزم شاه رجل من العيارين فضبطها وأساء السيرة ، وانطلقت اليها أيدي العيارين . ووصل بعض نواب الديوان فأشاعوا موت

السلطان ففرّ العيارون . ثم جاء جلال الدين واخوته واجتمع الناس اليهم فكانوا معهم سبعة آلاف من العساكر ، أكثرهم الياوونية قرابة أم خوارزم شاه قالوا الى أولاغ شاه ، وكان ابن أختهم كما مرّ وشاوروا في الوثوب بجلال الدين وخلعه ، ونمي الخبر اليه فسار الى خراسان في ثلثمائة فارس ، وسلك المفازة الى بلد نسا فلقي هناك رسداً من التتر فهزمهم ولجأ فلهم الى نسا ، وكان بها الامير اختيار زنكي بن محمد بن عمر بن حمزة قد رجع اليها من خوارزم كما قدّمناه ، وضبطها فاستلحم فلّ التتر وبلغ . وبعث الى جلال الدين بالمدد فار الى نيسابور . ثم وصلت عساكر التتر الى خوارزم بعد ثلاث من مسير جلال الدين فأجفل أولاغ واخوته وساروا في اتباعه ومروا بنسا فسار معهم اختيار الدين صاحبها ، واتبعتهم عساكر التتر فأدركوهم بنواحي خراسان وكبسوهم فقتل أولاغ شاه وأخوه انشاء ، واستولى التتر على ما كان معهم من الأموال والذخائر ، واقتربت في أيدي الجند والفلاحين فبيعت بأبخس الاثمان .

ورجع اختيار الدين زنكي الى نسا فاستبدّ بها ، ولم يسم الى مراسم الملك . وكتب له جلال الدين بولايتها فراجع أحوال الملك . ثم بلغ الخبر الى جلال الدين بزحف التتر الى نيسابور ، وأن جنكيزخان بالطاقان ، فسار الى نيسابور ومن نيسابور الى بست ، واتبعه نائب هراة الامير ملك خان ابن خال السلطان

خوارزم شاه في عشرة آلاف فارس هارباً امام التتر وقصد سجستان فامتنعت عليه فرجع ، واستدعاه جلال الدين فسار اليه واجتمعوا فكبسوا التتر ، وهم محاصرون قلعة قنّدهار فاستلحموهم ، ولم يفلت منهم أحد فرجع جلال الدين الى عُزّنة ، وكانت قد استولى عليها اختيار الدين قرْبُوشْت صاحب الغور ، عندما ساروا اليها وعندما قدم جلال الدين صريحاً عن أمير ملك خان من سجستان فخالفه قرْبُوشْت اليها ، وملكها فثار به صلاح الدين النسائي والي قلعتها ، وقتله وملك عُزّنة ، وكان بها رضا الملك شرف الدين بن أمير ملك خان ، ففتك به رضا الملك واستبد بعُزّنة . فلما ظفر جلال الدين بالتتر على قنّدهار رجع الى عُزّنة فقتله وأوطنها وذلك سنة ثمان عشرة .

استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخريبها

قد كنا قدّمنا ان جنكيزخان بعدما أجفل خوارزم شاه من جيحون بعث عساكره الى النواحي ، وبعث الى مدينة خوارزم عسكراً عظيماً لمظلمها لأنها كرسي الملك وموضع العساكر فسادت عساكر التتر اليها مع ابنه جُنطاي وأركطاي فحاصروها خمسة أشهر ، ونصبوا عليها الآلات فامتنعت فاستمدّوا عليها جنكيزخان فأمدّهم بالعساكر متلاحقة فزحفوا اليها وملكوا جانباً منها . وما زالوا يملكونها ناحية ناحية الى أن استوعبوها ، ثم فتحوا السد

الذي يمنع ماء جِيحون عنها فسار اليها جيحون ففرقها . وانقسم
أهلها بين السيف والفرق ، هكذا قال ابن الاثير . وقال النسائي
الكاتب ان دَوْشَن خان بن جَنْكِزخان عرض عليهم الامان فخرجوا
اليه فقتلهم أجمعين ، وذلك في محرم سنة سبع عشرة . ولما فرغ التتر
من خراسان وخوارزم رجعوا الى ملكهم جَنْكِزخان بالاطلاقان .

خبر آبنایخ نائب بخاری وتغلبه علی خراسان ثم فراره أهل التتر الى الدي

كان آبنایخ أمير الامراء والحجاب أيام خوارزم شاه وولاه
ثانياً بخاری فلما ملكها التتر عليه كما قلناه أجفل الى المفازة ،
وخرج منها الى نواحي نسا ، وراسله اختيار الدين صاحبها يعرضها
عليه للدخول عنده فأبى فوصله وأمدّه . وكان رئيس بشخوان
من قرى نسا أبو الفتح فدخل التتر فكتب الي شحنة خوارزم
بمكان آبنایخ ، فجرد اليهم عسكرياً فهزمه آبنایخ وأثنى فيهم ،
وساروا الى بشخوان فحاصروها وملكوها عنوة ، وهلك أبو
الفتح أيام الحصار . ثم ارتحل آبنایخ الى أبيوزد ، وقد تغلب تاج
الدين عمر بن مسعود على أبيوزد وما بينها وبين مرو فجبي خراجها
 واجتمع عليه جماعة من أكابر الامراء ، وعاد الى نسا وقد توفي
نائبها اختيار الدين زُنكي ، وملك بعده ابن عمه عمدة الدين حمزة
 ابن محمد بن حمزة فطلب منه آبنایخ خراج سنة ثمان عشرة ، وسار
 الى شروان وقد تغلب عليها ايكجي بهلوان فهزمه وانتزعها من

يده . ولحق بهلوان بجلال الدين في الهند ، واستولى أبنايخ خان على عامة خراسان وكان تكيين بن بهلوان متغلباً بمرق فمير جينجون وكبس شحنة التتر ببخارى فهزموه سنة سبع ، ورجع الى شروان وهم باتباعه ولحقوا بأبنايخ خان على جرجان فهزموه ، ونجا الى غياث الدين يترشاه بن خوارزم شاه بالري فأقام عنده الى أن هلك كما نذكر ان شاء الله تعالى .

خير ركن الدين غورشاہ صاحب العراق من ولد خوارزم شاه

قد كان تقدم لنا أن السلطان لما قسم ممالكه بين أولاده جعل العراق في قسمة غورشاہ منهم . ولما أجفل السلطان الى ناحية الري لقيه ابنه غورشاہ ، ثم سار من الري الى كرمان فلكها تسعة أشهر . ثم بلغه أن جلال الدين محمد بن آبه الفزويني ، وكان بهمدان أراد أن يملك العراق ، واجتمع اليه بعض الامراء ، وأن مسعود ابن صاعد قاضي اصفهان مائل اليه فعاجله ركن الدولة ، واستولى على اصفهان . وهرب القاضي الى الأتابك سعد بن زنيكي صاحب فارس فأجاره . وبعث ركن الدين العساكر لقتال همدان فتخاذلوا ورجعوا دون قتال . ثم مضى الى الري ووجد بها قوماً من الاسماعيلية يجادلون اظهار دعوتهم . ثم زحف التتر الى ركن الدولة فحاصروه بقلعة راوند ، واقتحموها فقاتلوه واستأمن اليهم

ابن أبيه صاحب هَمَذان فأمَنوه ، ودخلوا هَمَذان فولوا عليها علاء الدين الشريف الحسيني عوضاً من ابن أبيه .

خبر غياث الدين يترشاه صاحب كرمان من يَد السلطان خوارزم شاه

قد كنا قدّمنا أنّ السلطان خوارزم شاه ولّى ابنه غياث الدين يترشاه كرمان وكيش ، ولم ينفذ اليها أيام أبيه . ولما كانت الكبسة على قُزوين خلص الى قلعة ماروت من نواحي أصفهان ، وأقام عند صاحبها . ثم رجع الى اصفهان ومرّ به التتر ذاهبين الى أذربيجان فحاصروه وامتنع عليهم ، وأقام بها الى آخر سنة عشرين وستائة فلما جاء أخوه ركن الدين غور شاه من كرمان الى اصفهان لقيه هنالك . وحرّضه غياث الدين على كرمان فنهض اليها وملكها ، فلما قتل ركن الدين كما قلناه سار غياث الدين الى العراق وكان ركن لما ولّاه أبوه العراق جعل معه الامير بقاطبُستى^(١) أتاكاً فاستبدّ عليه فشكاه الى أبيه ، وأذن له في حبسه فحبسه ركن الدين بقلعة سرجان . فلما قتل ركن الدين كما قلناه أطلقه نائب القلعة أسد الدين حولي فاجتمع عليه الناس وكثير من الامراء واستماله غياث الدين وأصهر اليه بأخته، وماطله في الزفاف يستبرى . ذهاب الوحشة بينهما .

وكانت اصفهان بعد مقتل ركن الدين غلب عليها أذربك خان،

(١) كذا، واسمه في الكامل ج ٩ ص ٣٥١ : ايغان طائسي .

واجتمعت عليه العساكر وزحف اليه الامير بقاطابستي فاستنجد
أزبك غياث الدين فأنجده بمسكر مع الامير دولة ملك ، وعاجله
بقاطابستي فهزمه بظاهر اصفهان وقتله وملكها . ورجع دولة ملك
الى غياث الدين فزحف غياث الدين الى اصفها ، وأطاعه القاضي
والرئيس صدر الدين ، وبادر بقاطابستي الى طاعته ، ورضي عنه
غياث الدين وزفّ اليه أخته . واستولى غياث الدين على العراق
ومازندران وخراسان ، وأقطع مازندران وأعمالها دولة ملك ،
وبقاطابستي همدان وأعمالها .

ثم زحف غياث الدين الى أذربيجان وشنّ الغارة على مَرَاغَة ،
وتردّت رسل صاحب أذربيجان أزبك بن البهلوان في المهادنة
فهادنه ، وتزوج بأخته صاحب بَقَجَوَان ، وقويت شوكته وعظم
فكان بقاطابستي في دولته وتحكّم فيها . ثم حدثته نفسه بالاستبداد
وانتقض وقصد أذربيجان ، وبها مملوكان منتقضان على أزبك بن
البهلوان فاجتمعا معه ، وزحف اليهم غياث الدين فهزمهم ورجعوا
مفلولين الى أذربيجان ويقال إنّ ^(١) الخليفة دسّ بذلك الى
بقاطابستي وأغراه بالخلاف على غياث الدين . ثم لحق بغياث الدين
آبنايخ خان نائب بُخارى مفلتاً من واقعه مع التتر يجرجان
فأكرمه وقدمه ، وثاقسه خال السلطان دولة ملك وأخوه وسعوا

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٥١ : وقيل إنّ الخليفة الناصر لدين الله
أقطعهم البلاد سراً .

اليها فزجرها عنه فذهب مغاضبين . ووقع دولة ملك في عساكر التتر بمرور وزيغان فقتل وهرب ابنه بزگة خان الى أذربك بأذربيجان ثم أوقع عساكر التتر بقاطبستي وهزموه ونجا الى الكرم . وخلص الفلّ الى غياث الدين وعاد التتر الى ما وراء جيحون . ثم تذكر ^(١) صاحب فارس سعد الدين بن زكي ، وكاتبه أهل اصفهان حين كانوا منهزمين فصار اليه وحاصره في قلعة أصطخر وملكها . ثم سار الى شيراز وملكها عليه عنوة . ثم سار الى قلعة حرة فحاصرها حتى استأمنوا ، وتوفي عليها آبنايخ خان ودفن هنالك بشعب سلمان ، وبعث عسكراً الى كازرون فملكها عنوة واستباحها . ثم سار الى ناحية بغداد . وجمع الناس الجوع من إربل وبلاد الجزيرة . ثم راسل غياث الدين في الصلح فصالحه ورجع الى العراق .

أخبار السلطان جلال الدين منكبرس وهزيمته أمام التتر ثم عودته الى الهند

قد كان تقدم لنا أن أباه خوارزم شاه لما قسم البلاد بين ولديه جعل في قسمه غزنة وباميان والغور وبست وهيكاباد وما يليها من الهند ، واستتاب عليها أمير ملك وأثّرله غزنة فلما انهزم السلطان خوارزم شاه امام التتر زحف اليه حربوشة والي الغور فملكها من

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٥٣ : ففي آخر سنة عشرين وستمائة سار إلى بلاد فارس ، فلم يشعر صاحبها وهو أتابك سعد بن دكلا ألا وقد وصل غياث الدين إلى بلاده .

يده ؟ وكان من أمره ما قدّمناه الى أن استقر بها رضا الملك شرف الدين . ولما أجفل السلطان جلال الدين من نيسابور الى غُزْنَة واستولى التّر على بلاد خراسان ، وهرب أمراؤها فلحقوا بجلال الدين فقتل نائب هُراة أمين الملك خال السلطان . وقد قدّمنا محاصرته بسجستان ، ثم مراجعته طاعة السلطان جلال الدين ، ولحق به أيضاً سيف الدين بقرّاق الحلخي وأعظم ملك من بلخ ومظهر ملك والحسن فزحف كل منهم في ثلاثين ألفاً ، ومع جلال الدين من عسكره مثلاً فاجتمعوا وكبسوا التّر المملوكة محاصرين قلعة قَنْدَهَار كما قلنا . واستلحموهم ولحق فلم يَجْنِكِرْ خان فبعث ابنه طولي خان في العساكر فساروا الى جلال الدين فلقبهم بشروان وهزهم ، وقتل طولي خان بن جَنَكِز في المعركة ، وذهب التّر منهزمين .

واختلف عسكر السلطان جلال الدين على الغنائم وتنازع سيف الدين بقرّاق مع امين الملك نائب هُراة وتخيّر الى العراق ، وأعظم ملك ومظفر ملك ، وقاتلوا أمين الملك فقتل أخ لبقرّاق وانصرف مغاضباً الى الهند وتبعه أصحابه ، ولاطفهم جلال الدين ووعظهم فلم يرجعوا . وبلغ خبر الهزيمة الى جَنَكِز خان فسار في أمم التّر ، وسار جلال الدين فلقبي مقدّمة عساكره فلم يفلت من التّر الا القليل . ورجع فتزل على نهر السند وبعث بالصريخ الى الامراء المنحرفين عنه ، وعاجله جَنَكِز خان قبل رجوعه فهزّمه

بعد القتال والمصاهرة ثلاثاً ، وقتل أمين الملك قريب أبيه . واعترض
المنهزمين نهر السند ففرق أكثرهم ، وأسر ابن جلال الدين فقتل
وهو ابن سبع سنين ، ولما وقف جلال الدين على النهر والتَّـر في
اتباعه فقتل أهله وحرمه جميعاً ، واقتحم النهر بفرسه فخلص الى
عدوته ، وتخلص من عسكره ثلثمائة فارس وأربعة آلاف راجل
وبعض أمرائه ، ولقوه بعد ثلاث . وتخلص بعض خواصه بمركب
مشحون بالأقوات والملابس فسَدَّ من حاجتهم ، وتحصَّن أعظم
ملك ببعض القلاع . وحاصره جَنْكِزْ خان وملكها عنوةً ، وقتله
ومن معه . ثم عاد التَّـر الى عُزْنَة فلكوها واستباحوها وأحرقوها
وخربوها واكتسحوا سائر نواحيها ، وكان ذلك كله سنة تسع
عشرة . ولما سمع صاحب جبل جَرْدَى من بلاد الهند بجلال الدين
جمع للقائه ، وخام جلال الدين وأصحابه عن اللقاء لما نهكتهم
الحرب فرجعوا ادراجهم ، وأدركهم صاحب جلال الدين صُوري
فقاتلهم وهزموه وملكوا أمرهم ، وبعث اليهم نائب ملك الهند
فلاطفهم وهاداهم والله تعالى ولي التوفيق .

أخبار جلال الدين بالهند

كان جماعة من اصحاب جلال الدين ، وأهل عسكره لما عبروا
اليهم ، حصلوا عند قُبَاجَة ملك الهند منهم بنت امين الملك خلصت
الى مدينة ارجاء من عمله ، ومنهم شمس الملك وزير جلال الدين

حياة أبيه ، ومنهم قُزل خان بن أمين الملك خُص الى مدينة
كلور فقتله عاملها ، وقتل قُباجة شمس الملك الوزير لخبر جلال
الدين بأموره وبعث أمين الملك . ولحق بجلال الدين جماعة من
أرءاء أخيه غياث الدين فقوي بهم ، وحاصر مدينة كلور وافتتحها ،
وافتح مدينة تَنُوخ كذلك فجمع قُباجة للقائه ، وسار اليه جلال
الدين فخام عن اللقاء وهرب ، وترك معسكره فغنمه جلال الدين
بما فيه ، وسار الى لهاوون^(١) وفيها ابن قُباجة ممتعاً عليه فصالحه
على مال يحمله ، ورحل الى تَشْتَشَان وبها فخر الدين السلاوي
نائب قُباجة فتلقاه بالطاعة . ثم سار الى اوجا وحاصرها فصالحوه
على المال . ثم سار الى جَانِس وهي لشمس الدين اليتشمي من ملوك
الهند ، ومن موالي شهاب الدين الغوري فأطاعه أهلها وأقام بها ،
وزحف اليه ايتش في ثلاثين ألف فارس ومائة الف راجل وثلثمائة
فيل . وزحف جلال الدين في عساكره ، وفي مقدمته جرجان
بهلوان أُرْبُك ، واختلفت المقدمات فلم يمكن اللقاء . وبعث ايتش
في الصلح فجنح اليه جلال الدين ، ثم اجتمع قُباجة وايتش وسائر
ملوك الهند فخام عن لقائهم ، ورجع لطلب العراق ، واستخلف
جهان بهلوان الملت على ما ملك من الهند ، وعبر النهر الى غزنة
فولّى عليها وعلى الغور الامير وفاملك واسمه الحسن فولف ، وسار
الى العراق وذلك سنة احدى وعشرين بعد مقدمه لها بستين .

(١) هي مدينة لاهور.

أحوال العراق وخراسان في إبالة غياث الدين

كان غياث الدين بعد مسير جلال الدين الى الهند اجتمع اليه شراد^(١) المساكر بكِزْمان ، وسار بهم الى العراق فملك خُراسان ومازندران كما تقدم ، واقام منهمكاً في لذاته . واستبدّ الامراء بالنواحي فاستولى قائم الدين علي نيسابور ، وتغلب يقز بن ايلجي بهلوان على شروان ، وتملك ينال خطا بهاتر ، ونظام اسفراين ، ونصرة الدين بن محمد مستبدّ بنسا كما مرّ واستولى تاج الدين عمر ابن مسعود التركماني على أبيوزد، وغياث الدين مع ذلك منهمك في لذاته . وسارت اليه عساكر التتر فخرج لهم عن العراق الى بلاد الجبل ، واكتسحوا سائر جهاته . واشتطّ عليه الجند وزادهم في الاقطاع والاحسان فلم يشبعهم ، وأظهروا الفساد وعاثوا في الرعايا . وتحكّمت أم السلطان غياث الدين في الدولة لاغفاله أمرها ، واقتفت طريقة تركمان خاتون أم السلطان خوارزم شاه وتلقبت بلقبها خُداوندجهان ، الى ان جاء السلطان جلال الدين فغلب عليه كما قلناه .

وصول جلال الدين من الهند الى كرمان
وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين

ولما فارق جلال الدين الهند كما قلناه سنة احدى وعشرين ،

(١) كذا، والصحيح: شرد جمع شرود، أو شرد جمع شارد. أي الخارج عن الطاعة.

وسار الى المفازة وخلص منها الى كِرْمان بعد ان لقي بها من المتاعب والمشاق ما لا يعبر عنه ، وخرج معه أربعة آلاف راكب على الحمير والبقر، ووجد بكِرْمان براق الحاجب نائب أخيه غياث الدين. وكان من خبر بَرّاق هذا أنه كان حاجباً لكوخان ملك الخطأ وسفر عنه الى خوارِزْم شاه فأقام عنده. ثم ظفر خوارِزْم شاه بالخطأ وولاه حجابته. ثم صار الى خدمة ابنه غياث الدين ترشه بمكران فاکرمه. ولما سار جلال الدين الى الهند ورجع عنه التّـرّ سار غياث الدين لطلب العراق فاستتاب بَرّاق في كرمان ، فلماً جاء جلال الدين من الهند اتهمه ، وهمّ بالقبض عليه فنهاه عن ذلك وزيره شرف الملك فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندي خوارجا جهان ان يستوحش الناس لذلك .

ثم سار جلال الدين الى شيراز ، وأطاعه صاحبها برد الأتابك وأهدى له ، وكان أتابك فارس سعد بن زُنْكي قد استوحش من غياث الدين فاصطلحه جلال الدين وأصهر اليه في ابنته . ثم سار الى اصفهان فأطاعه القاضي ركن الدين مسعود بن صاعد ، وبلغ خبره الى أخيه غياث الدين وهو بالري فجمع لحربه ، وبعث جلال الدين يستعطفه . وأهدى له سلب طولي خان بن جَنْكِزْخان الذي قتل في حرب بزوان كما مرّ وفرسه وسيفه ، ودسّ الى الاسراء الذين معه بالاستمالة فمالوا اليه ووعدوه بالمظاهرة ونفي الخبر الى غياث الدين فقبض على بعضهم ، ولحق الآخرون بجلال الدين

فجاءوا به الى المخيم قال اليه اصحاب غياث الدين وعساكره ،
واستولى على مخيمه وذخائره وأمه . ولحق غياث الدين بقلعة
سُلُوقَان وعاتب جلال الدين أمه في فراره فاستدعته وأصلحت
بينهما ، ووقف غياث الدين موقف الخدمة لاختيه السلطان جلال
الدين ، وجاء المتغلبون بخراسان والعراق واذعنوا الى الطاعة ،
وكانوا من قبل مستبدين على غياث الدين فاختر السلطان طاعتهم
وعمل فيها على شاكلتها والله أعلم .

استيلاء ابن أبينايخ على نسا

كان نصرة الدين بن محمد قد استولى على نسا بعد ابن عمه
اختيار الدين كما مر ، واستناب في أموره محمد بن احمد النسائي
المنشيء ، صاحب التاريخ المعتمد عليه في نقل أخبار خوارزم شاه
وبنيه فأقام فيها تسع عشرة سنة مستبدأ على غياث الدين ثم انتقض
عليه وقطع الخطبة له ، فسرّح اليه غياث الدين العساكر مع طوطي
ابن أبينايخ ، وأنجده بأرسلان وكاتب المتغلبين بمساعدته فراجع
نصرة الدين محمد بن حمزة نفسه ، وبعث نائبه محمد بن أحمد المنشيء
الى غياث الدين بمال صالحه عليه فبلغه الخبر في طريقه بوصول
جلال الدين واستيلائه على غياث الدين ، فأقام باصفهان ينتظر
صلاح السابلة وزوال الثلج . ثم سار الى همدان فوجد السلطان
غائباً في غزو الاتابك بقطابستي . وكان من خبره أنه صهر الى

غياث الدين على أخته كما قدّمنا فهرب بعد خلعها الى أذربيجان
واتفق هو والأتابك سعد وسار اليهما جلال الدين فخالفه الأمير
ايغان طائسي الى همدان وسار الى جلال الدين وكبسه هنالك
فأخذه ثم أمنه، وعاد الى نغيمه ولقيه وافد نصره الدين على بلاد
نسا وما يتاخها، وبعث الى ابن آبنايخ بالافراج عن نسا . ثم بلغ
الخبر بعد يومين بهلاك نصره الدين واستيلاء ابن آبنايخ على نسا .

مسير السلطان جلال الدين الى خوزستان ونواحي بغداد

ولما استولى السلطان جلال الدين على أخيه غياث الدين
واستقامت أموره ، سار الى خوزستان شاتياً وحاصر قاعدتها ،
وبها مظفر الدين وجه السبع مولى الخليفة الناصر . وانتهت سراياه
في الجهات الى بادرايا والى البصرة فأوقع بهم تلّكين^(١) نائب
البصرة ، وجاءت عساكر الناصر مع مولاه جلال الدين فُشْتَمِرُ
وخاموا عن اللقاء وأوفد ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود
السوي العارض على الخليفة ببغداد عاتباً ، وكان في مقدمته جهان
بهلوان فلقى في طريقه جمعاً من العرب وعساكر الخليفة فرجع ،
وأوقع بهم ورجعوا الى بغداد . وجيء بأسرى منهم الى السلطان
فأطلقهم ، واستعد أهل بغداد للحصار وسار السلطان الى بعقوبا على
سبع فراسخ من بغداد . ثم الى دقوقا فملكها عنوة وخرّبها ،
وقاتلت بعوثة عسكر تكريت ، وتردّت الرسل بينه وبين مظفر

(١) كذا، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٥٥ : شحنة البصرة الأمير ملتكين .

الدين صاحب إربل حتي اصطلحوا ، واضطربت البلد بسبب ذلك ،
وأفسد العرب السابلة . وأقام ضياء الملك بيغداد الى أن ملك
السلطان مَراغة والله تعالى أعلم .

أولية الوزير شرف الملك

هذا الوزير هو فخر الدين علي بن القاسم خواجه جهان ويلقب
شرف الملك أصله من اصفهان ، وكان اول أمره ينوب عن صاحب
الديوان بها ، وكان نجيب الدين الشهرستاني وزير السلطان وابنه
بهاء الملك وزير الجند وفخر الدين هذا يخدمه بها . ثم تمكن من
منصب الافتاء وطمح الى مغالبة نجيب الدين على الوزارة ،
وسعى عند السلطان بأنه تناول من جبايتها مائتي الف دينار
فسامحه بها السلطان ، ولم يعرض له . ثم سعى بفخر الدين ثانية فولي
وزارة الجند وأقام بها أربع سنين حتى عبر السلطان الى بُخارى
فكثرت به الشكايات فأمر بالقبض عليه فاخفى ، ولحق بالطالقان
الى أن اتصل بجلال الدين حين كان بغُرْنَة بعد مهلك ابنه فرتبه
في الحجابة الى أن أجاز بمر السند ، وكان وزيره شهاب الدين
الهرَوي قُتِلَ قُبَاَجَة ملك الهند كما مرّ ، واستوزر جلال الدين
مكانه فخر الدين هذا ولقبه شرف الملك ، ورفع رتبته على الوزراء
وموقفه وسائر آدابه وأحواله .

عودة التتر إلى الري وهمخان وبلاد الجبل

وبعد رجوع التتر المشرقة من أذربيجان وبلاد قفقاز وسروان كما قدمناه ، وخراسان يومئذ فوضى ليس بها ولاية إلا متغلبون من بعض أهلها بعد الخراب الأول والنهب فعمروها ، فبعث جنكيز خان عسكرياً آخر من التتر إليها فنهبوا ثانياً وخربوها وفعلوا في سادة وقاشان وقم مثل ذلك ولم يكن التتر أولاً أصابوا منها . ثم ساروا إلى همدان فاجفل أهلها وأوسعوها نهباً وتخريباً ، وساروا في اتباع أهلها إلى أذربيجان وكبسوهم في حدودها فأجفلوا ، وبعضهم قصد تبريز فسار التتر في اتباعهم وراسلوا صاحبها أذربك ابن البهلوان في اسلام من عنده فبعث بهم بعد ان قتل جماعة منهم وبعث برؤوسهم وصانعهم بما ارضاهم فرجعوا عن بلادهم والله تعالى أعلم .

وقائع أذربيجان قبل سير دلال الدين إليها

لما رجع التتر من بلاد قفقاز والروس ، وكانت طائفة من قفقاز لما افرقوا وفروا أمام التتر ساروا إلى دربند سروان ، واسم ملكه يومئذ رشيد ، وسألوه المقام في بلادهم وأعطوه الرهن على الطاعة فلم يجبه ربيبة بهم فسألوه الميرة فأذن لهم فيها فكانوا يأتون إليها زرافات ، وتنصح له بعضهم بأنهم يرومون الغدر به ،

وطلب منه الانجاد بمسكركه وسار في أثرهم فأوقع بهم وهم
 باخلون بالطاعة فرجع ذلك القُفجَاقى بالمسكر . ثم بلغه انهم رحلوا
 من مواضعهم فاتبعهم ثانياً بالمساكر حتى أوقع بهم ، ورجع الى
 رشيد ومعه جماعة منهم مستأمنين ، وقد اختفى فيهم كبير من
 مقدميهم وتلاحق به جماعة منهم فاعتزموا على الوثوب فحرب
 خائفاً ، ولحق ببلاد شروان واستولت طائفة القُفجَاقى على القلعة
 وعلى مخلف رشيد فيها من المال والسلاح ، واستدعوا أصحابهم
 فلحقوا بهم واعتزموا وقصدوا قلعة الكرج فحاصروها . وخالفهم
 رشيد الى القلعة فللكها وقتل من وجد بها منهم فمادوا من حصار
 تلك المدينة الى دربند ، وامتنعت عليهم القلعة فرجعوا الى تلك
 المدينة فاكتسحوا نواحيها وساروا الى كنجة ، من بلاد آران
 وفيها مولى لأزبك صاحب أذربيجان فراسلوه بطاعة أزبك فلم
 يجهم إليها ، وعدد عليهم ما بدر منهم في الغدر ونهب البلاد ،
 واعتذروا بأنهم انما غدروا شروان لانه منهم الجواز الى صاحب
 أذربيجان . وعرضوا عليه الرهن فجاءهم بنفسه ولقوه في عدد
 قليل فعدا عن محال التهمة فبعث بطاعتهم الى سلطانة ، وبعث
 بذلك الى أزبك ، وجاء بهم الى كنجة فأفاض فيهم الخلع والاموال
 وأصهر اليهم وأثرهم يجبل كَيْكَلون .

وجع لهم الكرج فأواهم الى كِنْجَة . ثم سار اليهم أمير من
 أمراء قُفجَاق ، ونال منهم فرجعوا الى جبل كَيْكَلون . وسار

القُجَاق الذين كبسوهم الى بلاد الكرج فاكْتَسَحوها وعادوا
 فاتبعهم الكرج واستنقذوا الغنائم منهم ، وقتلوا ونهبوا فرحل
 القُجَاق الى بردعة ، وبمئوا الى أمير كِنَجَة في المدد على الكرج
 فلم يجبه فطلبوا رهنهم فلم يعطهم فدّوا أيديهم في المسلمين ،
 واسترهنوا أضعاف رهنهم . وثار بهم المسلمون من كلّ جانب
 فلحقوا بشروان وتحفظهم المسلمون والكرج وغيرهم فافنوهم ،
 وبيع سبيهم وأسراهم بأبجس ثمن ، وذلك كله سنة تسع عشرة ،
 وكانت مدينة بيلقان من بلاد آران فأخربها التتر كما قدّمناه ،
 وساروا عنها الى بلاد قُجَاق فعاد اليها أهلها وعمروها ، وسار
 الكرج في رمضان من هذه السنة اليها فلكوها وقتلوا أهلها
 وخربوها واستفحل الكرج . ثم كانت بينهم وبين صاحب خِلاط
 غازي بن العادل بن أيوب واقعة هزهم فيها وأئخن فيهم كما يأتي
 في دولة بني أيوب . ثم انتفض على شروان شاه ابنه ، وملك البلاد
 من يده فسار الى الكرج واستصرخ بهم ، وساروا معه فبرز ابنه
 اليهم فهزهم وأئخن فيهم فتشام الكرج بشروان شاه فطردوه عن
 بلادهم . واستقرّ ابنه في الملك واغبط الناس بولايته وذلك سنة
 اثنتين وعشرين . ثم سار الكرج من قفليس الى أذربيجان وأتوها
 من الأوعار والمضائق يظنون صعوبة على المسلمين فسار المسلمون
 وولجوا المضائق اليهم فركب بعضهم بعضاً منهزمين ، ونال المسلمون
 منهم أعظم النيل . وبينما هم يتجهّزون لاخذهم الثار من المسلمين ،

وصلهم الخبر بوصول جلال الدين الى مَرَاغَة فرجعوا الى مراسلة
أزْبُك صاحب أذربيجان في الاتفاق على مدافعته ، وعاجلهم جلال
الدين عن ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى .

استيلاء جلال الدين على أذربيجان وغزو الكرج

قد تقدم لنا مسير جلال الدين في نواحي بغداد وما ملك منها ،
وما وقع بينه وبين صاحب إربل من الموافقة والصلح . ولما فرغ
من ذلك سار الى أذربيجان سنة اثنتين وعشرين ، وقصد مَرَاغَة
أولاً فلما بها ، وأقام بها وأخذ في عمارتها . وكان بغان طابش^(١)
خال أخيه غياث الدين مقيماً بأذربيجان كما مرّ فجمع عساكره ،
ونهب البلد وسار الى ساحل أرّان فشئت هنالك . ولما عاث جلال
الدين في نواحي بغداد كما قدّمناه بعث الخليفة الناصر الى بغان
طابش ، وأغراه بجلال الدين ، وأمره بقصد هَمْدَان وأقطعه إياها
وما يفتحه من البلاد فعاجله جلال الدين وصبحه بنواحي هَمْدَان
على غِرّة ، وعابن الجند فسقط في يده ، وأرسل زوجته أخت
السلطان جلال الدين فأستأمنت له فأمنه وجرد العساكر عنه . وعاد
الى مَرَاغَة . وكان أزْبُك بن البهلوان قد فارق تبريز كرسي ملكه
الى كِنَجَة فأرسل جلال الدين الى أهل تبريز يأمرهم بميرة عسكره
فأجابوا الى ذلك ، وتردّت عساكره اليها فتجمّع الناس ، وشكا

(١) كذا ، واسمه في الكامل : ايغان طابشي .

أهل تبريز الى جلال الدين ذلك فأرسل اليهم شحنة يقيم عندهم
للنصف بين الناس .

وكانت زوجة أذربك بنت السلطان طغرل بك بن أرسلان ،
وقد تقدم ذكرها في أخبار سلفها مقيمة بتبريز حاكمة في دولة
زوجها أذربك . ثم ضجر أهل تبريز من الشحنة فصار جلال الدين
اليها وحاصرها خمساً ، واشتد القتال وعابهم بما كان من اسلام
أصحابه الى التتر فاعتذروا بأن الامر في ذلك لغيرهم والذنب لهم .
ثم استأمنوا فآمنهم ، وأمر ببنت السلطان طغرل ، وأبقى لها
مدينة طغرل الى خوي كما كانت ، وجمع ما كان لها من المال
والاقطاع ، وملك تبريز منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين ،
وبعث بنت السلطان طغرل الى خوي مع خادميه فليح وهلال .
وولى على تبريز ريديها نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغراني ،
وكان هو الذي داخله في فتحها ، وأفاض العدل في أهلها وأوصلهم
اليها ، وبالغ في الاحسان اليهم . ثم بلغه إثثار الكرج في أذربيجان
وأران وأرمينية ودربند شروان وما فعلوه بالمسلمين فاعتزم على
غزوهم . وبلغه اجتماعهم برون فصار اليهم وعلى مقدمته جهان
بهلوان الكنجي ، فلما تراءى الجمعان وكان الكرج على جبل لم
يستهلوه فتسمت اليهم المساكر الاوعار فانهمزموا وقتل منهم
أربعة آلاف أو يزيدون ، وأسر بعض ملوكهم ، واعتصم

ملك آخر منهم ببعض قلاعهم فجَّهز جلال الدين عليها عسكرياً
لحصارها وبعث عساكره في البلاد فعاثوا فيها واستباحوها .

فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحه زوجة أزيك

لما فرغ السلطان من أمر الكرج واستولى على بلادهم ،
وكان قد ترك وزيره شرف الدين بتبريز للنظر في المصالح وولى
عليها نظام الملك الطغرثي فقصد الوزير الوشاية به وكتب الى
السلطان بأنه وعمه شمس الدين داخلوا أهل البلد في الانتقاض
واعادة أزيك لشغل السلطان بالكرج فلما بلغ ذلك الى السلطان
أسره حتى فرغ من أمر الكرج . وترك أخاه غياث الدين نائباً
على ما ملك منها ، وأمره بتدوين بلادهم وتخريبها ، وعاد الى
تبريز فقبض على نظام الملك الطغرثي وأصحابه فقتلهم ، وصادر
شمس الدين على مائة ألف وجبسه بمراغة ففر منها الى أزيك .
ثم لحق ببغداد وحج سنة خمس وعشرين . وبلغ السلطان تنصله
في المطاف ودعاؤه على نفسه إن كان فعل شيئاً من ذلك فأعاده
الى تبريز ورد عليه أملاكه . ثم بعثت اليه زوجة أزيك في الخطبة ،
وان أزيك حنث فيها بالطلاق فحكم قاضي تبريز عز الدين القزويني
بجلها للنكاح فتزوجها السلطان جلال الدين ، وسار اليها فدخل في
خوي ، ومات أزيك لما لحقه من الغم بذلك .

ثم عاد السلطان الى تبريز فأقام بها مدة ثم بعث العساكر مع

أَرْخَانَ إِلَى كِنْجَةِ مِنْ أَعْمَالِ قَشْجَوَانِ وَكَانَ بِهَا أَرْبُكَ ففَارَقَهَا ،
وَتَرَكَ بِهَا جَلَالَ الدِّينِ الْقُتَيْبِي نَائِباً مُلْكَهَا عَلَيْهِ أَرْخَانَ وَاسْتَوْلَى عَلَى
أَعْمَالِهَا مِثْلَ وَشَمَكُورَ وَبِرْدَعَةَ وَهَشَةَ ، وَانْطَلَقَتْ أَيْدِي عَسَاكِرِهِ فِي
النَّهْبِ فَشَكَأَ أَرْبُكَ إِلَى جَلَالَ الدِّينِ فَكَتَبَ إِلَى أَرْخَانَ بِالْمَنْعِ مِنْ
ذَلِكَ ، وَكَانَ مَعَ أَرْخَانَ نَائِبُ الْوَزِيرِ إِلَى السُّلْطَانِ فَعَزَلَ أَرْخَانَ ،
وَذَهَبَ مَغَاضِباً إِلَى أَنْ قَطَعَتْهُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ . وَفِي آخِرِ رَمَضَانَ مِنْ
سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ تَوَفَّى الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ لِسَبْعِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ
خِلَافَتِهِ وَاسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الظَّاهِرُ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدٌ بَعْدَهُ إِلَيْهِ
بِذَلِكَ كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ .

استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته إياهم

كَانَ هَؤُلَاءِ الْكَرْجُ إِخْوَةَ الْأَرْمَنِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نِسْبَةُ الْأَرْمَنِ
إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ لَهُمْ اسْتِطَالَةٌ بَعْدَ الدَّوْلَةِ السُّلْجُوقِيَّةِ ،
وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ فَكَانَ صَاحِبُ أَرْمَنِ الرُّومِ يُخْشَاهُمْ
وَيَدِينُ لَهُمْ بَعْضَ الشَّيْءِ . حَتَّى أَنَّ مَلِكَ الْكَرْجِ كَانَ يُخْلَعُ عَلَيْهِ فَيَلْبَسُ
خِلْعَتَهُ . وَكَانَ شُرَوَانُ صَاحِبُ الدَّرْبَنْدِ يُخْشَاهُمْ ، وَكَذَلِكَ مَلِكُوا
مَدِينَةَ أَرْجِيْشَ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ وَمَدِينَةَ فَارَسَ وَغَيْرَهَا ، وَحَاصَرُوا
مَدِينَةَ خِلَاطَ قَاعِدَتِهَا فَأَسْرَبَهَا مُقَدِّمَهُمْ إِيوَايَ ، وَفَادَوْهُ بِالرَّحِيلِ
عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ اشْتَرَطُوا عَلَيْهِ مُتَابَعَتَهُ لَهُمْ فِي قَلْعَةِ خِلَاطَ فَبَنَوْهَا ،
وَكَذَلِكَ هَزَمُوا رُكْنَ الدَّوْلَةِ فَلِيحَا أَرْسَلَانَ صَاحِبَ بِلَادِ الرُّومِ

لما زحف لآخيه طغرل شاه بارزن الروم، استنجدهم طغرل فأنجدهم وهزموا ركن الدين أعظم ما كان ملكاً واستفحالاً . وكانوا ينجسون خلال أذربيجان ويعيشون في نواحيها .

وكان ثغر تفليس من أعظم الثغور طرزاً على من يجاوره منذ عهد الفرس ، وملكه الكرج سنة خمسة عشرة وخمسة أيام محمود ابن محمود بن ملك شاه ، ودولة السلجوقية يومئذ أفحل ما كانت وأوسع إيالة وأعمالاً فلم يطق ارتجاعه من أيديهم ، واستولى ايلدكز بعد ذلك وابنه البهلوان على بلاد الجبل والري وأذربيجان وأذان وارمينية وخلاط وجاورهم بكرسيه . ومع ذلك لم يطق ارتجاعه منهم . فلما جاء السلطان جلال الدين الى أذربيجان وملكها زحف الى الكرج وهزمهم سنة اثنتين وعشرين . وعاد الى تبريز في مهمه كما قدمناه . فلما فرغ من مهمه ذلك ، وكان قد ترك العساكر ببلاد الكرج مع أخيه غياث الدين ووزيره شرف الدين فأغذ السير اليه غازياً من تبريز . وقد جمع الكرج واحتشدوا وامدهم القنجاك وللكز وساروا للقاء . فلما التقى الفريقان انهزم الكرج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب ولم يبقوا على أحد حتى استلحموهم وافنؤهم .

ثم قصد جلال الدين تفليس في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ، ونزل قريباً منها ، وركب يوماً لاستكشاف أحوالها وترتيب مقاعد القتال عليها وأكن الكمائن حولها . واطلع عليهم في خف

من العسكر فطمعوا فيه وخرجوا فاستطرد لهم حتى تورطوا .
 والتفت عليهم الكمائن فهربوا الى البلد والقوم في اتباعهم . ونادى
 المسلمون من داخلها بشعار الاسلام ، وهتفوا باسم جلال الدين
 فالقى الكرج بأيديهم وملك المسلمون البلد ، وقتلوا كل من فيها
 إلا من اعتصم بالاسلام ، واستباحوا البلد وامتلات أيديهم بالغنائم
 والاسرى والسبايا . وكان ذلك من أعظم الفتوحات . هذه سياقة
 ابن الاثير في فتح تفليس . وقال النسائي الكاتب : انّ السلطان
 جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر أرس مرض واشتد
 الشج ، ومر بتفليس فبرز أهلها للقتال فهزهم العساكر وأعجلوهم
 عن دخولها فلكوها واستباحوها ، وقتلوا من كان فيها من
 الكرج والأرمن ، واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال
 عظيمة فحملوها وتركوهم .

انتقاض صاحب كرمان وسير السلطان اليه

ولما اشتغل السلطان جلال الدين بشأن الكرج وتفليس طمع
 براق الحاجب في الانتقاض بكرمان والاستيلاء على البلاد ، وقد
 كنا قدّمنا خبره ، وأن غياث الدين استخلفه على كرمان عند
 مسيره الى العراق ، وان جلال الدين لما رجع من الهند ارتاب
 به وهم بالقبض عليه ثم تركه وأقره على كرمان . فلما انتقض
 الآن ، وبلغ خبره الى السلطان وهو معتزم على قصد خلاط

فتركها ، وأغذ السير اليه ، واستصحب أخاه غياث الدين ووعده بكرمان وترك خلفه بكّيكلون ، وترك وزيره شرف الدين بتفليس وأمره باكتساح بلاد الكرج . وقدم الى صاحب كرممان بالخلع والمقاربة والوعد فارتاب بذلك ولم يطمئن . وقصد بعض قلاعه فاعتصم بها ، ورجع الرسول الى جلال الدين فلما علم أن المكيدة لم تتم عليه أقام باصفهان ، وبعث اليه وأقره على ولايته وعاد . وكان الوزير شرف الدين بتفليس كما قلناه ، وضاق الحال به من الكرج ، وأرجف عند الامراء بكيكلون أن الكرج حاصره بتفليس فسار أرخان منهم في المساكر الى تفليس . ثم وصل البشير من تَفَجَّوان بروجوع السلطان من العراق فأعطاه الوزير أربعة آلاف دينار . ثم افترقت المساكر في بلاد الكرج وبها ايواني مقدمهم مع بعض أعيانهم ، وبعث عسكرياً آخر الى مدينة فرس ، واشتد عليها الحصار . ثم جر المساكر عليها وعاد الى تفليس .

مسير جلال الدين إلى حصار خلاط

كانت خلاط في ولاية الأشرف بن العادل بن أيوب ، وكان نائبه بها حسام الدين علي الموصلي ، وكان الوزير شرف الدين حين أقام بتفليس عند مسير جلال الدين الى كرممان ضاقت على عسكريه الميرة فبعث عسكرياً منهم الى اعمال أرزن الروم فاكثسحوا نواحيها ، ورجعوا ففروا بخلاط فخرج نائبها حسام الدين واعترضهم

واستنفذ ما معهم من الغنائم . وكتب الوزير شرف الدين بذلك الى جلال الدين وهو بكيرتمان فلما عاد جلال الدين من كرمان ، وحاصر مدينة اني استقر حسام الدين فائزب خلط للامتناع منه فارتحل هو الى بلاد أنحاز ليأتيه على غرة . ورحل جلال الدين من أنحاز فسار الى خلط وحاصر مدينة ملاذكرد في ذي القعدة من السنة ، وانتقل منها الى مدينة خلط وحاصرها وضيق مخنقها وقتلها مراراً . واشتد أهل البلد في مدافعتهم لما يعلمون من سيرة الخوارزمية اللوائية ، وكانوا متغلبين على الكثير من بسائط ارمينية وأذربيجان فبلغه أنهم أفسدوا البلاد وقطعوا السابلة ، وأخذوا الضريبة من أهل خوي وخربوا سائر النواحي ، وكتب اليه بذلك نوابه وبنت السلطان طغرل زوجته فلما رحل عن خلط قصدهم على غرة قبل أن يصعدوا الى حصونهم يجبالهم الشاهقة فأحاطت بهم المساكر ، واستباحوهم واقسموهم بين القتل والغنيمة ، وعاد الى تبريز .

دخول الكرج مدينة تفليس وإماقها

ولما عاد السلطان من خلط وغزو التركمان فرق عساكر لشتي ، وكان الامراء أساوا السيرة في تفليس ، وهرب المسكر الذين بها واستلحموا بقيتهم ، وخربوا البلاد وحرقوها لمجزهم عن حمايتها من جلال الدين ، وذلك في ربيع سنة أربع وعشرين وستمائة .

وعند النسائي الكاتب ان استيلاء الفرنج على تفلّيس واحراقهم اياها كان والسلطان جلال الدين على خلاط ، وانه لما بلغه ذلك رجع وأغار على التركمان في طريقه لما بلغه من افسادهم فنهب أموالهم وساق مواشيهم الى موقان وكان خمسمائة ثلاثين ألفاً . ثم سار الى خوي لملاقاة بنت طغرل . ثم سار الى كنجة فبلغه الخبر بانصراف الكرج عن تفلّيس بعد احراقها . قال : ولما وصل كنجة قدم عليه هنالك خاموش بن الاتابك أذربك بن البهلوان مؤدياً منطقة بلخش قدر الكف مصنوعاً عليه منقوشاً اسم كيكلاس وجماعة من ملوك الفرس ، فقير السلطان صناعتها ونقشها على اسمه وكان يلبس تلك المنطقة في الاعياد وأخذها التتر يوم كبسوه ، وحملت الى الخان الاعظم ابن جنكيزخان بقراقدوم . وأقام خاموش في خدمة السلطان الى أن صرعه الفقر ولحق بعلاء الملك ملك الاسماعيلية فتوفي عنده . انتهى كلام النسائي .

أخبار السلطان جلال الدين مع الإسماعيلية

كان السلطان جلال الدين بعد وصوله من الهند ولّى أرخان على نيسابور واعمالها ، وكان وعده بذلك بالهند فاستخلف عليها وأقام مع السلطان . وكان نائبه بها يتعرض لبلاد الاسماعيلية المتاخمة له ، يهتّان وغيرها ، بالنهب والقتل فأوفدوا على السلطان وهو بخوي - وقد آمنهم - يشكون من نائب أرخان ، وأسأ عليهم أرخان في المجاورة . ولما عاد السلطان الى كنجة وكان قد اقطعها

وأعمالها لأرخان . فلما خيم بظاهرها وثب ثلاثة من الباطنية ، ويسمون الفداوية ، لانهم يقتلون من امرهم أميرهم بقتله ويأخذون ديتهم منه ، وقد فرغوا عن انفسهم فوثبوا به فقتلوه ، وقتلتهم العامة . وكانت الاسماعيلية قد استولوا على الدامغان أيام الفتنة ، ووصل رسولهم بعد هذه الواقعة الى السلطان وهو بيآقان فطالبهم بالتزول على الدامغان فطلبوا ضمانها بثلاثين ألف دينار وقررت عليهم . وكان الرسول الوافد في خدمة الوزير وهم راجعون الى أذربيجان فاستخذه الطرب ليلة ، وأحضر له خمسة من الفداوية معه بالمسكر ، وبلغ خبرهم السلطان فأمره باحراقهم . انتهى كلام النسائي . وقال ابن الاثير : ان السلطان بعد مقتل أرخان سار في المساكر الى بلاد الاسماعيلية من ألموت الى كزدكوه فاكسحها وخرّبها ، وانتقم منهم ، وكانوا بعد واقعته قد طمعوا في بلاد الاسلام فكف عاديّتهم وقطع اطباعهم ، وعاد فبلغه ان طائفة من التتر بلغوا الدامغان قريباً من الريّ فسار اليهم وهزمهم وأثنى فيهم . ثم جاء الخبر بأن التتر متلاحقة لحربه فأقام في انتظارهم في الريّ انتهى .

استيلاء حكام الدين نقب ذلّاط على مدينة خوي

قد تقدّم لنا أن بنت السلطان طغرل زوجة أربك بن البهلوان لما ملك السلطان جلال الدين تبريز من يدها أقطعها مدينة خوي ،

ثم تزوجها بعد ذلك كما قدّمناه ، وتركها لما هو فيه من أشغال ملكه فوجدت لذلك ما فقدته من العز والتحكم . قال النسائي الكاتب : وأضاف لها السلطان مدينتي سلّماس واربينية ، وعين رجلاً لقبض أقطاعها فتنكّر لها ، وأغرى بها الوزير فكتب السلطان بأنها تداخل الأتابك أذربك وتكاتبه . ثم وصل الوزير الى خوي فقتل بدارها واستصفى ، وكانت مقيمة بقلمة طلع فحاصرها وسألت المضي الى السلطان فأبى إلا تزولها على حكمه انتهى . وكان أهل خوي مع ذلك قد ضجروا من ملكة جلال الدين وجوره ، وتسلّط عساكره فاتفقت الملكة معهم وكاتبوا حسام الدين الحاجب النائب عن الاشراف بخلاط فسار اليهم في مغيب السلطان جلال الدين بالعراق ، واستولى على مدينة خوي وأعمالها وما يجاورها من الحصون ، وكاتبه أهل نَجّوان وسلوها له ، وعاد الى خلاط واحتمل الملكة بنت طغرل زوجة جلال الدين الى خلاط الى ان كان ما نذكره .

واقعة السلطان مع التتر على أصفهان

ثم بلغ الخبر الى السلطان بأن التتر زحفوا من بلادهم فيما وراء النهر الى العراق فسار من تبريز للقائهم ، وجرد أربعة آلاف فارس الى الري والدايمنان طليعة فرجموا وأخبروه بوصولهم الى

أصفهان فنهض للقائم ، واستخلف المساكر على الاستماتة . وأمر القاضي بأصفهان باستنفار العامة ، وبعث التتر عسكرياً إلى الري فبعث السلطان عسكرياً لاعتراضهم فأوقفوا بالتتر فنالوا منهم . ثم التقى الفريقان في رمضان سنة خمس وعشرين لرابعة ووصلهم إلى أصفهان ، وانتفض عنه أخوه غياث الدين وجهان بهلوان الكجبي في طائفة من العسكر . وانهزمت ميسرة التتر والسلطان في اتباعهم وكانوا قد أكنوا له فخرجوا من ورائه وثبت واستشهد جماعة من الأمراء ، وأسر آخرون وفيهم علاء الدولة صاحب يزد .

ثم صدق السلطان عليهم الحملة فافرجوا له وسار على وجهه ، وانهزمت المساكر فبلغوا فارس وكِزْمان ورجعت ميمنة السلطان من قاشان فوجدوه قد انهزم ففرقوا أشتاتاً وقعد السلطان ثمانية من فرقته . وكان بقاطى بستي مقيماً بأصفهان فاعتزم أهل أصفهان على بيعته . ثم وشل السلطان فاقصروا عن ذلك ، وتراجع بعض العسكر ، وسار السلطان فيهم إلى الري . وكان التتر قد حاصروا أصفهان بعد الهزيمة فلما وصل السلطان خرج معه أهل أصفهان فقاتلوا التتر وهزموهم ، وسار السلطان في اتباعهم إلى الري ، وبعث المساكر ورائهم إلى خراسان . وعند ابن الأثير أن صاحب بلاد فارس وهو ابن الأتابك سعد الذي ملك بعد أبيه حضر مع السلطان في هذه الواقعة ، وأن التتر انهزموا أولاً فاتبعهم صاحب فارس ، حتى إذا أبعدوا انفرد عن العسكر . ورجع عنهم فوجد

جلال الدين قد انهزم لانحراف أخيه غياث الدين وأسرائه عنه ،
ومضى الى شهرم تلك الايام ثم عاد الى اصفهان كما ذكرناه .

الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين

كان ابتداءؤها ان الحسن بن حرميل نائب الغورية بهُراة لما
قتلته عساكر خوارزم شاه محمد بن تُشُر ، وحاصروا وزيره الممتنع
بها حتى اقتحموها عليه عنوة وقتلوه ، هرب محمد بن الحسن بن
حرميل الى بلاد الهند . فلما ملك السلطان جلال الدين وحظي
لديه ، أقامه شحنة بأصفهان . فلما سار السلطان الى اصفهان للقاء
التر انحرف جماعة من غلمان غياث الدين عنه فصاروا الى نصرة
الدين بن حرميل ، واسترجعهم منه غياث الدين في بيته وطعنه
فأشواه ومات ليلال . وأحفظ ذلك السلطان ، وأقام غياث الدين
مستوحشاً فلما كان يوم اللقاء انحرف عن أخيه ، ولحق بخوزستان
وخطب الخليفة فبعث اليه بثلاثين ألف دينار . وسار من هنالك
الى قلعة الموت عند صلاح الدين شيخ الاسماعيئية . فلما رجع
السلطان من وقعة التتر الى الري سار الى قلعة الموت وحاصرها
فاستأمن علاء الدين الى السلطان غياث الدين فأمنه ، وبعث من
يأتيه به فامتنع غياث الدين وفارق القلعة ، واعترضه عساكر
السلطان بنواحي همذان وأوقعوا به وأسروا جماعة من أصحابه ،
ونجا الى براق الحاجب بكيرمان فتزوج بأمه كرهاً ونفي اليه أنها

تحاول سمه فقتلها وقتل معها جهان بهلوان الكجي ، وحبس غياث الدين ببعض القلاع . ثم قتله بحبس ، ويقال بل هرب من محبسه ولحق باصفهان ، وقتل بأمر السلطان . قال النسائي : وقفت على كتاب يراق الحاجب الى الوزير شرف الملك والسلطان بتبريز وهو يعدّ سوابقه فعد منها قتله أعدى عدو السلطان ، والله تعالى ولي التوفيق .

انتقال البهلوانية

لما ارتحل السلطان والوزير شرف الملك معه ، وانتهى الى همدان بلغه أن الامراء البهلوانية اجتمعوا بظاهر تبريز يرومون الانتقاض ، واتبعه خاموش بن الاتايك أربك من قلعة قوطور ، وكان مقيماً بها فرجع السلطان اليهم وقدم بين يديه الوزير شرف الملك قريباً من تبريز وهزمهم ، وقبض على الذين تولوا كبر الفتنة منهم ودخل تبريز قصبته ، وقبض على القاضي المعزول فصادمه قوام الدين الحرادي ابن أخت الطغرائي وصادره ، وسار السلطان للقاء التتر وأقام الوزير نائباً للبلاد .

ايقاع نائب خلّاط بالوزير

ولما كان ما ذكرناه من مسير حسام الدين نائب خلّاط الى أذربيجان ، واحتماله زوجة السلطان جلال الدين الى خلّاط امتعض

الوزير لذلك فسار الى موقان من بلاد آران ، وجمع التزكمان
وفرق المال للجباية ، وطلب الحمل من شروان شاه وهو خمسون
ألف دينار فتوقف . وأغار على بلاده فلم يظفر بشيء ورجع الى
أذربيجان . وكانت بنت الاتابك بهلوان في بَقْجان فارقتها مولاهما
إيدغمش وجاء الى الوزير فأطمعه فيها ، وصار الوزير مضمرأ الغدر
بها وامتنعت عليه . ونزل بالمرج فأكرمه وقربته ، ورحل الى
حورس من أعمالها ، وكانت للاشراف صاحب خلّاط أيام أذربك
فانتشرت ايدي العسكر في تلك الضياع ، وقتلتها الوزير . وجاء
الحاجب صاحب خلّاط في عساكره فانهزم الوزير وترك أثقاله وذلك
سنة أربع وعشرين . وكان مع الحاجب فخر الدين سام صاحب
حلب وهشام الدين خضر صاحب تبريز بَرَم . وكان الوزير ^(١)
وتكاليفه فظفر الآن بمخلفه وخلص الوزير الى آران وسار الحاجب
علي في اتباعه . ثم عاد الى تبريز ، ومرّ بخويّ فنهبا ثم سار الى
بقجان فلكما ، ثم تدمر كذلك . وأقام الوزير بتبريز ، وكان بها
الاتابك أذربك متنسكاً منه أهل تبريز من الدخول ، وحملوا اليه
النفقة . ثم جاء الخبر برجوع السلطان الى اصفهان بعد الهزيمة كما
مرّ فسار الوزير الى أذربيجان ، ولقي ثلاثة من الامراء جاؤا
مدداً له من عند السلطان ، وأمره بمحاصر خويّ فتأخر اليها وبها

(١) كذا بياض بالأصل ، ويظهر من الفصول التالية أن اسم هذا الوزير، أبو المكارم علي بن أبي القاسم . وإنه كان منبسطاً في العطاء حتى استغرق أموال الديوان . لذلك يكون مقتضى سياق العبارة هنا : وكان الوزير منبسطاً في عطائه وتكاليفه .

نائب الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ، وهو بدر الدين بن صرهنك ، والحاجب حسام الدين علي منوشهر فنهض اليه الوزير من خوي فتأخر الى تركري . والتقى هنالك فانهمز الحاجب ودخل تركري فاعتصم بها ، وحاصره الوزير ، وطلب الصلح فلم يسعفه . ورجع الذين كانوا معه بعساكرهم الى اذربيجان . وأفرج الوزير عن حصار تركري ومرّ بخوي ، وقد فارقها ابن صرهنك الى قلعة قوطور . واستأمن للسلطان من بعد ذلك ، ودخل الوزير مدينة خويّ وصادر أهلها ، وسار الى ترمذ ونقجوان ففعل فيها مثل ذلك ، وانقطعت ايلة الحاجب صاحب خلاط ، والله أعلم .

فتوحات الوزير بأذربيجان وإيران

ولما تخلف الوزير عن السلطان صرف همه الى تهديد البلاد ومدافعة صاحب خلاط وارتجاع البلاد التي ملك من اذربيجان وأران، وفتح القلاع العاصية فكان بينه وبين الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ما ذكرناه ، وهو خلال ذلك يستميل أصحاب القلاع ويفيض فيهم الاموال والخلع حتى أجاب أكثرهم . ثم قبض على ناصر الدين محمد من أمراء البهلوانية ، وكان معتزلاً عند نصرة الدين بن سبكتكين فصادره على مال وتسلم من نائبه قلعة كانت بيده . ثم مات نائب السلطان بكنججة أقسنقر الأتابكي فنهض اليها وقبض على نائبه شمس الدين كرشاسف وصادره ، وتسلم منه

قلعة هردوجار برد من أعمال آران . ثم جَهَّز العساكر لحصار قلعة زُونين ، وبها زوجة السلطان خاموش فأطال حصارها وعرضت عليه نكاحها فأبى . ولما رجع السلطان من العراق تَوَجَّها وولى خادمه سعد الدين على القلعة فأساء اليها ، وانتزع أملاكها فأخرجوه وعادوا الى الانتقاض . ولما خلاص الوزير من واقعته مع الحاجب نائب خلّاط قصد اران فجبى الاموال ، وجمع واحتشد وقصد قلعة مُردانقين ، وكانت لصهر الوزير ركبة الدين فصانعه بأربعة آلاف دينار حملها اليه .

ثم سار الى قلعة حاجين وبها جلال الدولة ابن أخت أبواني أمير الكرج فصالحه على عشرين ألف دينار وسبعمائة أسير من المسلمين . ثم كانت فتنة البهلوانية فسكنها وسَرَحَ الجند عنها . وشرح الخبر عنها انّ بعض مماليك اتابك أذربك كان قد أفحش في قتل الخوارزمية بأذربيجان عند زحفهم اليها أيام فرارهم من التتر ، فلما ملك السلطان جلال الدين أذربيجان ومحا ملك البهلوانية منها لحق الامير مُقدي هذا بالاشرف بن العادل بن أيوب صاحب الشام ، وأقام عنده فلما بلغه انهزام الوزير شرف الملك أمام الحاجب حسام الدين نائب الاشرف بخلاط فرّ من الشام الى أذربيجان ليقم مع الاتابكية ، ومر بالحاجب في خويّ فاتبعه وعبر النهر ، وخاطب من عدوته معتذراً فرجع عنه . ودخل مقدي بلاد قبار ، وفيها قلاع استولى عليها المنتقضون والعصاة فراسلهم في اقامة الدعوة

الاتابكية والبيعة لابن خاموش بن ازبك يستدعونه من قلعة قوطور . واتصل ذلك بالوزير فأقلقه . ثم جاء خبر هزيمة السلطان بأصفهان فازداد قلقاً . وسار الأمير مقدي الى نصره الدين محمد بن سبكتكين يدعوه لذلك فلاطفه في القول . وكتب للوزير بالخبر فأجابه بأن يضمن لمقدي ما أحب في مراجعة الطاعة ففعل ، وجاء به الى الوزير فأكرمه وخلع عليه وعلى من جاء معه ، وعاهده العفو عن دماء الخوارزمية . وجاء الخبر برجوع السلطان من أصفهان فارتحل الوزير للقائه ومعه الأمير مقدي وابن سبكتكين واکرمهما السلطان .

أخبار الوزير بخراسان

كان صفي الدين محمد الطغرائي وزيراً بخراسان . وأصل خبره انه كان من قرية كلاجرد وأبوه رئيسها ، وكان هو حسن الخط ورتبة الاطوار^(١) . ثم حُق بالسلطان في الهند وخدم الوزير شرف الملك فلما عادوا الى العراق ولأه الطغراء . ولما ملك السلطان تفليس من يد الكرج ولَّى عليها أقسنغر مملوك الاتابك أzbek ، وأقام صفي الدين في وزارتها فلما حاصرها الكرج هرب اقسنغر ، وأقام صفي الدين فحاصروه أياماً . ثم أفرجوا ووقع ذلك من السلطان أحسن المواقع ، وولاه وزارة خراسان فأقام بها سنة .

(١) أي عارف برتب الناس، ويقال له في أيامنا: صاحب التشريفات.

وضجر منه أهلها فلما جاء السلطان الى الري وأقام بها كثرت به الشكايات ، ونكبه السلطان واستصفى أمراله وقبض على مواليه وحاشيته وقيدت خيله الى مرابط السلطان ، وكانت ثلثمائة . وخلص من مواليه علي الكرماني الى قلعة كان حصنها فامتنع بها واستوزر السلطان مكانه تاج الدين البلخي المستوفي وسلم اليه الصفي ليستصفيه ويقلع القلعة من مولاة ، وشدد في امتحانه . وكان عدوه فلم يظفر منه بشيء . وكان لما نكب ، طالبه خاتون السلطان باحضار الجواهر ، وما ساقه لخدمة الوزير وغيره فأحضر أربعة آلاف دينار وسبعين فصاً من ياقوت وبلخش ، واستأثر الخازن بها لظنه أنه مقتول .

ثم كاتب الصفي أرباب الدولة ووعدهم بالاموال فشقموا فيه وخلصوه ، وكتب السلطان بخطه بسراجه فجاء واستخلص ماله من الخازن ، إلا الفصوص فانه تعذر عليه ردها . وولى السلطان على وزارة نسا محمد بن مودود النسوي العارض ، من بيت رئاسة بها . ورمت به الحادثة الى عزنة فلما جاء السلطان من الهند ولأه الانشاء والحبس ، وعظم امره ، وغص به الوزير شرف الملك . فلما ورد أحمد بن محمد المنشي الكاتب رسولا عن نصرة الدين محمد ابن حمزة صاحب نسا كما مر ، ولأه السلطان الانشاء فارقت لذلك ضياء الدين ، وطلب وزارة نسا فولاه السلطان إياها . وأقطع له عشرة آلاف دينار في السنة زيادة على أرزاق الوزارة . وذهب

إليها لاقامة وظيفته . واستناب في ديوان العرض مجد الملك النيسابوري . ثم قطع الحمل فعزله السلطان ، وولى مكانه الكاتب أحمد ابن محمد المنشي . وتعرض للسعاية فيه فطرده السلطان وهلك في طرده .

خبير بلبلان صاحب خلخال

كان من أتابكية أذربك . ولما كانت فتنة التتر وخلا خراسان واستيلاء السلطان جلال الدين على أذربيجان لحق بمدينة خلخال فاستولى عليها وعلى قلاعها ، وشغل عنه السلطان بأسر العراق وصاحب خلاط . فلما انصرف المسلمون من واقعة التتر بالعراق حاصروه بقلعة فيروز آباد حتى استأمن ، وملكها السلطان وولى عليها حسام الدين بكتاش مولى سعد أتابك فارس . ثم خلف السلطان أثقاله بموقان وتجرد لخلاط ، وعاقه البرد بارجيش فذهب بعض قلاع . وكان عز الدين الخلخالي في كفرطاب قريباً من أرجيش فلحق بخلاط ، وجهزه الحاجب الى أذربيجان يشغلهم بأنارة الفتنة فيها فلم يتم قصده من ذلك فلحق بجبال زنجان وأقام يخيف السابلة . وكتب له السلطان بالامان . ونزل الى اصفهان فبعث نائبها شرف الدولة برأسه الى السلطان . ثم رجع السلطان من كفرطاب الى خرت برت فنهبا وخربها ، ووصله خلال ذلك الخبر بوفاة الخليفة الظاهر منتصف ثلاث وعشرين ، وولاية ابنه المنتصر وجاء كتابه بأخذ البيعة ، وأن يبعث اليه بالخلع ، والله تعالى ولي التوفيق لا رب غيره .

تنكر السلطان للوزير شرف الملك

لما رجعت العساكر الى موقان ، وأقام السلطان بخوي شكا اليه أهلها بكثرة مصادرة الوزير لهم ، واطلع على اساءته للملكة بنت طغرل واستصفائه مالها مع براءتها مما نسب اليها . ثم جاء الى تبريز فبلغه عنه أكثر من ذلك ، وهو بقرية كورتان من اعمالها فافتقد رئيسها ، وكان يخدمه فقيل ان الوزير صادره على ألف دينار للملوكين . فلما وصل الى تبريز حبس من أخذها حتى ردّها على صاحبها ، وأسقط عن أهل تبريز خراج ثلاث سنين ، وكتب لهم بذلك . وكثرت الشناعات على الوزير بما فعله في مغيب السلطان ، هذا مع ما كان منه في محاربة الاسماعيلية بأن السلطان كاتبه من بغداد بأن يفتش فلول الشام من أجل رسول من عند التتر بعثوه الى الشام . وقصد بذلك معاتبة الخليفة ان عثر على الرسول فر به فلّ من الاسماعيلية فقتلهم ، واستولى على اموالهم . فلما عاد السلطان الى أذربيجان وصله رسول علاء الدين ملك الاسماعيلية يعاتبه على ذلك ، ويطلب المال فنكر السلطان على الوزير ما فعله ، ووكل به أميرين حتى ردّ ما أخذ من أموالهم ، وكانت ثلاثين ألف دينار وعشرة أفراس فانطوى السلطان للوزير من ذلك كله على سخط ، وأعرض عن خطابه . وكان يكاتب فلا يجاب ، وعجزت تبريز عن علوفة السلطان فأمر بفتح أهرا .

الوزير والتصرف فيها . ورجع السلطان الى موقان فلم يغير عليه شيئاً ، ووقع له بتناول عشر الخاص فكان يأخذ من عشر العراق سبعين ألف دينار في كل سنة والله أعلم .

وصول القفجاق لخدمة السلطان

كان للقفجاق على قديم العهد هوى مع قوم هذا السلطان وأهل بيته ، وكانوا يصهرون اليهم غالباً بيناتهم . ومن أجل ذلك استأصلهم جنكيزخان واشتد في طلبهم ، فلما عاد السلطان من واقعة أصفهان وقد هاله أمر التتر رأى ان يستظهر عليهم بقبائل قفجاق ، وكان في جلته سبير جنكيش منهم فبعثه اليهم يدعوهم لذلك ويرغبهم فيه فاجابوا ، وجاءت قبائلهم ارسالاً . وركب البحر كور كان من ملوكهم في ثلثمائة من قرابته ، ووصل الى الوزير بموقان فشتى بها . ثم جاء السلطان فخلع عليه وردّه بوعد جميل في فتح دربند وهو باب الابواب . ثم أرسل السلطان لصاحب دربند ، وكان طفلاً ، وأتابكه يلقب بالاسد يدبر أمره فقدم على السلطان فخلع عليه ، وأقطع له وملكه العمل على أن يفتح له الدربند . وجّه عساكر وأمراء فلما فصلوا من عنده قبضوا على الاسد وشنوا الغارة على نواحي الباب ، وأهل الاسد الحيلة وتخلف من أيديهم وتعذر عليهم ما أرادوه .

استيلاء السلطان على أعمال كستاسفي

كان علم الوزير يشكر أن السلطان أراد أن ينتصح له ببعض مذاهب الخدمة فسار في العساكر ، وعبر نهر أرس فاستولى على أعمال كستاسفي من يد شروان شاه . فلما عاد السلطان الى موغان أقطعها لجلال الدين سلطان شاه بن شروان شاه ، وكان أسيراً عند الكرج أسلمه أبوه اليهم ، على أن يزوجه بنت الملك رسودان بنت تاماد . فلما فتح السلطان بلاد الكرج استخلصه من الاسر ورباه ، وبقي عنده وأقطعه الآن كستاسفي . وكان ايضاً عند الكرج ابن صاحب أرزن الروم ، وكان تنصر فزوجه رسودان بنت تاماد فأخرجه السلطان لما فتح بلاد الكرج ، ثم رجع الى رذنه ولحق بالكرج فوجد رسودان قد تزوجت .

قدوم شروان شاه

كان السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان لما ملك أَرْدَان أطلق الغارة على بلاد شروان فوفد عليه ملكها افريدون بن فرتبريز ، وضمن حمل مائة ألف دينار في السنة . فلما ملك السلطان جلال الدين أَرْدَان سنة اثنتين وعشرين وستمائة طلب شروان شاه افريدون بالحمل فاعتلّ بتغلب الكرج ، وضعف البلاد فأسقط عنه نصف الحمل . فلما عاد الآن قدم عليه شروان شاه وأهدى له خمسمائة

فرس ، وللوزير خمسين فاستقلها . وأشار على السلطان بحبسها فلم يقبل اشارته ، وردده بالخلع والتشريف ، وأسقط عنه من الحمل عشرين ألفاً فبقي ثلاثون : قال النسائي الكاتب : وأعطاني في التوقيع ألف دينار ، والله تعالى أعلم .

مسير السلطان الى بلاد الكرج وحصاره قلعة بهرام

لما كان السلطان مقيماً بموفان حنصره من أذربيجان بعث عساكره مع ايلك خان فأغار على بلاد الكرج واكتسحها ، ومرت ببيرة بتاج فكسبه الكرج وأوقعوا به . وفقد أريطاني وامتعض السلطان لما وقع بعسكره وارتحل لوقته ، وقد جمع له الكرج فهزمت مقدمتهم ، وجيء بالأسرى منهم فقتلهم وسار في اتباعهم . ونازل كوري وطالبهم باطلاق أسرى البحيرة فأطلقوهم . وأخبر أن أريطاني خلص تلك الليلة إلى أذربيجان ، ثم وجده السلطان في نقجوان . ثم سار الى يهران الكرجي وقد كان أغار على نواحي كنجة فعاث في أعماله ، وحاصر قلعة سكان ففتحها عنوة ، وكذلك قلعة كاك . وبعث الوزير لحصار كوزاني ، فحاصرها ثلاثة أشهر حتى طلبوا الصلح على مال مملوه فرحل عنهم الى خلاط والله أعلم .

مسير السلطان الى خلاط وحصارها

ولما فرغ السلطان من شأن الكرج قدم أثقاله الى خلاط على

طريق قاقزوان ، وسار هو الى نَفَجَوَان ، وصبح الكرج واستاق مواشيهم . ثم أقام أياماً ، وقضى أشغال أهل خراسان والعراق ليفرغ لحصار خلاط . قال النسائي الكاتب : وحصل لي منهم تلك الايام ألف دينار . ثم ارتحل الى خلاط ولحق بعساكره ، ولقيه رسول من عز الدين أيبك نائب الاشرف بخلاط ، وقد كان الاشرف بعثه وأمره بالقبض على نائبها حسام الدين علي بن حماد فقبض عليه ثم قتله غيلة . وبعث الى السلطان يستخدم اليه بذلك وأن سلطانه الاشرف أمره بطاعة السلطان جلال الدين ، وبالغ في الملاطفة فأبى السلطان إلا امضاء ما عزم عليه . وقال إن كان هذا حقاً فابعث إليّ بالحاجب فلما سمع هذا الجواب قتله ، وسار السلطان الى خلاط ، ونزل عليها بعد عيد الفطر من سنة ست وعشرين .

وجاءه ركن جهان بن طغرل صاحب أرزن الروم فكان معه ، وحاصرها ونصب عليها المجانيق ، وأخذ بمخنتها حتى فرّ أهلها عنها من الجوع وتفرقوا في البلاد . ثم داخله بعض أهلها في أن يمكنهم من بقيتها على أن يؤمنوه ويقطعوه في أذربيجان فأقطعهم السلطان سلعاً وعدة ضياع هنالك . وأصعد الرجال ليلًا الى الاسوار فقاتلوا الجند بالمدينة وهزموهم وملكوها ، وأسروا من كان بها ، وأسروا النصارى وأسد بن عبدالله . وتحصن النائب عز الدين أيبك بالقلعة فأمنه وحبس به بقلعة درقان . فلما وقعت المراسلة في الصلح

قفل ثلثاً يشترط . وقال ابن الاثير ان مولى من موالي حسام الدين كان هرب الى السلطان ، فلمّا ملك خلاط طلب أن يشار منه بمولاه فدفعه اليه وقتله ، ونهب البلد ثلثاً وسرح السلطان صاحب أرزن وهرب القمهري من محبسه فقتل أسد بن عبدالله المهراني بجزيرته ، وأقطع السلطان خلاط للأمراء وعاد ، والله تعالى وليّ التوفيق .

واقعة السلطان جلال الدين مع الأشرف وكيقباد وانخراطه أمامهما

ولما استولى السلطان جلال الدين على خلاط تجهز الأشرف من دمشق ، وقد كان ملكها وسار لقتال السلطان جلال الدين في عساكر الجزيرة والشام ، وذلك في سنة تسع وعشرين ولقيته علاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم على سيراس . وكان كيقباد قد خشي من اتصال جهان شاه ابن عمه طغرل صاحب أرزن الروم بالسلطان جلال لما بينهما من العداوة ، فسار الأشرف وكيقباد من سيراس ، وفي مقدّمة الأشرف عز الدين عمر بن علي من أمراء حلب من الأكراد المكارية ، وله صيت في الشجاعة . وجاء السلطان علاء الدين للقائهم فلما تراءى الجمعان حمل عز الدين صاحب المقدّمة عليهم فهزمهم ، وعاد السلطان الى خلاط .

وكان الوزير علي ملاز كرد يحاصرها فلحق به وارتحلوا جميعاً الى أذربيجان . وأسر ركن الدين جهان شاه بن طغرل . وجي .

به الى ابن عمه علاء الدين كيقباد فجاء به الى ارزن فسلمها
وسائر أعمالها. ووصل الاشرف الى خلاط فوجدها خاوية . ولما
رجع السلطان الى أذربيجان ترك العساكر مع الوزير سكران ،
وأقام بخوري ، وخلص الترك في الهزيمة الى موقان . وتردد شمس
الدين التكريتي رسول الاشرف بينه وبين السلطان جلال الدين
في الصلح بينهم ، ودخل فيه علاء الدين صاحب الروم ، وانعقد
بينهم جيماً ، وسلم لهم السلطان سرّاً من رأى مع خلاط ، والله
تعالى أعلم .

الحوادث أيام حصار خلاط

منها وفادة نصر الدين أصبهد صاحب الجبل مع أرخا من
امراء السلطان يصهره على أخيه ، فقبض السلطان عليه إلى أن عاد
من بلاد الروم منهزماً فأقطعه وأعادته الى بلاده . ومنها رسالة أخت
السلطان وكانت عند دوشي خان أخذها من العيال الذين جاؤا
معه ، وتركان خاتون من خوارزم ، وأولدها ، وكانت تكتب
أخاها بالاخبار فبعثت اليه الآن في الصلح مع خاقان والمصاهرة .
وأن يسلم له فيما وراء جيحون فلم يجبها . ومنها وفادة ركن الدين
شاه ابن طغرل صاحب ارزن الروم ، وكان في طاعة الاشرف
ومظاهراً للحاجب نائب خلاط على عداوة السلطان منافرة لابن عمه
علاء الدين كيقباد بن كنخسرو صاحب الروم ، وكان قتل رسول

السلطان منقلباً من الروم ، ومنع الميرة عن العسكر . فلما طال حصار السلطان بخلاط استأمن وقدم عليه السلطان فاحتفل لقدومه واركب الوزير للقائه . ثم خلع عليه وردّه الى بلاده ، واستدعى منه آلات الحصار فبعث بها . ثم حضر بعد ذلك واقعة الاشرف مع السلطان كما مرّ .

ومنها وصول سعد الدين الحاجب برسالة الخليفة الى السلطان بالخطبة في أعمالها ، وان لا يتعرض لمظفر الدين كوكبرون صاحب إزبل ، ولا للولد صاحب الموصل ، ولا لشهاب الدين سليمان شاه ملك ولا لعباد الدين بهلوان بن هرايست ملك الجبال ويعدّهم في أولياء الديوان فامتثل مراسله . وبعث نائب العراق شرف الدين علي بأنّ ملك العراق لا يتم إلا بطاعة ملك الجبال عماد الدين بهلوان وملك^(١) سليمان شاه فبعث اليهما السلطان من لطفهما حتى كانت طاعتها اختياراً منها

وبعث السلطان الحاجب بدر الدين طوطو بن أبنايخ خان فأحسن في تأدية رسالته ، وجاء بهدية حاوية من عند الخليفة خلعتان للسلطان احدهما جبة وعمامة وسيف هندي مرصع الحلية ، والاخرى قنق وكمة وفرجية وسيف محلي بالذهب ، وقلادة مرصعة ثمينة ، وفرسان رائعان بعدّتين كاملتين ، ونعال لكل واحدة من أربعمئة

(١) كذا ، بياضان بالأصل . وفي الكامل ج ٩ ص ٧٢ يظهر بوضوح أن سليمان شاه كان ملك همدان وأنه قتل بها سنة ست وخمسين وخمسمائة .

دينار ، وترس ذهب مرصع بالجواهر وفيه أحد وأربعون فصاً من الياقوت وبندخستاني في وسطه فيروزجة كبيرة ، وثلاثون فرساً عربية مجلّة بالاطلس الرومي المبطن بالاطلس البغدادي بمقاود الحرير ونعال الذهب ، لكل واحدة منها ستون ديناراً وعشرون مملوكاً بالعدة والمركوب ، وعشرة فهو بجلال الأطلس وقلائد الذهب ، وعشرة صقور بالأكمام المكلفة ، ومائة وخمسون بقجة في كل واحدة عشرة ثياب ، وخمس أكر من العنبر مضلعة بالذهب وشجرة من العود الهندي ، طولها خمسة أذرع وأربع عشرة خلعة نسوانية للغانات من خوالص الذهب ، وكنائس للخيل تفليسية .

والأمراء ثلثمائة خلعة لكل أمير خلعة قباء وكمة ، للوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيف هندي ، واكرتان من العنبر وخمسون ثوباً وبغلة . ولأصحاب الديوان عشرون خلعة في كل خلعة جبة وعمامة وعشرون ثوباً أكثرها أطلس رومي وبغدادي ، وعشرون بغلة شهباء . ورفعت للسلطان خباء فدخلها ولبس الخلعتين ، وشفع الرسول في اهل خلاط فاعتذر له السلطان .

ومنها وصول هدية من صاحب الروم ثلاثون بغلاً مجلّة بثياب الاطلس الخطائي ، وفرود القندي والسمور ، وثلاثون مملوكاً والعدة ، ومائة فرس وخمسون بغلاً . ولما مروا بأذربيجان اعترضهم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب اوزن ، وكان في طاعة

الاشرف فأمسك الهدية عنده الى ان وفد على السلطان بطاعته فأحضرها .

ومنها اسار وزير المورخا ، جاء الى الجبل المطل على قزوين لحصاد الحشيش على عادته ، وكان السلطان قد تغير على علاء الدين صاحبهم بسبب أخيه غياث الدين ، ولحاقه بهم في الموت فصار مقطع سارة الى ذلك الجبل ، وأكمن لهم الوزير . وبعث به الى السلطان وهو يحاصر خلاط فحبسه بقلعة رزمان ، وهلك لاشهر قلائل . ثم بعث السلطان كاتبه محمد بن احمد النسائي الى علاء الدين صاحب قلعة الموت بطلب الخوارج ، وطلب الخطبة فامتنع منها أولا واحتج عليه بأن أباه جلال الدين الحسن خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد السلطان فأنكر والتزم أن يبعث الى الديوان مائة ألف في كل سنة .

وحول جهان بهلوان أذربك من الهند

كان السلطان لما فصل من الهند بقصد العراق ، واستخلف على البلاد التي ملكها هنالك جهان بهلوان أذربك فأقام هنالك الى أن قصده عسكر شمس الدين ايتاش صاحب لهاون ففارق مكانه ، وسار الى بلاد قشمر فزاحموه وطرده عن البلاد فقصد العراق ، وتخلف عنه أصحابه ، وعادوا الى ايتاش ، وفيهم الحسن برلق الملقب رجاملك ، وكاتب جهان عليها ملك العراق بوصوله

في سبعمائة فارس ، فأجاب الحسن رأي السلطان فيه . وبعث اليه بعشرة آلاف دينار للنفقة . ووصل توقيع السلطان بأن تحمل اليه عشرون ألفاً ، وأن يشتي بالعراق يستريح بها من التعب فصادف عود السلطان من بلاد الروم ، وزحف السلطان الى اذربيجان فحال قدر الله بينه وبين مرامه ، وقتل هناك سنة ثمان وعشرين .

وصول التتر إلى أذربيجان

كان التتر عندما ملكوا ما وراء النهر ، وزحفوا الى خراسان فضعضوا ملك بني خوارزم شاه ، وانتهوا الى قاصية البلاد وخربوا ما مروا عليه ، واكتسحوا ونهبوا وقتلوا . ثم استقر ملكهم بما وراء النهر وعمرؤا تلك البلاد ، واختلطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها . وبقيت خراسان خالية ، واستبدت بالمدن فيها أمراء شبه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين لما جاء من الهند ، وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان وأذربيجان وأردان وما وراء ذلك . وبقيت خراسان بمجالات لغارات التتر وحروبهم . ثم سارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين لما جاء من الهند ، الواقعة على أصفهان كما مر . ثم كان بين جلال الدين وبين الاشرف صاحب الشام وعلاء الدين كيقباد صاحب الروم الواقعة سنة سبع وعشرين كما مر وأوهنت من جلال الدين وحلت عرى ملكه .

وكان علاء الدين مقدم الاسماعيلية في قلعة الموت فعاد جلال الدين لما أُنْخِضَ في بلاده ، وقرر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم بالهزيمة الكائنة عليه ، وأنها أوهنته ، ويحثهم على قصده فساروا الى أذربيجان أول سنة ثمان وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فبعث بوغر من أمرائه طليعة لاستكشاف خبرهم فلقى مقدمتهم ، فانهزم ولم ينج من أصحابه غيره . وجاء بالخبر فرحل من تبريز الى موقان ، وخلف عياله بتبريز لنظر الوزير وأعجله الحال عن أن يبعثهم الى بعض الحصون .

ثم ورد كتاب من حدود زنجان بأن المقدمة التي لقيها بوغر باهر أقاموا بمرج الخان ، وأنهم سبعمائة فارس فظن السلطان أنهم لا يجاوزونها فسري عنه ، ورحل الى موقان فأقام بها ، وبعث في احشاد الاميرين بُفان شحنة خراسان ، وأوسمان بَهلوان شحنة مازندران ، وشغل بالصيد . وبينما هو كذلك كبسه التتر بمكانه ونهبوا معسكره وخلص الى نهر أوس .

ثم وري بقصد كنجة وعطف الى أذربيجان ، فتنكر لماهان . وكان عز الدين صاحب قلعة شاهن غاضباً منذ سنين لاغارة الوزير على بلده . فلما نزل السلطان ماهان كان يخدمه بالميرة وباخبار التتر ثم أنذره آخر الشتاء بمسير التتر اليه من أرتجان ، وأشار عليه بالعود الى أرتان لكثرة ما فيها من العساكر وأجناد التركمان متحصنين بها . فلما فارقها وكان الوزير فوق

بيوت السلطان وخزائنه في قبلاع حسام الدين منهم : ارسلان كبير أمراء التركمان بأردان، وكان قد عمر هنالك قلعة سنك سراج من أحصن القلاع فأثرل عياله بها وكان مستوحشاً من السلطان فجاهر بالعصيان .

وكانت وحشته من السلطان لأمور منها : تبذير أمواله في العطاء والنفقة ، ومنها أنه ظنّ أنّ السلطان مجفل الى الهند فكاتب الاشرف صاحب الشام وكيقباد صاحب الروم فوعدهم من نفسه الطاعة ، وهما عدّوا السلطان . ومنها أنه كاتب قليج ارسلان التركماني فأمره بحفظ حرم السلطان وخزائنه ولا يسلمها اليه . وبعث في الكتاب له ، والكباس قبله ليغزو الروم . فلما مرّ السلطان بقلعته بعث اليه يستدعيه فوصل وحمل كفنه في يده ، فلاطفه السلطان وكأيده فظنها مخالصة فاطمأنّ والله تعالى وليّ التوفيق .

استيلاء التتر على تبريز وكنجة

ولما اجفل السلطان بعد الكبسة من موقان الى آردان بلغ الخبر الى أهل تبريز فثاروا بالخوازرمية ، وأرادوا قتلهم ، ووافقهم بها الدين محمد بن بشير فاربك الوزير بعد الطغرياني . وكان الطغرياني رئيس البلد كما مرّ فتعهم من ذلك ، وعدوا على واحد من الخوازرمية وقتلوه فقتل به اثنين من العامة . واجتهد في تحصين تبريز وحراستها وشحنها بالرجال ، ولم تنقطع كتبه عن السلطان

ثم هلك فسلمها العوام الى التتر ثم نار أهل كنجة وسلموا بلدهم
للتتر وكذا أهل بيلغازه والله أعلم .

نكبة الوزير ومقتله

لما وصل السلطان الى قلعة جاررد بلغه استيحاء الوزير ،
وخشي أن يفرّ الى بعض الجهات فركب الى القلعة مورداً بالنظر في
أحوالها والوزير معه . وأسرّ الى والي القلعة أن يمسك الوزير
ويقيدته هنالك ففعل . ونزل السلطان فجمع ممالك الوزير
وكبيرهم الناصر قشتمر ، وضمهم الى أوترخان . ثم غي الى والي
القلعة أن السلطان مستبدل منه فاستوحش ، وبعث بخاتم الوزير
الى قشتمر كبير الممالك يقول : نحن وصاحبكم متوازدون ، فن
أحب خدمته فليأت القلعة فسقط في يد السلطان . وكان ابن
الوالي في جلته وحاشيته . فأمره السلطان أن يكتب أباه ويماتبه
ففعل ، وأجابه بالتنصل من ذلك . فقال له السلطان : فليبعث
إليّ برأس الوزير فبعث به . وكان الوزير مكرماً للعلماء والادباء
مواصلاً لهم ، كثير الحشية والبكاء متواضعاً منبسطاً في العطاء ،
حتى استغرق أموال الديوان . لولا أن السلطان جذب من عنائه .
وكان فصيحاً في لغة الترك ، وكانت عمالته على التواقيع
السلطانية : « الحمد لله العظيم » وعلى التواقيع الديوانية : « يعتمد ذلك »

وعلى تواقيعه الى بلاده : «أبو المكارم علي ابن أبي القاسم خالصة
أمير المؤمنين » .

ارتجاع السلطان كنجة

لما ناز أهل كنجة بالخوازمية كان القائم بأمرهم رجل منهم
اسمه بندگان ، وبعث السلطان اليهم رسوله يدعوهم الى الطاعة
فوصلوا قريباً منه ، وأقاموا . وخرج اليهم الرئيس جمال الدين
القمي بأولاده ، وامتنع الباقون . ثم وصل السلطان وردد اليهم
فلم تغن ، وبرزوا بعض الايام للقتال ، ورموا على خيمته فركب ،
وحمل عليهم فانهزموا وازدحموا في الباب فمنعهم الزحام من اغلاقه
فاقتحم السلطان المدينة ، وقبض على ثلاثين من أهل الفتنة
فقتلهم . وجي بندگان ، وكان بالغاً في الفساد ، وكسر سرير
الملك الذي نصبه بها محمد بن ملك شاه فثل به ، وفصل أعضائه
بين يديه . وأقام السلطان بكنجة نحواً من شهر . ثم سار الى
خلاط مستمداً للاشرف فارتحل الاشرف الى مصر ، وعلل بالمواعيد
ووصل السلطان في وجهته الى قلعة شمس ، وبها أراك بن ايوان
الكرجي فخرج وقبل الارض على البعد . ثم بعث الى السلطان
ما امر به وبعث السلطان الى جيرانه من الملوك مثل صاحب حلب
وآمد وماردين يستنجدهم بعد يأسه ، من الاشرف . وجرد
عسكراً الى خرت برت وملطية وأذربيجان فأغاروا في تلك

النواحي ، واستافوا نعمها لما بين ملكها كيقباد وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميعهم من ذلك ، وقعدوا عن نصرته والله تعالى وليّ التوفيق .

كان السلطان بلغه وهو بخلاط أن التتر ساروا اليه ، فبعث السلطان الامير اترخان في أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبر أن التتر رجعوا من حدود ملاز كرد . وكان الامراء أشاروا على السلطان .^(١) الانتقال بديار بكر وينجرون الى أصفهان . ثم جاءه رسول صاحب آمد وزين له قصد بلاد الروم ، وأطمعه في الاستيلاء عليها ليتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر ، وأنه يمدّه بنفسه في أربعة آلاف فارس . وكان صاحب آمد يروم الانتقام من صاحب الروم بما ملك من قلاع فجنح السلطان الى كلامه ، وعدل عن اصفهان الى امد فنزل بها . وبعث اليه التركمان بالندير وانهم راوا نيران التتر بالمنزل الذي كانوا به أمس فاتهم خبرهم ، وصبحه التتر على آمد ، وأحاطوا بخيمته قبل ان يركب فحمل عليهم اوترخان حتى كشفهم عن الحركات .

وركب السلطان وركض وأسلم زوجته بنت الاتابك سعد الى اميرين يحملانها الى حيث تنتهي الحلقة . ثم ردّ اوترخان

(١) كذا بياض بالأصل ، ويذكر ابن الأثير هذه الواقعة باختلاف كثير عما هي هنا في حوادث سنة ٦٢٨ في ج ٩ ص ٣٨٤ وما بعدها . وتصويب العبارة : وكان الأمراء أشاروا على السلطان بترك خلاط والانتقال بديار بكر ، إلى أن يصل إلى أصفهان .

والعاكر عنه ليتواري بانفراده عن عين العدو وسار أوترخان في أربعة آلاف فارس فخلص إلى أصفهان ، واستولى عليها إلى أن ملكها التتر عليه سنة تسعة وثلاثين . وذهب السلطان مستخفياً إلى باشورة آمد ، والناس يظنون أن عسكره غدروا به فوقفوا يردونهم فذهب إلى حدود الدربندات ، وقد ملئت المضائق بالمفسدين . فأشار عليه أوترخان بالرجوع فرجع ، وانتهى إلى قرية من قرى ميفارقين فنزل في بيدها ، وفارقه أوترخان ، إلى شهاب الدين غازي صاحب حلب لمكاتبات كانت بينها فحبسه .

ثم طلبه الكامل فبعث به إليه محبوساً ثم سقط من سطح فأت ، وهجم التتر على السلطان بالبيدر فهرب ، وقتل الذين كانوا معه ، وأخبر التتر أنه السلطان فاتبعوه . وأدركه اثنان منهم فقتلها ويثس منه الباكون فرجعوا عنه . وصعد جبل الأكراد فوجدتهم مترصدين في الطرق للنهب فسلبوه وهما بقتله . وأسر إلى بعضهم أنه السلطان فضى به إلى بيته ليخلصه إلى بعض النواحي ودخل البيت في غيبة بعض سفلتهم وبيده حربة ، وهو يطلب الثأر من الخوارزمية بأخ له قتل بخلاط فقتله ، ولم يغن عنه البيت ، وكانت الوقعة منتصف شوال سنة ثمان وعشرين . هذه سياقة الخبر من كتاب النسائي كاتب السلطان جلال الدين . وأما ابن الاثير فذكر الواقعة ، وأنه فقد فيها ، وبقوا أياماً في انتظار خبره ، ولم يذكر مقتله . وانتهى به التأليف ولم يزد على ذلك .

قال النسائي : وكان السلطان جلال الدين أسمر قصيراً تركياً شجاعاً حليماً وقوراً لا يضحك الا تبسماً ، ولا يكثر الكلام مؤثراً للعدل ، إلا أنه مغلوب من أجل الفتنة وكان يكتب للخليفة والوحشة قائمة بينهما كما كان أبوه يكتب بخادمه المطواع فلان ، فلما بعث اليه بالخلع عن خلاط كما مر كتب اليه عيده فلان ، والخطاب بعد ذلك سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، قدوة المشارق والمغارب المنيف على الذروة العليا ابن لؤي بن غالب . ويكتب للملك الروم ومصر والشام . السلطان فلان بن فلان ليس معها أخوة ولا حبة . وعلامته على تواقيعه : النصر من الله وحده . وعلامته لصاحب الموصل بأحسن خط ، وشق القلم شقين ليغلف .

ولما وصل من الهند كاتبه الخليفة : الجناب الرفيع الخاقاني فطلب الخطاب بالسلطان فأجيب بأنه لم تجربه عادة مع أكابر الملوك فألح في ذلك حين حملت له الخلع فخطب بالجناب العالي الشاهنشاهي . ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعة في سواد آمد وأرزن وميفارقين وسائر ديار بكر فاكتمسحوها وخرّبوها ، وملكوا مدينة اسعد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ، ومروا بماردين فامتنعت . ثم وصلوا الى نصيبين فاكتمسحوها فواحيها ، ثم الى سنجار وجبالها والخابور . ثم ساروا الى تدليس فأحرقوها ، ثم الى أعمال خلاط فاستباحوا أباكري وارنجيس .

وجاءت طائفة أخرى من أذربيجان الى أعمال إربل ، ومروا
في طريقهم بالتركان الاموامية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا
وخرج مظفر الدين صاحب إربل بعد ان استمدت صاحب الموصل
فلم يدركهم ، وعادوا وبقيت البلاد قاعاً صفصفاً ، والله وارث
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وافترق عسكر جلال الدين منكبرس ، وساروا الى كيقباد
ملك الروم فأثبتهم في ديوانه واستخدمهم . ثم هلك سنة اربع
وثلاثين ، وولي ابنه غياث الدين كنخسرو فارتأب بهم وقبض على
كبيرهم وفر الباقيون . واكتسحوا ما مروا به ، وأقاموا مستبدين
بأطراف البلاد . ثم استمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل
وكان نائباً لابيه بالبلاد الشرقية حرّان وكيفا وآمد . واستأذن
أباه في استخدامهم فأذن له كما يأتي في اخباره ، والله سبحانه
وتعالى ولي التوفيق بمنه وفضله .

جلال الدين منكبرست بن علاء الدين محمد بن تگش بن ارسلان بن أحسن بن محمد بن أوتش تگش خوارزمشاه.
غياث الدين تيرشاه -
موفق خان بن علاء شاه -
سلطان شاه محمود -
محمد بن أوتش تگش خوارزمشاه

الخبر عن دولة بني تنش بن البارسلان ببلاد الشام دمشق
وحلب وأعمالهما وكيف تناوبوا فيها المقام بالدعوة
العباسية والدعوة العلوية حين انقراض أمرهم

قد تقدم لنا استيلاء السلجوقية على الشام لأول دولتهم ،
وكيف سار أئمز بن أرتق الخوارزمي من أمراء السلطان ملك
شاه الى فلسطين ، ففتح الرملة وبيت المقدس ، وأقام فيها الدعوة
العباسية ، ومحا الدعوة العلوية . ثم حاصر دمشق وذلك سنة ثلاث
وستين وأربعمائة . ثم أقام يرّدد الحصار على دمشق حتى ملكها
سنة ثمان وستين . وسار الى مصر سنة تسع وستين ، وحاصرها
وعاد عنها . وولي السلطان ملك شاه بعد أبيه ألب أرسلان سنة
خمس وستين ، فأقطع أخاه تُنش بلاد الشام ، وما يفتحه من تلك
النواحي سنة سبعين وأربعمائة فسار الى حلب وحاصرها . وكان
امير الجيوش بدر الجمالي قد بعث العساكر لحصار دمشق ، وبها
أئمز فبعث بالصريح الى تاج الدولة تنش فسار لنصرته ، وأجفلت
عساكر مصر ، وخرج أئمز لتلقيه فتعلل عليه ببطئه عن تلقيه ،
وقته واستولى على دمشق ، وقد تقدم ذلك كله .

ثم استولى سليمان بن قُطْلُمُش على انطاكية ، وقتل مسلم بن
قريش . وسار الى حلب فلحقها ، وسمع بذلك تنش فسار اليها
واقبلا سنة تسع وسبعين ، وقتل سليمان بن قُطْلُمُش في الحرب

وسار السلطان ملك شاه الى حلب فلما ولى عليها قسيم الدولة أقسنقر جد نور الدين العادل. ثم جاء السلطان الى بغداد سنة اربع وثمانين، وسار اليه أخوه تاج الدين تتش من دمشق، وقسم الدولة أقسنقر صاحب حلب، وبوزان صاحب الرها، وحضروا معه صنع المولد النبوي ببغداد، فلما وعدوه العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان بأن يسيرا بمسكهما مع تاج الدولة تتش لفتح البلاد بساحل الشام، وفتح مصر من يد المستنصر العلوي، وبحوز الدولة العلوية منها فساروا لذلك.

وملك تتش حمص من يد ابن ملأب، وغزة عنوة، وأماسية من يد خادم العلوي بالامان. وحاصر طرابلس، وبها جلال الدين ابن عمار فدخل قسيم الدولة أقسنقر، وصانعه بالمال في أن يشفع له عند تتش فلم يشفعه فرحل مغاضباً، وأجفلوا الى جبلة وانتقض أمرهم. وهلك السلطان ملك شاه سنة خمس وثمانين ببغداد، وقد كان سار الى بغداد، وسار تتش أخوه من دمشق للقائه وبلغه في طريقه خبر وفاته، وتنازع ولده محمود وبركيارق الملك فاعتزم على طلب الامر لنفسه، ورجع الى دمشق فجمع العساكر وقسم العطاء. وسار الى حلب فأعطاه أقسنقر الطاعة لصغر أولاد ملك شاه والتنازع الذي بينهم، وحمل صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها وحران على طاعته.

وساروا جميعاً في محرم سنة ست وثمانين فحاصروا الرجة

وملكوها ، وخطب فيها تنش لنفسه . ثم ملك نصيبين غنوة واستباحها وأقطعها لمحمد بن مسلم بن قريش . ثم سار الى الموصل وبها ابراهيم بن قريش بن بدران ، وبعث اليه في الخطبة على منابره فامتنع وبرز للقائه في ثلاثين ألفاً ، وكان تنش في عشرة آلاف والتقوا بالمضيق من نواحي الموصل فانهزم ابراهيم وقتل ، واستبيحت احياء العرب ، وقتل أمراؤهم ، وأرسل الى بغداد في طلب الخطبة فلم يسمعف الا بالوعد . ثم سار الى ديار بكر فلكها في ربيع الآخر ، وسار منها الى اذربيجان . وكان بركيارق بن ملك شاه قد استولى على الري وهمدان ، وكثير من بلاد الجبل فसार في العساكر لمدافعته . فلما تقاربوا نزع اقسنقر وبوزان الى بركيارق .

وعاد تنش منهزماً الى الشام ، وجمع العساكر ، واستوعب في الحشد . وسار الى اقسنقر في حلب فبرز اليه ، ومعه بوزان صاحب الرها وكربوقا الذي ملك الموصل فيما بعد ، ولقيهم تنش على ستة فراسخ من حلب فانهزموا وجي ، باقسنقر أسيراً فقتله صبراً . ولحق كربوقا وبوزان بحلب فحاصرها تنش وملكها وأخذها أسيرين . وبعث الى حران والرها في الطاعة فامتنعوا فقتل بوزان وملكها وحبس كربوقا بجمص . ثم سار الى الجزيرة فلكها جميعاً ، ثم الى ديار بكر وخلاط ثم اذربيجان ثم همدان . وبعث الى بغداد في الخطبة . وكان بركيارق يومئذ بنصيبين فعبر دجلة الى إزبل ، ثم منها الى بلد سرخاب بن بدر . وسار الامير يعقوب بن أرتق من

عسكر تتش فكبسه وهزمه ، ونجا الى أصفهان فكان من خبره ما تقدم . وبعث تتش يوسف بن أرتق التركماني شحنة الى بغداد فنع منها فعات في نواحيها . ثم بلغه هلك تتش فعاد الى حلب . وهذه الاخبار كلها قد تقدمت في أول دولة السلجوقية وانما ذكرناها هنا توطئة لدولة بني تتش بدمشق وحلب والله أعلم .

مقتل تتش

ولما انهزم بركيارق أمام عمه تتش لحق بأصفهان ، وبها محمود وأهل دولته فأدخلوه وتشاوروا في قتله ؛ ثم أبقوه الى ابلال محمود من مرضه فقدر هلاك محمود . وبايعوا لبركيارق فبادر الى أصفهان ، وقدم أميراً آخر بين يديه لاعداد الزاد والعلوفة ، وسار هو الى أصفهان . ورجع تتش الى الري ، وأرسل الى الامراء بأصفهان يدعوهم ويرغبهم فأجابوه باستبراء أمر بركيارق . ثم ابل بركيارق من مرضه ، وسار في العساكر الى الري فانهزم تتش وانهزم عسكره ، وثبت هو فقتله بعض أصحاب اقسنقر بشار صاحبه ، واستقام الامر لبركيارق والله تعالى أعلم .

استيلاء رضوان بن تتش على حلب

كان تتش لما انفصل من حلب استخلف عليها أبا القاسم الحسن ابن علي الخوارزمي وأمكنه من القلعة ، ثم أوصى أصحابه قبل

المصاف بطاعة ابنه رضوان ، وكتب اليه بالمسير الى بغداد ونزول دار السلطنة فصار لذلك ، وسار معه أبو الغازي بن أرتق . وكان أبوه تتش تركه عنده وسار معه و ^(١) معه محمد بن صالح بن مرداس وغيرهما . وبلغه مقتل أبيه عند هيت فعاد الى حلب ، ومعه الاميران الصغيران أبو طالب وبهرام وآمه وزوجها جناح الدولة الحسن بن أفتكين ، ولحق بهم من المعركة . فلما انتهوا الى حلب امتنع أبو القاسم بالقلعة ، ومعه جماعة من المغاربة ، وهم أكثر جندها فاستألمهم جناح الدولة فثاروا بالقلعة من الليل ، ونادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم ، فبعث اليه رضوان بالامان وخطب له على منابر حلب وأعمالها ، وقام بتدبير دولته جناح الدولة ، وأحسن السيرة .

وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن أبيه التركماني صاحب انطاكية ؛ ثم أطاع وأشار على رضوان بقصد ديار بكر ، وسار معه لذلك . وجاءهم امراء الاطراف الذين كان تتش رأسهم فيها ، وقصدوا سروج فسبقهم اليها سلمان بن أرتق وملكها فساروا الى الرها ، وبها الفارقليط من الروم ، كان يضمن البلاد من بوزان فتحصن بالقلعة ودافعهم ، ثم غلبوه عليها ، وملكها رضوان . وطلبها منه باغيسيان . وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب ، ورجع

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ١٧٦ : الأمير وثاب بن محمود بن صالح بن

مرداس .

رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان فأقطعها له . ثم سار الى حرّان وأميرها قراجا فدس اليهم بعض أهلها بالطاعة ، واتهم قراجا بذلك ابن المعني من أعيانها ، كان تتش يعتمد عليه في حفظ البلد فقتله ، وقتل بني أخيه . ثم فسد ما بين جناح الدولة وباغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بجلب ، ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان الى بلده انطاكية ، وسار معه أبو القاسم الخوارزمي ، ودخل رضوان الى حلب دار ملكه وكان من أهل دولته يوسف بن ارتق الخوارزمي الذي بعثه تتش الى بغداد شحنة . وكان ^(١) من الفتيان بجلب ، وكان متبوعاً ، وكان يعادي يوسف بن ارتق فجاء الى جناح الدولة القائم بأمر رضوان ورمى يوسف بن ارتق عنده بأنه يكاتب باغيسيان ويدخله في الثورة ، واستأذنه في قتله فأذن له ، وأمدّه بجماعة من الجند . وكبس يوسف في داره فقتله ونهب مافيها واستطال على الدولة . وطمع في الاستبداد على رضوان ، ودس لجناح الدولة أن رضوان أمره بقتله فهرب الى حمص . وكانت اقطاعاً له واستبد على رضوان ثم تنكر له رضوان سنة تسع وثمانين ، وأمر بالقبض عليه فاخفى ونهبت دوره وأمواله ودوابه . ثم قبض عليه فامتحن وقتل هو وأولاده .

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ١٧٩ ، وكان بحلب إنسان يقال له «المجن» وهو رئيس الأحداث بها ، وله أتباع كثير.

استيلاء دقاق بن تنش على دمشق

كان تنش قد بعث ابنه دقاقاً الى أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فأقام هنالك الى أن توفي ملك شاه ، فسار معه ابنه محمود وأمه خاتون الجلالية الى أصفهان . ثم ذهب عنهم سرّاً الى بركبارق ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها . ولما قتل تنش أبوه سار به مولاه تكين الى حلب فأقام عند أخيه رضوان ، وكان بقلعة من قلاعها سار تكين الخادم من موالي تنش ، ولأه عليها قبل موته فبعث الى دقاق يستدعيه لملك فسار اليه ، وبعث رضوان في طلبه فلم يدركه . ووصل دمشق ، وكتب اليه باغيسيان صاحب انطاكية يشير عليه بالاستبداد بدمشق على أخيه رضوان . ووصل معتمد الدولة طفتكين مع جماعة من خواص تنش ، وكان قد حضر المعركة وأسر فخلص الآن من الاسار . وجاء الى دمشق فلقبه دقاق ومال اليه ، وحكمه في أمره وداخله في مثل ساوتكين الخادم فقتلوه . ووفد عليهم باغيسيان من انطاكية ، ومعه أبو القاسم الخوارزمي فأكرمها واستوزر الخوارزمي وحكمه في دولته .

الفتنة بين دقاق وأخيه رضوان

ثم سار رضوان الى دمشق سنة تسعين وأربعمائة قاصداً

انتزاعها من يد دقاق فامتنعت عليه فعاد الى مالس ، وقصد
الورس فامتنعت عليه فعاد الى حلب ، وفارقه باغيسيان صاحب
انطاكية الى اخيه دقاق ، وحضّ على المسير الى اخيه بحلب فسار
لذلك . واستنجد رضوان سكران من سروج في أمم من التركمان .
ثم كان اللقاء بقنسرين فانهمزمت عساكر دقاق ونهب سوادهم ،
وعاد رضوان الى حلب . ثم سعى بينهما في الصلح على أن يخطب
لرضوان بدمشق وأنطاكية قبل دقاق فانعقد ذلك بينهما . ثم لحق
جناح الدولة بجمص عندما عظمت فيه سعاية « المجن » كما ذكرناه .
وكان باغيسيان منافراً له . فلما فصل من حلب جاء باغيسيان الى
رضوان وصالحه . ثم بعث الى رضوان المستعلي خليفة العلويين
بمصر يعده بالامداد على اخيه ، على أن يخطب له على منابر ،
وزين له بعض أصحابه صحة مذهبهم فخطب له في جميع أعماله
سوى أنطاكية والمرة وقلعة حلب . ثم وفد عليه بعد شهرين من
هذه الخطبة سكران بن أرتق صاحب سروج وباغيسيان صاحب
انطاكية فلم يقيم بها غير ثلاث ، حتى وصل الفرنج فحاصروه
وغلبوه على انطاكية وقتلوه كما مرّ في خبره .

استيلاء دقاق على الرحبة

كانت الرحبة بيد كربوقا صاحب الموصل فلما قتل كما مرّ في
خبره استولى عليها قاتار من موالي السلطان ألب أرسلان ، فسار

دقاق بن تتش ملك دمشق وأتابكه طفركين إليها سنة خمس وتسعين ، وحاصروها فامتنعت عليهم فعادوا عنها . وتوفي قائمًا صاحبها في صفر سنة ست وتسعين ، وقام بأمرها حسن من موالي الأتراك فطمع في الاستبداد ، وقتل جماعة من أعيان البلد ، وجلس آخرين . واستخدم جماعة من الجند ، وطرد آخرين . وخطب لنفسه فسار دقاق إليه وحاصره في القلعة حتى استأمن ، وخرج إليه وأقطعته بالشام اقطاعات كثيرة ، وملك الرحبة وأحسن إلى أهلها وولى عليهم ورجع إلى دمشق ، والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق لا ربّ غيره .

وفاة دقاق وولاية أخيه تلتاش ثم خلعه

ثم توفي دقاق صاحب دمشق سنة سبع وتسعين واستقلّ أتابكه طفركين بالملك وخطب لنفسه سنة ، ثم قطع خطبته وخطب لتلتاش أخيه دقاق صبيّاً رافقاً ، وخوفته أمه من طفركين بزواجه أمّ دقاق ، وأنه يميل إلى ابن دقاق من أجل جدّته فاستوحش وفارق دمشق إلى بعلبك في صفر سنة ثمان وتسعين . ولحقه ايتكين الحلبي صاحب بصرى ، وكان ممن حسن له ذلك فعاث في نواحي خوارزم ، ولحق به أهل الفساد ، وراسلاً هذّويل ملك الفرنج فأجابها بالوعد ، ولم يوف لها فسار إلى الرحبة واستولى عليها تلتاش . وقيل إن تلتاش لما استوحش منه طفركين من دخول

البلد مضى الى حصون له ، وأقام بها . ونصب طفركين الطفل ابن دقاق ، وخطب له واستبَدَّ عليه ، وأحسن الى الناس واستقام أمره ، والله تعالى وليّ التوفيق وهو نعم الرفيق .

حُرُوبُ الْفَرَنْجِ

المب بين طفركين والفرنج أشهرها

كان قص من قامصة الفرنج على مرحلتين من دمشق فلبج بالفارات على دمشق ، فجمع طفركين العساكر وسار اليه ، وجاء معرون ملك القدس وعكا من الفرنج بانجاد القمص فأظهر الغنية^(١) عليه وعاد الى عكا ، وقاتل طفركين القمص فهزمه وأحجزه بحصنه . ثم حاصره حتى ملك الحصن عنوةً وقتل أهله وأسر جماعته ، وعاد الى دمشق ظافراً غنائماً . ثم سار الى حصن رمسة من حصون الشام ، وقد ملكه الفرنج ، وبه ابن أخت سميل المقيم على طرابلس يحاصرها فحاصر طفركين^(٢) حصن رمسة ، حتى ملكه وقتل أهله من الفرنج وخرّب به ، والله أعلم .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٣٠ : فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرها إلى هذا القمص ليحاضده ويساعده على المسلمين ، فعرفه القمص غناه عنه ، وأنه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه فعاد بغدوين إلى عكا .
(٢) كذا ، وفي الكامل : طغتكين ، بدلاً من طفركين .

مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصيبين

ثم أن رضوان صاحب حلب اعترم على غزو الفرنج ، واستدعى الامراء من النواحي لذلك فجاءه أبو الغازي بن أرتق الذي كان شحنة ببغداد وأصفهان وصاباو ، وأبي بن ارسلان ماش صاحب سنجر ، وهو صهر جكرمش صاحب الموصل . وأشار أبو الغازي بالمسير الى بلاد جكرمش للاستكثار بعسكرها وأموالها ، ووافقه أبي وساروا الى نصيبين في رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة فحاصرها ، وفيها أميران من قبل جكرمش واشتد الحصار ، وجرح أبي بن ارسلان بسهم أصابه فعاد الى سنجر ، وأجفل أهل السواد الى الموصل ، وعسكر جكرمش بظاهرها معتمداً على الحرب . ثم كاتب أعيان العسكر ، وحثهم على رضوان . وأمر أصحابه بنصيبين باظهار طاعته ، وطلب الصلح معه . وبعث الى رضوان بذلك والامداد بما يشاؤه على أن يقبض على أبي الغازي فقال الى ذلك ، واستدعى أبا الغازي فخبّره أن المصلحة في صلح جكرمش ليستعينوا به في غزو الفرنج وجمع شمل المسلمين فجابوه أبو الغازي بالمنع من ذلك .

ثم قبض عليه وقيده فانتقض التركمان وجلأوا الى سور المدينة ، وقاتلوا رضوان . وبعث رضوان بأبي الغازي الى نصيبين فخرجت منها العساكر لامداده ، فافترق منها التركمان ، ونهبوا

ما قدروا عليه . ورحل رضوان من وقته الى حلب . وانتهى الخبر الى جكرمش بتلّ أعفر ، وهو قاصد حرب القوم فرحل عند ذلك الى سنجار ، وبعث اليه رضوان في الوفاء بما وعده من النجدة فلم يف له . ونازل صهره ألي بن ارسلان بسنجر ، وهو جريح من السهم الذي أصابه على نصيين فخرج اليه ألي محمولا . واعتذر اليه فأعته وأعادته الى بلده فأت وامتنع أصحابه بسنجار ، رمضان وشوالا . ثم خرج اليه ^(١) عمّ ألي وصالح جكرمش وعاد الى الموصل ، والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه

استيلاء الفرنج على أفامية

كان خلف بن ملاعب الكلبي في حمص ، وملكها منه تاج الدولة تتش فسار الى مصر وأقام بها . ثم بعث صاحب أفامية من جهة رضوان بن تتش بطاعته الى صاحب مصر العلوي ، فبعث اليها ابن ملاعب وملكها وخلع طاعة العلوية ، وأقام يخيف السبيل كما كان في حمص فلما ملك الافرنج سرمين لحق به قاضيها وكان على مذهب الرافضة فكتب الى ابن الطاهر الصائغ من أكابر الغلاة ، ومن أصحاب رضوان ، ودخلهم في الفتك بابن ملاعب . ونفي الخبر اليه من أولاده فحلف له القاضي بما اطمأنّ

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٣٣ : فجاء تيمرك أخو أرسلان تاش عم ألي فأصلح حاله مع جكرمش .

اليه ، وتحيل مع ابن الصانع في جند من قبلهم يستأمنون الى ابن ملاعب ، ويعطونه خيلهم وسلاحهم ويقيمون للجهاد معه ففعلوا ، وأثرهم يربض افامية . ثم بيته القاضي ليلاً بمن معه من أهل سرمين ، ورفع أولئك الجند من الربض بالجبال ، وقتلوا ابن ملاعب في بيته وقتلوا معه ابنه ، وفر الآخر الى أبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر .

وجاء الصانع من حلب الى القاضي فطرده ، واستبدّ بأفامية . وكان بعض أولاد ابن ملاعب عند طفركين ، وولاه حماية بعض الحصون فعظم ضرره ، فطلب طفركين فهرب الى الافرنج وأغراهم بأفامية ، ودلهم على عورتها ، وعدم الاقوات فيها فعاصروها شهراً وملكوها عنوة ، وقتلوا القاضي والصانع ، وذلك سنة تسع وتسعين . وقد ذكرنا قبل أن الصانع قتله ابن بديع أيام تنش صاحب حلب إثر هلك رضوان ، فإله أعلم ايها الصحيح . ثم ملك صاحب انطاكية من الافرنج حصن الامارة بعد حصار طويل فللكه عنوة واستلحم أهله ، وفعل في ذريته مثل ذلك . ورحل أهل منبج وبالس وتركوها خاويين ، وملكوا حيد بالامان . وطلب الفرنج من أهل الحصون الاسلامية الجزية فأعطوهم ذلك على ضريبة فرضوها عليهم ، فكان على رضوان في حلب وأعمالها ثلاثون ألف دينار ، وعلى صور سبعة آلاف ، وعلى ابن منقذ في شيزر أربعة آلاف ، وعلى حماة ألفا دينار وذلك سنة خمس وخمسة .

استيلاء طغركين على بصرى

قد تقدّم لنا سنة سبع وتسعين حال تلتاش بن تنش ، والخطبة له بعد أخيه دقاق ، وخروجه من دمشق واستنجاهه الفرنج . وإن الذي تولى كِبَر ذلك كله اسكين الحملي صاحب بصرى فسار طغركين آخر المائة الخامسة الى بصرى ، وحاصرها حتى أذعنوا وضربوا له أجلاً للفرنج ، فعاد الى دمشق حتى انقضى الاجل فأتوه طاعتهم ، وملك البلد وأحسن اليهم ، والله تعالى وليّ التوفيق لا ربّ غيره .

غزو طغركين وهزيمته

ثم سار طغركين سنة اثنتين وخمسمائة الى طَبْرِية ، ووصل اليها ابن أخت بغدوين ملك القدس ^(١) من الفرنج فاقتتلوا فانهزم المسلمون أولاً ، فترّل طغركين ونادى بالمسلمين فكثروا وانهزم الفرنج وأسر ابن أخت بغدوين . وعرض طغركين عليه الاسلام فامتنع فقتله بيده وبعث بالاسرى الى بغداد . ثم انعقد الصلح بين طغركين وبغدوين بعد أربع سنين . وسار بعدها طغركين الى حصن غزّة في شعبان من السنة . وكان نيدغ مولى القاضي فخر الملك ثم علي ابن عمار صاحب طرابلس فعصى عليه وحاصره الا لفرنج ، وانقطعت

(١) كذا بياض بالأصل ، وهو بغدوين الأول ، امبراطور اللاتين على القسطنطينية ، قائد الحملة الصليبية الرابعة .

عنه الميرة فأرسل الى طفركين صاحب دمشق أن يمكنه من الحصن، فأرسل اليه اسرائيل من أصحابه فلك الحصن، وقتل صاحبه مولى بن عمار غيلة ليستأثر بمخلفه، فانتظر طفركين دخول الشتاء وسار الى الحصن لينظر في أمره. وكان السرداني من الافرنج يحاصر طرابلس فلما سمع بوصول طفركين حصن الاكمة أغذ السير اليه فهزمه، وغنم سواده. ولحق طفركين بجمص ونازل السرداني غزة فاستأمنوا اليه وملكها، وقبض على اسرائيل فادى به أسيراً كان لهم بدمشق مند سبع سنين، ووصل طفركين الى دمشق. ثم قصد ملك الافرنج رمسة من أعمال دمشق فلكها وشحنها بالاقوات والحامية، فقصدها طفركين بعد ان نفي اليه الخبر بضعف الحامية الذين بها فكبسها عنوة، وأسر الافرنج الذين بها والله سبحانه وتعالى أعلم.

انتقاض طفركين على السلطان محمد

كان السلطان محمد بن ملك شاه قد أمر مودود بن بوشكين صاحب الموصل بالسير لغزو الافرنج، لان ملك القدس تابع الغارات على دمشق سنة ست وخمسمائة، واستصرخ طفركين بمودود فجمع العساكر، وسار سنة تسع. ولقيه طفركين بسهولة وقصدوا القدس وانتهوا الى الانخوانة على الاردن وجاء بغدوين فقتل قبالتها على النهر، ومعه جوسكين صاحب جيشه، واقتلوا

منتصف محرم سنة عشر على بحيرة طَبْرِية فانهزم الافرنج ، وقتل منهم كثير ، وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الاردن . ولقيتهم عساكر طرابلس وانطاكية فاشتدوا وأقاموا يحبل قرب طبرية ، وحاصروهم المسلمون فيه . ثم يثسوا من الظفر به فساحوا في بلادهم واكتسحوها وخرّبوها ، وزلوا مرج الصفر . وأذن مودود للعساكر في العود والراحة لينهأوا للغزو . وسلخ الشتاء ودخل دمشق آخر ربيع من سنة ^(١) ليقم عند طفركين تلك المدة . وصلى معه أول جمعة ، ووثب عليه باطلي بعد الصلاة فطعته ، ومات آخر يومه .

واتهم طفركين بقتله ، وولى السلطان مكانه على الموصل اقسنقر البرسقي فقبض على اياز بن أبي الغازي وأبيه صاحب حصن كيفا ، فسار بنو أرتق الى البرسقي وهزموه ، وتخلص اياز من أسره فلحق أبو الغازي أبوه بطفركين صاحب دمشق ، وأقام عنده . وكان مستوحشاً من السلطان محمد لاتهامه بقتل مودود فبعث الى صاحب انطاكية من الفرنج ، وتحالفوا على المظاهرة ، وقصد أبو الغازي ديار بكر فظفر به قيرجان بن قراجا صاحب حصن وأسره . وجاء طفركين لاستنقاذه فحلف قيرجان ليقتلنه

(١) كذا بياض بالأصل ، وذكر ابن الأثير هذه الحادثة في حوادث سنة سبع وخمسةائة ، وحدث الاقتال على بحيرة طبرية المذكور هنا قبل بضعة أسطر في منتصف محرم سنة عشر ، ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ست وخمسةائة .

ان لم يرجع طفركين الى الى بلاده . وانتظر وصول العساكر من بغداد تحمله فأبطأت فأجاب طفركين الى اطلاقه .

ثم بعث السلطان محمد العساكر لجهاد الافرنج والبداءة بقتال طفركين وأبي الغازي فساروا في رمضان سنة ثمان وخمسة ، ومقدمتهم برسق بن برسق صاحب همدان ، وانتهوا الى حلب ، وبعثوا الى متوليها لؤلؤ الخادم ، ومقدم عسكرها شمس الخواص يأمرونها بالتزول عنها . وعرضوا عليها كتب السلطان بذلك فداخا بالوعد ، واستحثا طفركين وأبا الغازي في الوصول فوصلا في العساكر ، وامتنعت حلب على العساكر ، وأظهروا المصيان فسار برسق الى حماة ، وهي لطركين فلكها عنوة ونهبها ثلاثاً .

وسألها الامير قيرجان صاحب حص الصلح ، وكان جميع ما يفتح من البلاد له بأمر السلطان فانتقض الامراء من ذلك وكسلوا عن الغزو . وسار أبو الغازي وطفركين وشمس الخواص الى انطاكية يستنجدون صاحبها دجيل من الافرنج . ثم توادعوا الى انصرام الشتاء ، ورجع أبو الغازي الى ماردين وطفركين الى دمشق . ثم كان في اثر ذلك هزيمة المسلمين . واستشهد برسق وأخوه زنكي ، وقد تقدم خبر هذه الهزيمة في أخبار البرسقي . ثم قدم السلطان محمد بغداد فوجد عليه اتابك طفركين صاحب دمشق في ذي القعدة من سنة تسع مستعيناً فأعانه وأعادته الى بلده ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب وولاية ابنه البارسلان

ثم توفي رضوان بن تتش صاحب حلب سنة تسع وخمسمائة ، وقد كان قتل أخويه أبا طالب وبهرام ، وكان يستعين بالباطنية في أموره ويدخلهم . ولما توفي بايع مولاه لؤلؤ الخادم لابنه البارسلان صبياً مفتلاً ، وكانت في لسانه حبسة فكان يلقب الآخرس . وكان لؤلؤ مستبدّاً عليه ، ولأول ملكه قتل أخويه ، وكل ملك شاه منها شقيقه . وكانت الباطنية كثيراً في حلب في أيام رضوان حتى خافهم ابن بديع وأعيانها فلما توفي أذن لهم البارسلان في الايقاع بهم ، فقبضوا على مقدمهم ابن طاهر الصانع وجماعة من أصحابهم فقتلوهم وافترق الباقون .

مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبي الغازي ثم
مقتل البارسلان وولاية أخيه سلطان شاه

كان لؤلؤ الخادم قد استولى على قلعة حلب ، وولى أتابكية البارسلان ابن مولاه رضوان . ثم تنكّر له فقتله لؤلؤ ونصب في الملك اخاه سلطان شاه واستبد عليه . فلما كان سنة احدى عشرة سار الى قلعة جمبر للاجتماع بصاحبها سالم بن مالك ، فقدر به بماليكه الاتراك وقتلوه عند خر تبرت واخذوا خزائنه . واعترضهم أهل حلب فأستعادوا منهم ما أخذوه . وولى اتابكية سلطان شاه

ابن رضوان شمس الخواص بارقياش ، وعزل لشهر ، وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي . ثم عزل وصور واضطربت الدولة ، وخاف أهل حلب من الإفرنج فاستدعوا أبا الغازي بن أرتق وحكموه على انفسهم . ولم يجد فيها مالا فصادر جماعة الخدم ، وصانع بالمهم الإفرنج حتى صار إلى ماردين بنية العود إلى حمايتها ، واستخلف عليها ابنه حسام الدين قمرتاش ، وانقرض ملك رضوان ابن تتش من حلب والله سبحانه وتعالى أعلم .

هزيمة طغركين أمام الإفرنج

كان ملك الإفرنج بنغدين صاحب القدس قد توفي سنة اثنتي عشرة ، وقام بملكهم بعده القمص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمس وأطلقه جاولي كما تقدم في أخبارهم . وبعث إلى طغركين في المهادنة . وكان قد سار من دمشق لنزولهم فأبى من اجابته ، وسار إلى طبرية فنهبا ، واجتمع بقواد المصريين في عسقلان ، وقد أمرهم صاحبهم بالرجوع إلى رأي طغركين . ثم عاد إلى دمشق وقصد الإفرنج حصناً من أعماله فاستأمن إليهم أهله وملكوه . ثم قصدوا أذريعات فبعث طغركين ابنه بوري لمداومتهم ففتحوا عن أذريعات إلى جبل هناك . وحاصروهم بوري ، وجاء إليه أبو طغركين فراسلوه ليفرج عنهم فأبى طمعاً في اخذهم ، واستأثروا وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم ونالوا منهم . ورجع الفلّ

الى دمشق . وسار طغر كين الى أبي الغازي بحلب يستنجد به فوعده بالنجدة ، وسار الى ماردن للحشد . ورجع طغر كين الى دمشق كذلك ، وتواعدوا للجبال ، وسبق الافرنج الى حلب ، وكان بينه وبين أبي الغازي ما نذكره في موضعه من دولة بني ارتق ، والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق لا ربّ غيره .

منازلة الافرنج دمشق

ثم اجتمع الافرنج سنة عشرين وخمسة مائة ملوكم وقامصتهم ، وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر . وبعث أتابك طغر كين بالصريح الى تركمان بديار بكر وغيرها ، وخيّم قبالة الافرنج ، واستخلف ابنه بوري على دمشق . ثم ناجزهم الحرب آخر السنة فاشتد القتال ، وصرع طغر كين عن فرسه فانهزم المسلمون ، وركب طغر كين واتبعهم ومضت خيالة الافرنج في اتباعهم ، وبقي رجاله التركمان في المعركة . فلما خلاص اليهم رجاله الافرنج اجتمعوا واستماتوا وحملوا على رجاله الافرنج فقتلوه ، ونهبوا معسكرهم وعادوا غانمين ظافرين الى دمشق . ورجعت خيالة الافرنج من اتباعهم منهزمين فوجدوا معسكرهم منهوباً ورجالهم قتلى ، وكان ذلك من الصنع الغريب .

وفاته طغر كين وولايته ابنه بوري

ثم توفي أتابك طغر كين صاحب دمشق في صفر سنة اثنيتين

وعشرين ، وكان من موالى تاج الدولة نتش ، وكان حسن السيرة مؤثراً للعدل محباً في الجهاد ، ولقبه ظهير الدين . ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الدولة بوري أكبر أولاده بعهد إليه بذلك ، وافر وزير أبيه علي طاهر بن سعد المزدغاني على وزارته . وكان المزدغاني يرى رأي الرافضة الاسماعيلية . وكان بهرام ابن أخي ابراهيم الاستراباذي لما قتل عمه ابراهيم ببغداد على هذا المذهب لحق بالشام ، وملك قلعة بانياس ، ثم سار الى دمشق وأقام بها خليفة يدعو الى مذهبه . ثم فارقها وملك القدموس وغيره من حصون الجبال ، وقابل البصرية والدروزة بوادي اليتيم ^(١) من أعمال بعلبك سنة اثنتين وعشرين . وغلبهم الضحاك وقتل بهرام .

وكان المزدغاني قد أقام له خليفة بدمشق يسمى أبا الوفاء فكثرت اتباعه وتحكم في البلد ، وجاء الخبر الى بوري بأن وزيره المزدغاني والاسماعيلية قد راسلوا الافرنج بأن يملكوهم دمشق فجاء اليها ، وقتل المزدغاني ونادى بقتل الاسماعيلية . وبلغ الخبر الى الافرنج فاجتمع صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وسائر ملوك الافرنج ، وساروا لحصار دمشق . واستصرخ تاج الملك بالعرب والتركمان ، وجاء الافرنج في ذي الحجة من السنة وبشوا سراياهم للنهب والاغارة ، ومضت منها سرية الى خوارزم فبعث تاج الدولة بوري سرية من المسلمين مع شمس

(١) كذا بالأصل ، والصحيح : .وقابل النصيرية والدروز بوادي اليتيم .

الخواص من أمرائه لمداقعتهم فلقوهم وظفروا بهم واستلحموهم
وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا منهزمين ، وأحرقوا مخلفهم واتبعهم
المسلمون يقتلون ويأسرون ، والله تعالى وليّ التوفيق .

أسر تاج الملك اديس بن صدقة وتمكين عماد الدين زنكي منه

كان بصرخد من أرض الشام ^(١) أميراً عليها فتوفي
سنة خمس وعشرين ، وخلف سريته واستولت على القلعة ، وعلمت
أنه لا يتم لها استيلاؤها إلا بتزويج رجل من أهل المصابة ، فوصف
لها ديس فكتبت اليه تستدعيه ، وهو على البصره منابذاً للسلطان
عندما رجع من عند سنجر ، فاتخذ الادلاء . وسار الى صرخد
فضل به الدليل بنواحي دمشق ، ونزل على قوم من بني كلاب
شرقي القوطة فحملوه الى تاج الملك فحبسه ، وبعث به الى عماد
الدين زنكي يستدعيه ويتهدده على منعه ، وأطلق سريج بن تاج
الملوك والامراء الذين كانوا مأسورين معه ، فبعث تاج الملك بديس
اليه ، وأشفق على نفسه . فلما وصل الى زنكي خالف ظنه وأحسن
اليه وسدّ خلته وبسط أمله . وبعث فيه المسترشد أيضاً يطلبه وجاء
بأبن الانباري ، وسمع في طريقه باحسان زنكي اليه فرجع ، ثم أرسل
المسترشد يشفع فيه فأطلق .

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على اسم هذا الأمير .

وفاة تاج الملوك بوري صاحب دمشق وولايته ابنه شمس الملوك اسمعيل

كان تاج الملوك بوري قد ثار به جماعة من الباطنية سنة خمس وعشرين ، وطعنوه فأصابته جراحة واندملت . ثم انتقضت عليه في رجب من سنة ست وعشرين لاربع سنين ونصف من امارته وولي بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل بعده اليه بذلك . وكان عهد بمدينة بعلبك وأعمالها لابنه الآخر شمس الدولة ، وقام بتدبير أمره الحاجب يوسف ابن فيروز شحنة دمشق ، وأحسن الى الرعية وبسط العدل فيهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء شمس الملوك على الحصون

ولما تولى شمس الملوك اسمعيل ، وسار أخوه محمد الى بعلبك خرج اليها ، وحاصر أخاه محمداً بها ، وملك البلد . واعتصم محمد بالحصن وسأل الابقاء فأبقي عليه ورجع الى دمشق . ثم سار الى باشاش ، وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح وأخذوا جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار اليها طاوياً وجه مذهبه ، حتى وصلها في صفر سنة سبع وعشرين وقاتلها ونقب أسوارها ، وملكها عنوة ، ومثل بالافرنج الذين بها . واعتصم فلم بالقلعة حتى استأنموا ، وملكها ورجع الى دمشق . ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطمع هو في حماة ، وسار آخر رمضان وملكها يوم

الفطر من غده فاستأمنوا اليه ، وملكها واستولى على ما فيها . ثم سار الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بني منقذ فحاصرها ، وصانعه صاحبها بمال حمله اليه فأفرج عنه وسار الى دمشق في ذي القعدة من السنة .

ثم سار في محرّم سنة ثمان وعشرين الى حصن شقيق^(١) في الجبل المطل على بيروت وصيدا ، وبه الضحّاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به . وتحاماه المسلمون والافرنج يجتمعي من كل طائفة بالاخرى فسار اليه وملكه من وقته . وعظم ذلك على الافرنج فساروا الى حوران وعاثوا في نواحيها فاحتشد هو واستنجد بالتركيّمان ، وسار حتى نزل قبالتهم ، وجّهز العسكر هنالك . وخرج في البرّ وأتّاخ على طَبْرِية وعكا فاكّسح نواحيها وامتلات أيدي عسكره بالفنائم والسبي . وانتهى الخبر الى الافرنج بمكانهم من بلاد حوران فأجفلوا إلى بلادهم ، وعاد هو الى دمشق ، وراسله الافرنج في تجديد الهدنة فهادنهم .

مقتل شمس الملوك وولاية أخيه شهاب الدين محمود

كان شمس الملوك سي . السيرة كثير الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحد لاهله وأصحابه ، حتى انه وثب عليه بعض مماليك جدّه سنة سبع وعشرين ، وعلاه بالسيف ليقتله فأخذ وضرب فأقرّ على جماعة

(١) كذا ، وهي قلعة الشقيف .

داخلوه فقتلهم ، وقتل معهم أخاه سونج فتنكر الناس له ، وأشيع عنه بأنه كاتب عماد الدين زنكي ليملكه دمشق واستحثه في الوصول لئلا يسلم البلد الى الافرنج فسار زنكي فصدق الناس الاشاعة ، وانتقض أصحاب أبيه لذلك ، وشكروا لأمه فأشفقت ثم تقدمت الى غلمانه بقتله فقتلوه في ربيع الآخر سنة تسع وعشرين ، وقيل انه اتهم أمه بالحاجب يوسف بن فيروز فاعتزم على قتلها فهرب يوسف ، وقتلته أمه . ولما قتل ولي أخوه شهاب الدين محمود من بعده ، ووصل أتابك زنكي بعد مقتله فحاصر دمشق من ميدان الحصار ، وجدوا في مدافعتهم والامتناع عليه . وقام في ذلك معين الدين أئز مملوك جدّه طفر كين مقاماً محموداً وجلى في المدافعة والحصار . ثم وصل رسول المسترشد أبو بكر بن بهتر الجزري الى أتابك زنكي يأمره بمسألة صاحب دمشق الملك ألب أرسلان شهاب الدين محمود ، وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة .

استيلاء شهاب الدين محمود على حمص

كانت حمص لقيرجان بن قراجا ولولده من بعده والموالي بها من قبلها ، وطالبهم عماد الدين زنكي في تسليمها ، وضايقهم في نواحيها فراسلوا شهاب الدين صاحب دمشق في أن يملكها ويعوضهم عنها بتدسر ، فأجاب واستولى على حمص ، وسار اليها سنة ثلاثين

وأقطعها لمملوك جدّه معين الدين أئز ، وأئزل معه حامية من عسكره ورجع الى دمشق واستأذنه الحاجب يوسف بن فيروز في العود من تدير الى دمشق ؛ وقد كان هرب اليها كما قدّمناه . وكان جماعة من الموالي منحرفين عنه بسبب ما تقدّم في مقتل سونج فكروا ذلك فلاطفهم ابن فيروز واسترضاهم ، وحلف لهم انه لا يتولى شيئاً من الامور . ولما دخل رجع الى حاله فوثبوا عليه وقتلوه ، وخيموا بظاهر دمشق واشتطوا في الطلب فلم يسعفوا بكلمة فاحرقوا بشمس الدولة محمد بن تاج الملوكة في بعلبك ، وبشوا السرايا الى دمشق فعاثت في نواحيها حتى أسعفهم شهاب الدين بكل ما طلبوه فرجعوا الى ظاهر دمشق ، وخرج لهم شهاب الدين وتحالفوا ودخلوا الى البلد . وولى مرواش كبيرهم على العساكر ، وجعل اليه الحلّ والعقد في دولته والله أعلم .

استيلاء عماد الدين زنكي على حمص وغيرها من أعمال دمشق

ثم سار أتابك زنكي الى حمص في شعبان سنة احدى وثلاثين ، وقدم اليه حاجبه صلاح الدين الباغيسياني وهو أكبر أرائه مخاطباً اليها معين الدين أئز في تسليمها فلم يفعل . وحاصرها فامتنعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة . ثم سار سنة اثنتين وثلاثين الى نواحي بعلبك فملك حصن الحولي على الامان ، وهو لصاحب دمشق . ثم سار الى حمص وحاصرها ، وعاد ملك الروم الى حلب

فاستدعى الفرنج ، وملك كثيراً من الحصون مثل عين زربة
وقتل حمدون ، وحاصر انطاكية ثم رجع وأفرج أثابك زنكي حلال
ذلك عن حصص . ثم عاود منازلتها بعد مسير الروم وبعث الى
شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه مرد خاتون ابنة جاولي
طمعاً في الاستيلاء على دمشق فزوجها له ، ولم يظفر بما أمله من
دمشق . وسلموا له حصص وقلعتها ، وحملت اليه خاتون في رمضان
من السنة والله أعلم .

مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد

لما قتل شهاب الدين محمود في شوال سنة ثلاث وثلاثين ،
اغتاله ثلاث من مواليه في مضجعه بخيلوته وهربوا فنجوا واحد
منهم وأصيب الآخرون ، كتب معين الدين أنز الى أخيه شمس
الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك بالخير فسارع ودخل دمشق ،
وتبعه الجند والاعيان وفوض أمر دولته الى معين الدين أنز
مملوك جده وأقطعه بعلبك واستقامت أموره .

استيلاء زنكي على بعلبك وحصاره دمشق

ولما قتل شهاب الدين محمود وبلغ خبره الى أمه خاتون زوجة
أثابك زنكي بحلب عظم جزعها عليه ، وأرسلت الى زنكي بالخبر ،
وكان بالجزيرة ، وسألت منه الطلب بثأر ابنها فسار الى دمشق ،

واستعدوا للحصار فعدل الى بعلبك . وكانت لمعين الدين أنز كما قلناه ، وكان أتابك زنكي دس اليه الاموال ليتمكن من دمشق فلم يفعل فسار الى بلده بعلبك ، وجدّ في حربها ونصب عليها المجانيق حتى استأمنوا اليه ، وملكها في ذي الحجة آخر سنة ثلاث وثلاثين . واعتصم جماعة من الجند بقلعتها ثم استأمنوا فقتلهم وأرهب الناس بهم . ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها في تسليمها والتزوك عنها على ان يعوّضه عنها فلم يجب الى ذلك ، فزحف اليها ونزل داريا منتصف ربيع الاول سنة أربع وثلاثين . وبرزت اليه عساكر دمشق فظفر بهم وهزمهم ونزل المصلى ، وقتلهم فهزمهم ثانياً . ثم امسك عن قتالهم عشرة أيام ، وتابع الرسل اليه بأن يعوّضه عن دمشق ببعلبك او حمص او ما يختاره فثمنه أصحابه ، فعاد زنكي الى القتال واشتد في الحصار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

وفاته جمال الدين محمد بن بوري وولاية ابنه مجير الدين أنز

ثم توفي جمال الدين محمد بن بوري صاحب دمشق رابع شعبان سنة أربع وثلاثين وزنكي محاصر بها ، وهو معه في مراوضة الصلح وجمع زنكي فيما عساه أن يقع بين الامراء من الخلاف فاشتد في الزحف فإوهنوا لذلك ، وولوا من بعد جمال الدين محمداً ابنه مجير الدين أنز واقام بتربيته وتديير دولته معين الدين أنز مدبر دولته .

وأرسل الى الافرنج يستنجدهم على مدافعة زنكي على أن
يحاصر قاشاش فاذا فتحها أعطاهم اياها فأجابوا الى ذلك حذراً من
استطالة زنكي بملك دمشق ، فسار زنكي للقائهم قبل اتصالهم
بعسكر دمشق ونزل حوران في رمضان من السنة فقام الافرنج
عن لقائه ، وأقاموا ببلادهم فعاد زنكي الى حصار دمشق في
شوال من السنة ، ثم أحرق قرى المرج والنوطة ، ورحل عائداً
الى بلده . ثم وصل الافرنج الى دمشق بعد رحيله فسار معهم
معين الدين أنز الى قاشاش من ولاية زنكي ليفتحها ويعطيها
للافرنج كما عاهداهم عليه ، وقد كان واليها أغار على مدينة
صور ، ولقيه في طريقه صاحب أنطاكية وهو قاصد الى دمشق
لإنجاد صاحبها على زنكي فقتل الوالي ومن معه من العسكر ،
ولجأ الباقيون الى قاشاش ، وجاء معين الدين أنز أثر ذلك في
العساكر فملكها وسلمها للافرنج . وبلغ الخبر الى أتابك زنكي
فسار الى دمشق بعد أن فرق سراياه وبعوثة على حوران وأعمال
دمشق ، وسار هو متجرباً اليها فصباحها وخرج العسكر لقتاله
فقاتلهم عامه يومه . ثم تأخر الى مرج راهط وانتظر بعوثة حتى
وصلوا اليه ، وقد امتلأت أيديهم بالفتائم ، ورحل عائداً الى بلده .

مسير الافرنج لحصار دمشق

كان الافرنج منذ ملكوا سواحل الشام ومدنه ، تسير اليهم

أمم الافرنج من كل ناحية من بلادهم مدداً لهم على المسلمين لما يرونه من تفرد هؤلاء بالشام بين عدوهم . وسار في سنة ثلاث وأربعين ملك الالمان من أمراء الافرنج من بلاده في جموع عظيمة قاصداً بلاد الاسلام لا يشك في الغلب والاستيلاء ، لكثرة عساكره وتوفر عدده وأمواله . فلما وصل الشام اجتمع عليه عساكر الافرنج الذين له ممثلين أمره فأمرهم بالمسير معه الى دمشق ، فساروا لذلك سنة ثلاث وأربعين وحاصروها ، فقام معين الدين أنز في مدافعتهم المقام المحمود . ثم قاتلهم الافرنج سادس ربيع الاول من السنة فنالوا من المسلمين بعد الشدة والمصايرة ، واستشهد ذلك اليوم الفقيه حجة الدين يوسف العندلاوي المغربي ، وكان عالماً زاهداً . وسأله معين الدين يومئذ في الرجوع لضعفه وسنه فقال له : « قد بعت واشترى مني فلا أقبل ولا أستقبل » يشير الى آية الجهاد وتقدم حتى استشهد عند أسرت على نصف فرسخ من دمشق .

واستشهد معه خلق ، وقوي الافرنج ، ونزل ملك الالمان الميدان الأخضر . وكان عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد توفي سنة احدى وأربعين ، وولي ابنه سيف الدين غازي الموصل وابنه نور الدين محمود حلب فبعث معين الدين أنز الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستجده ، فجاء لالتجاده ومنعه أخوه نور الدين ، وانتهوا الى مدينة حمص . وبعث الى الافرنج يتهدهم

فاضطروا الى قتاله ، وانقسمت مؤنتهم بين الفريقين ، وأرسل معين الدين الى الالمان يتهدهم بتسليم البلد الى ملك المشرق يعني صاحب الموصل ، وأرسل الى فرنج الشام يحذرهم من استيلاء ملك الالمان على دمشق فانه لا يبقى لكم معه مقام في الشام . ووعدهم بحصن قاشاش فاجتمعوا الى ملك الالمان وخوفوه من صاحب الموصل أن يملك دمشق فرحل عن البلد ، وأعطاهم معين الدين قلعة قاشاش ، وعاد ملك الالمان الى بلاده على البحر المحيط في أقصى الشمال والمغرب . ثم توفي معين الدين أنز مدبر دولة اتق ، والمتخلب عليه سنة أربع وأربعين لسنة من حصار ملك الالمان والله أعلم .

استيلاء نور الدين محمود العادل على دمشق وانقراض بني تتش من الشام

كان سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل قد توفي سنة أربع وأربعين ، وملك أخوه قطب الدين ، وانفرد أخوه الآخر نور الدين محمود بجلب وما يليها . وتجرّد لطلب دمشق ولجها الافرنج . واتفق أن الافرنج سنة ثمان وأربعين ملكوا عسقلان من يد خلفاء العلوية لضعفهم كما مرّ في أخبار دولتهم . ولم يجد نور الدين سبيلاً الى ارتجاعها منهم لاعتراض دمشق بينه وبينهم . ثم طمعوا في ملك دمشق بعد عسقلان . وكان أهل دمشق يؤذون اليهم الضريبة فيدخلون لقبضها ويتحكمون فيهم ،

ويطلقون من أسرى الافرنج الذين بها كل من أراد الرجوع الى أهله فخشي نور الدين عليها من الافرنج ، ورأى أنه إن قصدها استنصر صاحبها عليه بالافرنج ، فراسل صاحبها مجير الدين واستماله بالهدايا حتى وثق به ، فكان يغريه بأمرائه الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحداً واحداً ، ويقول له : ان فلاناً كاتبني بتسليم دمشق فيقتله مجير الدين حتى كان آخرهم عطاء بن حافظ السلمي الخادم ، وكان شديداً في مدافعة نور الدين فأرسل الى مجير الدين بثلاث فيه قبض عليه وقتله . فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد أن كاتب الاحداث الذين بها واستمالهم فوعده ، وأرسل مجير الدين الى الافرنج يستنجد به من نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه وشرعوا في الحشد وسبقهم نور الدين الى دمشق فثار الاحداث الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقي فدخل منه وملكها . واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله في النزول عنها ، وعوضه مدينة حمص فسار اليها ، ثم عوضه عن حمص بالس فلم يرضها . وسار الى بغداد واختط بها داراً قرب النظامية وتوفي بها . واستولى نور الدين على دمشق وأعمالها ، واستضافها الى ملكه حتى حلب . وانقرض ملك بني تش من الشام والبلاد الفارسية أجمع والبقاء لله وحده ، والله مالك الملك لا ربّ غيره سبحانه وتعالى .

البارسلان بن رضوان — سلطان شاه
شهاب الدين محمد المستنصر بالله
بجوهر الدين اقا بن محسن الدين محمد بن تاج الملوك بوردى بن ظفر كنى أتملكه قاق بن حسن البارسلان

تاريخ

المجلد الثاني عشر

١٢٨٥ هـ

الخبر عن دولة قطلмыш وبنيه ملوك قونية وبلاد الروم
من السلجوقية ومبادئ أمورهم وتصاريك أحوالهم

كان قُطْلُمُش هذا من عظماء أهل هذا البيت ونسبه فيهم
مختلف ، ف قيل قطلمش بن بيتو ، وابن الاثير تارة يقول قطلمش
ابن عم طغرل بك ، وتارة يقول قطلمش بن اسرائيل من سلجوق ،
ولعله بيان ذلك الاجال . ولما انتشر السلجوقية في البلاد طالبين
للملك ، دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية وأقصر
ونواحيها ، وبعثه السلطان طغرل بك بالمساكر مع قريش بن بدران
صاحب الموصل ، في طلب ديس بن مزيد عندما أظهر الدولة
العلوية في الحلة وأعمالها ، فهزهم ديس والباسيري كما تقدم في
أخبارهم . ثم عصى على السلطان البارسلان بعد طغرل بك وقصد
الري ليملكه ، وقاتله البارسلان سنة ست وخمسين فانهزم عسكر
قطلمش ، ووجد بين القتلى فتجمع له البارسلان وقعد للعزاء فيه
كما تقدم في أخبارهم . وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصر
وغيرها من الولاية التي كانت بيد أبيه ، وافتتح أنطاكية من
يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وقد كانوا ملكوها منذ
خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها الى ملكه .

وقد تقدم خبر ملكه اياها في دولتهم ، وكان لمسلم بن قريش
صاحب الموصل ضريبة على الروم بأنطاكية ، فطالب بها سليمان بن

قطلمش فامتعض لذلك وأنف منه . فجمع مسلم العرب والتركمان
لحصار انطاكية ، ومعه جق أمير التركمان ، والتقيا سنة ثمان وسبعين .
وانحاز جق الى سليمان فانهمزم العرب ، وسار سليمان بن قطلمش لحصار
حلب فامتنعت عليه ، وسألوه الامهال حتى يكاتب السلطان ملك
شاه . ودسوا الى تاج الدولة تُتُش صاحب دمشق يستدعونه فأعذَّ
السير ، واعترضه سليمان بن قطلمش على غير تعبئة فانهمزم ، وطعن
نفسه بخنجر فات ، وغنم تتش معسكره .

وملك بعده ابنه قليج ارسلان ، وأقام في سلطانه . ولما
زحف الافرنج الى سواحل الشام سنة تسعين وأربعمائة جعلوا
طريقهم على القسطنطينية فنعمهم من ذلك ملك الروم ، حتى شرط
عليهم أن يعطوه أنطاكية اذا ملكوها فأجابوا لذلك ، وعبروا
خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش
فلقيهم في جموعه قريباً من قونية فهزموه ، وانتهوا الى بلاد ابن
ليون الارمني فروا منها الى انطاكية ، وبها باغيسيان من أمراء
السلجوقية فاستعدَّ للحصار ، وأمر بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون
يوماً ، ثم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد . فلما
جاؤا للدخول منهم وقال : أنا لكم في مخلفكم حتى ينصرف
هؤلاء الافرنج . وزحفوا اليه فحاصروه تسعة أشهر .

ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من بعض
مسارب الوادي ، وأصبحوا في البلد فاستباحوه ، وركب

باغيسيان للصالح فهرب ، ولقيه حطاب من الارمن فجاء برأسه الى الافرنج ، وولى عليها يشمند من زعماء الافرنج . وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزموا على النفير الى انطاكية لمداومتهم فكاتبهم الافرنج بالمسالمة ، وانهم لا يعرضون لغير انطاكية فأوهم ذلك من عزائمهم ، وأقصروا عن انجاد باغيسيان . وكان التركان قد انتشروا في نواحي العراق ، وكان كستكين بن طبلق المعروف أبوه بالوانشمند ، ومعناه المعلم عندهم ، قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلي انطاكية .

وكان بملطية مما يجاورها متغلب آخر من التركان ، وبينه وبين الوانشمند حروب ، فاستنجد صاحب ملطية عليه الافرنج ، وجاء بيغل من انطاكية سنة ثلاث وتسعين في خمسة آلاف فلقية ابن الوانشمند وهزمه وأخذه أسيراً . وجاء الافرنج لتخليصه فنازلوا قلعة أنكورية وهي أنقرة فأخذوها عنوة . ثم ساروا الى أخرى فيها اسمعيل بن الوانشمند وحاصروها فجاء ابن الوانشمند وقاتلهم ، وأكن لهم وكانوا في عدد كثير . فلما قاتلهم استطرد لهم حتى خرج عليهم الكمين ، وكرّ عليهم فلم يفلت منهم أحد . وسار الى ملطية فملكها وأسر صاحبها ، وجاءه الافرنج من انطاكية فهزهم .

استيلاء قليج إرسلان على الموصل

كانت الموصل وديار بكر والجزيرة بيد جكرمش من قواد السلجوقية فنح الحمل وهم بالانتقاض ، فأقطع السلطان الموصل وما معها لجاولي بن سكاوو ، والكل من قوادهم ، وأمرهم بالمسير لقتال الافرنج. فسار جاولي وبلغ الخبر لجكرمش فسار من الموصل الى إربل ، وتعاهد مع ابي الهيجاء بن موشك الكردي الهدباي صاحب اربل ، وانتهى الى البواريج فعب الى جكرمش دجلة ، وقاتله فانهمزمت عساكر جكرمش ، وبقي جكرمش واقفاً بالفالج كان به فأمره جاولي ، ولحق الفل بالموصل فنصبوا مكانه ابنه زنكي صبيّاً صغيراً وأقام بأمره غزغلي مولى أبيه ، وكانت القلعة بيده ، وفرّق الاموال والخيول .

واستعدّ لمداغة جاولي ، وكاتب صدقة بن يزيد والبرسقي شحنة بغداد ، وقليج أرسلان صاحب بلاد الروم يستنجدهم ، ويعدّ كلّاً منهم بملك الموصل اذا دافعوا عنه جاولي فأعرض صدقة عنه ولم يحتفل بذلك . ثم سار جاولي الى الموصل وحاصرها وعرض جكرمش للقتل أو يسلموا اليه البلد فامتنعوا ، وأصبح جكرمش في بعض أيام حصارها ^(١) وسمع جاولي بأن قليج أرسلان سار

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٣٣٩ : فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهمز من فيه ، وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به .

في عساكره الى نصيبين فأفرج عن الموصل ، وسار الى سنجار وسبق البرسقي اليها بعد رحيل جاولي ، وأرسل الى أهلها فلم يجيبوه بشيء . وعاد الى بغداد ، واستدعى رضوان صاحب دمشق جاولي سكاوو لمداومة الافرنج عنه ، فساروا اليه . وخرج من الموصل عسكر جكرمش الى قليج ارسلان بنصيبين فتحالفوا معه ، وجاؤوا به الى الموصل فلما آخر رجب من سنة خمسمائة .

وخرج اليه ابن جكرمش وأصحابه وملك القلعة من غزغلي وجلس على التخت وخطب لنفسه بعد الخليفة ، وأحسن الى العسكر ، وسار في الناس بالعدل . وكان في جملة ابراهيم بن نبال التركماني صاحب آمد ، ومحمد بن جق التركماني صاحب حصن زياد ، وهو خرت برت . وكان ابراهيم بن نبال قد ولي تنش على آمد حين ولي ديار بكر ، وكانت بيده . وأما خرت برت فكانت بيد القلادروس ترجمان الروم ، والرُّها وانطاكية من أعماله ، فملك سليمان بن قطلمش انطاكية . وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر فضعف القلادروس ، وملك جُق خرت برت من يده . وأسلم القلادروس على يد السلطان ملك شاه وأمره على الرها فأقام بها حتى مات . وملكها جق ، هي وما جاورها من الحصون ، أورثها ابنه محمداً بعد موته ، والله تعالى ولي التوفيق .

الحرب بين قليج إرسلان وبين الإفرنج

كان سمند صاحب انطاكية من الافرنج قد وقعت بينه وبين ملك الروم بالقسطنطينية وحشة واستحکمت. وسار سمند فنهب بلاد الروم وعزم على قصد انطاكية ، فاستنجد ملك الروم بقليج ارسلان فأمدّه بعساكره. وسار مع ذلك الروم فهزموا الافرنج وأسروهم ، ورجع الفلّ الى بلادهم بالشام فاعتزموا على قصد قُليج ارسلان بالجزيرة فأتاهم خبر مقتله فأقصرُوا ، والله تعالى ولي التوفيق .

مقتل قليج ارسلان ووالية ابنه مسعود

وقد تقدّم لنا استيلاء قليج ارسلان على الموصل وديار بكر وأعمالها ، وجلوسه على التخت ، وان جاولي سكاوو سار الى سنجار ثم سار منها الى الرّجّة. وكان قليج ارسلان خطب له بها صاحبها محمد بن السّباّق من بني شيبان بعد مهلك دقاق ، وانتقاضه على أبيه. فلما حاصرها جاولي بعث اليه رضوان بن تتش صاحب حلب في النجدة على الافرنج لما ساروا الى بلاده ، فوعده لانقضاء الحصار . وجاء رضوان فحضر عنده واشتد الحصار على أهل الرّجّة وغدر بعضهم فأدخل أصحاب جاولي ليلاً ونهبوها الى الظهر . وخرج اليه صاحبها محمد الشيباني فأطاعه ورجع عنه .

وبلغ الخبر الى قليج ارسلان فسار من الموصل لحرب جاولي، واستخلف عليها ابنه ملك شاه صبيّاً صغيراً مع أمير يديره. فلما انتهى الى الخابور هرب عنه ابراهيم بن نبال صاحب آمد ولحق ببلده. واعتزم قليج ارسلان على المطاولة، واستدعى عسكره الذين أنجدهم ملك الروم على الافرنج فجاؤا اليه، واغتنم جاولي قلة عسكره فلقية آخر ذي القعدة من السنة، واشتدت الحرب. وحمل قليج ارسلان على جاولي بنفسه. وصرع صاحب الراية وضرب جاولي بسيفه. ثم حمل أصحاب جاولي عليه فهزموه، وألقى نفسه في الخابور ففرق. وسار جاولي الى الموصل فلكها، وأعاد خطبة السلطان محمد. وبعث اليه ملك شاه بن قليج ارسلان وولي مكان قليج ارسلان في قونية وأقصرا وسائر بلاد الروم ابنه مسعود، واستقام له ملكها.

استيلاء مسعود بن قليج ارسلان على ملطية وأعمالها

كانت ملطية وأعمالها وسيواس لابن الواشمند من التركمان كما مر وكانت بينه وبينهم حروب وهلك كستكين بن الواشمند وولي مكانه ابنه محمد. واتصلت حروبه مع الافرنج كما كان ابوه معهم. ثم هلك سنة سبع وثلاثين فاستولى مسعود بن قليج ارسلان على الكثير منها وبقي الباقي بيد أخيه باغي ارسلان بن محمد.

وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج إرسلان

ثم توفي مسعود بن قليج إرسلان سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه قليج إرسلان فكانت بينه وبين باغي إرسلان ابن الوانشمند وصاحب ملطية وما جاورها من ملك الروم حروب ، بسبب ان قليج إرسلان تزوج بنت الملك طليق بن علي ابن أبي القاسم فزوجها اليه بجهاز عظيم ، وأغار عليه باغي إرسلان صاحب ملطية فأخذها بما معها وزوجها بابن أخيه ذي النون بن محمد بن الوانشمند بعد ان أشار عليها بالردة لينفسخ النكاح . ثم عادت الى الاسلام وزوجها بابن أخيه فجمع قليج إرسلان عساكره ، وسار الى باغي إرسلان بن الوانشمند فهزمه باغي إرسلان ، واستنجد ملك الروم فأمدّه بمسكر . وسار باغي إرسلان خلال ذلك .

وولي ابراهيم ابن أخيه محمد ، وملك قليج إرسلان بعض بلاده واستولى أخوه ذو النون بن محمد بن الوانشمند على قيسارية . وانفرد شاه بن مسعود أخو قليج إرسلان بمدينة الكورية ، وهي انقره ، واستقرت الحال على ذلك . ثم وقعت الفتنة بين قليج إرسلان وبين نور الدين محمود بن زنكي ، وتراجعوا للحرب . وكتب الصالح بن رزيك المتغلب على العلوي بمصر الى قليج إرسلان يتناه عن ذلك . ثم هلك ابراهيم بن محمد بن الوانشمند وملك مكانه

أخوه ذو النون ، وانتقض قليج ارسلان عليه ، وملك ملطية من يده ، والله تعالى أعلم .

سير نور الدين العادل الى بلاد قليج ارسلان

ثم سار نور الدين محمود بن زنكي سنة ثمان وستين الى ولاية قليج ارسلان بن مسعود ببلاد الروم ، وهي ملطية وسيواس وأقصر ، فجاءه قليج ارسلان متنصلاً معتذراً فأكرمه وثنى عزمه عن قصد بلاده . ثم أرسل اليه شفيماً في ذي النون بن الواشمند ^(١) يرد عليه بلاده فلم يشفعه ، فسار اليه . وملك نرغش ونهسنا ^(٢) وما بينهما في ذي القعدة من السنة . وبعث عسكرياً الى سيواس فلكوها فال قليج ارسلان الى الصلح . وبعث الى نور الدين يستعطفه ، وقد بلغه عن الفرنج ما أزعجه فأجابه على أن يمدّه بالعساكر للغزو ، وعلى أن يبقى سيواس ، بيد نواب نور الدين ، وهي لذي النون بن الواشمند . ثم جاءه كتاب الخليفة باقطاع البلاد ، ومن جملتها بلاد قليج ارسلان وخلاط وديار بكر . ولما مات نور الدين عادت سيواس لقليج ارسلان ، وطرد عنها نواب ذي النون .

(١) في الكامل ج ٩ ص ١٢٠ : ذي النون ابن دانشمند صاحب ملطية وسيواس .

(٢) في الكامل : فسار نور الدين إليه فابتدأ بكيسون وبهني ومرزبان فملكها وما

بينها .

مسير صلاح الدين لمحرب قليج إرسال

كان قليج إرسال بن مسعود صاحب بلاد الروم ، قد زوّج بنته من نورالدين محمود بن قليج إرسال بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر ، وأعطاه عدة حُصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها ، وهجر مضجعها ، وامتنع أبوها قليج إرسال لذلك . واعتزم على غزو نور الدين في ديار بكر وأخذ بلاده فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن أيوب ، واستشفع به فلم يشفعه . وتعلل بطلب البلاد التي أعطاه عند المصاهرة فامتنع صلاح الدين لذلك . وكان يحارب الأفرنج بالشام فصالحهم ، وسار في عساكره الى بلاد الروم . وكان الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بالشام فعدل عنه ومرت على تل بلشر الى زغبان ، ولقي بها نور الدين محمد صاحب كيفا . وبعث اليه قليج إرسال رسولا يقرر غدره بابتته فاغتاظ على الرسول ، وتوعدّه بأخذ بلادهم فتلطّف له الرسول . وخلص معه نجيا فقيح له ما ارتكبه من أجل هذه المرأة من ترك الغزو ، ومصالحة العدو ، وجمع العساكر وخساره ، وان بنت قليج إرسال لو بعثت اليه بعد وفاة أبيها تسأل منه النصفة بينها وبين زوجها لكان احق ما تقصده فامتنعت . وعلم ان على نفسه الحق فأمر الرسول ان يصلح بينهم ، ويكون هو عوناً له على ذلك فدخلهم ذلك الرسول في الصلح على ان يطلق

هذه المرأة بعد سنة ، ويعقد بينهم ذلك . ورجع كل الى بلده ،
ووفى نور الدين بما عقد على نفسه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قصة قليج ارسلان أعماله بين ولده وتغلبهم عليه

ثم قسم قليج ارسلان سنة سبع وثمانين أعماله بين ولده : فاعطى
قونية بأعمالها لغياث الدين كسنجر واقصرا وسيواس لقطب الدين ،
ودوقاط لركن الدين سليمان وانقرة وهي أنكورية لمحبي الدين
وملطية لعز الدين قيصر شاه و ^(١) لمغيث الدين وقيسارية
لنور الدين محمود ، وأعطى تكسار واماسا لابني أخيه . وتغلب
عليه ابنه قطب الدين وحمله على انتزاع ملطية من يد قيصر شاه
فانتزعها ، ولحق قيصر شاه بصلاح الدين بن أيوب مستشفعاً به
فأكرمه ، وزوجه ابنة أخيه العادل . وشفع له عند أبيه وأخيه
فشفعوه وردوا عليه ملطية . ثم زاد تغلب ركن الدين وحجر عليه
وقتل دأبة في مدينته ^(٢) ، وهو اختيار الدين حسن فخرج سائر
بنيه عن طاعته ، وأخذ قطب الدين أباه ، وسار به الى قيسارية
ليملكها من أخيه فهرب قليج ارسلان ودخل قيسارية . وعاد قطب
الدين الى قونية واقصرا فملكهما وبقي قليج ارسلان ينتقل بين

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٢٢ : وسلم أبلستين إلى ولده مغيث الدين .

(٢) كذا بالأصل وهي عبارة محرفة ، وفي الكامل : وحجر عليه قطب الدين ، وكان قليج ارسلان قد استناب في مدينة ملكه رجلاً يعرف باختيار الدين حسن . فلما غلب قطب الدين على الأمر قتل حسناً .

ولده من واحد الى آخر ، وهم معرضون عنه حتى استنجد بغياث الدين كسنجر صاحب ^(١) منهم فأنجده ، وسار معه الى قونية فملكها . ثم سار الى اقصرأ وحاصرها ، ثم مرض قليج ارسلان ، وعاد الى قونية فتوفي فيها . وقيل انما اختلف ولده عليه لانه ندم على قسمة أعماله بينهم ، وأراد ايثار ابنه قطب الدين جميعها وانتقضوا عليه لذلك وخرجوا عن طاعته ، وبقي يتردد بينهم وقصد كسنجر وصاحب قونية فأطاعه ، وخرج معه بالمساكر لحصار محمود أخيه في قيسارية ، وتوفي قليج ارسلان وهو محاصر لقيسارية ورجع غياث الدين الى قونية .

وفاة قليج ارسلان وولاية ابنه غياث الدين

ثم توفي قليج ارسلان بمدينة قونية أو على قيسارية كما مر من الخلاف منتصف ثمان وثمانين لسبع وعشرين سنة من ملكه ، وكان مهيأ عادلا حسن السياسة كثير الجهاد . ولما توفي واستقل ابنه غياث الدين كسنجر بقونية وما اليها . وكان قطب الدين أخوه صاحب اقصرأ وسيواس . وكان كلما سار من احدهما الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية ، وبها أخوه نور الدين محمود يتلقاه بظواهرها حتى استنام اليه مدة فغدر به وقتله ، وامتنع

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : ولم يزل قليج إرسلان يتحول من ولد إلى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى إلى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا ، فلما رآه فرح به وخدمه .

أصبحه بقيسارية . وكان كبيرهم حسن فقتله مع أخيه ، ثم أطاعوه وأمكنوه من البلد ، ومات قطب الدين اثر ذلك .

استيلاء بكن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفراق غياث الدين

ولما توفي قليج ارسلان ، وولي بعده في قونية ابنه غياث الدين كسنجر ، وبنوه يومئذ على حالتهم في ولايتهم التي قسمها بينهم أبوهم . وملك قطب الدين منهم قيسارية بعد أن غدر بأخيه محمود صاحبها . ومات قطب الدين اثر ذلك فصار ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى التغلب على أعمال سلفه ببلاد الروم ، فصار الى سيواس واقصرا وقيسارية أعمال قطب الدين فملكها . ثم سار الى قونية فحاصرها غياث الدين وملكها ، ولحق غياث الدين بالشام كما يأتي خبره . ثم سار الى فكسار وأماسا فملكها وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين فملكها من يد معز الدين قيصر شاه ، ولحق معز الدين بالعدل ابي بكر بن أيوب . ثم سار الى أرزن الروم وكانت لولد الملك محمد بن حليق من بيت ملك قديم ، وخرج اليه صاحبها ليقرر معه صلحاً فقبض عليه ، وملك البلد فاجتمع لركن الدين سائر أعمال اخوته ما عدا انقرة لحصانتها فحصر عليها الكتائب ، وحاصرها ثلاثاً . ثم دس من قتل أخاه ، وملك البلد سنة احدى وستائة ، وتوفي هو عقب ذلك والله تعالى أعلم .

وفاة ركن الدين وولاية ابنه قليج ارسلان

ثم توفي ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان أوائل ذي القعدة من تمام سنة احدى وستائة ، وولي بعده ابنه قليج ارسلان فلم تطل مدته . وكان ركن الدين ملكاً حازماً شديداً على الاعداء ، إلا انه ينسب الى التزين بالفلسفة ، والله تعالى أعلم .

استيلاء غياث الدين كسنجر على بلاد الروم من أخيه ركن الدين

كان غياث الدين كسنجر بن قليج ارسلان ، لما ملك أخوه ركن الدين قونية من يده لحق بجلب ، وفيها الظاهر غازي بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبولا ، فسار الى القسطنطينية وأكرمه ملك الروم ، وأصهر اليه بعض البطارقة في ابنته . وكانت له قرية حصينة في أعمال قسطنطينية فلما استولى الافرنج على القسطنطينية سنة ستائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق . وبلغ اليه خبر أخيه تلك السنة ، وبعث اليه بعض الامراء من قونية يستدعيه للملك فسار اليه ، واجتمعوا على حصار قونية . وخرجت اليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصن بها . ثم قام أهل اقصرأ بدعوته وطردها واليهم ، وبلغ الخبر الى أهل قونية فثاروا بقلج ارسلان بن ركن الدين ، وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فلكوه وأمكنوه من ابن أخيه . وكان أخوه قيصر شاه قد لحق بصهره العادل أبي بكر بن

أيوب فاستنصر به على أخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده ، فأمر له بالرُّها . واستفحل ملك غياث الدين ، وقصده علي بن يوسف صاحب شمشاط ، ونظام الدين بن أرسلان صاحب خرت برت وغيرها . وعظم شأنه الى أن قتله أشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستائة ، والله تعالى وليّ التوفيق .

مقتل غياث كسنجر وولايته ابنه كيكافوس

ولما قتل غياث الدين كسنجر وولي بعده ابنه كيكافوس ، ولقبوه الغالب بالله . وكان عمه طغرل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم طلب الامر لنفسه ، وسار الى قتال كيكافوس ابن أخيه وحاصره في سيواس وقصد أخوه كيقباد بن كسنجر بلد انكورية من أعماله فاستولى عليها . وبعث كيكافوس صريخه الى الملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر ، وأفرج طغرل عن سيواس قبل وصولهم فسار كيكافوس الى انكورية وملكها من يد أخيه كيقباد وحبسه ، وقتل امراءه وسار الى عمه طغرل في أرزن الروم فظفر به سنة عشر ، وقتله وملك بلاده .

مسير كيكافوس الى حلب واستيلائه على بعض

أعمالها ثم هزيمته وإرتجاع البلاد من يده

كان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قد توفي ، وملك

بعده ابنه طفلاً صغيراً ، وكان بعض أهل حلب قد لحق بكيكائوس فراراً من الظاهر ، وأغراه بملك حلب ، وهون عليه أمرها وملك ما بعدها . ولما مات الظاهر قوي عزمه وطمعه في ذلك واستدعى الأفضل بن صلاح الدين من شمشاط للسير معه ، على أن تكون الخطبة لكيكائوس ، والولاية للأفضل في جميع ما يفتحونه من حلب وأعمالها . فإذا فتحوا بلاد الجزيرة مثل حرّان والرّها من يد الأشرف تكون ولايتها لكيكائوس ، وتعاقدا على ذلك . وساروا سنة خمسة عشرة فلكوا قلعة زغبان ، وتسلمها الأفضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل باشر فاستأثر بها كيكائوس ، وارتأب الأفضل . ثم بعث ابن الظاهر صاحب حلب إلى الأشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط يستنجد به على أن يخطب له بحلب ، وينقش اسمه على السكة فسار لإنجاده ، ومعه أحياء طي . من العرب فنزل بظاهر حلب . وسار كيكائوس والأفضل إلى منبج ، ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فاقتتلوا . وعاد عسكر كيكائوس منهزمين إليه فأجفل وسار الأشرف إلى زغبان وتل باشر وبها أصحاب كيكائوس فغلبهم عليها . وأطلقهم إلى أصحابهم فأحرقهم بالنار وسلم الأشرف الحصنين إلى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب ، وبلغه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم .

وفلة كيكالوس وملك أخيه كيقباد

كان كيكالوس بعد الواقعة بينه وبين الأشرف قد اعتزم على قصد بلاد الأشرف بالجزيرة ، واتفق مع صاحب آمد وصاحب اربل على ذلك ، وكانا يخطبان له . ثم سار الى ملطية يشغل الأشرف عن الموصل ، حتى ينال منها صاحب اربل . ومرض في طريقه فعاد . ومات سنة ست عشرة وخلف بنيه صغاراً . وكان أخوه كيقباد مجبوساً منذ أخذه من انكورية فأخرجه الجند من محبسه وملكوه وقيل بل أخرجه هو من محبسه وعهد اليه . ولما ملك خالف عليه معه صاحب اربل الروم فوصل يده بالأشرف ، وعقد معه صلحاً .

الفتنة بين كيقباد وصاحب آمد من بني أرتق وفتح عدة من حصونه

كانت الفتنة قد حدثت بين الأشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق ، وجاء جلال الدين خوارزم من الهند سنة ثلاث وعشرين بعد هروبه أمام التتر فملك أذربيجان واعتضد به المعظم صاحب دمشق على الأشرف ، وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني أرتق فأرسل الأشرف الى كيقباد ملك الروم يستنجد به على صاحب آمد ، والأشرف يومئذ محاصر لما ردين فسار كيقباد وأقام على ملطية ، وجهز العساكر من هناك الى آمد ففتح حصوناً عدة . وعاد صاحب آمد الى موافقة الأشرف فكتب الى كيقباد

أن يرد عليه ما أخذه فامتنع ، فبعث عساكره الى صاحب آمد مدداً على كيقباد . وكان محاصراً لقلعة الكحنا فلقبهم وهزمهم ، وأثخن فيهم ، وعاد ففتح القلعة والله أعلم .

استيلاء كيقباد على مدينة ارزنكان

كان صاحب ارزنكان هذه يهرام شاه من بني الاحدب بيت قديم في الملك ، وملكها ستين سنة ، ولم يزل في طاعة قليج ارسلان وولده . وتوفي فملك بعده ابنه علاء الدين داود شاه ، وأرسل عنه كيقباد سنة خمس وعشرين ليعسكر معه فصار اليه وقبض عليه ، وملك مدينة ارزنكان . وكان من حصونه كلاح ، فامتنع نائبه فيه ، وتهدد داود شاه فبعث الي نائبه فسلم له الحسن . ثم قصد أذن الروم ، وبها ابن عمر طغرل شاه بن قليج ارسلان فبعث بن طغرل شاه بطاعته للاشراف ، واستنجد نائبه بخلاط حسام الدين علي فصار اليه فخام كيقباد عن لقائه ، وعاد من ارزنكان الى بلاده فوجد العدو من الافرنج قد ملك قلعة منها تسمى صنوبا مطلة على بحر الخزر فحاصرها برأ وبجرأ ، وارتجمها المسلمون والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

فتنة كيقباد مع جلال الدين

كان صاحب أرن الروم وهو ابن عم كيقباد صار الى طاعة

جلال الدين خوارزم شاه، وحاصر معه خلاط، وفيها إيبك مولى
الاشرف فملكها جلال الدين، وقتل إيبك كما يأتي في أخباره.
فخافها كيقباد صاحب الروم فاستنجد الملك الكامل، وهو بحران
فأمده بأخيه الاشرف من دمشق فجمع عساكر الجزيرة والشام،
وسار الى كيقباد فلقية بسيواس واجتمعوا في خمسة وعشرين ألفاً.
وساروا من سيواس الى خلاط فلقيةهم جلال الدين في نواحي
أرزونكان فهاله منظرهم، ومضى منهزماً الى خلاط. ثم سار منها
الى أذربيجان فزلوا عند خوي. وسار الاشرف الى خلاط فوجد
جلال الدين قد خرّبها فعادوا الى بلادهم، وتردّت الرسل في الصلح
فاصطلحوا.

مسير ابن أيوب الى كيقباد وهزيمتهم

كان علاء الدين كيقباد قد استفحل ملكه ببلاد الروم، ومدّ
يده الى ما يجاوره من البلاد فملك خلاط، بعد أن دافع عنها مع
الاشرف بن العادل جلال الدين خوارزم شاه فنازعه الاشرف في
ذلك، واستصرخ بأخيه الكامل فسار في العساكر من مصر سنة
احدى وثلاثين. وسار معه الملوك من أهل بيته، وانتهى الى النهر
الازرق من تخوم الروم. وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من
أهل بيته فلقية كيقباد وهزمه، وحصره في خرت برت
وكانت لبني ارتق. ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة اثنتين

وثلاثين ، وكيقباه في اتباعهم . ثم سار الى حَرَّان والرُّها فلكهما
من يد نواب الكامل ووُلِّيَ عليهما من قبله ، وسار الكامل سنة
ثلاث وثلاثين فارتجعهما .

وفاة كيقباد وملك ابنه كنخسرو

ثم توفي علاء الدين كيقباد سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وملك
بعده ابنه غياث الدين كنخسرو ، وقارن ذلك انقراض الدولة
السُلجوقية من ممالك الاسلام واختلال دولة بني خوارزم شاه وخرج
التتر من مفازة الترك وراء النهر ، واستيلا جَنَكِزْخان سلطانهم على
الممالك وانتزاعها من يد بني خوارزم شاه . وفر جلال الدين آخرهم
الى الهند ، ثم رجع واستولى على أذربيجان وعراق العجم . وكان
بنو أيوب يومئذ بمالك الشام وأرمينية كما نذكر ذلك كله في
أما كنه ان شاء الله تعالى . وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا
فيها وتغلبوا عليها . واستفعل ملكهم فسارت منهم طوائف الى بلاد
الروم سنة احدى وأربعين ، فبعث غياث الدين كنخسرو وبالصريح
الى بني أيوب وغيرهم من الترك في جواره . وجاء المدد من كل
جانب فصار للقائهم ، ولقيتهم المقدمة على قشмир زنجان فانهمزمت
المقدمة ، ووصلوا اليه فانهمز ، ونجا بعباله وذخيرته الى مدينة على
مسيرة شهر من المعتك ونهبوا سواده ومخلفه وانتشروا في نواحي
بلاد الروم وعاثوا فيها ، وتحصن غياث الدين بهذه المدينة ، واستولى

التر على خلاط وآمد . ثم استأمن لهم غياث الدين ودخل في طاعتهم واستقامت أموره معهم الى أن مات قريباً من رجوعه . وملك التتر قيسارية والله أعلم .

وفاته غياث الدين وولايته ابنه كيقباد

ثم توفي غياث الدين كنخسرو سنة أربع وخمسين وترك ثلاثاً من الولد ، أكبرهم علاء الدين كيقباد وعز الدين كيكافوس ، وركن الدين قليج ارسلان . وولي علاء الدين كيقباد بعده اليه ، وكان يخطب لهم جميعاً وأمرهم واحد . وكان جنكوزخان ملك التتر قد هلك ، وكان كرسي سلطانهم بقراقروم ، وولي مكانه ابنه طلوخان وجلس على كرسيه . وهو الخان الاعظم عندهم وحكمه ماض في ملوك الشمال والعراق من أهل بيته وسائر عشيرته . ثم هلك طلوخان وولي مكانه في كرسيه ابنه منكوخان فبعث أخاه هلاكو لفتح العراق وبلاد الاسماعيلية سنة خمسين وستائة ، فسار لذلك وملك العراقيين وبغداد . ثم جرد الخان الاعظم منكوخان الى بلاد الروم سنة أربع وخمسين أميراً من أمراء المغل اسمه بيكو في المساكر فسار الى أرزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى السلطان علاء الدين فحاصرها شهرين ونصب عليها المجانيق . ثم ملكها عنوة ، وأسر ياقوت ، واستلمه الجند بأسرهم واستبقى الباعة والصناع . ثم سار الى

بلاد الروم فملك قيسارية ومسيرة شهر معها ورجع . ثم عاد سنة
خمس وخمسين وعاش في البلاد واستولى على أكثر من الاولى
والله تعالى اعلم .

وفاة كيقباد وملك أخيه كيكائوس

ولما كثر عيث التتر الذين مع بيكو في مملكة علاء الدين كيقباد،
واعترزم على المسير الى الخان الأعظم منكوخان يؤكد الدخول في
طاعته ، ويقتضي مراسمه الى بيكو ومن معه من المغل بالكف
عن البلاد ، سار من قونية سنة خمس وخمسين ومعه سيف الدين
طرنطاي من موالي أبيه . واحتمل معه الاموال والهدايا وسار .
ووثب أخوه عز الدين كيكائوس على أخيه الآخر قليج ارسلان
فاعتقله بقونية ، واستولى على الملك . وكتب في اثر أخيه الى
سيف الدين طرنطاي مع بعض الأكابر من أصحابه أن يمكنوه
من الهدايا التي معهم يتوجه بها الى الخان ويردوا علاء الدين فلم
يدر كوه حتي دخل بلاد الخان ، ونزل على بعض امرائه .
فسمى ذلك الرسول في علاء الدين وطرنطاي بأن معهم سماً
فكبسهم الامير فوجد شيئاً من الحمودة ، فعرض عليهم أكلها
فامتنعوا فتخيل تحقيق السعاية فسألوه إحضار الاطباء فأزالوا عنه
الشك ، وبعث بهم الى الخان . ومات علاء الدين أثناء طريقة .
ولما اجتمعوا عند الخان اتفقوا على ولاية عز الدين كيكائوس وأنه

أكبر ، وعقدوا له الصلح مع الخان فكتب له وخلع عليهم . ثم كتب بيكو الى الخان بأن أهل بلاد الروم قاتلوه ومنعوه العبور فأحضر الرسل ، وعرفهم الخبر فقالوا اذا بلغناهم كتاب السلطان اذعنوا . فكتب الخان بتشريك الاميرين عز الدين كيكاس وأخيه ركن الدين قليج ارسلان على أن تكون البلاد قسمة بينهما . فمن سيواس الى القسطنطينية غرباً لعز الدين ، ومن سيواس الى أرزن الروم شرقاً المتصلة ببلاد التتر لركن الدين ، وعلى الطاعة وحمل الاتاوة لمنكوخان ملكهم صاحب الكرسي بقرا قروم ، ورجعوا الى بلاد الروم وحملوا معه شلوقيقباد الى أن دفنوه .

استيلاء التتر على قونية

ثم سار بيكو في عساكر المغل الى بلاد الروم ثالثة فبعث عز الدين كيكاس العساكر للقائه مع ارسلان ايدغمش من امرائه فهزمه بيكو ، وجاء في اتباعه الى قونية فهرب عز الدين كيكاس الى العلايا بساحل البحر فنزل بيكو على قونية ، وحاصرها حتى استأنوا اليه على يد خطيبهم . ولما حضر اليه أكرمه ورفع منزلته ، وأسست امرأته على يده ، وأمن أهل البلد . ثم سار هلاكو الى بغداد سنة خمس وستين ، وبعث عن بيكو وعساكره من بلاد الروم بالحضور معه فاعتذر بالاكراذ الذين في طريقه من الغراسلية والياروقية فبعث اليهم هلاكو العساكر فأجفلوا ؛ وانتهت العساكر

الى أذربيجان ، وقد أجفل أهلها أمام الاكراد فاستولوا عليها .
ورجعوا صعبة ييكو الى هلاكو فحضر معه فتح بغداد وقد مرّ
خبرها في أخبار الخلفاء .

ويأتي في أخبار هلاكو ونيال أن ييكو لما بعث عنه هلاكو
لم يحضر معه فتح بغداد ، واستمرّ على غدره فلما انقضى أمر بغداد
بعث اليه هلاكو من سقاء السمّ فمات لانه اتهمه بالاستبداد . ثم
سار هلاكو بعد فتح بغداد الى الشام سنة ثمان وخمسين وحاصر
حلب ، وبعث عن عز الدين كيكاوس وركن الدين قُليج ارسلان ،
وعن معين الدين سليمان البرنواه صاحب دولتهم . وكان من خبره
أن أباه مذهب الدين علي كان من الديلم ؛ وطلب العلم ونبغ فيه .
ثم تعرّض للوزير سعد الدين المستوفي أيام علاء الدين كيقباد يسأله
اجراء رزقه . وكان وصافاً فاستحسنه وزوجه ابنته فولدت سليمان ،
ونشأ في الدولة . ومات سعد الدين المستوفي فرقى السلطان مذهب
الدين الى الوزارة ، وألقى اليه بالمقاليد . وتوفي مذهب الدين وترقى
ابنه سليمان مذهب الدولة وكان يلقب معين الدين وترقى في
الرتب الى أن ولي الحجابة وكان يدعى البرنواه ، ومعناه
الحاجب بلغتهم . وكان مختصاً بركن الدين فلما حضر معها عند
هلاكو كما قلناه حلا بعينه ، وقال لركن الدين لا يأتييني في اموركم
إلا هذا فرقت حاله الي أن ملك بلاد الروم أجمع .

الفتنة بين عز الدين كيكالوس وأخيه قليج ارسلان واستيلاء قليج ارسلان على الملك

ثم وقعت الفتنة سنة تسع وخمسين بين عز الدين كيكالوس وأخيه ركن الدين قليج ارسلان ، وسار ركن الدين ومعه البرنواه الى هلاكو يستمدّه على أخيه فأمدّه بالمساکر ، وحارب أخاه فهزّمه عز الدين أولاً ، ثم أمدّه هلاكو فانهزم عز الدين ولحق بالقُسطنطينيّة . واستولى ركن الدين على سائر الاعمال . وهرب التركمان الى أطراف الجبال والشفور والسواحل ، وبعثوا الى هلاكو يطلبون الولاية منه على أحيائهم فوّلّاهم ، وأذن لهم في اتخاذ الآلة فصاروا ملوكاً من حينئذ . وكان محمد بك أميرهم وأخوه علي بك رديفه فاستدعى هلاكو محمد بك فلم يأتّه فأمر قليج ارسلان وعساكر التتر الذين معه بقتاله فساروا وقاتلوه فانهزم . ثم استأمن الى السلطان ركن الدين فأمنه وجاء به الى قونية فقتله ، واستقرّ علي بك أميراً على التركمان ، وأودّتها بنيه . واستولى التتر على البلاد الى ان كان ما سنذكره انشاء الله .

خبر عز الدين كيكالوس

ولما انهزم عز الدين كيكالوس ، ولحق بالقسطنطينية أحسن اليه مخايل الشكري صاحب قسطنطينية ، وأجرى عليه الرزق .

وكان معه جماعة من الروم أخواله فحدثتهم أنفسهم بالثورة ، وتلك القسطنطينية . ونفي ذلك عنهم فقبض الشكري عليه ، وعلى من معه ، واعتقله ببعض القلاع . ثم وقعت بين الشكري وبين منكوتر بن طغان ملك الشمال من بني دوشي خاى بن جنكزخان فتنة ، وغزا منكوتر القسطنطينية وعاث في نواحيها فهرب اليه كيكائوس من محبسه فمضى معه الى كرسية بصراي فمات هنالك سنة سبع وسبعين . وخلف ابنه مسعوداً وخطب منكوتر ملك صراي أمه فنعما وهرب عنه ، ولحق بابقا بن هلاكو ملك العراق فأحسن اليه ، واقطعه سيواس وارزن الروم وارزنكان فاستقر بها .

مقتل ركن الدين قليج إرسلان وولايته ابنه كنخسرو

كان معين الدين سليمان البرنواه قد استبد على ركن الدين قليج إرسلان . ثم تنكر له ركن الدين فخاف سليمان البرنواه على مكان أخيه عز الدين كيكائوس بالقسطنطينية أن يحدث فيه أمراً . فلما بلغه خبر كيكائوس واعتقاله بالقسطنطينية أحكم تدبيره في ركن الدولة فقتله غيلة ، ونصب للملك ابنه غياث الدين في كفالته وتحت حجره ، واستقل بملك بلاد الروم ، واستقامت أموره ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه

كان هلاكو قد زحف الى الشام سنة ثمان وخمسين مراداً ، وزحف ابنه ابقا كذلك ، وقاتلهم الملك الظاهر صاحب مصر والشام . وكان كثيراً ما يخالفهم الى بلادهم فدخل سنة خمس وسبعين الى بلاد الروم ، وأميرها يومئذ من التتر طغا . وأمدّه ابقا بأمرين من التتر وهما كداون وترقوا لحماية بلاد الروم من الظاهر فزحفوا الى الشام . وسار اليهم الظاهر من مصر في مقدمته سقر الأسقر فلقبت مقدمته مقدمتهم على كوكصو فانهزم التتر ، وتبعهم الظاهر ، والتقى الجمعان على ابلش فانهزموا ثانية . واثخن فيهم الظاهر بالقتل والاسر الى قيسارية فلكها . وكان البرنواه قد دسّ اليه واشتدّه للوصول الى بلاده فأقام الظاهر على قيسارية ينتظره ، وبلغ ملك التتر ابقا خبر الواقعة فزحف في جموع المغل الى قيسارية بعد منصرف الظاهر الى بلاده . فلما وقف على مصارع قومه وجد على البرنواه وصدقت عنه السعاية فيه ، وأنه الذي استحث الظاهر لانه لم ير في المعركة مصرع أحد من بلاد الروم ، ورجع الى معسكره ومعه سليمان البرنواه واستبد بملكه . والله تعالى وليّ التوفيق ، وهو نعم الرفيق ، لا ربّ سواه ولا معبود إلا اياه سبحانه .

خلع كنخسرو ثم مقتله وولاية مسعود ابن عمه كيكائوس

كان قنطربطاي بن هلاكو مقيماً ببلاد الروم مع غياث الدين كنخسرو ، ملك بلاد الروم وصار أمير المغل بها منذ عهد ابقا . ولما ولي أحمد تكرار بن هلاكو بعد أخيه ابقو بعث عن أخيه قنطربطاي فامتنع من الوصول اليه خشية على نفسه . ثم حمله غياث الدين على اجابة أخيه ، وسار معه فقتل تكرار أخاه قنطربطاي ، واتهم المغل غياث الدين بأنه علم برأي تكرار فيه واعتمد . فلما ولي ارغون بن ابقا بعد تكرار عزل غياث الدين عن بلاد الروم وحبس به بارزنكاي ، وولي مكانه على المغل ببلاد الروم هولاكو وذلك سنة اثنتين وثمانين . وأقام مسعود ملكاً ببلاد الروم سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وأصابه الفقر والفحل أمره ، وبقي الملك بها للتر . ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم إلا بقايا بسيواس من بني ارثا مملوك درداش بن جومان . واستولى التركمان على تلك البلاد أجمع ، وأصبح ملكها لهم ، والله غالب على أمره يؤتي الملك من يشاء وهو العزيز الحكيم .

23.

الحملات

5.

2

۱۰۰

سارا

५३

١٠٠

النتائج

اللاذین

فصل

3.

5.

دادن

عنات

۱۰۰

5

3.

1.

1

三

2

پہلے

2

5.

5

33

5.

•

مسعود بن کیکاؤس

کیکاووس

قلج ارسلان بن ركن الدين سليمان
قطب الدين ملك شاه

قطب الدين ملك شاه

ה'תשנ"ח
בנימין זאב

بن قطلش بن اسرائیل بن سلجوق

الخبر عن بني سكيان موالي السلجوقية ملوك خلاط وبلاد أرمينية
ومصير الملك إلى مواليهم من بعدهم ومبادئ
أمرهم وتصاريق أحوالهم

كان صاحب مزيد من أذربيجان اسمعيل بن ياقوتي بن داود
أخو البارسلان ، وداود أخو طغرل بك كما مرّ ولقب اسمعيل قطب
الدولة . وكان له مولى تركي اسمه سكيان بالكاف والقاف . وكان
ينسب إليه فيقال سكيان القطبي ، وكان شهماً عادلاً في أحكامه .
وكانت خلاط وأرمينية لبني مروان ملوك ديار بكر ، وكانوا في
آخر دولتهم قد اشتدّ عسفهم وظلمهم ، وساء حال أهل البلد
معهم فاجتمع أهل خلاط وكاتبوا سكيان واستدعوه ليملكوه
عليهم ، فسار إليهم سنة اثنتين وخمسمائة إلى ميفارقين من ديار
بكر فحاصرها حتى استأمنوا إليه وملكها .

ثم أمر السلطان محمد شاه بن ملك شاه الأمير مودود بن مزيد
ابن صدقة صاحب الموصل بغزو الأفرنج وانتزاع البلاد من أيديهم
وأمر أمراء الثغور بالمسير معه فسار معه برسق صاحب همدان ،
وأحمد بك صاحب مراغة ، وأبو الميجاء صاحب إربل وأبو الغازي
صاحب ماردین ، وسقمان القطبي صاحب ديار بكر . فساروا لذلك
وفتحوا عدّة حصون ، وحاصروا الرها فامتنت عليهم ، ثم تل

بأشر كذلك . واستدعاهم رضوان بن قتش صاحب حلب ^(١) فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم . ومرض سكيان القطي هنالك فرجع عنهم وتوفي في طريقه ببالس . وافترقت المساكر ، وملك خلاط وبلاد ارمينية بعد مهلكه ابنه ظهير الدين ابراهيم ، وسار فيهم بسيرة أبيه الى أن هلك سنة احدى وعشرين . وملك بعده أخوه أحمد بن سكيان عشرة أشهر . ثم توفي فنصب أصحابه للملك بأرمينية وخلاط شاه أرمن سكيان ابن أخيه ابراهيم بن سكيان صبياً دارجاً . واستبدت عليه جدته أم ابراهيم . ثم أزمعت قتله فقتلها أهل الدولة .

وعمد سنة ثمان وعشرين ، واستبدّ شاه أرمن ، وكانت بينه وبين الكرج وقائع . وساروا سنة ست وخمسة الى مدينة أنى من أعمال أَرَّان فاستباحوها . وسار اليهم في العساكر فهزموه ونالوا منه ، وكانت عنده أخت طليق بن علي صاحب أرزن الروم ، ووقعت بينه وبين الكرج حرب فانهزم طليق وأسر وبعث شاه أرمن الى ملك الكرج وفادى طليقاً وردّه الى ملكه بأرزن .

ثم استولى صلاح الدين بن أيوب على مصر والشام واستفحل ملكه ، وكاتبه مظفر الدين كوكبري وأغراه بملك الجزيرة ،

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٦٣ : «ووصلوا إلى حلب فأغلق الملك رضوان أبواب البلد ، ومن يجتمع بهم» . من هنا يظهر أنه لا شيء مكان البياض في الأصل ، وأن العبارة هنا مستقيمة .

ووعده بخمسين ألف دينار. وسار صلاح الدين الى سنجار فحاصرها وهو يجمع المسير الى الموصل، وبها يومئذ عز الدين مودود بن زكي فاستنجد بشاه أرمن صاحب خلاط فبعث شاه أرمن مولاه مكتمر^(١) الى صلاح الدين شقيقاً في صاحب الموصل، ووفد عليه وهو محاصر لسنجار، ولم يشفعه صلاح الدين فرجع عنه مغاضباً. وسار شاه أرمن لقتاله واستدعى قطب الدين نجم الدين الى صاحب ماردين، وهو ابن أخيه، وابن خال عز الدين. وحضر معه دولة شاه بن طغرل شاه بن قليج ارسلان صاحب^(٢)

وسار سنة ثمان وسبعين وقد ملك صلاح الدين سنجار وافترقت المساكر. فلما بلغه مسيرهم بعث عن تقي الدين ابن أخيه شاه من حماة فوافاه سريعاً، ورحل الى رأس عين وافترقت جموعهم. وسار صلاح الدين الى ماردين فعات في نواحيها ورجع. ثم سار الى الموصل آخر احدى وثلاثين، وعبر الى الجزيرة، وانتهى الى حران. ولقيه مظفر الدين كوكبري بن زين الدين ولم يف له بالتحسين ألفاً التي وعده بها. واخذ منه حران والرها. ثم اطلقه بما نفذه من مكاتبتة وأعاد عليه بلدته، وسار من حران فحضر عنده عساكر الحصن ودارا، ولقيه سنجر شاه صاحب الجزيرة ابن أخي عز الدين مودود مفارقاً لطاعة عمه، وسار معه الى الموصل.

(١) كذا، وقد وردت في الكامل: بكتمر.

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ١٥٩: دولة شاه صاحب بدليس وارزن.

ولما انتهى الى مدينة الأبلّة بعث اليه عز الدين ابن عمه نور الدين محمود وجماعة من اعيان الدولة راغبين في الصلح فأكرمهم ، واستشار أصحابه من أعيان الدولة فأشار علي بن أحمد المشطوب كبير الهكارية بالامتناع من ذلك فردّهم صلاح الدين واعتذر ، وسار فنزل على فرسخين من الموصل واشتدوا في مدافعتهم فامتنعوا عليه فندم على عدم الصلح . ورجع على علي المشطوب ومن وافقه باللائمة . وخاطبه القاضي الفاضل البيساني من مصر ، وعزله في ذلك . وجاء زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبري فتلقاها بالكرمة ، واثّلها مع الحشود الوافدة بالجانب الشرقي . وبعث علي بن أحمد المشطوب الهكاري الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فحاصرها ، واجتمع عليه الاكراد ولم يزل محاصراً لها حتى عاد صلاح الدين من الموصل . وأقام صلاح الدين على حصارها مدة . وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلمة يكتبه فنهه من الصعود اليها ، وكان يقتدي برأي مجاهد الدين وبعثه في الصلح فسمى فيه الى ان تحمله ووصل صلاح الدين الى ميفارقين .

وفاته شاه أرمن سكرمان وولاية مكتمر مولى أبيه

ثم توفي شاه أرمن سكرمان بن ابراهيم بن سكرمان صاحب خلاط سنة ست وسبعين ، وكان مكتمر مولى أبيه بميفارقين

فأسرع الوصول بمن معه من الممالك ، واستولى على كرسي بني
 مسكمان . وولى على ميفارقين أسد الدين برتقش من موالي شاه
 ارمن . وكان البهلوان بن ايلدكز صاحب أذربيجان و همذان مر
 بقائد ملوك السلجوقية وقد زوج ابنته من شاه ارمن طمعاً في
 ملك خلاط . فلما توفي شاه ارمن سار اليها في عساكره فكاتب
 أهل خلاط صلاح الدين بن أيوب ، ودافعوا كلاً منهما بالآخر .
 وسار صلاح الدين في مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه
 ومظفر الدين بن زين الدين وغيرها . ونزلوا قريباً من خلاط فتردد
 الرسل من صلاح الدين ، ومن شمس الدين البهلوان الى أهل خلاط
 وهم يدافعون الفريقين . وكان قد بلغه وفاة صاحبها قطب الدين ،
 وان يرتقش فصب ابنه طفلاً صغيراً واستبد عليه ، فسار صلاح
 الدين اليها وحاصرها حتى تسلمها على الامان ، وأقام مكتمر
 أميراً بخلاط ، وطالت مدته ، وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن
 وحروب الى ان توفي صلاح الدين سنة تسع وثمانين . فظهر الشماتة
 به وتسمى عبد العزيز ، وتلقب سيف الدين وتوفي اثر ذلك والله
 تعالى أعلم .

وفاة مكتمر وولاية أفسنقر

كان مكتمر لاول ولايته قد اختص أفسنقر من موالي شاه
 ارمن وتلقب هزار ديناري وزوجه ابنته ، وجعله اتابكه فأقام على

ذلك مدّة . ثم استوحش من مكتمر وتربص به حتى إذا توفي صلاح الدين تجهز مكتمر من ميافارقين فامكنته فيه الفرصة فقتله لعشر سنين من ولايته ؛ وذلك بعد وفاة صلاح الدين بشهرين واستبدّ بملك خلاط وارمينية ، واعتقل ابن مكتمر وأمه في بعض القلاع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاته أقسنقر وولاية محمد بن مكتمر

ثم هلك أقسنقر صاحب خلاط وارمينية سنة أربع وتسعين ، لخمس سنين من ملكه . وقام بملك خلاط بعده حجراشتد قطعن الارمني ، ولم يرضه أهل خلاط فوثبوا به لسبعة أيام من ولايته وقتلوه . واستدعوا محمد بن مكتمر من محبسه وملكوه ولقبوه الملك المنصور ، وقام بدولته شجاع الدين قطعن القفجاقى دوادار شام أرمن ، وأقام تحت استبداده الى سنة ثلاث وستائه . ثم دبر على الدوادار وقبض عليه ، وكان حسن السيرة فاستوحش لذلك الجند والعامة . وعكف بعد نكبة الدوادار على لذاته فاجتمع أهل خلاط والجند ، وكبيرهم بلبان مملوك شاه أرمن . وكتبوا الى ارتق بن ابي الغازي بن البى صاحب ماردين يستدعونه للملك ، بما كان ابن أخت شاه أرمن . وجاهر بلبان بالعصيان الى ملاز كرد واجتمع الجند عليه

نكبة ابن مكرم واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها

ولما ملك بلبان مدينة ملاز كرد وأعمالها ، واجتمع عليه الجند وسار يريد خلاط ، ووصل ارتق بن أبي الفازي صاحب ماردین لموعدهم ، ونزل قريباً من خلاط فبعث اليه بلبان ان الجند والرعية اتهموني فيك فارجع ، واذا ملكت البلد سلمته اليك فتتحَّ قليلاً فبعث اليه يتوعده على مقاتله وبطئه . فعاد الى ماردین ، وكان الاشرف موسى بن العادل بن أيوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها لنفسه ، وخشي أن يزداد بملكها قوة عليهم فخالفه الى ماردین ، وأقام بتدليس ، وجبى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران .

ثم جمع بلبان العساكر ، وسار الى خلاط فحاصرها . وبرز ابن مكرم فيمن عنده فانهزم بلبان وعاد الى ولايته بملاز كرد وأرجيش وغيرها . ثم جمع ورجع الى خلاط فحاصرها وضيق عليها ، وابن مكرم عاكف على لذاته . فلما جهدهم الحصار ثاروا به وقبضوه ، ومكنوا بلبان منه . ودخل الى خلاط واستولى عليها وعلى سائر أعمالها ، وجلس ابن مكرم في قلعة هناك واستبد بملكها . وكان الأوحـد نجم الدين أيوب بن العادل بن أيوب قد ولي على مياقارقين - من قبل أبيه - الى خلاط سنة أربع وستائة ، وقصد

مدينة سوس وحاصرها وملك ما يجاورها ، وعجز بلبان عنه . ثم ملك سوس وقصد خلاط فبرز له بلبان وهزمه فعاد الى ميافارقين وجمع واستمد أباه العادل فأمدته بالساكر ، ونهض الى خلاط فبرز له بلبان ثانية ، وهزمه الأوحد وحاصره في خلاط فبعث بلبان الى طفرل يستجده فانهزم الأوحد امامها . وسار بلبان مع طفرل الى مراث فحاصرها وغدر به طفرل وقتله ، وسار الى خلاط فتمعه أهلها فسار الى ملاز كرد فنعوه كذلك فعاد الى اوزن .

وأرسل خلاط بطاعتهم الى الاوحد نجم الدين فجاء وملك خلاط ، واستولى على أعمالها . وزحف الكرج فأغاروا على خلاط وعاثوا في نواحيها ، والأوحد مقيم بخلاط لم يفارقها . وانتقض عليه جماعة من العسكر بحصن رام ، وساروا الى مدينة ارجيش فلكوها واجتمع اليهم المفسدون . وبعث نجم الدين الى أبيه العادل يستجده فأمدته بابنه الآخر شرف الدين موسى فحاصر حصن رام حتى استأمن اليه من كان به من الجند ، ورجع الاشراف الى عمله بجران والرّها ، واستقر نجم الدين بخلاط . ثم سار الى ملاز كرد ليطالع أمورها ويمهدا فثار أهل خلاط بمسكره فاخرجوهم ، وحصروا أصحاب نجم الدين بالقلعة ، ونادوا بشعار شاه أرمن وقومه فرجع الأوحد ، ولاقاه عسكر الجزيرة وحاصر خلاط . ثم اختلف أهلها فدخلها عليهم عنوة واستباحها . ونقل جماعة من أعيانها الى

ميفارقين ، وقتل كثيراً منهم هنالك . واستكان أهل خلاط بعدها
وانمحي منها حكم الماليك بعد أن كانوا مستحكمين فيها يولون
ملوكها ويخلمونهم . وانقرضت دولة بني سكرمان من خلاط ، وصارت
لبنى أيوب والبقاء لله وحده ، والله وارث الارض ومن عليها وهو
خير الوارثين واليه المرجع .

عز الدين بيلان مولی شاه آردن بزنا بر ايم بن سكران القلي مولی قطب الدين احملي بن باقوي بزدا ودين ميكال
 افنفر مولی
 محمد بن مكفر مولی
 قلم بدو تساهم مولی شاه آردن

أخبار الإفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام
وثغوره وكيف تغلبوا عليه وبداية
أمرهم في ذلك ومصليبه

قد تقدم لنا اول الكتاب الكلام في أنساب هذه الامة ،
عند ذكر أنساب الامة ، وأنهم من ولد يافث بن نوح ، ثم من
ولد ريفات بن كوسر بن يافث اخوة الصقالبة والحزر والترك .
وقال هروشيوش : انهم من عصر ابن غور . وأما مواطنهم من
بلاد المعمور فانهم في شمالي البحر الرومي من خليج رومة الى ما
وراء النهر غرباً وشمالاً ، وكانوا أولاً يدينون لليونان والروم بالطاعة
عند استفحال أمرهم . فلما انقرضت دولة أولئك استقل هؤلاء
الإفرنج بملكهم واقترقوا دولا : مثل دولة القوط بالاندلس والجلالة
بعدهم ، وملك المانين بالتفخيم من جزيرة انكلطره بالبحر المحيط
الغربي الشمالي ، ما يجاذيه ويقابله من المعمور ، ومثل ملوك افرنسة
وهو عندهم اسم افرنجة بعينه والجيم ينطقون بها سينا . وهم ما
وراء خليج رومة غرباً الى الشنايا المفضية الى جزيرة الاندلس في
الجل المحيط من شرقيها وتسمى تلك الشنايا البردت . وكانت دولة
هؤلاء الإفرنج منهم من أعظم دولهم ، واستفحل أمرهم بعد
الروم وصدرأ من دولة الاسلام العربية فسموا الى ملك بلاد
المشرق من ناحيتها . وتغلبوا على جزر البحر الرومي في آخر المائة

الخامسة . وكان ملكهم لذلك العهد بردويل فبعث رجلاً من ملوكهم الى صِغِلْيَةَ ، وملكها من يد المسلمين سنة ثمانين وأربعمائة . ثم سموا الى ملك ما وراء النهر من افريقية دبلاد الشام والاستيلاء على بيت المقدس ، وطال ترددهم في ذلك .

ثم استحثهم وحرَضهم عليه فيما يقال خلفاء المُبِيدِيّين بمصر لما استفحل ملك السُلْجُوقِيَّة ، وانتزعوا الشام من أيديهم ، وحاصروهم في مصر فيقال ان المستنصر منهم دس الى الافرنج بالخروج ، وتسهيل أمرهم عليه ليحولوا بين السلجوقية وبين رماهم فتجهز الافرنج لذلك ، وجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية . ومنعهم ملك الروم من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم أن يسلموا له انطاكية ، لكون المسلمين كانوا أخذوها من ممالكهم فقبلوا شرطه ، وسهل لهم العبور في خليجه فأجازوا سنة تسعين وأربعمائة في العدد والعدة .

وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان وجمع للقائهم فهزموه وفرَّ^(١) بلاد ابن اليون الارمني ووصلوا انطاكية ، وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فحاصروه بها وخذلوا صاحب حلب ودمشق على صريخه بأن لا يقصدوا غير انطاكية فأسلموه حتى ضاق به الحصار

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ١٨٦ : فلما وصلوا إليها لقيهم قليج لإرسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمني فسلكوها وخرجوا إلى انطاكية فحاصروها .

وغدر به بعض الحامية فملك الإفرنج البلاد، وهرب باغيسيان
فقتل وحمل اليهم رأسه. وكان ملوكهم الحاضرون لذلك خمسة :
بروديل وصنجيل وكبريري والقمص واسمند، وهو مقدم العساكر
فردّوا اليه أمر انطاكية، وبلغ الخبر الى المسلمين فسافروا اليهم
شرقا وغربا.

وسار قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل، وجمع عساكر
الشام، وسار الى دمشق فخرج اليهم دقاق بن تثنش وطغتكين
أتابك، وجناح الدولة صاحب حمص وإرسلان^(١) صاحب
سنجر، وسكان أرتق وغيرهم من الامراء، وزحفوا الى انطاكية
فحاصروها ثلاثة عشر يوماً. ووهن الإفرنج واشتد عليهم الحصار
لما جاءهم على غير استعداد، وطلبوا الخروج على الامان فلم
يسعفوا. ثم اضطرب أمر عساكر المسلمين، وأساء كربوقا السيرة
فيهم، وأزمعوا من استكثاره عليهم^(٢) فخرج الإفرنج اليهم،
واستأثروا فتخاذل المسلمون، وانهزموا من غير قتال، حتى ظنّها
الإفرنج مكيدة فتقاعدوا عن اتباعهم، واستشهد من المسلمين
ألف، والله تعالى أعلم.

(١) كذا بياض بالأصل: واسمه إرسلان تاش كما في الكامل.

(٢) كذا بالأصل، عبارة مضطربة، وفي الكامل: فاغضبهم ذلك وأضمرؤا له أنفسهم العذر

إذا كان قتال.

استيلاء الافرنج على معرة النعمان ثم على بيت المقدس

ولما حصلت للافرنج هذه النكاية في المسلمين طمعوا في البلاد وساروا الى معرة النعمان وحاصروها . واشتد القتال في أسوارها حتى داخل أهلها الجزع فتحصنوا بالدور ، وتركوا السور فلكه الافرنج ودخلوا عليهم فاستباحوها ثلاثاً . وأقاموا بها أربعين يوماً . ثم ساروا الى غزة وحاصروها أربعة أشهر ، وامتنعت عليهم فصالحهم ابن منقذ عليها . وساروا الى حمص وحاصروها فصالحهم عليها جناح الدولة . وساروا الى عكا فامتنعت عليهم . وكان بيت المقدس قد ملكه السلجوقيّة وصار لتاج الدولة تُنْشِ ، وأقطعه لسكمان بن ارتق من التركمان . فلما كانت واقعة الافرنج بانطاكية طمع أهل مصر فيهم ، وسار الأفضل بن بدر الجمالي المستولي على العلويين بمصر الى بيت المقدس ، وبها سكمان وأبو الغازي ابنا ارتق وابن عمهما سوع ، وابن أخيها ياقوتي فحاصروه نيفاً وأربعين يوماً ونصبوا عليه نيفاً وأربعين منجنيقاً ، وملكوه بالامان سنة احدى وتسعين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سكمان وأبي الغازي وأصحابهما ، وسرحهم الى دمشق وعبروا الفرات .

وأقام سكمان بالرّها ، وسار ابو الغازي الى العراق ، واستتاب الافضل عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصده الافرنج

بعد ان حاصروا عكا ، وامتنعت عليهم فحاصروه أربعين ليلة ،
وافترقوا على جوانب البلد فملكوها من الجانب الشمالي آخر شعبان
من السنة . واستباحوها وأقاموا فيها أسبوعاً . واعتصم بعض
المسلمين بمحراب داود ، وقاتلو فيه ثلاثاً حتى استأمنوا ولحقوا
بمَسْئَلَان . وأحصى القتلى من الائمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين
بالمسجد فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون ، وأخذ من المناور المعلقة
عند الصخرة أربعون قنديلاً من الفضة : كل واحد منها ثلاثة
آلاف وستائة وستون درهماً من الفضة زنته أربعون رطلاً بالشامي
ومائة وخمسون قنديلاً من الصغار ، وما لا يحصى من غير ذلك .

وجاء الصريح الى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد الهروي ،
ووصف في الديوان صورة الواقعة فكثر البكاء والأسف ، ووسم
الخليفة بمسير جماعة من الاعيان والعلماء ، فيهم القاضي أبو محمد
الدامغاني ، وأبو بكر الشاشي ، وأبو الوفاء بن عُمَيْل الى السلطان
بركيارق يستصرخونه للاسلام . فساروا الى حُلوان ، وبلغهم
اضطراب الدولة السُلجُوقِيَّة ، وقتل محمد ألك ألب أرسلان المتحكم
في الدولة ، واخملاف السلاطين فمادوا . وتمكن الإفرنج من
البلاد وولوا على بيت المقدس كندفري من ملوكهم .

عساكر مصر وحرب الافرنج

سير العساكر من مصر لمحرب الافرنج .

ولما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل . الجيوش والعساكر ، واحتشد وسار الى عسقلان . وأرسل الى الافرنج بالنكير والتهديد فاعادوا الجواب ، ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه . واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم ، ودخل الافضل عسقلان وافترق المنهزمون . واستبدوا بنحر الحمير (١) ، ووصل الافضل من عسقلان الى مصر ، ونازلها الافرنج حتى صانع أهلها الافرنج بعشرين الف دينار ، وعادوا الى القدس .

ايقاع ابن الدانشمند بالافرنج

كان كُمسَكِين بن الدانشمند من التركان ، ويعرف بطابلوا . ومعنى الدانشمند المعلم كان أبوه يعلم التركان ، وتقلبت به الاحوال حتي ملك سيواس وغيرها . وكان صاحب ملطية يعاديه فاستنجد عليه اسمند صاحب انطاكية فجاءه في خمسة الاف ، وسار اليه ابن

(١) كذا بالأصل ، ولا معنى لها . وفي الكامل ج ٨ ص ١٩٠ : ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز ، وكان هناك كثيراً فأحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه .

الدانشمند وأسره . ثم جاء الافرنج الى قلعة أنكورية فلكوها ، وقتلوا من بها من المسلمين . ثم حاصروا اسمعيل بن الدانشمند فلقبهم كستكين وهزمهم واستلحمهم ، وكانوا ثلثمائة الف . ثم ساروا الى ملطية فلكوها وأسروا صاحبها . وزحف اليه اسمند من انطاكية في الافرنج فهم بهم ابن الدانشمند . فأتاح الله للمسلمين على يده هذا الظهور في مدد متقاربة ، حتى خلاص اسمند من الاسر . وجاء الى انطاكية والافرنج بها ، وبعث الى قيس والعواصم وما جاورها يطلب الامارة فامتعض المسلمون لذلك ، وقلدوه بعد العهد الذي التزمه .

حصار الافرنج قلعة جبلة

كانت جبلة من أعمال طرابلس ، وكان الروم قد ملكوها ، وولوا على المسلمين بها ابن رئيسهم منصور بن صليحة يحكم بينهم . فلما صارت للمسلمين رجوع أمرها لجمال الملك أبي الحسن علي بن عمار المستبد بطرابلس ، وبقي منصور بن صليحة على عادته فيها . ثم توفي منصور فقام اليه أبو محمد عبد الله مقامه وأظهر الشامة فارتاب به ابن عمار ، وأراد القبض عليه فعصى هو في جبلة وأقام بها الخطبة العباسية ، واستنجد عليه ابن عمار دقاق بن تئش فجاءه ، ومعه أتابك طفركين فامتنع عليهم ورجعوا . ثم جاء الافرنج فحاصروها فامتنعت عليهم ايضاً وشاع أن بر كيارق جاء الى الشام

فرحلوا . ثم عادوا وظهروا أن المصريين جاؤا لانجاده فرحلوا .
ثم عادوا فتقدم للنصارى الذين عنده أن يداخلوا الإفرنج في نقب
البلد من بعض أسواره فجهزوا اليهم ثلاثمائة من أعيانهم فرفعهم
بالجبال واحداً بعد واحد ، وهو قاعد على السور حتى قتلهم أجمعين
فرحلوا عنه .

ثم عادوا اليه فهزمهم وأسر ملهم كبرانيطل ، وفادى نفسه
منه بمال عظيم ثم ^(١) ابن صليحة وجهده الحصار فأرسل الى
طفركين صاحب دمشق . وبعث ابن عمار في طلبه الى الملك دقاق
على ان يدفعه اليه بنفسه دون ماله ، ويعطيه ثلاثين الف دينار
فلم يفعل . وسار ابن صليحة الى بغداد فوعده الى وصول رحله
من الانبار فبعث الوزير من استولى عليها فوجد فيها ما لا يحصى
من الملابس والعماثم والمتاع ، وانتزع ذلك كله . ولما ملك تاج
الملوك جبلة أساء فيها السيرة فراسلوا فخر الملك أبا علي بن عمار
صاحب طرابلس ، واستدعوه للملكها فبعث اليهم عسكرياً وقاتلوا
تاج الملك ومن معه فهزموه ، وأخذوه أسيراً ، وملكوا جبلة بدعوة
ابن عمار وحلوا تاج الملك الى ابن عمار فأحسن اليه ، وبعث الى
أبيه بدمشق ، واعتذر له بأنه خاف على جبلة من الإفرنج .

(١) كذا بياض بالأصل ، وعبارة مضطربة وأساء محرفة . وفي الكامل ج ٨ ص ١٩٩ : وأتوا
الفرنج في ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطبل فاقتدى نفسه بمال جزيل .
ثم علم أنهم لا يقعدون عن طلبه وليس له ما يمنهم عنه . فأرسل إلى طغتكين أتاكب يلتمس منه
إنقاذ من يثق به ليسلم إليه ثغر جبلة ، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله .

استيلاء الافرنج على سروج وقيسارية وغيرها

ثم سار كبر يري ملك الافرنج من بيت المقدس سنة أربع وتسعين لحصارها فأصابه منهم سهم فقتله ، فسار أخوه بقدوين في خمسمائة فارس الى القدس . ونهض دقاق صاحب دمشق ، ومعه جناح الدولة صاحب حمص لاعتراضه فهزموا الافرنج وأئخذوا فيهم ثم كاتب أهل المدينة الافرنج وكان أكبرهم ، ودخل في طاعتهم . وكان سُقمان بن ارتق صاحب سروج جمع جموعه من التركمان ، وسار الى الرُّها فلقبه الافرنج وهزموه في ربيع سنة أربع وتسعين . وساروا الى سروج فحاصروهم حتى ملكوها عنوة واستباحوها . ثم ملكوا حصن كيفا بقرب عكا عنوة ، وملكوا أرسوف بالامان . ثم ساروا في رجب الى قيسارية فملكوها عنوة واستباحوها ، والله تعالى ولي التوفيق بمنه كرمه .

حصار الافرنج طرابلس وغيرها

كان صنجيل من ملوك الافرنج المذكورين قبل قد لازم حصار طرابلس ، وزحف اليه قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فظفر به . وعاد صنجيل مهزوماً فأرسل فخر الدولة بن عمار صاحب طرابلس ، الى أمير آخر ، نائب جناح الدولة بمحض الى دقاق بن تنش يدعو الى معالجته . فجاء تاج الدولة بنفسه ، وجاء العسكر

مدداً من عند دقاق، واجتمعوا على طرابلس. وفرق صنجيل
 القل الذين معه على قتالهم فانهزموا كلهم، وقتك هو في أهل
 طرابلس وشد حصارها. وأعانه أهل الجبل والنصارى من أهل
 سوادها. ثم صالحوه على مال وخيل. ورحل عنهم إلى طرطوس
 من أعمال طرابلس فحاصرها، عنوة واستباحها إلى حصن الطومار
 ومقدمه ابن المريض فامتنع عليهم، وقتالهم صنجيل فهزموا
 عسكره، وأسروا زعيماً من زعماء الإفرنج بدل صنجيل فيه
 عشرة آلاف دينار وألف أسير، ولم يعاوده. وذلك كله سنة
 خمس وتسعين وأربعمائة. ثم سار صنجيل إلى حصن الأكراد
 وحاصره^(١) جناح الدولة لفزوه فوثب عليه باطني بالمسجد
 وقتله. ويقال إن رضوان بن تتش وضعه عليه فسار صنجيل إلى
 حمص، وحاصرها وملك أعمالها. ثم نزل القمص على عكا في جمادي
 الأخيرة من السنة فنفر المسلمون من جميع السواحل لقتاله،
 وهزموه وأحرقوا أهله والمنجنقات التي نصبت للحرب. ثم سار
 القمص صاحب الرها إلى سروج وحاصرها فامتنعت عليه، وزحف
 عساكر مصر إلى عسقلان للمدافعة عن سواحلهم فزحف إليهم
 بردويل صاحب القدس فهزمه المسلمون، ونجا إلى الرملة، وهم في

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٢١١: وفيها سار صنجيل إلى
 حصن الأكراد فحاصره، فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطني
 بالمسجد الجامع.

اتباعه فحاصروه وخلص الى يافا ، وفشا القتل والاسر في الافرنج
والله تعالى ولي التوفيق .

حصار الافرنج عسقلان وجوبهم مع عساكر مصر

لما طمع الافرنج في عسقلان ، واستفحل أمرهم بالشام ،
جهز الافضل أمير الجيوش عساكره من مصر لحربهم سنة ست
وتسعين مع سعد الدولة القواسي مولى أبيه . وزحف بقدوين ملك
الافرنج من القدس فلقبهم بين الرملة ويافا وهزمهم . ومات سعد
مترقباً عن فرسه ، واستولى الافرنج على سواده . وبعث الافضل بعده
ابنه شرف المعالي فلقبهم في العساكر على بازور قرب الرملة فهزمهم
ونال منهم ، ونجا كثير من أعيانهم الى بعض الحصون هنالك
فحاصروهم شرف المعالي خمس عشرة ليلة ، وملك الحصن فقتل
وأسر . ونجا بقدوين الى يافا ، ثم الى القدس فصادف وصول جمع
كثير من الافرنج لزيارة القدس فنديهم للغزو فساروا الى عسقلان
وبها شرف المعالي فامتنعت ورجعوا .

وبعث شرف المعالي الى أبيه فبعث العساكر في البر مع تاج
العجم مولى أبيه ، والاسطول في البحر لحصار يافا مع القاضي ابن
دقاوس . فلما وصل الاسطول الى يافا بعث عن تاج العجم ليأتيه
بالعساكر فامتنع ، فأرسل الافضل من قبض عليه ، وولى على

العساكر وعلى عسقلان جمال الملك من مواليمهم فانصرفت السنة ،
وبيد الإفرنج بيت المقدس غير عسقلان ، ولهم أيضاً من الشام يافا
وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية والاردن واللاذقية وانطاكية ،
ولهم بالجزيرة الرها وسروج وصنجيل محاصر فخر الملك بن عمار بمدينة
طرابلس ، وهو يرسل اسطوله للاغارة على بلاد الإفرنج في كل
ناحية . ثم دخلت سنة سبع وتسعين فخرج الإفرنج الذين بالرها
فأغاروا على الرقة وقلعة جعبر ، واكتسحوا نواحيها . وكانت لسالم
ابن مالك بن بدران بن المقلد منذ ملكه السلطان ملك شاه اياها
سنة تسع وسبعين كما مر والله أعلم .

استيلاء الإفرنج على جبيل وعكا

وفي سنة سبع وتسعين وصلت مراكب من بلاد الإفرنج
تحمل خلقاً كثيراً من التجار والحجاج فاستعان بهم صنجيل على
حصار طرابلس ، فحاصروها حتى يئسوا منها فارتحلوا الى جبيل
وملكوها بالامان . ثم غدروا بأهلها وأفحشوا في استباحتها . ثم
استنجدهم بقديون ملك القدس على حصار عكا فحاصروها برأ
وبجراً وفيها بها الدولة الجيوشي من قبل ملك الجيوش الافضل صاحب
مصر فدافعهم حتى عجزوا ، وهرب عنها الى دمشق وملك
الإفرنج عكا عنوة وأفحشوا في استباحتها . والله تعالى أعلم .

غزو أمراء السلجوقية بالجزيرة الافرنج

كان المسلمون أيام تغلب الافرنج على الشام في فتنة واختلاف تمكن فيها الافرنج واستطالوا، وكانت حران وحصن لمولى من موالي ملك شاه اسمه فوجا، والموصل لجكرمش^(١) وحصن كيفا لسقمان بن أرتق وعصى في حران على قراجا بأمته فيها فاغتاله جاولي، مولى من موالي الترك وقتله فطمع الافرنج في حران وحاصروها. وكان بين جكرمش وسقمان فتنة وحرب فوضعوا أوزارها لتلافي حران، واجتمعا على الخابور وتحالفا، ومع سقمان سبعة آلاف من قومه التركمان، ومع جكرمش ثلاثة آلاف من قومه الترك، ومن العرب والاكراذ. وسار اليهم الافرنج من حران فاقتتلوا، واستطردهم^(٢) المسلمون بعيداً، ثم كروا عليهم فأخذوا فيهم واستباحوا أموالهم.

وكان اسمند صاحب انطاكية وشكري^(٣) صاحب الساحل قد أكنوا للمسلمين وراء الجبل فلم يظهر لهم انهم أصعابهم، وأقاموا هنالك الى الليل. ثم هربوا وشعر بهم المسلمون فاتبعوهم وأخذوا

(١) كذا بالأصل واسمه في الكامل: جكرمش.

(٢) استطرد: استطرد له: أظهر له الانهزام مكيدة.

(٣) كذا بالأصل، وفي الكامل: بيمنند صاحب إنطاكية وطنكري صاحب

الساحل.

فيهم . وأسر في تلك الواقعة القمص بردويل صاحب الرها ، أسره بعض التركمان من أصحاب سقمان فشق ذلك على أصحاب جكرمش لكثرة ما امتاز به التركمان من الغنائم ، وحسنوا له أخذ القمص من ^(١) سقمان فأخذه وأراد التركمان محاربة جكرمش وأصحابه عليه فمنعهم سقمان حذراً من اختلاف المسلمين وسار مفارقاً لهم . وكان ير بحصون الافرنج فيخرجون اليه ظناً بنصر اصحابهم فلحقها عليهم . وسار جكرمش الى حران فلحقها وولى عليها من قبله . ثم سار الى الرها وحاصرها أياماً ، وعاد الى الموصل ، وفادى القمص بردويل بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيراً ، والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

حرب الإفرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب

ثم سار سكري صاحب انطاكية من الافرنج سنة ثمان وتسعين الى حصن أريام من حصون رضوان صاحب حلب فضاقت حالهم واستنجدوا برضوان فزار اليهم ، وخرج الافرنج للقاءه . ثم طلب الصلح من رضوان فمنعه أصبهيد وصاباو ، من امراء السلجوقية

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٢٢ : وحسنوا له أخذ القمص ، فانفذ أخذ القمص من خيم سقمان . فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب أصحابه للقتال فردهم .

كان نزع اليه بعد قتل صاحبه أياز ، ولقيهم الافرنج فانهزموا أولاً ثم استماتوا وكرّوا على المسلمين فهزموهم وأفحشوا في قتلهم ، وقتل الرجال الذين دخلوا عسكرهم في الحملة الاولى . ونجا رضوان وأصحابه الى حلب ، ولحق صباوو بطفر كين أتابك دمشق ، ورجع الافرنج الى حصار الحصن فهرب أهله الى حلب وملكه الافرنج ، والله تعالى ولي التوفيق .

درب الافرنج مع عسكر مصر

كان الافضل صاحب مصر قد بعث سنة ثمان وتسعين ابنه شرف المعالي في العساكر الى الرملة فلكها ، وقهر الافرنج . ثم اختلف العسكر في ادعاء الظفر وكادوا يقتتلون ، وأغار عليهم الافرنج فعاد شرف المعالي الى مصر فبعث الافضل ابنه الآخر سناء الملك حسيناً مكانه في العساكر ، وخرج معه جمال الدين صاحب عسقلان ، واستمدوا طفر كين أتابك دمشق فجهاز اليهم اصبيد صباوو من امراء السلجوقية . وقصدهم بغدوين صاحب القدس وعكا فاقتتلوا وكثرت بينهم القتلى ، واستشهد جمال الملك نائب عسقلان وتجاوزوا ، وعاد كل الى بلده . وكان مع الافرنج جماعة من المسلمين منهم بكياش بن تئش ذهب مغاضباً عن دمشق لما عدل عنه طفر كين الاتابك بالملك الى ابن أخيه دقاق ، وأقام عند الافرنج ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق به .

درب الأفرنج مع طغركين

كان قص من قامصة الأفرنج بالقرب من دمشق ، وكان كثيراً ما يغير عليها ويجارب عساكرها فسار اليه طغركين في العساكر ، وجاء بغدوين ملك القدس لانجاده على المسلمين فردّه ذلك القمص ثقة بكفائه فرجع الى عكا ، وسار طغركين الى الأفرنج فقاتلهم وحجزهم في حصنهم . ثم خرب الحصن وألقى حجارته في الوادي وأسر الحامية الذين به ، وقتل من سواهم من أهله وعاد الى دمشق ظاهراً . ثم سار بعد اسبوع الي^(١) وبه ابن أخت صنجيل فملكه وقتل حاميته .

استيلاء الأفرنج على حصن أقامية

كان خلف بن ملاعب الكلاني متغلباً على حصن وملكها منه تنش كمار ، وانتقلت الاحوال الى مصر . ثم ان رضوان صاحب حلب انتقض عليه واليه بحصن اقامية ، وكان من الرافضة فبعث بطاعته الى صاحب مصر ، واستدعى منهم والياً فبعثوا خلف بن

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٣٠ : وعاد طغتكين إلى دمشق منصوراً فزين البلد أربعة أيام وخرج منها إلى ردينة ، وهو من حصون الشام ، وقد تغلب عليه الفرنج ، وصاحبه ابن أخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه ، وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج .

ملاعب لا يثاره الجهاد وأخذوا رهنه فمبي^(١) في اقامية واستبد بها واجتمع عليه المفسدون. ثم ملك^(٢) من أعمال حلب وأهله رافضة، ولحق قاضيها بابن ملاعب في اقامية. ثم أعمل التدبير عليه، وبعث الى أبي طاهر الصائغ من اصحاب رضوان وأعيان الرافضة ودعاتهم، وداخله في الفتك بابن ملاعب وتسليم الحصن الى رضوان. وشعر بذلك ابنا ابن ملاعب وحذرا أباهما من تدبير القاضي عليه.

وجاء القاضي فحلف له على كذبه، وصدقته وعاد القاضي الى مداخلة أبي طاهر ورضوان في ذلك التدبير، وبعثوا جماعة من أهل سرمين بخيول وسلاح يقصدون الخدمة عند ابن ملاعب فأثرهم بربض اقامية حتى تم التدبير، وأصعدهم القاضي وأصحابه ليلاً الى القلعة فلكوها وقتلوا ابن ملاعب. وهرب ابناه فلحق أحدهما بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر وقتل الآخر. وجاء أبو طاهر الصائغ الى القاضي يعتقد ان الحصن له فلم يمكنه القاضي وأقام عنده. وكان بعض بني خلف بن ملاعب عند طرركين بدمشق مناضباً لابيه فولاه حصناً من حصونه فأظهر الفساد

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٢٣٢: وأقام بأقاميه يخيف السبيل ويقطع الطريق، فاجتمع عنده كثير من المفسدين.
 (٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل: ثم إن الفرنج ملكوا سرمين، وهي من أعمال حلب.

والعيث فطلبه طغر كين فهرب إلى الإفرنج ، واستحثهم لملك إفامية
فحاصروه حتى جهد أهل الجوع وقتلوا القاضي المتغلب فيه والصائغ ،
وذلك سنة تسع وتسعين وخمسة.

خبر الإفرنج في حصار طرابلس

كان صنجيل من ملوك الإفرنج ملازماً لحصار طرابلس ،
وملك جبلة من يد ابن أبي صليحة وبنى على طرابلس حصناً وأقام
عليها . ثم هلك وحمل إلى القدس ودفن . وأمر ملك الروم أهل
اللاذقية أن يحملوا الميرة إلى الإفرنج المحاصرين طرابلس فحملوها
في السفن . وظفر أصحاب ابن عمار ببعضها فقتلوا وأسروا واستمر
الحصن خمس سنين فعدمت الاقوات . واستنفد أهل الثروة
مكسوبيهم في الانفاق وضاعت أحوالهم ، وجاءتهم سنة خمسمائة
ميرة في البحر من جزيرة قبرص وانطاكية وجزائر البنادقة فحفظت
أرواقهم . ثم بلغ ابن عمار انتظام الامر للسلطان محمد بن ملك شاه
بعد أخيه بركيارق فارتحل إليه صريحاً ، واستخلف على طرابلس
ابن عمه ذا المناقب في طرابلس . وخيم ابن عمار على دمشق وأكرمه
طغر كين . ثم سار إلى بغداد فأكرمه السلطان محمد وأمر بتبليغه
والاحتفال لقدومه ووعده بالانجاد .

ولما رحل عن بغداد أحضره عنده بالنهروان ، وأمر الأمير
حسين بن أتابك قطففتكين بالمسير معه ، وإن يستصحب العساكر

التي بعثها مع الامير مودود الى الموصل لقتال جاولي سكاو ، وأمره باصلاح جاولي والمسير مع ابن عمار حسباً مرّ في أخبارهم . ثم وقعت الحرب بين السلطان محمد وبين صدّقة بن مزيد واصطلحوا وودّعه ابن عمار بعد ان خلع عليه ، وسار معه الامير حسين فلم يصل الى قصده من عساكر الموصل ^(١) مودود والانتقاض فعاد فخر الدين بن عمار الى دمشق في محرم سنة اثنتين وخمسمائة وسار منها الى ... فلكتها . وبعث أهل طرابلس الى الافضل أمير الجيوش بمصر يستمدّونه ، ويسألون الوالي عليهم فبعث اليهم شرف الدولة ابن ابي الطيب بالمدد والاقوات والسلاح وعدة الحصار ، واستولى على ذخائر ابن عمار ، وقبض على جماعة من أهله ، وحمل الجميع في البحر الى مصر .

خبر القيص صاحب الرها مع جاولي ومع صاحب انطاكية

كان جاولي قد ملك الموصل من يد أصحاب جكرمش ، ثم

(١) كذا بياضان بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٥٤ : ففعل حسين ذلك ، وسار ومعه صاحب جاولي ، فلما وصلا إلى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فأمرهم حسين بالرحيل ، فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه قال : لا أرحل إلا بأمر السلطان . وقبض على صاحب جاولي وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قطلغتكين إلى السلطان فأحسن النيابة عن جاولي عنده . وسار جاولي إلى مدينة بالس .

انتقض فبعث السلطان اليه مودود في العساكر فصار جاولي عن الموصل ، وحمل معه القمص بردويل صاحب الرها الذي كان اسره سقمان واخذه منه جكرمش واصحابه ، وترك الموصل . ثم أطلق جاولي هذا القمص في سنه ثلاث وخمسة بعد خمس سنين من اسره على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين عنده يطلقهم ، وعلى ان يده بنفسه وعساكره وماله متى احتاج الى ذلك .

ولما انبرم العقد بينهما بعث يوالي سالم بن مالك بقلعة جمبر حتى جاءه هناك ابن خاله جوسكين تل باشر^(١) فأقام رهينة مكانه . ثم أطلقه جاولي ورهن مكانه أخا زوجته وزوجة القمص . فلما وصل جوسكين الى منبج أغار عليها ونهبها وسبى جماعة من أصحاب جاولي وسئل فاعتذر بأن هذه البلاد ليست لكم .

لما أطلق القمص سار الى انطاكية ليسترد الرها من يد لشكري لانه اخذها بعد أسره فلم يردها ، وأعطاه ثلاثين الف دينار . ثم سار القمص الى تل باشر ، وقدم عليه أخوه جوسكين الذي وضعه رهينة عند جاولي . وسار لشكري صاحب انطاكية لحربها قبل ان يستفعل أمرهما وينجدهما جاولي فقاتلوه ، ورجع الى انطاكية وأطلق القمص مائة وستين من أسرى المسلمين .

(١) كذا بالأصل ، عبارة مشوشة ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٥٣ : فلما اتفقا على ذلك سير القمص إلى قلعة جمبر ، وسلمه إلى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين ، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها ، وهو صاحب تل باشر وغيرها .

ثم سار القمص وأخوه جوسكين وأغاروا على حصون انطاكية وأمدتهم صاحب زغبان وكيسوم^(١) وغيرهما من القلاع شمال حلب، وهو من الارمن، بألف فارس، وألفي راجل وخرج اليهم لشكري وتراجعوا للحرب.

ثم حملهم الترك على الصلح وحكم على لشكري برّدة الرها على القمص صاحبها بعد ان شهد عنده جماعة من البطارقة والاساقفة بأن اسمند خال لشكري لما انصرف الى بلاده، أوصاه برّدة الرها على صاحبها اذا خلص من الاسر فردّها لشكري على القمص في صفر سنة ثلاث، ووفى القمص لجاولي بما كان بينهما. ثم قصد جاولي الشام ليملكه وتنقل في نواحيه كما مر في أخباره. وكتب رضوان صاحب حلب الى لشكري صاحب انطاكية يحذره من جاولي ويستنجده عليه فأجابه وبرز من انطاكية، وبعث اليه رضوان بالعساكر.

واستنجد جاولي القمص صاحب الرها فأنجده بنفسه، ولحق به على منبج، وجاءه الخبر هنالك باستيلاء عسكر السلطان على بلده الموصل، وعلى خزائنه بها وقارقه كثير من أصحابه: منهم

(١) ورد في معجم البلدان: كيسوم: الكثير من الحشيش. وهي قرية مستطيلة من أعمال سميساط، وفيها حصن كبير على تلعة كانت لنصر بن شيت، تحصن فيه من المأمون حتى ظفر به عبد الله بن طاهر فأخرجه، ثم أحدث بعد فيها مياهاً وبساتين.

زنكي بن أفسنقر قتل جاولي تل باشر ، وتراحف مع لشكري هنالك واشتد القتال . واستمر أصحاب انطاكية فتخاذل أصحاب جاولي وانهزموا ، وذهب الافرنج بسوادهم فجاء القمص وجوسكين الى تل باشر والله تعالى أعلم .

حروب الإفرنج مع طغركين

كان طغركين قد سار الى طبرية سنة اثنتين وخمسمائة فسار اليه ابن أخت بغدادين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون . ثم استماتوا وهزموا الافرنج وأسروا ابن أخت الملك فقتله طغركين بيده ، بعد ان فادى نفسه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة أسير فلم يقبل منه إلا الاسلام أو القتل .

ثم اصطلح طغركين وبغديون لمدة أربع سنين . وكان حصن غزيرة من أعمال طرابلس بيد مولي ابن عمّار قمصى عليه ، وانقطعت عنه الميرة بيعت الافرنج في نواحيه فارسل الى طغركين بطاعته فبعث اسرائيل من أصحابه ليمتلك الحصن ، ونزل منه مولي ابن عمّار فرماه اسرائيل في الزحام بسهم فقتله حذراً أن يطلع الأتابك على خلفه .

وقصد طغركين الحصن لمشارفة أحواله فمنعه نزول الشالج ، حتى اذا انتشع وانجلى سار في أربعة آلاف فارس وفتح حصوناً للافرنج

منها حصن الاسكة وكان السرداني من الافرنج يحاصر طرابلس
فسار للقائه فلما أشرف عليه انهزم طفركين وأصحابه الى حصص ،
وملك السرداني حصن غزية بالامان ، ووصل طفركين الى دمشق
فبعث اليه بغدوين من القدس بالبقاء على الصلح وذلك في شعبان
سنة اثنتين .

استيلاء الافرنج على طرابلس وبيروت وصيدا وجبيل وبنانياس

ولما عادت طرابلس الى صاحب مصر من يد ابن عمار وولي
عليها نائبه ، والافرنج يحاصرونها وزعيمهم السرداني ابن أخت صنجيل
فلما كانت سنة ثلاث وخمسة في شعبان ووصل القمص والد
صنجيل ، وليس صنجيل الاول وانما هو قص آخر بمراكب عديدة
مشحونة بالرجال والسلاح والميرة ، وجرت بينه وبين السرداني
فتنة واقتتلوا .

وجاء لشكري صاحب انطاكية مدداً للسرداني . ثم جاء بغدوين
ملك القدس وأصلح بينهم وحاصروا طرابلس ، ونصبوا عليها
الابراج فاشتد بهم الحصار ، وعدموا القوات لتأخر الاسطول المصري
بالميرة ، ثم زحفوا الى قتالها بالابراج وملكوها عنوة ثاني الاضحى
واستباحوها وأنخنوا فيها . وكان النائب بها قد استأمن الى
الافرنج قبل ذلك بليال وملكها بالامان ، وثرل على مدينة جبيل ،
وبها فخر الملك ابن عمار فاستأمنوا الى لشكري وملكها .

ولحق ابن عمار بـتيزر فتزل على صاحبها سلطان بن علي بن منقذ الكشاني ، ولحق منها بدمشق فأكرمه طغر كين وأقطعه الزبداني ، من أعمال دمشق ، في محرم سنة أربع ، ووصل اسطول مصر بالميرة بعد أخذ طرابلس بثمانية أيام فأرسي بساحل صور وفرقت الغلال في جهاتها في صور وصيدا وبيروت .

ثم استولى الافرنج على صيدا في ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة . وذلك انه وصل اسطول للافرنج من ستين مركباً مشحونة بالرجال والذخائر ، وبها ملوكهم بقصد الحج والغزو فاجتمعوا مع بغدوين صاحب القدس ، ونزلوا صيدا برآ وبحراً ، وأسطول مصر يعجز عن انجادهم . ثم زحفوا الى صور في ابراج الخشب المصفحة فضعفت نفوسهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فاستأمنوا فآمنهم الافرنج في جمادى الاولى ، ولحقوا بدمشق بعد سبعة وأربعين يوماً من الحصار . وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان ، وعاد بغدوين الى القدس .

استيلاء أهل مصر على عسقلان

كانت عسقلان لخلفاء العلوية بمصر ، وقد ذكرنا حروب الافرنج مع عساكرهم عليها ، وآخر من استشهد منهم جمال الملك نائبها كما مر آنفاً . وولي عليها شمس الخلافة فراسل بغدوين ملك القدس

وهاداه ليمتنع به من الخليفة بمصر. وبعث الافضل بن أمير الجيوش
العساكر اليه سنة أربع وخمسة مع قائد من قوادهم موريا
بالغزو، وأسر اليه بالقبض على شمس الخلافة والولاية مكانه
بعسقلان .

وشعر شمس الخلافة بذلك فجاهر بالمصيان فخشى أن يملكها الافرنج
فراسله وأقره على عمله ، وعزل شمس الخلافة جند عسقلان واستجد
جماعة من الارمن فاستوحش منه أهل البلد ، ووثبوا به فقتلوه ،
وبعثوا الى الامير الافضل صاحب مصر المستولي عليها بطاعتهم
فجاءهم الوالي من قبله واستقامت أمورهم .

استيلاء الافرنج على حصن الأثارب وغيره

ثم جمع لشكري صاحب انطاكية واحتشد ، وسار الى حصن
الاقارب^(١) على ثلاثة فراسخ من حلب فحاصره وملكه عنوة
وأثخن فيهم بالقتل والسبي . ثم سار الى حصن زردناد^(٢) ففعل فيه
مثل ذلك ، وهرب أهله منه ، ومارس^(٣) على بلديهما .

(١) هو حصن «الأثارب» كما في الكامل ج ٨ ص ٢٦١ .

(٢) كذا ، وفي الكامل : حصن «زردنا» .

(٣) كذا ، هنا عبارة سقطت أثناء النسخ أو الطبع . وفي الكامل : فلما سمع
أهل منبج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج وكذلك أهل بالس . وقصد الفرنج
البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنها .

ثم سار عسكر من الإفرنج الى مدينة صيدا فلكوها على
الامان ، وأشفق المسلمون من استيلاء الإفرنج على الشام. وراسلوه
في الهدنة فامتنعوا الا على الضريبة : فصالحهم رضوان صاحب
حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وعدة من الخيول والياب ،
وصاحب صور على سبعة آلاف دينار ، وابن منقذ صاحب شيزر^(١)
على أربعة آلاف دينار ، وعلي الكردي صاحب حماة على ألفي
دينار. ومدة الهدنة الى حصاد الشعير .

ثم اعترضت مراكب الإفرنج التجار من مصر فأخذوها
وأسروهم .

وسار جماعة من أهل حلب الى بغداد للنفير فدخلوها مستغيثين ،
ومعهم خلق من الفقهاء والغوغاء ، وقصدوا جامع السلطان يوم الجمعة
فمنعوا الناس من الصلاة بضجيجهم ، وكسروا المنبر فوعدهم السلطان
بإفاد العساكر للجهاد. وبعث من دار الخلافة منبراً للجامع .

ثم قصدوا في الجمعة الثانية جامع القصر في مثل جمهم ،
ومنعهم صاحب الباب فدفعوا ودخلوا الجامع وكسروا شبايك

(١) شيزر: قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم.
وهي قديمة ذكرها امرؤ القيس في قوله:
تقطع أسباب اللبانة والهوى عشيّة جاوزنا حماة وشيزرا

المقصورة والمنبر، وبطلت الجمعة. وأرسل الخليفة الى السلطان في رفع هذا الحزن فأمر الامراء بالتجهز للجهاد، وأرسل ابنه الملك مسعوداً مع الامير مودود صاحب الموصل ليلحق به الامراء ويسيروا جميعاً الى قتال الافرنج.

سير الامراء الساجوقية الى قتال الافرنج

ولما سار مسعود بن السلطان مع الامير مودود الى الموصل، اجتمع معهم الامراء سُقمان القطبي صاحب ديار بكر وابنا بُرْسُق ابلكي وذنكي اصحاب همدان، والامير أحمد بك صاحب مَرَاغَة، وأبو الهيجاء صاحب اربل، واياز بن أبي الغازي، بعثه أخوه صاحب ماردين. وساروا جميعاً الى سنجار وفتحوا عدة حصون للافرنج، وثلّوا على مدينة الرها وحاصروها، واجتمعوا مع الافرنج على الفرات.

وخام^(١) الطائفتان عن اللقاء، وتأخر المسلمون الى حرّان يستطردون للافرنج لعلهم يعبرون الفرات فخالفهم الافرنج الى الرها، وشحنوها أقواتاً وعدة وأخرجوا الضعفاء منها. ثم عبروا الفرات الى نواحي حلب، لان الملك رضوان صاحبها لما عبروا الى

(١) خام عن لقائه: وقف قبالته.

الجزيرة ارتجع بعض الحصون التي كان الإفرنج اخذوها بأعمال حلب فطرقوها الآن فاكسحوا نواحيها .

وجاءت عساكر السلطان الى الرُّها ، وقاتلوا فامتنت عليهم فعبروا الفرات ، وحاصروا قلعة تل باشر شهراً ونصفاً فامتنت ، فرحلوا الى حلب فقمعد الملك رضوان عن لقائهم ، ومرض هنالك سُتْمَانُ القُطَيْبِي ، ورجعوا فتوفي في بالس ، وحمل شلوه الى بلده ، ونزلت العساكر السلطانية على معرة النعمان فخرج طُفَرَكِينُ صاحب دمشق الى مودود ، ونزل عليه . ثم ارتاب لما رأى من الامراء في حقه فدرس للإفرنج بالمهادنة .

ثم افترقت العساكر كما ذكرنا في أخبارهم . وبقي مودود مع طفركين على نهر العاصي . وطمع الإفرنج باقتراحهم فساروا الى أقامية . وخرج سلطان بن منقذ صاحب شيزر الى مودود وطفركين فرحل بهم الى شيزر ، وهون عليهم أمر الإفرنج . وضاعت الميرة على الإفرنج فرحلوا واتبعهم المسلمون يتخطفون من أعقابهم حتى أبعدوا والله تعالى أعلم .

حصار الإفرنج مدينة صور

ولما افترقت العساكر السلطانية خرج بغدوين ملك القدس وجمع الإفرنج ، ونزلوا على مدينة صور في جمادى الاولى من سنة

خمس ، وهي للامير الافضل صاحب مصر ، ونائبه بها عز الملك
الأغر ، ونصبوا عليها الأبراج والمجانيق . وانتدب بعض الشجعان
من أهل طرابلس ، كان عندهم في ألف رجل ، وصدقوا الحملة
حتى وصلوا البرج المتصل بالسور فأحرقوه ورموا الآخرين بالنفط
فأحرقوهم . واشتد القتال بينهم وبعث أهل صور الى طفر كين
صاحب دمشق يستنجذونه ، على أن يمكنوه من البلد فجاء الى
بانياس ، وبعث اليهم بمائتي فرس ، واشتد القتال ، وبعث نائب
البلد الى طفر كين بالاستحثاث للوصول ليتمكن من البلد . وكان
طفر كين يغير على أعمال الافرنج في نواحيها ، وملك لهم حصناً
من أعمال دمشق ، وقطع الميرة عنهم فساروا يحملونها في البحر .
ثم سار الى صيدا وأغار عليها ونال منها . ثم أزهد الثمرة وخشي
الافرنج من طفر كين على بلادهم فأفرجوا عن صور الى عكا .
وجاء طفر كين الى صور فأعطى ^(١) الاموال واشتغلوا باصلاح
سورهم وخندقهم والله أعلم .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٦٤ : وقاتل أهل صور قتال
من أيس من الحياة فدام القتال إلى أوان إدراك الغلات فخاف الفرنج أن طغتكين
يستولي على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال إلى عكا ، وعاد عسكر
طغتكين إليه ، وأعطاهم أهلها الأموال وغيرها . ثم أصلحوا ما تشعت من سورها
وخندقها ، وكان الفرنج قد طموه .

أخبار مودود مع الإفرنج ومقتله ووفاة صاحب انطاكية

ثم سار الامير مودود صاحب الموصل سنة ست الى سروج ،
وعاث في نواحيها فخرج جكرمش صاحب تل باشر وأغار على
دوايهم فاستاقها من راعيها ، وقتل كثيراً من العسكر ورجع .
ثم توفي الامير الأرمني صاحب الدروب ببلاد ابن كاور فصار
لشكري صاحب انطاكية من الافرنج الى بلاده ليملكها فرض
وعاد الى انطاكية ، ومات منتصف سنة ست ، وملكها بعده ابن
أخته سرجان واستقام أمره .

ثم جمع الامير مودود صاحب الموصل المساكر واحتشد
وجاءه تيمرك صاحب سنجار واياز بن أبي الغازي صاحب ماردين ،
وطفر كين صاحب دمشق ، ودخلوا في محرم سنة سبع الى بلاد
الافرنج .

وخرج بغدوين ملك القدس وجوسكين صاحب القدس يغير
على دمشق فعبروا الفرات ، وقصدوا القدس ، ونزلوا على الاردن
والافرنج عدوتهم ، واقتتلوا منتصف محرم فانهزم الافرنج ،
وهلك منهم كثير في بحيرة طبرية والاردن ، وغنم المسلمون سوادهم .
وساروا منهزمين فلقبهم عسكر طرابلس وانطاكية فشردوا معهم

وأقاموا على جبل طبرية ، وحاصروهم المسلمون نحواً من شهر فلم يظفروا بهم فتركوهم وانساحوا^(١) في بلاد الافرنج ما بين عكا والقدس واكتسحوها .

ثم انقطعت المواد عنهم للبعد عن بلادهم فعادوا الى مرج الصفر على نية العود للغزاة في فصل الربيع ، وأذنوا للعساكر في الانطلاق . ودخل مودود الى دمشق يقيم بها الى أوان اجتماعهم ، فطعنه باطني في الجامع حين منصرفه من صلاة الجمعة آخر ربيع الاول من السنة ومات من يومه ، واتهم طغركين بقتله ، والله تعالى أعلم ؛

أخبار البرسقي مع الافرنج

ولما قتل مودود بعث السلطان محمد مكانه أقسنقر البرسقي ، ومعه ابنه السلطان مسعود في العساكر لقتال الافرنج . وبعث الى الامراء بطاعته فجاءه عماد الدين زنكي بن أقسنقر وتميرك صاحب سنجار . وسار الى جزيرة ابن عمر وملكها من يد نائب مودود . ثم سار الى ماردین فحاصرها الى ان اذعن ابو الغازي صاحبها ، وبعث معه ابنه أيازاً في العساكر فساروا الى الرها وحاصروها في ذي الحجة سنة ثمان مدة سبعين يوماً فامتنعت ، وضاعت الميرة على

(١) انساح: اندفع.

المسلمين فرحلوا الى شمشاط وسروج ، وعاثوا في تلك النواحي ، وهلك في خلال ذلك بكواسيل صاحب مَرَعَش ، وكيسوم وزغبان من الافرنج ، وملكت زوجته بعده وامتنعت من الافرنج . وأرسلت الى البرسقي على الرها بطاعته ، فبعث اليها صاحب الخابور فردته بالاموال والهدايا وبطاعتها ، فعاد من كان عندها من الافرنج الى انطاكية والله أعلم .

الحرب بين العساكر السلطانية والفرنجة

كان السلطان محمد قد تنكر لظفر كين صاحب دمشق ، لانهامه اياه بقتل مودود فمضى وأظهر الخلاف ، وتابعه أبو الغازي صاحب ماردین لما كان بينه وبين البرسقي فأهم السلطان شأنها وشأن الافرنج وقوتهم ، وجهاز العساكر مع الامير برسق صاحب همدان وبعث معه الامير حيوس بك والامير كسكري وعساكر الموصل والجزيرة ، وأمرهم بغزو الافرنج بعد الفراغ من شأن أبي الغازي وظفر كين فساروا في رمضان سنة ثمان ، وعبروا الفرات عند الرملة .

وجاؤا الى حلب ، وبها لؤلؤ الخادم بعد رضوان ، ومقدم العساكر شمس الخواص ، وعرضوا عليها كتب السلطان بتسليم البلد فداغما بالجواب ، واستنجدوا بأبا الغازي وظفر كين فوصلا اليهما في ألقي فارس ، وامتنعا بها على العسكر فسار الامير برسق الى

حماة من أعمال طفر كين فملكها عنوة ونهبها ثلاثاً وسلمها للامير
قرجان صاحب حصص ، بأمر السلطان بذلك في كل بلد يفتحونه
فنفس عليه الامراء ذلك وفسدت ضمائرهم .

وكان أبو الغازي وطفر كين وشمس الخواص قد ساروا الى
انطاكية مستنجدين بصاحبها روميل على مدافعتهم عن حماة فبلغهم
فتحها ، ووصل اليهم بانطاكية بندوين ملك القدس وطرابلس
وغيره من شياطين الافرنج ، واجتمعوا على اقامية واتفقوا على
مطالبة المسلمين الى فصل الشتاء ليتفرقوا . فلما أطل الشتاء ،
والمسلمون مقيمون عاد أبو الغازي الى ماردن وطفر كين الى دمشق
والافرنج الى بلادهم ، وقصد المسلمون كفرطاب ، وكانت هي
واقامية للافرنج فلكوها عنوة وفتحوا بالافرنج فيها وأسروا
صاحبها . ثم ساروا الى قلعة أقامية فاستعصت عليهم فعادوا الى
فعادوا الى المعرة وهي للافرنج . وفارقهم الامير حيوس بك الى
وادي مَرَاة فملكه ، وسارت العساكر من المعرة الى حلب ،
وأثقالهم ودوابهم وهم متلاصقون فوصات مقدمتهم الى الشام
وخرّبوا الابنية .

وكان روميل صاحب انطاكية قد سار في خمسمائة فارس وألفي
راجل للمدافعة عن كفرطاب ، وأطل على خيام المسلمين قبل
وصولهم فقتل من وجد بها من السوق والغلمان ، وأقام الافرنج

بين الحيام يقتلون كل من لحق بها ، حتى وصل الأمير برسق وأخوه زنكي فصعدا ربوة هناك . وأحاط الفل من المسلمين به وعزم برسق على الاستماتة . ثم غلبه أخوه زنكي على النجاة فنجى فيمن معه ، واتبعهم الإفرنج فرسخاً ورجعوا عنه ، وافتقرت العساكر الإسلامية منهزمة الى بلادها .

وأشفق أهل حلب وغيرها من بلاد الشام من الإفرنج بعد هذه الواقعة ، وسار الإفرنج الى رُميلة من أعمال دمشق فلكوها ، وبالنوا في تحصينها واعتزم طفركين على تخريب بلاد الإفرنج . ثم بلغه الخبر عن خلورميلة من الحامية فبادر اليها سنة تسع وملكها عنوة ، وقاتل وأسر وغنم وعاد الى دمشق . ولم تزل رُميلة بيد المسلمين الى أن حاصرها الإفرنج سنة عشرين وخمسمائة وملكوها والله أعلم .

وفاة ملك الإفرنج وأخبارهم بعده مع المسلمين

ثم توفي بنديون ملك الإفرنج بالقدس آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة ، وكان قد زحف الى ديار بكر طامعاً في ملكها فانتهى الى تَيس ، وشجَّ في الليل فانتقض عليه جرحه وعاد الى القدس فمات . وعاد القمص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمش وأطلقه جاولي ، وكان حاضراً عنده لزيارة قامة .

وكان أتابك طفركين قد سار لقتال الإفرنج ، ونزل اليرموك

فبعث اليه قمص في المهادنة فاشتراط طغر كين ترك المناصفة من جبل عردة الى الغور فلم يقبل القمص فسار طغر كين الى طبرية . ونهب نواحيها ، وسار منها الى عسقلان . ولقي سبعة آلاف من عساكر مصر قد جاؤا في اثر بغدوين عندما ارتحل عن ديار بكر فاعلموا ان صاحبهم تقدم اليهم بالوقوف عند أمر طغر كين فشكر لهم ذلك وعاد الى دمشق وأتاه الخبر بأن الافرنج قصدوا أذرعات ونهبوها بعد ان ملكوا حصناً من أعماله فأرسل اليهم تاج الملك بوري في أثرهم فحاصروهم في جبل هناك ، حتى يثسوا من أنفسهم . وصدقوا الحملة عليهم فهزموهم وأفحشوا في القتل ، وعاد الفل الى دمشق .

وسار طغر كين الى حلب يستنجد أبا الغازي فوعده بالمسير معه ثم جاء الخبر بأن الافرنج قصدوا أعمال دمشق فنهبوا حوران واكتسحوها فرجع طغر كين الى دمشق ، وأبو الغازي الى ماردين الى حشد العساكر وقصدوا الاجتماع على حرب الافرنج . ثم سار الافرنج سنة ثلاثة عشر الى نواحي حلب فلكوا مراغة ، ونالوا المدينة فصانعهم أهلها بمقاسمتهم أملاكهم ، وزحف أبو الغازي من ماردين في عشرين ألفاً من العساكر والمتطوعة ، ومعه أسامة بن مالك بن شيرز الكناني ، والامير طغان ارسلان بن افتكين بن جناح صاحب أوزن .

وسار الافرنج الى صنبيل عرمس^(١) قرب الاثارب فزلوا به في موضع منقطع المسالك ، وعزموا على المطاولة فناجزهم أبو الغازي ، وسار اليهم ودخل عليهم في مجتمعهم ، وقاتلوه أشد القتال فلم يقاوموه وفتك فيهم فتكة شماء . وقتل فيهم سرحان صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم ، وذلك منتصف ربيع من السنة . ثم اجتمع فل^(٢) الافرنج وعاودوا الحرب فهزم أبو الغازي وملك عليهم حصن الاثارب ورزدنا ، وجاء الى حلب فأصلح أحوالها وعاد الى ماردن .

ثم سار جوسكين صاحب تل باشر في مائتين من الافرنج ليكبس حلة من احياء طي . يُعرفون ببني خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ، ودلوه على بقية قورهم من بني ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه اليهم ، وسار هو من طريق آخر فضل عن الطريق ، ووصل أصحابه اليهم ، وأميرهم وعدة من ربيعة فقاتلهم وغلبهم ، وقتل منهم سبعين ، وأسر اثني عشر فقاداهم ببال جزيل من الاسرى ، وبلغ الى جوسكين في طريقه فعاد الى طرابلس

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٨٨ : فزلوا قريباً من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس .
(٢) فل : جمعها فل كالواحد وأفلال وفلول : منهزم ومنهزمون .

وجمع جمعاً وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون ، وعاد مفلولاً
والله أعلم .

ارتجاع الرها من الأفرنج

ثم سار بهرام أخو أبي الغازي الى مدينة الرها وحاصرها مدة
فلم يظفر بها فرحل عنها . ولقيه النذير بأن جوسكين صاحب الرها
وسروج قد سار لاعتراضه ، وقد تفرق عن مالك أصحابه فاستجاب
لما وصل اليه الأفرنج ، ودفعهم لارض سَبَخَة فوصلت فيهم خيولهم
فلم يفلت منهم احد ، وأسر جوسكين وخاط عليه جلد وجل وفادى
نفسه بأموال جليلة فأبى مالك من فديته إلا أن يُسَلَم حصن الرها
فلم يفعل ، وجبسه في خرت برت ، ومعه كلام ابن خالته وكان
من شياطينهم وجماعة من زعمائهم ، والله تعالى أعلم وبه التوفيق .

استيلاء الأفرنج على خرت برت

وارتجاعها منهم

كان مالك بن بهرام صاحب خرت برت ، وكان في جواره
الأفرنج في قلعة كوكر فحاصروهم بها ، وسار بغدوين اليه في جموعه
فلقبه في صفر سنة سبعة عشر فهزم الأفرنج ، وأسر ملكهم وجماعة
من زعمائهم وجبسهم مالك في قلعة خرت برت مع جوسكين
صاحب الرها وأصحابه . وسار مالك الى حرّان في ربيع الاول

وملكها ولما غاب من خرت برت تحيّل الإفرنج وخرجوا من مجسهم
بمداخلة بعض الجنود. وسار بغدوين الى بلده ، وملك الآخرون
القلعة فعاد مالك اليهم وحاصرها وارتجمها من أيديهم ، ورتب فيها
الحامية ، والله تعالى ولي التوفيق .

استيلاء الإفرنج على مدينة صور

كانت مدينة صور لخلفاء العلوية بمصر ، وكان بها عز الملك من
قبل الأفضل بن أمير الجيوش المستبد على الامر بمصر ، وتجهز
الإفرنج لحصارها سنة ست فاستمدوا طفركين صاحب دمشق
فأمدهم بعسكر ومال مع والٍ من قبله اسمه مسعود ، فجاء اليها
ولم يغيّر دعوة العلوية بها في خطبة ولا سكة . وكتب الى الأفضل
بذلك ، وسأله تردّد الاسطول اليه بالمدد فأجابه وشكره . ثم قتل
الأفضل ، وجاء الاسطول اليها من مصر على عادته ، وقد أمر
مقدمه أن يعمل الحيلة في القبض على مسعود الوالي بصور من
قبل طفركين لشكوى أهل مصر منه فقبض عليه مقدم الاسطول
وحمله الى مصر ، وبعثوا به الى دمشق .

وأقام الوالي من قبل أهل مصر في مدينة صور ، وكتب الى
طفركين بالعدر عن القبض على مسعود واليه وكان ذلك سنة ستة
عشر . ولما بلغ الإفرنج انصراف مسعود عن صور قوي طمعهم

فيها وتجهزوا لحصارها . وبعث الوالي الامير بذلك وبمجزه عن مقاومة حصارهم لها .

وسار طفركين الى بانياس ليكون قريباً من صرينها^(١) ، وبعث الى أهل مصر يستنجدهم فراسل الافرنج في تسليم البلد ، وخروج من فيها فدخلها الافرنج آخر جمادى الاولى من السنة بعد ان حمل أهلها ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فتح البرسقي كفرطاب وانهباه من الافرنج

ثم جمع البرسقي عساكره وسار ستة تسعة عشر الى كفرطاب^(٢) ، وحاصرها فلحقها من الافرنج . ثم سار الى قلعة اعزاز شمالي حلب وبها جوسكين فحاصرها واجتمع الافرنج وساروا لمداغته فلقبهم وقتلهم شديداً فحصى الله المسلمين وانهزموا . وفتك النصارى فيهم ، ولحق البرسقي بحلب فاستخلف بها ابنه مسعوداً وعبر الفرات الى الموصل ليستمد العساكر ويعود لغزوهم فقتضى الله بقتله ، وولي ابنه عز الدين بعده قليلاً .

ثم مات سنة احدى وعشرين ، وولي السلطان محمود عماد الدين

(١) صريخ : استغاثه .

(٢) كفرطاب : بلدة بين معرة النعمان ومدينة حلب في برية معطشة .

زنكي بن أقسنقر مكانه على الموصل والجزيرة وديار بكر كما مرّ في أخبار دولة السلجوقية . ثم استولى منها على الشام وأورث ملكها بنيه فكانت لهم دولة عظيمة بهذه الاعمال نذكرها ان شاء الله تعالى . ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرعت منها كما نذكره .

ونحن الآن نترك من أخبار الإفرنج هنا جميع ما يتعلق بدولة بني زنكي وبني أيوب حتى نوردّها في أخبار تينك الدولتين لئلا تتكرر الاخبار ، ونذكر في هذا الموضع من أخبار الإفرنج ما ليس له تعلق بالدولتين فاذا طالعه المتأمل علم كيف يردّ كل خبر الى مكانه يحوّله قريحته وحسن تأنيبه .

الحرب بين طغرلين والإفرنج

ثم اجتمعت الإفرنج سنة عشرين وخمسة ، وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستجد طغرلين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليه ، وكان هو قد سار الى جهة الإفرنج آخر سنة عشرين ، وقاتلهم وسقط في المعرك فظنّ أصحابه انه قتل فانهزموا وركب فرسه ، وسار معهم منهزماً والإفرنج في اتباعهم ، وقد أثخنوا في رجالة التركمان ، فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا

بدمشق . ورجع الافرنج من المنهزمين فوجدوا خيابهم منهوبة
فساروا منهزمين .

تم كان سنة ثلاث وعشرين واقعة المزدغاني والاسماعيلية
بدمشق بعد أن طمع الافرنج في ملكها فأسف ملوك الافرنج على
قتله ، وسار صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس
وغيرهم من القُمامصة ، ومن وصل في البحر للتجارة أو الزيارة ،
وساروا الى دمشق في ألفي فارس ، ومن الرجال ما لا يحصى .

وجمع طفركين من العرب والتركمان ثمانية آلاف فارس ،
وجاء الافرنج آخر السنة ونزلوا دمشق وبثوا سراياهم للاغارة
بالنواحي وجمع الميرة ، وسمع تاج الملك بسرية في خوران فبعث
شمس الخواص من أمرائه ، ولقوا سرية الافرنج ، وظفروا بهم
وغنموا ما معهم وجاؤا الى دمشق . وبلغ الخبر الى الافرنج
فأجفلوا عن دمشق بعد أن أحرقوا ما تعذر عليهم حمله وتبعهم
المسلمون يقتلون ويأسرون . ثم أن اسمند صاحب انطاكية سار
الى حصن القدموس وملكه ، والله تعالى يؤيد من يشاء .

هزيمة صاحب طرابلس

ثم اجتمع سنة سبع وعشرين جمع كبير من تركمان الجزيرة ،
وأغاروا على بلاد طرابلس وقتلوا وغنموا فخرج اليهم القمص

صاحبها فاستطردوا له . ثم كرّوا عليه فهزموه ونالوا منه . ونجّوا
الى قلعة بقوين^(١) فتحصّن بها ، وحاصره التركمان فيها فخرج من
القلعة ليلاً في عشرين من أعيان اصحابه ، ونجا الى طرابلس ،
واستصرخ الافرنج من كل ناحية . وسار بهم الى بقوين لمداقعة
التركمان فقاتلهم حتى أشرف الافرنج على الهزيمة . ثم تحيزوا الى
ارمنية ، وتمذروا على التركمان اتباعهم فرجموا عنهم انتهى .

فتح صاحب دمشق بانياس

كان بوري بن طفركين صاحب دمشق لما توفي سنة ست
وعشرين وخمسة ، وولي مكانه ابنه شمس الملوك اسمعيل فاستضعفه
الافرنج ، وتعرضوا لنقض الهدنة . ودخل بعض تجار المسلمين الى
سروبي فأخذوا أموالهم . وراسلهم شمس الملوك في ردّها عليهم
فلم يفعلوا فتجهز وسار الى بانياس في صفر سنة سبع وعشرين
فنازلها وشدّد حصارها . ونقب المسلمون سورها وملكوها عنوة
واستلحموا^(٢) الافرنج بها . واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا
بعد يومين . وكان الافرنج قد جمعوا لمداقعة شمس الملوك فجاءهم
خبر فتحها فاقصروا .

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٢٤١ : ومضى هو ومن سلم معه إلى
قلعة بعين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركمان .
(٢) استلحم الرجل : نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً .

استيلاء شمس الملوك على الشقيف

ثم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق الى شقيف بيروت وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا ، وكان بيد الضحّاك بن جندل رئيس وادي التيم وهو ممتنع به . وقد تحاماه المسلمون والافرنج وهو يحمي من كل منها بالآخر ، فسار اليه شمس الملوك وملكه في المحرم سنة ثمان وعشرين . وعظم ذلك على الافرنج ، وخافوا شمس الملوك فساروا الى بلد حوران وعاثوا في جهاتها . ونهض شمس الملوك ببعض عساكره ، وجرم الباقي قبالة الافرنج ، وقصد طبرية والناصرّة وعكا فاكسح نواحيها . وجاء الخبر الى الافرنج فأجفلوا الى بلادهم ، وعظم عليهم خرابها وراسلوا شمس الملوك في تجديد الهدنة فجدها لهم انتهى والله أعلم .

استيلاء الافرنج على جزيرة جربة من افريقية

كانت جزيرة جربة من أعمال افريقية ما بين طرابلس وقابس ، وكان أهلها من قبائل البربر قد استبدّوا بجزيرتهم عندما دخل العرب الهلاليون افريقية ، ومزقوا ملك صنهاجة بها . وقارن ذلك استفحال ملك الافرنج برومة وما اليها من البلاد الشمالية . وتطاولوا الى ملك بلاد المسلمين فسار ملكهم بردويل فيمن معه من زعمانهم وأقاصهم الى الشام فلجّوا مدنه وحصونه كما ذكرناه

آفقا. وكان من ملوكهم القمص رجار بن نيفر بن خميرة، وكان كرسيه مدينة ميلكوا مقابل جزيرة صقلية. ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بني أبي الحسين الكلبي منها سما رجار هذا الى ملكها وأغراه المتغلبون بها على بعض نواحيها فأجاز اليها عساكره في الاسطول في سبيل التضريب بينهم.

ثم ملكها من أيديهم معقلًا معقلًا الى أن كان آخرها فتخاطر ابنه ومارزعة من يد عبد الله بن الجواس أحد الثوار بها فللكها من يده صالحًا سنة أربع وستين وأربعمائة، وانقطعت كلمة الاسلام بها. ثم مات رجار سنة أربع وتسعين فولي ابنه رجار مكانه، وطالت أيامه واستفحل ملكه، وذلك عندما هبت ريح الافرنج بالشام، وجاسوا خلالها، وصاروا يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين. وكان رجار بن رجار يتعاهد سواحل افريقية بالفزو فبعث سنة ثلاث وخمسين اسطول صقلية الى جزيرة جربة، وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فاحاطوا بها واشتد القتال. ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون، وأقرهم الافرنج في جزيرتهم على جزية، وملكوا عليهم أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

فتح صاحب دمشق بعض حصون الإفرنج

ثم بعث شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق عساكره مع

الامير خرواش سنة احدى وثلاثين الى طرابلس الشام، ومعه جمع كثير من التركمان والمتطوعة، وسار اليه القمى صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأثخنوا في حصاره، وأجبره بطرابلس وعائوا في أعماله وفتحوا حصن وادي ابن الأحمر من حصونه عشرة، واستباحوه واستلحموا من ثمة من الأفرنج. ثم سار الأفرنج سنة خمس وثلاثين الى عسقلان^(١) وأغلروا في نواحيها، وخرج اليهم عسكر مصر الذين بها فزموه الأفرنج، وظفروا بهم وعادوا منهزمين، وكفى الله شرهم بئس وكرمه.

استيلاء الأفرنج على طرابلس الغرب

كان أهل طرابلس الغرب لما انحل نظام الدولة الصنهاجية بأفريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدوا بأنفسهم، وكان بالمهديّة آخر الملوك من بني باديس، وهو الحسن بن علي بن يحيى بن قيم ابن المعز فاستبد لهذه في طرابلس أبو يحيى بن مطروح، ورفضوا دعوة الحسن وقومه. وذلك عندما تكالب الأفرنج على الجهات قطع رجار في ملكها. وبمك أسطولها في البحر فقتلوا آخر سنة

(١) عسقلان: ورد في معجم البلدان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام. وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير. ولم تزل عامرة إلى أن استولى عليها الأفرنج.

سبع وثلاثين وخمسمائة فتقبوا سورها . واستنجد أهلها بالعرب
فأنجدوهم وخرجوا الى الافرنج فهزموهم ، وغنموا أسلحتهم
ودوابهم . ورجع الافرنج الى صقلية فتجهزوا الى المغرب ، وطرقوا
جيجيل من سواحل بجاية . وهرب أهلها الى الجبل ودخلوها فتهبوا
وخربوا القصر الذي بناه بها يحيى بن العزيز بن حماد ويسمى الفضة ،
ورجعوا الى بلادهم . ثم بعث رجار اسطوله الى طرابلس سنة
احدى وأربعين فارسى عليها ونزل المقاتلة وأحاطوا بها براً وبحراً
وقاتلوا ثلاثاً . وكان أهل البلد قد أختلفوا قبل وصول الافرنج
وأخرجوا بني مطروح ، وولوا عليهم رجلاً من أمراء لمتونة قام
حاجاً في قومه فولوه أمرهم فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج ،
اجتمعت شيعة بني مطروح وأدخلوهم البلد . ووقع بينهم القتال
فلما شعر الافرنج بأمرهم بادروا الى الاسوار فنصبوا عليها السلام ،
وتسمنوها وفتحوا البلد عنوة ، وأفحشوا في القتل والسي والنهب
وفجأ كثير من أهلها الى البرير والعرب في نواحيها . ثم رفعوا
السيف ونادوا بالامان فتراجع المسلمون الى البلد ، وأقروهم على
الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها ،
وولوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ، ونادوا في
صقلية بالمسير الى طرابلس فساد اليها الناس وحسنت عمارتها .

استيلاء الافرنج على المهديّة

كانت قابس عندما اختل نظام الدولة الصنهاجية واستبد بها
 (١) ابن كامل بن جامع من قبائل رياح ، احدى بطون
 هلال الذين بعثهم الجرجاني وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس
 وقومه فأضرعوا الدولة ، وأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها .
 واستبد آخرون من أهل البلاد بمواضعهم فكانت قابس هذه في
 قسمة بني دهمان هؤلاء . وكان لهذا العهد رشيد أميراً بها كما ذكرنا
 ذلك في أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البربر . وتوفي رشيد
 سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، ونصب مولاة يوسف ابنه الصغير
 محمد بن رشيد ، وأخرج ابنه الكبير معمرأ ، واستبد على محمد
 وتعرض لحرمه سرأ . وكان فيهن امرأة رشيد ، وساروا الى
 التمحض ، بصاحب المهديّة يشكون فعله .

وكتبه الحسن في ذلك فلم يجبه ، وتهذده بإدخال الافرنج الى
 قابس فجهز اليه العساكر . وبعث يوسف الى رجار صاحب طرابلس
 بطاعته ، وأن يوليّه على قابس كما ولي ابن مطروح على طرابلس .
 وشعر أهل البلد بمداخلته للافرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا
 به معهم ، وتحصن يوسف بالقصر فلكوه عنوة ، وأخذ يوسف

(١) كذا بياض بالأصل ولم نعثر على اسمه في المراجع التي بين أيدينا .

أسيراً وملك معمر قابس مكان أخيه محمد. وامتنح يوسف بأنواع العذاب الى أن هلك، وأخذ بنو قرّة أختهم، ولحق عيسى أخو يوسف وولد يوسف برجار صاحب صقلية واستجاروا به، وكان الغلاء. قد اشتدّ بإفريقية سنة سبع وثلاثين.

ولحق أكثر أهلها بصقلية، وأكل بعضهم بعضاً، وكثر الموتان فاعتنم رجاء الفرصة ونقض الصلح الذي كان بينه وبين الحسن بن علي صاحب المهديّة^(١) لسنين. وجّه أسطوله مائتين وخمسين من الشواني وشحنها بالمقاتلة والسلاح، ومقدم الأسطول جرجي بن ميخايل أصله من المنصورة، وقد ذكرنا خبره في أخبار صنهاجة والموحدين فقصد قوصرة، وصادف بها مركباً من المهديّة فغنمه ووجد عندهم حمام البطاقة فبعث الخبر الى المهديّة على أجنحتها بأن أسطول الإفرنج اقلع الى القسطنطينية. ثم اقلع فأصبح قريباً من المرسى في ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين، وقد بعث الله الريح فعاقتهم عن دخول المرسى ففاته غرضه.

وكتب الى الحسن بأنه باق على الصلح، وانما جاء طالباً بشأ محمد بن رشيد، وردّه الى بلده قابس فجمع الحسن الناس، واستشارهم فأشاروا بالقتال فخام عنه واعتذر بقلّة الاقوات وارتحل

(١) المهديّة: مدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي، وبينها وبين القيروان مرحلتان، القيروان في جنوبيها - م. ب.

من البلد ، وقد حمل ما خف حمله ، وخرج الناس بأهاليهم وما خف من امواهم ، واختفى كثير من المسلمين في الكنائس . ثم ساعد الريح اسطول الافرنج ووصلوا الى المرسى وزلوا الى البلد من غير مدافع . ودخل جرجي القصر فوجده على حاله مملوءاً بالذخائر النفيسة التي يعزّ وجود مثلها . وبعث بالامان الى كل من شرد من اهلها فرجعوا وأقرهم على الجزية . وسار الحسن باهله وولده الى المُعلّقة وبها محرز بن زياد من أمراء الهلاليين ، ولقيه في طريقه حسن بن ثعلب من أمراء الهلاليين بمال انكسر له في ديوانه فأخذ ابنه يحيى رهينة به .

ولما وصل محرز بن زياد أكرم لقائه وبرّ مقدمه ، جزاء بما كان يؤثّر على العرب ، ويرفع محله وأقام عنده شهراً . ثم عزم على المسير الى مصر ، وبها يومئذ الخافض فأرصد له جرجي الشواني في البحر فرجع عن ذلك ، واعتزم على قصد عبد المؤمن من ملوك الموحدين بالمغرب ، وفي طريقه يحيى بن عبد العزيز ببجاية من بني عمه حماد فأرسل اليه أبناءه يحيى وقيماً وعلياً يستأذنه في الوصول فاذن له . وبعث اليه من أوصله الى جزائر بني مُدغنة ، ووكل به وبولده حتى ملك عبد المؤمن بجاية سنة أربع وأربعين ، وخبرهم مشروح هنالك .

ثم جهّز جرجي اسطولا آخر الى صفاقس ، وجاء العرب لانجادهم

فلما توافوا للقتال استطرد لهم الافرنج غير بعيد فهزموهم . ومضى العرب عنهم ، وملك الافرنج المدينة عنوةً ثالث عشر صفر ، وفتكوا فيها . ثم أمنوهم وفادوا أسراهم وأقروهم على الجزية ، وكذا أهل سوسة^(١) . وكتب رجار صاحب صقلية الى أهل سواحل افريقية بالامان والمواعيد . ثم سار جرجي الى اقلبية من سواحل تونس ، واجتمع اليها العرب فقاتلوا الافرنج وهزموهم ورجعوا خائبين الى المهديّة . وحدثت الفتنة بين رجار صاحب صقلية ، وبين ملك الروم بالقسطنطينية فشغل رجار بها عن افريقية . وكان متولي كبرها جرجي بن ميخائيل صاحب المهديّة . ثم مات سنة ست وأربعين فسكنت تلك الفتنة ، ولم يقم لرجار بعده أحد مقامه ، والله تعالى أعلم^(٢) .

(١) سوسة بلد بالمغرب ، وهي مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الخنطة يضرب إلى الصفرة - م . ب .

(٢) تلاحظ ولا شك عدم انسجام في سرد الحوادث . لذلك نقلنا ما كتبه ابن الأثير عن هذه الحادثة بالنص الكامل ليتمكن القارئ أن يتوصل إلى الحقائق التاريخية بعد المقارنة . عن كتاب الكامل ج ٩ ص ١٨ :
(ذكر ملك الإفرنج مدينة المهديّة بإفريقية) قد ذكرنا سنة إحدى وأربعين وخمسة مائة مسير أهل يوسف صاحب قابس إلى رجار ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك ، وكان بينه وبين الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية صلح وعهود إلى مدة سنتين ، وعلم أنه فاتته فتح البلاد في هذه الشدة التي أصابتهم ، وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة =

استيلاء الإفرنج على بونة ووفاة رجار صلاب صقلية وملك ابنه غيلالم

ثم سار اسطول رجار من صقلية سنة ثمان وأربعين الى مدينة بونة ، وقائد الاسطول بها وقتات المهدوي فحاصرها ، واستعان

= سبع وثلاثين إلى هذه السنة . وكان أسد ذلك منه سنة اثنتين وأربعين : فإن الناس فارقوا البلاد والقرى ، ودخل أكثرهم إلى مدينة صقلية وأكل الناس بعضهم بعضاً وكثر الموت في الناس فاغتنم رجار هذه السنة فعمر الأسطول وأكثر منه فبلغ نحو مائتين شينياً مملوءة رجالاً وسلاحاً وقوتاً . وسار الأسطول عن صقلية ووصل إلى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية فصعدوا بها مركباً ووصل من المهدية فأخذ أهله ، وأحضروا بين يدي جرجي مقدم الأسطول فسألهم عن حال إفريقية . ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل أرسلوا منها فحلفوا بالله أنهم لم يرسلوا شيئاً فأمر الرجل الذي كان الحمام صحبته أن يكتب بخطه أننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الأسطول المخدول فذكروا أنه أفلح إلى جزائر القسطنطينية . وأطلق الحمام فوصل إلى المهدية فسر الأمير الحسن والناس ، وأراد جرجي بذلك أن يصل بغتة . ثم سار وقدر وصولهم إلى المهدية وقت السحر ليحيط بها قبل أن يخرج أهلها فلو تم له ذلك لم يسلم منهم أحد فقدر الله تعالى أن أرسل عليهم ريحاً هائلاً فلم يقدرُوا على السير إلا بالمقاذيف ، فطلع النهار ثاني صفر في هذه السنة قبل وصولهم فرآهم الناس . فلما رأى جرجي ذلك وأن الخديعة فاتته أرسل إلى الأمير الحسن يقول إنما جئت بهذا الأسطول طالباً بشأ محمد بن رشيد صاحب قابس ورده إليها . أما أنت فبيننا وبينك عهد وميثاق إلى مدة ونريد منك عسكرياً يكون معنا فجمع الحسن الناس من الفقهاء والأعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فإن بلدنا حصين فقال : أخاف أن ينزل إلى البر ويحصرنا براً وبحراً ويحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهراً فنؤخذ قهراً . =

عليها بالعرب فملكها واستباحها ، وأغضى عن جماعة من أهل العلم والدين فخرجوا بأموالهم وأهاليهم إلى القرى . وأقام بها عشراً

= وأنا أرى سلامة المسلمين من الأسر والقتل خيراً من الملك وقد طلب مني عسكرياً إلى قابس فإن فعلت فما يحل لي معونة الكفار على المسلمين ، وإن امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس يريد إلا أن يشبطننا حتى يحول بيننا وبين البر ، وليس لنا بقتاله طاقة والرأي أن نخرج بالأهل والولد وننزل عن البلد ، فمن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا . وأمر في الحال بالرحيل وأخذ معه من حضره وما خف حمله وخرج الناس على وجوههم بأهليهم وأولادهم وما خف من أموالهم وأثاثهم ، ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي الكنائس وبقي الأسطول في البحر تمنعه الرياح من الوصول إلى المهديّة إلى ثلثي النهار فلم يبق في البلد عن عزم على الخروج أحد فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع . ودخل جرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ الحسن منه إلا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياها ، ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة وكل شيء غريب يقل وجود مثله فختم عليه وجمع سرايري الحسن من قصره .

وكان عدة من ملك منهم من زيري بن مناد إلى الحسن تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمانين سنة من إحدى وستين وثلاثمائة إلى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وكان بعض القواد قد أرسله الحسن إلى رجار برسالة فأخذ لنفسه وأهله منه أماناً فلم يخرج معهم . ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ونودي بالأمان خرج من كان مستخفياً وأصبح جرجي من الغد فأرسل إلى من قرب من العرب فدخلوا إليه فأحسن إليهم وأعطاهم أموالاً جزيلة ، وأرسل من جند المهديّة الذين تخلّفوا بها جماعة ومعهم أمان لأهل المهديّة الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الأطفال والنساء ، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع ، ولهم بالمهديّة خبايا وودائع . فلما =

ورجع الى المهديّة ، ثم الى صقلية فنكر عليه رجار رفقته بالمسلمين في بونة وجبسه . ثم اتهم في دينه فاجتمع الاساقفة والقسوس

=وصل إليهم الأمان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتى رجع أكثر أهل البلد . وأما الحسن فإنه سار بأهله وأولاده وكانوا اثني عشر ولداً ذكراً غير الإناث وخواص خدمه قاصداً إلى محرز بن زياد وهو بالمعلقة فلقيه في طريقه أمير من العرب يسمى حسن بن ثعلب ، فطلب منه مالا انكسر له في ديوانه فلم يمكن الحسن إخراج مال لئلا يؤخذ فسلم إليه ولده يحيى رهينة ، وسار فوصل في اليوم الثاني إلى محرز ، وكان الحسن قد فضله على جميع العرب وأحسن إليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقاءً جميلاً وتوجع لما حل به فأقام عنده شهوراً ، والحسن كاره للإقامة فأراد المسير إلى ديار مصر إلى الخليفة الحافظ العلوي ، واشترى مركباً لسفره فسمع جرجي الفرنجي فجهز شواني ليأخذه فعاد عن ذلك ، وعزم على المسير إلى عبد المؤمن بالمغرب فأرسل كبار أولاد يحيى وتيمياً وعلياً إلى يحيى بن عبد العزيز وهو من بني حماد وهما أولاد عم يستأذنه في الوصول إليه وتجديد العهد به والمسير من عنده إلى عبد المؤمن فأذن له يحيى فسار إليه ، فلما وصل لم يجتمع به يحيى وسيره إلى جزيرة بني مزغان هو وأولاده ووكل به من يمنعه من التصرف فبقوا كذلك إلى أن ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع وأربعين فحضر عنده ، وقد ذكرنا حاله هناك .

ولما استقر جرجي بالمهديّة سير أسطولاً بعد أسبوع إلى مدينة سفاقس وسير أسطولاً آخر إلى مدينة سوسة ، فأما سوسة فإن أهلها لما سمعوا خبر المهديّة وكان واليها علي بن الحسن الأمير فخرج إلى أبيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال ثاني عشر صفر . أما سفاقس فإن أهلها أتاها كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج إليهم أهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى أبعادوا عن البلد ، ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم إلى البلد وقوم إلى البرية وقتل منهم جماعة ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتل كثيرة ، وأسر من بقي من الرجال وسبى الحريم وذلك في الثالث والعشرين من صفر . ثم نودي بالأمان فعاد =

وأحرقوه. ومات رجار آخر هذه السنة لعشرين سنة من ملكه وولي ابنه غليالم مكانه. وكان حسن السيرة واستوزر مائق البرقياني فاساء التدبير، واختلفت عليه حصون من صقلية وبلاد قِلْوَرِيَّة^(١)، وتعدّى الامراء على افريقية على ما سيأتي ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم^(٢)

= أهلها إليها وافتكوا حرمهم وأولادهم ورفق بهم وبأهل سوسة والمهدية. وبعد ذلك وصلت كتب من رجار لجميع أهل إفريقية بالأمان والمواعيد الحسنة. ولما استقرت أحوال البلاد سار جرجي في أسطول إلى قلعة إقليسية وهي قلعة حصينة فلما وصل إليها سمعته العرب فاجتمعوا إليها، ونزل إليهم الفرنج فاقتتلوا فانهمز الفرنج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين إلى المهدية، وصار للفرنج من طرابلس الغرب إلى قريب تونس ومن المغرب إلى دون القيروان والله أعلم.

(١) قِلْوَرِيَّة: جزيرة في شرقي صقلية وأهلها افرنج، ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة. م. ب.

(٢) ذكرت هذه الحادثة هنا مقتضبة، وفي الكامل ج ٩ ص ٤٧: (ذكر عصيان الجزائر وإفريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم) قد ذكرنا سنة ثمان وأربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وأنه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية، فلما كان هذه السنة قوي طمع الناس فيه فخرج من طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه. وخالف عليه أهل إفريقية فأول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفريابي بمدينة سفاكس. وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها أباه أبا الحسين وكان من العلماء الصالحين فأظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدي فاستعمله وأخذ أباه رهينة إلى صقلية. فلما أراد المسير إليها قال لولده عمر إنني كبير السن وقد قارب أجلي فمضى =

استيلاء الافرنج على عسقلان

كانت عسقلان في طاعة الظافر العلوي ومن جملة ممالكه ، وكان الافرنج يتعاهدونها بالحصار مرة بعد مرة . وكان الوزراء يمدونها بالاموال والرجال والاسلحة . وكان لهم التحكم في الدولة

فأمكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في أنني أقتل وأحسب أني قدمت فلما وجد هذه الفرصة دعا أهل المدينة إلى الخلاف وقال: يطلع جماعة منكم إلى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له: إن سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو أمرني بهذا، وإذا قتل بالشيخ ألوف من الأعداء فما مات، فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك أول سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ثم أتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن إلى بونة فملكها وخرج جميع إفريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهديّة وسوسة. وأرسل عمر بن أبي الحسين إلى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهديّة نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى، ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد إلى زويلة فأعانوا أهلها على من بالمهديّة من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهديّة. فلما اتصل الخبر بغليال ملك صقلية أحضر أبا الحسين وعرفه ما عمل ابنه فأمره أن يكتب إليه ينهيه عن ذلك ويأمره بالعود إلى طاعته ويخوفه عاقبة فعله، فقال: من قدم على هذا يرجع بكتاب فأرسل ملك صقلية إليه رسولاً يتهده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك، فلما كان الغد خرج أهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا، وأرسل عمر إلى الرسول يقول له هذا أبي قد دفتته وقد جلست للعزاء به فاصنعوا به ما أردتم فعاد الرسول إلى غليال فأخبره بما صنع عمر بن أبي الحسين فأخذ أباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات. وأما أهل زويلة فإنهم كثر جمعهم بالعرب وأهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهديّة وضيقوا=

على الخلفاء العلوية فلما قتل ابن السلار سنة ثمان وأربعين اضطرب الحال بمصر ، حتى ولي عباس الوزارة فسار الإفرنج خلال ذلك من بلادهم بالشام وحاصروا عسقلان وامتنعت عليهم . ثم اختلف أهل البلد وآل أمرهم الى القتال فاغتنم الإفرنج الفرصة ، وملكوا البلد وعاثوا فيها ، والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده ^(١)

ثورة المسلمين بسواحل إفريقية على الإفرنج المتغلبين فيها

قد تقدم لنا وفاة رجار وملك ابنه غليالم ، وانه ساء تدبير وزيره فاختلف عليه الناس وبلغ ذلك المسلمين الذين تغلبوا عليهم

= عليها وكانت الأقوات بالمهدية قليلة فسير إليهم صاحب صقلية عشرين شينياً فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وأرسلوا إلى العرب وبذلوا لهم مالاً لينهزموا، وخرجوا من الغد فاقتتلوا هم وأهل زويلة فانهزمت العرب وبقي أهل زويلة وأهل سفاكس وركبوا في البحر فخرجوا . وبقي أهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا إلى زويلة فوجدوا أبوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل أكثرهم ولم ينج إلا القليل فتفرقوا . ومضى بعضهم إلى عبد المؤمن ، فلما قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من أموالهم ، ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال واستقر الفرنج بالمهدية إلى أن أخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) كذلك ذكرت هذه الحادثة هنا مقتضبة ، وفي الكامل ج ٩ ص ٤٢ : (ذكر ملك الفرنج مدينة عسقلان) في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان ، وكانت من جملة مملكة الظاهر بالله العلوي المصري ، وكان الفرنج كل سنة يقصدونها =

بافريقية . وكان رجار قد ولى على المسلمين بمدينة صفاقس لما تغلب عليها أبو الحسن الغرياني منهم ، وكان من أهل العلم والدين . ثم عجز عن ذلك ، وطلب ولاية ابنه عمر فولاه رجار ، وحمل أبا الحسين إلى صقلية رهينة ، وأوصى ابنه عمر وقال : يا بني أنا كبير السن ، وقد قرب أجلي فتى امكنتك الفرصة في انقاذ المسلمين من ملكة العدو فافعل ، ولا تخشى عليّ واحسبني قد متّ . فلما اختلّ أمر غليالم دعا عمر أهل صفاقس إلى الثورة بالافرنج فثاروا بهم ، وقتلوهم سنة احدى وخمسين ، واتبعه أبو يحيى بن مطروح

= ويحضرونها فلا يجدون إلى ملكها سبيلاً . وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد ، والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته . وكان الوزراء كل سنة يرسلون إليها من الذخائر والأسلحة والأموال والرجال من يقوم بحفظها . فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الأهواء في مصر وولي عباس الوزارة ، وإلى أن استقرت قاعدة اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر أهلها وقتلوهم قتالاً شديداً ، حتى أنهم بعض الأيام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج إلى خيامهم مقهورين . وتبعهم أهل البلد إليها فيأس حينئذ الفرنج من ملكه فبينما هم على عزم الرحيل إذ قد أتاهم الخبر أن البلد قد وقع بين أهله خلاف ، وقتل منهم قتلى فصبروا . وكان سبب هذا الاختلاف أنهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادعى كل طائفة منهم أن النصر من جهتهم كانت وأنهم هم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم إلى أن قتل من إحدى الطائفتين قتيل ، واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ، ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا إليه وقتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه .

بطرابلس ، ومحمد بن رشيد بقابس . وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فلكها ، وذهب حكم الافرنج عن افريقية ما عدا المهدية وسوسه .

وارسل عمر الفرياني الى زُوَيْلَة^(١) قريباً من المهدية يغريهم بالوثوب على الافرنج الذين معهم فوثبوا ، وأعانهم أهل ضاحيتهم ، وقاتلوا الافرنج بالمهدية ، وقطعوا الميرة عنهم . وبلغ الخبر الى غليالم فبعث الى عمر الفرياني بصفاقس ، وأعذر اليه في أبيه فأظهر للرسول جنازة ودفنها وقال : هذا قد دفنته فلما رجع الرسول بذلك صلب أبا الحسين ، ومات شهيداً رحمه الله تعالى . وسار أهل صفاقس والعرب الى زويلة واجتمعوا مع أهلها على حصار المهدية وأمدتهم غليالم بالاقوات والاسلحة ، وصانعوا العرب بالمأل على أن يخذلوا أصحابهم . ثم خرجوا للقتال فانهزم العرب وركب أهل صفاقس البحر الى بلدهم أيضاً واتبهم الافرنج فعاجلوهم عن زويلة وقتلوهم . ثم اقتحموا البلد فقتلوا خلفهم بها واستباحوهم .

ارتجاع عبد المؤمن المهدية من يد الإفرنج

ولما وقع بأهل زويلة من الافرنج ما وقع لحقوا بعبد المؤمن

(١) زويلة : ورد في معجم البلدان : بهذا الاسم بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية في البرين بلاد السودان وإفريقية ، والأخرى زويلة المهدية وهي مدينة بإفريقية بناها المهدي عبيد الله ، وهي المذكورة هنا .

ملك المغرب يستصرخونه فأجاب صريخهم. ووعدهم ، وأقاموا في نزلهم وكرامته وتجهز للمسير ، وتقدم الى ولايته وعماله بتحصيل الغلات وحفر الآبار. ثم سار في صفر سنة أربع وخمسين في مائة ألف مقاتل ، وفي مقدمته الحسن بن علي صاحب المهديّة ، ونازل تونس منتصف السنة وبها صاحبها أحمد بن خراسان من بقية دولة صنهاجة. وجاء اسطول عبد المؤمن فحاصرها من البحر. ثم نزل اليه من سورها عشرة رجال من أعيانها في السلام مستأمنين لاهل البلد ولانفسهم فأمنهم على مقاسمتهم في اموالهم ، وعلى أن يخرج اليه ابن خراسان فتم ذلك كله. وسار عنها الى المهديّة وأسطوله محاذيه في البحر فوصلها منتصف رجب من السنة ، وبها أولاد الملوك والزعماء من الافرنج وقد أدخلوا زويلة وهي على غلوة من المهديّة فحاصرها عبد المؤمن لوقتها. وامتلاً فضاء المهديّة بالعساكر وحاصرها اياماً وضاق موضع القتال من البر لاستدارة البحر عليها لانها صورة يد في البحر وذراعها في البر ، وأحاط الاسطول بها في البحر.

وركب عبد المؤمن البحر في الشواني^(١) ومعه الحسن بن علي فرأى حصانتها في البحر ، وأخذ في المطاولة ، وجمع الاقوات حتى كانت في ساحة معسكره كالتلال. وبعث اليه اهل صفاقس

(١) الشواني: الشونة المركب المعد للجهاد في البحر شوان.

وطرابلس وجبال نفوسة بطاعتهم . وبعث عسكرياً الى قابس فلحقها
عنوة وبعث ابنه عبد الله ففتح كثيراً من البلاد . ثم وفد عليه
يحيى بن تميم بن المقر بن الرند صاحب قفصة^(١) في جماعة من أعيانها
فبذل طاعته ، ووصله عبد المؤمن بألف دينار .

ولما كان آخر شعبان وصل اسطول صقلية في مائة وخمسين
من الشواني غير الطرائد كان في جزيرة يابسة فاستباحها ، وبعث
اليه صاحب صقلية بقصد المهدية . فلما اشرفوا على المرسى قذفت
اليهم اساطيل عبد المؤمن ، ووقف عسكريه على جانب البر
وعبد المؤمن ساجد يعفر وجهه بالتراب ويجار بالدعاء فانهمزم
اسطول الافرنج ، وأقلعوا الى بلادهم وعاد اسطول المسلمين
ظافراً . وايس أهل المهدية من الانجاد ، ثم صابروا الى آخر السنة
حتى جدهم الحصار . ثم استأمنوا الى عبد المؤمن فعرض عليهم
الاسلام فأبوا ، ولم يزالوا يخضعون له بالقول حتى أمنهم وأعطاهم
السفن فركبوا فيها . وكان فصل شتاء . فال عليهم البحر وغرقوا
ولم يفلت منهم الا الاقل .

ودخل عبد المؤمن المهدية في محرم سنة خمس وخمسين لاثنتي
عشرة سنة من ملك الافرنج ، وأقام بها عشرين يوماً فأصلح امورها

(١) قفصة : اسم عجمي ، وهو اسم بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية
المغرب ، مختطة في أرض سبخة لا تنبت إلا الأشنان والشيخ . م . ب .

وشحنها بالحامية والاقوات ، واستعمل عليها بعض أصحابه ،
وأزل معه الحسن بن علي وأقطعه بأرضها له ولأولاده ، وأمر
الوالي ان يقتدي برأيه ، ورجع الى المغرب ، والله تعالى اعلم .

حصار الافرنج أسد الدين شيركوه في بلبيس

كان أسد الدين شيركوه بن شادي عم صلاح الدين قد بعثه
نور الدين العادل سنة تسع وخمسة ، منجداً لشاور وزير العاضد
صاحب مصر على قريعة الضرغام كما سيأتي في أخبارهم ان شاء
الله تعالى . وسار نور الدين من دمشق في عساكره الى بلاد
الافرنج ليشغلهم عن أسد الدين شيركوه ، وخرج ناصر الدين أخو
الضرغام في عساكر مصر فهزمه أسد الدين على تنيس ^(١) واتبعه
الى القاهرة ، ونزلها منتصف السنة . وأعاد شاور الى الوزارة
ونقض ما بينه وبين أسد الدين ، وتأخر الى تنيس . وخشي منه
ودس الى الافرنج يغريهم به ، وبذل لهم المال فطمعوا بذلك في
ملك الديار المصرية . وسار ملك القدس في عساكر الافرنج ،
 واجتمعت معه عساكر المسلمين . وساروا الى أسد الدين فحاصروه
في بلبيس ثلاثة ، ولم يطفروا منه بشي . ثم جاءهم الخبر بأن نور
الدين العادل هزم أصحابهم على خارد وفتحها .

(١) تَنِيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط،
والفرما في شرقها. م. ب.

ثم سار الى بانياس فسقط في أيديهم وطلبوا الصلح من أسد الدين ليعودوا الى بلادهم لذلك ، وخرج من بلبس^(١) سائراً الى الشام . ثم عاد الى مصر سنة اثنتين وستين وعبر النيل من اطفح ونزل الجزيرة . واستمد شاور الافرنج فساروا اليه يجمعوهم . وكان أسد الدين قد سار الى الصعيد ، وانتهى الى^(٢) فسار الافرنج والعساكر المصرية في أثره فأدركوه منتصف السنة ، واستشار اصحابه فاتفقوا على القتال ، وأدركته عساكر الافرنج ومصر ، وهو على تعبته ، وقد أقام مقامه في القلب راشد حذراً من حملة الافرنج . وانحاز فيمن يثق به من شجعان أصحابه الى الميمنة فحمل الافرنج على القلب فهزموهم واتبعوهم .

وخالفهم اسد الدين الي من تركوا وراءهم من العساكر فهزموهم وأثنى فيهم ، ورجع الافرنج من اثناء القلب فانهزموا ، وانهزم أصحابهم ، ولحقوا بمصر . ولحق أسد الدين بالاسكندرية فلحقها صلحاً ، وأنزل بها صلاح الدين ابن اخيه ، وحاصرت عساكر الافرنج ومصر وزحف اليهم عنه أسد الدين من الصعيد فبعثوا اليه في

(١) بلبس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام .

م . ب .

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٩٥ : وكان أسد الدين وعساكره قد ساروا إلى الصعيد ، فبلغ مكاناً يعرف بالباين .

الصلح فأجابهم على خمسين ألف دينار يعطونها اياه ، ولا يقيم في البلد أحد من الافرنج ، ولا يملكون منها شيئاً فقبلوا ذلك وعادوا الى الشام . وملك أهل مصر الاسكندرية ، واستقر بينهم وبين الافرنج أن ينزلوا بالقاهرة شحنة ، وأن يكون أبوابها في غلقها وفتحها بأيديهم . وان لهم من خراج مصر مائة ألف دينار في كل سنة ، ولم ^(١) ذلك منه ، وعاد الافرنج الى بلادهم بالسواحل الشامية والله تعالى أعلم ^(٢) .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : هذا كله استقر مع شاور ، فإن العاضد لم يكن له معه حكم ، لأنه قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها .
(٢) كذا بالأصل عبارات غير مرتبطة مع بعضها البعض . وقد وردت هذه الحادثة في الكامل ج ٩ ص ٨٤ بعنوان :
(ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين إلى ديار مصر وعودهم عنها) في هذه السنة في جمادى الأولى سير نور الدين محمود بن زنكي عسكرياً كثيراً إلى مصر وجعل عليهم الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذي وهو مقدم عسكريه وأكبر أمراء دولته وأشجعهم . وسنذكر سنة أربع وستين سبب اتصاله بنور الدين وعلو شأنه عنده إن شاء الله تعالى . وكان سبب إرسال هذا الجيش أن شاور وزير العاضد لدين الله العلوي صاحب مصر نازعه في الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه إلى الشام ملتجئاً إلى نور الدين ومستجيراً به فأكرم مثواه وأحسن إليه وأنعم عليه . وكان وصوله في ربيع الأول من السنة ، وطلبه منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر ، ويكون شيركوه مقيماً بعساكره في مصر ويتصرف هو بأمر نور الدين ، يقدم إلى هذا الغرض رجلاً ويؤخر أخرى ، فتارة يحمله رعاية قصد شاور بابه وطلب الزيادة في الملك والتقوى =

حصار الإفرنج القاهرة

ثم كان مسير أسد الدين إلى مصر وقتله شاور سنة أربع وستين باستدعاء العاضد، لما رأى من تغلب الإفرنج كما نذكر

على الفرنج، وتارة يمنعه خطر الطريق وأن الإفرنج فيه. وتخوف أن شاور إن استقرت قاعدته ربما لا يفي. ثم قوي عزمه على إرسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وإزاحة عللها وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي بمخافة فتجهز وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم في جمادى الأول من سنة تسع وخمسين، وتقدم نور الدين إلى شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه وينتقم له ممن نازعه فيه. وسار نور الدين إلى طرف بلاد الفرنج مما يلي دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرض لأسد الدين ومن معه فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين. ووصل أسد الدين والعساكر معه إلى مدينة بلبس فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم، وعاد إلى القاهرة ووصل أسد الدين فنزل على القاهرة وأواخر جمادى الآخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين. ثم حمل ودفن في القرافة وقتل أخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهل رجب وأعيد إلى الوزارة وتمكن منها، وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة، فغدر به شاور، وعاد عما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولأسد الدين أيضاً، وأرسل إليه يأمره بالعود إلى الشام فأعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور إليه. فلما رأى ذلك أرسل إلى نوابه فتسلموا مدينة بلبس وحكم على البلاد الشرقية فأرسل شاور إلى الإفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين، إن ملك مصر وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن تم ملكه لها فلما أرسل شاور يطلب منهم أن يساعده على إخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا إلى تلبية دعوته ونصرته، وطمعوا في تلك

في أخبار أسد الدين . وأرسل الى الافرنج أصحابهم الذين بالقاهرة يستدعونهم للمكها ويهونونها عليهم . ومَلِكُ الافرنج يومئذ بالشام مرى ، ولم يكن ظهر فيهم مثله شجاعة ورأياً فأشار بأن جبايتها

=الديار المصرية . وكان قد بذل لهم مالاً على المسير إليه وتجهزوا وساروا . فلما بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره إلى أطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم أن الخطر في مقامهم إذا ملك أسد الدين مصر أشد فتركوا في بلادهم من يحفظها ، وسار ملك القدس في الباقيين إلى مصر .

وكان قد وصل إلى الساحل جمع كثير من الفرنج في البحر لزيارة بيت المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فأعانوهم فسار بعضهم معهم ، وأقام بعضهم في البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بلبس فأقام بها هو وعسكره ، وجعلها له ظهراً يتحصن به فاجتمعت العساكر المصرية والفرنج ونازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبس وحصره بها ثلاثة أشهر وهو ممتنع بها مع أن سورها قصير جداً وليس لها خندق ولا فصل يحميها . وهو يغادهم القتال ويروحهم فلم يبلغوا منه غرضاً ولا نالوا منه شيئاً . فبينما هم كذلك إذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على خارم وملك نور الدين خارم ومسيره إلى بانياس على ما نذكره إن شاء الله تعالى . فحينئذ سقط في أيديهم وأرادوا العودة إلى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين في الصلح والعود إلى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها إلى المصريين ، فأجابهم إلى ذلك لأنه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولأن الأقوات والذخائر قلت عليه . وخرج من بلبس في ذي الحجة فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبس قال : أخرج أصحابه بين يديه وبقي في آخرهم وبيده لت من حديد يحمي ساقاتهم والمسلمون والفرنج ينظرون إليه . قال : فأتاه فرنجي من الغرباء الذين خرجوا من البحر فقال له : أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج وقد أحاطوا بك وبأصحابك ولا يبقى لكم بقية . فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله ، كنت والله أضع السيف فلا يقتل منا رجل =

لناخير من ملكها. وقد يضطرون فيملكون نور الدين منها، وان ملكها قبلنا احتاج الى مصانعتنا^(١) فأبوا عليه وقالوا: انما نزداد بها قوة فرجع الى رأيهم. وساروا جميعاً الى مصر، وانتهوا الى تنيس في صفر سنة اربع وستين فلكوها عنوة واستباحوها.

ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها وأمر شاور باحراق مصر وانتقال أهلها الى القاهرة، فنهبت المدينة، ونهب أموال أهلها وبغتهم قبل نزول الافرنج عليهم بيوم فلم تحمد النار مدة شهرين. وبعث العاضد بالصريخ الى نور الدين واشتد عليه الحصار. وبعث شاور

=حتى يقتل منهم رجال، وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفني، شجعانهم فنملك بلادهم ونهلك من بقي. والله لو أطاعني هؤلاء لخرجت إليكم من أول يوم ولكنهم امتنعوا فصلب على وجهه وقال: كنا نعجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرناهم. ثم رجع عنه وسار شريكوه إلى الشام فوصل سالمًا وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق في الطريق رصدًا ليأخذوه أو ينالوا منه ظفرًا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق فقيه يقول عمارة: أخذتم عن الافرنج كل ثنية وقلت لا يدي الخيل مري على (مري) لئن نصبوا في البر جسراً فلأنكم عبرتم ببحر من حديد على الجسر ولفظة مري في آخر البيت الأول اسم ملك الفرنج.

(١) صانعه: داهنه، داراه، رشاه. ومنه المثل: من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة.

الى ملك الافرنج يشير بالصلح على ألف ألف دينار مصرية ،
ويهدده بعساكر نور الدين فأجابوا الى ذلك .

ودفع اليهم مائة ألف دينار وتأخروا قليلاً حتى يصل اليهم
بقية المال ، وعجز عن تحصيله ، والافرنج يستحثونه فبعثوا خلال
ذلك الى نور الدين يستجدونه على الافرنج بأن يرسل اليهم أسد
الدين شيركوه في عسكر يقيمون عندهم ، على أن لنور الدين
ثلاث بلاد مصر ، ولاسد الدين اقطاعه وعطاء العساكر فاستدعى
أسد الدين من حمص ، وكانت اقطاعه . وأمره بالتجهز الى مصر
وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الدواب والاسلحة ، وحكمه في
العساكر والحزائن وما يحتاج اليه .

وسار في ستة آلاف ، وأزاح علل جنده ، وأعانهم أسد الدين
بعشرين ديناراً لكل فارس . وبعث معه جماعة من الامراء : منهم
خرديك مولاه وعز الدين قليج ، وشرف الدين بن بخش وعين الدولة
الباروقي وقطب الدين نبال بن حسن ، وصلاح الدين يوسف ابن
أخيه أيوب . وسار الى مصر فلما قاربها ارتحل الافرنج راجعين
الى بلادهم ، ودخل هو اليها منتصف السنة ، وخلع عليه^(١) العاضد
وأجرى عليه وعلى عسكره الجرايات الوافرة .

(١) خلع عليه ثوباً : ألبسه إياه منحة .

ثم شرع شاور في مماطلة أسد الدين بما وقع اتفاقهم معه عليه ،
 وحدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمداغة الإفرنج ،
 ولم يتم له ذلك . وشعر به أسد الدين فاعترضه صلاح الدين ابن
 أخيه ، وعز الدين خرديك مولاه عند قبر الامام الشافعي رضي
 الله عنه وقتلاه ، وفوض العاضد أمور دولته الى أسد الدين ،
 وتقاصر الإفرنج عنها . ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين
 بعد ذلك على البلاد ، وارتجع البلاد الاسلامية من يد الإفرنج
 كما نذكر في أخبار دولته والله أعلم .^(١)

(١) ذكرت هذه الحادثة في الكامل ج ٩ ص ٩٩ بعنوان :

(ذكر ملك أسد الدين مصر وقتل شاور) في هذه السنة في ربيع الأول سار
 أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النورية وسبب
 ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج من البلاد المصرية وأنهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة
 وتسلموا أبوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم وأعيان فرسانهم ، وحكموا
 على المسلمين حكماً جائراً وركبهم بالأذى العظيم . فلما رأوا ذلك وإن البلاد ليس
 فيها من يردهم أرسلوا إلى ملك الفرنج بالشام وهو مري ولم يكن للفرنج مد ظهر
 بالشام مثله شجاعة ومكراً ودهاء يستدعونه ليملكها ، وأعلموه خلوها من موانع
 وهونوا أمرها عليه فلم يجيبهم فاجتمع إليه فرسان الفرنج وذو الرأي منهم فأشاروا
 عليه بقصدها وتملكها فقال لهم : الرأي عندي أننا لا نصدها ولا طمعة لنا فيها
 وأموالها تساق إليها نتقوى بها على نور الدين ، وإن نحن قصدناها لنملكها فإن
 صاحبها وعساكره وعمامة بلاده وفلاحها لا يسلمونها إلينا ويقاثلوننا دونها ويحملهم
 الخوف منا على تسليمها إلى نور الدين . ولئن صار له فيها مثل أسد الدين فهو هلاك
 الفرنج وإجلاؤهم من أرض الشام فلم يقبلوا قوله ، وقالوا له : إنها لا مانع فيها ولا
 حامي وإلى أن يتجهز عسكر نور الدين ويسير إليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا =

حصار الفرنج ديباط

ولما ملك اسد الدين شيركوه مصر خشيته الافرنج على ما
بايديهم من مدن الشام وسواحله ، وكاتبوا اهل ملتهم ونسبهم

= من أمرها ، وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا
يتجهزون ويظهرون أنهم يريدون قصد مدينة حمص .
فلما سمع نور الدين شرع أيضاً يجمع عساكره وأمرهم بالقدم عليه . وجدَّ
الفرنج في السير إلى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبس وملكوها قهراً مستهل صفر
ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج
ووعدهم النصرة عداوة منهم لشاور بن الخياط وابن فرجلة ، فقوي جنان الفرنج
وساروا من بلبس إلى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس
منهم أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبس ، فحملهم الخوف منهم على الامتناع
فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه . فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة
في بلبس ملكوا مصر والقاهرة ، ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك أي ما فعلوا
﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ وأمر شاور بإحراق مدينة مصر تاسع صفر وأمر
أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة ؛ وأن ينهب البلد فانتقلوا ويقوا على الطرق ونهبت
المدينة وافترق أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفاً أن
يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً وأرسل الخليفة العاضد إلى نور
الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وأرسل في الكتب شعور
النساء وقال : هذه شعور نسائي من قصري يستغن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع
في تسيير الجيوش .

وأما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو
المتولي للأمر والعساكر القتال فضاق به الأمر وضعف عن ردهم فأخلد إلى أعمال =

بصقلية وافرنة يستجدونهم على مصر ليملكوها ، وبعثوا الاقسة
والرهبان من بيت المقدس يستنفرونهم لحمايتها وواعدوهم بدمياط
طمعاً في ان يملكوها ويتخذوها ركاباً للاستيلاء على مصر فاجتمعوا عليها،

=الحيلة فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودة ومحبة له قديماً، وإن هواه معه لخوفه من
نور الدين والعاخذ، وإغما المسلمون لا يوافقونه على التسليم إليه ويشير بالصلح
وأخذ مالا لثلا يتسلم البلاد نور الدين فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف
دينار مصرية يعجل البعض ويمهل البعض فاستقرت القاعدة على ذلك. ورأى
الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليه وربما سلمت إلى نور الدين فأجابوا كارهين وقالوا
نأخذ المال فتتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ﴿ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين﴾ فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسأهم الرحيل عنه ليجمع لهم
المال فرحلوا قريبا، وجعل شاور يجمع لهم المال من أهل القاهرة ومصر فلم يتحصل
له إلا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار. وسببه أن أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم
وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدررون على الأقوات فضلاً عن الأقساط. أما أهل
القاهرة فالأغلب على أهلها الجند وغلماهم فلهذا تعذرت عليهم الأموال وهم في
خلال هذا يرأسلون نور الدين بما الناس فيه، وبذلوا له ثلث بلاد مصر وأن يكون
أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر وأقطاعهم من البلاد المصرية أيضاً خارجاً عن
الثلث الذي هم.

وكان نور الدين لما وصله كتب العاخذ بحلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه
إليه فخرج القاصد في طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حصص وكانت
أقطاعه. وكان سبب وصوله أن كتب المصريين وصلته أيضاً في المعنى فصار أيضاً إلى
نور الدين واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره في الحال وسره ذلك وتفاءل به
وأمر بالتجهيز إلى مصر وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والأسلحة
وغير ذلك، وحكمه في العسكر والخزائن، واختار من العسكر ألفي فارس وأخذ
المال وجمع ستة آلاف فارس، وسار هو ونور الدين إلى باب دمشق فوصلها سلخ =

وحاصروها لاول أيام صلاح الدين وأمدتهم صلاح الدين بالمساكر والاموال . وجاء بنفسه، وبعث الى نور الدين يستجده ويخوفه على

=صفر ورحل إلى رأس الماء وأعطى نور الدين كل فارس ممن مع أسد الدين عشرين ديناراً معونة غير محسوبة من جامكيته . وأضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء منهم مملوكه عز الدين جرديك وعرس الدين قليج شرف الدين برغش وعين الدولة الباروقي وقطب الدين ينال بن حسان المنجي وصلاح الدين يوسف بن أيوب أخي شيركوه على كره منه ﴿وعسى أن تكه هوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه وسيرد ذلك عند موت شيركوه إن شاء الله تعالى . وسار أسد الدين شيركوه من رأس الماء مجداً منتصف ربيع الأول فلما قارب مصر رحل الفرنج إلى بلادهم بخفي حنين خائبين مما أملوا . وسمع نور الدين بعودهم فسرهم ذلك وأمر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الأفاق مبشرين بذلك فإنه كان فتحاً جديداً لمصر وحفظاً لبلاد الشام وغيرها . فأما أسد الدين فإنه وصل إلى القاهرة سابع جمادى الآخرة ودخل إليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه، وعاد إلى خيامه بالخلفة العاضدية، وفرح به أهل مصر وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والإنعامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه، وشرع يماطل أسد الدين في تقرير ما بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وإفراد ثلث البلاد لنور الدين، وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمينه ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ ثم أنه عزم على أن يعمل دعوة يدعو إليها أسد الدين والأمراء الذين معه ويقبض عليهم يستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال له : والله لئن عزمتم على هذا الأمر لأعرفن شيركوه فقال له أبوه : والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعاً . فقال صدقت ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك =

مصر فتابع إليه الامداد ، وسار بنفسه الى بلاد الافرنج بالشام .
واكتسحها وخربها فماد الفرنج الى دمياط بعد حصار خمسين يوماً

=ويين عود الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه، وحيث لو مشى العاضد إلى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه . ولما رأى العسكر النوري مطلق شاور خافوا شره فاتفق صلاح الدين يوسف بن أيوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم أسد الدين فسكنوا وهم على ذلك العزم من قتله، فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته فلم يجده في الحياض كان قد مضى يزور قبر الشافعي رضي الله تعالى عنه فلقية صلاح الدين يوسف وجرديك في جمع من العسكر، وخدموه وجعلموه بأن شيركوه في زيارة قبر الإمام الشافعي فقال: نمضي إليه فساروا جميعاً، فسايره صلاح الدين وجرديك وألقوه إلى الأرض عن فرسه فهرب أصحابه عنه فأخذ أسيراً فلم يكتفهم قتله بغير أمر أسد الدين، فتوكلوا بحفظه وسيروا أعلموا أسد الدين فحضر ولم يكتفه إلا إتمام ما عملوه. وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فأرسل إلى أسد الدين يطلب منه رأس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل، وأرسل رأسه إلى العاضد في السابع عشر من ربيع الآخرة، ودخل أسد الدين القاهرة فرأى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم أمير المؤمنين يعني العاضد يأمركم بنهب دار شاور، فتفرق الناس عنه إليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه الوزارة ولقب الملك المنصور أمير الجيوش، وسار بالخلع إلى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الأمر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا منازع . واستعمل على الأعمال من يثق إليه من أصحابه وأقطع البلاد لعساكره . أما الكامل بن شاور فإنه لما قتل أبوه دخل القصر هو وأخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم فكان شيركوه يتأسف عليه كيف عدم لأنه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل شيركوه، وكان يقول: دودت أنه بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة .

نفس الله عليهم^(١) ومن هذه القصة بقية أخبار الافرنج متعلقة بالدولتين : دولة بني زنكي بالشام ودولة بني ايوب بمصر فأخبرت بقية اخبارهم الى ان نسردها في الدولتين على مواقعها في مواضعها حسبما تراه . ولم يبق إلا استيلاؤهم على القسطنطينية من يد الروم فأوردناه ههنا .

استيلاء الافرنج على القسطنطينية

كان هؤلاء الافرنج بعد ما ملكوه من بلاد الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم بالقسطنطينية ، لاستيلائهم على الثغور من بلاد المسلمين التي تجاور الروم التي كانت بأيديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات ثم غلبوا عليهم آخرأ . وملكوا القسطنطينية من أيديهم فأقامت في أيديهم مدة . ثم ارتجمها الروم على يد لشكري من بطارقتهم .

وكيفية الخبر عن ذلك ان ملوك الروم أصهروا الى ملوك الافرنج وتزوجوا منهم بنتاً لملك الروم فولدت ذكراً خاله الافرنجيس ، وثب عليه أخوه فانتزع الملك من يده وجبسه ، ولحق الولد بملك الافرنج خاله مستصرخاً به فوصل اليه ، وقد تجهز الافرنج لاستنقاذ

(١) يقال : نفس فلاناً : أي أمهله أو أزال كربه وغمه .

القدس من يد المسلمين . وكان صلاح الدين قد ارتجمها منهم كما يأتي في أخباره ان شاء الله تعالى .

وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دوقس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيه ، وكان شيخاً أعمى لا يركب ولا يمشي الا بقائد . ومقدم الفرنسيس ويسمى المركيش ، والثالث يسمى كبد اقليد (١) وهو أكثرهم عدداً فجعل الملك ابن أخته معهم ، وأوصاهم بمظاهرة على ملكه بالقسطنطينية ، ووصلوا اليها في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسة ، فخرج عم الصبي وقتلهم . واضرم شيعة الصبي النار في نواحي البلاد فاضطرب العسكر ورجعوا ، وفتح شيعة الصبي باب المدينة ، وأدخلوا الإفرنج . وخرج عمه هارباً ونصب الإفرنج الصبي في الملك ، وأطلقوا أباه من السجن واستبدوا بالحكم وصادروا الناس وأخذوا مال البيع ، وما على الصليبان من الذهب ، وما على قنايل المسيح والحواريين ، وما على الإنجيل فمظم ذلك على الروم ووثبوا

(١) كذا بالأصل ، وهنا أساء إفرنجية محرفة كما هي كذلك محرفة في كتب التاريخ القديمة . وفي الكامل ج . ص ٢٦٤ : وكانوا ثلاثة ملوك : دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية ، وفي مراكبه ركبوا إلى القسطنطينية ، وهو شيخ أعمى إذا ركب تقاد فرسه . والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الإفرنسيس . والآخر يقال له كندأفلند وهو أكثرهم عدداً .

بالصبي فقتلوه ، وأخرجوا الافرنج من البلد ، وذلك منتصف سنة
ستائة .

وأقام الافرنج بظاهرها محاصرين لهم . وبعث الروم صريحاً الى
صاحب قونية ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان ، ينهض لذلك
وكان بالمدينة متخفون من الافرنج يناهزون ثلاثين ألفاً فثاروا
بالبلد عند شغل الروم بقتال أصحابهم ، وأضرموا النار ثانياً فاقتحم
الافرنج وأفحشوا في النهب والقتل . ونجا كثير من الروم الى
الكنائس وأعظمها كنيسة سوميا فلم تغن عنهم . وخرج القسيسون
والاساقفة في ايديهم الانجيل والصلبان فقتلوه . ثم تنازع الملوك
الثلاثة على الملك بها ، وتقارعوا فخرجت القرعة على كبد اقليد
فلكها على أن يكون لدوقس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش
ورودس وغيرها . ويكون لمركيش الافرنسيين شرقي الخليج ، ولم
يحصل أحد منهم شيئاً الا ملك القسطنطينية كبد اقليد وتغلب
على شرقي الخليج بطريق من بطارقة الروم . اسمه لشكري فلم يزل
بيده الى ان مات . ثم غاب بعد ذلك على القسطنطينية وملكها
من يد الافرنج ، والله غالب على امره ^(١) .

(١) وهنا أيضاً عدم انسجام في العبارات وتحريف في الأسماء . وعن الكامل

ج ٩ ص ٢٦٣ :

(ذكر ملك القسطنطينية من الروم) في هذه السنة في شعبان ملك الفرنج
مدينة القسطنطينية من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك أن ملك الروم = :

الخبر عن دولة بني ارتق وملكهم لماردين
وحيار بكر وسباص، أمورههم وتحاريف أحوالهم

كان أرتق بن اكسك ويقال اكست ، والاول اصح. كلمة
أولها همزة ثم كافان الاولى ساكنة بينها سين ، من ممالك السلطان
ملك شاه بن البارسلان ملك السلجوقية ، وله مقام محمود في دولتهم

= بها تزوج أخت ملك إفرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولداً ذكراً ثم
= وثب على الملك أخ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولده
ومضى إلى خاله مستنصراً به على عمه فاتفق ذلك ، وقد اجتمع كثير من الفرنج
ليخرجوا إلى بلاد الشام ، لاستنقاذ البيت المقدس فأخذوا ولد الملك معهم وجعلوا
طريقهم على القسطنطينية قصداً لإصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في
سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محارباً لهم فوقع القتال بينهم في
ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج
معهم فهرب ملك الروم إلى أطراف البلاد ، وقيل إن ملك الروم لم يقاتل الفرنج
بظاهر البلد وإنما حصروه فيها وكان بالقسطنطينية من الروم من يريد الصبي فألقوا
النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا باباً من أبواب المدينة فدخلها الفرنج
وخرج ملكها هارباً وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شيء
وأخرجوا أباه من السجن وإنما الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على أهله
وطلبوا منهم أموالاً عجزوا عنها وأخذوا أموال البيع وما فيها من ذهب ونقرة وغير
ذلك حتى ما على الصليان وهو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على
الأنجيل من ذلك أيضاً فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطباً عظيماً فعمدوا إلى
ذلك الصبي الملك فقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد وأغلقوا الأبواب واستحضروا
الملك وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ست مائة فأقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم =

وكان على حلوان وما إليها من اعمال العراق . ولما بعث السلطان
ملك شاه عساكره الى حصار الموصل مع فخر الدولة بن جبير

=وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلاً ونهاراً وكان الروم قد ضعفوا ضعفاً كثيراً فأرسلوا إلى
السلطان ركن الدين سليمان بن قليج إرسالاً صاحب قونية وغيرها من البلاد
يستنجذونه فلم يجد إلى ذلك سبيلاً وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون
ثلاثين ألفاً ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد
ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الأبواب فدخلوها
ووضعوا السيف ثلاثة أيام وفتكوا بالروم قتلاً ونهباً فأصبح الروم كلهم ما بين قتيل
أو فقير لا يملك شيئاً ودخل جماعة من أعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى
سوفيا فجاء الفرنج إليها فخرج إليهم جماعة من القسيسين والأساقفة والرهبان
بأيديهم الإنجيل والصلب يتوسلون بها إلى الإفرنج ليقبوا عليهم فلم يلتفتوا إليهم
وقتلوهم أجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك ودقس البنادقة وهو صاحب
المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا إلى القسطنطينية وهو شيخ أعمى إذا ركب تقاد
فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الإفرنسيس والآخر يقال له كندأفلند وهو
أكثرهم عدداً، فلما استولى على القسطنطينية اقترحوا على الملك فخرجت القرعة على
كندأفلند فأعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء
وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة عليه ملكوه عليها وعلى ما يجاوزها وتكون
لدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرها ويكون
لمركيس الافرنسيس البلاد التي هي شرق الخليج مثل أزيق ولاذيق فلم يحصل لأحد
منهم شيء غير الذي أخذ القسطنطينية وأما الباقي فلم يسلم من به من الروم، وأما
البلاد التي كانت للملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين
سليمان بن قليج إرسالاً ومن حملتها أزيق ولاذيق فإنها تغلب عليها بطريق الروم
اسمه لشكري وهي بيده إلى أن توفي.

سنة سبع وسبعين وأربعمائة أردفه بمسكر آخر مع ارتق فهزمه مسلم بن قريش فحاصره بآمد. ثم داخله في الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه، ونجا الى الرقة. ثم خشي ارتق من فعلته تلك فلحق بتثش حتى سار الى حلب طامعاً في ملكها فلقبه تثش وهزمه. وكان لارتق في تلك الواقعة المقام المحمود. ثم سار تثش الى حلب وملكها، واستجار مقدمها ابن الحسين بارتق فأجاره من السلطان تثش. ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين بالقدس، وملكه من بعد ارتق ابنه أبو الغازي وسقمان. وكان لها معه الرها^(١) وسروج^(٢). ولما ملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمعت الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر^(٣) وحاصروها. وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود. ثم تخاذلوا وافترقوا وطمع أهل مصر

(١) الرها: ورد في معجم البلدان: الرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرها بن البلندي بن مالك بن دعر.

(٢) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مصر، غلب عياض بن غنم على أرضها، فتحها صلحا على مثل صلح الرها في سنة ١٧ في أيام عمر، رضي الله عنه.

(٣) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة. ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين.

في ارتجاع القدس منهم . وسار اليها الملك الافضل المستولي على دولتهم فحاصرها أربعين يوماً وملكها بالامان . وخرج سقمان وأبو الغازي ابنا ارتق وابن أخيها ياقوتي وابن عمها سونج ، وأحسن اليهم الافضل وولّى على بيت المقدس ورجع الى مصر . وجاء الافرنج فملكوها كما تقدم في أخبار الدولة السلجوقية . ولحق ابو الغازي بالعراق فولى شحنة بغداد . وسار سقمان الى الرها فأقام بها وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل قتل وحروب أسر في بعضها ياقوتي ابن أخيه .

ثم توفي كربوقا سنة خمسة وتسعين وولي الموصل بعده موسى التركماني وكان نائباً بحصن كيفا^(١) فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل واستنجد موسى سقمان على ان يعطيه حصن كيفا فانجده وسار اليه رافرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه غدراً ، ورجع سقمان الى حصن كيفا فلكه ثم كانت الفتنة بين أبي الغازي وكستكين القيصري لما بعثه بركيارق شحنة علي بغداد وكان هو شحنة من قبل السلطان محمد فنزع القيصري من الدخول واستنجد

(١) حصن كيفا: ويقال كُيّا، وأظنها أرمنية، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر.

أخاه سقمان فجاء اليه من حصن كيفا في عساكره ونهب تكريت^(١) وخرج اليها أبو الغازي ، واجتمع معهم صدقة بن يزيد صاحب الحلة، وعاثوا في نواحي بغداد وفتكوا بنفر من أهل البلد . وبعث اليهم الخليفة في الصلح على ان يسير القيصري الى واسط^(٢) فسار اليه ودخل أبو الغازي بغداد ، ورجع سقمان الى بلده ، وقد مرّ ذلك في اخبارهم . ثم استولى مالك بن بهرام أخي سقمان على عاتمة الحرمية سنة سبع وتسعين ، وكان له مدينة سروج فلحقها منه الافرنج ، وسار الى غانة فلحقها من بني يعيش بن عيسى ابن خلاط . واستصرخوا بصدقة بن يزيد ، وارتيجها لهم منه، وعاد الى الحلة فعاد مالك فلحقها واستقرت في ملكه . ثم اجتمع سقمان وجكرمش صاحب الموصل على جهاد الافرنج سنة سبع وتسعين ، وهم محاصرون حران^(٣) فتركوا المنافسة بينهم وقصدوهم وسقمان

(١) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راقبة على دجلة، وهي غربي دجلة.

(٢) واسط: ورد في معجم البلدان: واسط في عدة مواضع نبدأ أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها. سميت واسطاً لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، لأن منها إلى كل واحدة منها خمسين فرسخاً. وهذه المذكورة هنا هي واسط الحجاج لأنه هو الذي عمرها.

(٣) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من بناها فعربت فقليل حرّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان.

في سبعة آلاف من التركمان فهزموا الافرنج، وأسروا القمص
بردويل صاحب الرها، أسره أصحاب سقمان فتغلب عليهم أصحاب
جكرمش وأخذوه، وافترقوا بسبب ذلك وعدوا الى ما كان
بينهم من الفتن، والله أعلم.

استيلاء سقيمان بن ارتق على مارجين

كان هذا الحصن ماردین^(١) من ديار بكر، وأقطعه السلطان
بركيارق بجميع أعماله لِنَعْنِ كان هنده، وكان في ولاية الموصل،
وكان ينجر إليه خلق كثير من الأكراد يفسدون السابلة. واتفق
ان كربوقا صاحب الموصل سار لحصار آمد^(٢)، وهي لبعض التركمان،
فاستنجد صاحبها بسقمان فسار لاجماده، وقاتل كربوقا قتالاً شديداً.
ثم هزمه وأسر ابن أخيه ياقوتي بن ارتق وحبسه بقلعة ماردین عند

(١) ماردین: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا
ونصيبين، وذلك الفضاء الواسع، وقدّامها رِض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات؛
ومدارس وربط وخان قاهات. ودورهم فيها كالدرج.
ومما لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا
أحكم.

م. ب.

(٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً. بلد قديم حصين
ركين مبني بالحجارة السود على نشز دجلة محيطة بأكثره، مستديرة به كالهلال، وفي
وسطه عيون وآبار.

المغني فبقي محبوساً مدة طويلة ، وكثر ضرر الاكراد فبعث ياقوتي الى المغني صاحب الحصن في أن يطلقه ، ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل ، وصار يغير عليهم في سائر النواحي الى خلاط . وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة معه فلا يهجم .

ثم حدثته نفسه بالتوئب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام مرجسه من الاغارة ، ودنا من القلعة . وعرضهم على القتل ان لم يفتحوا له ففتحها أهلوه وملكها . وجع الجوع وسار الى نصيبين ^(١) ، وأغار على جزيرة ابن عمر ، وهي لجكرمش فكبسه جكرمش وأصحابه في الحرب بينهم فقتله ، وبكاه جكرمش . وكان تحت ياقوتي ابنة عمه سقمان فضت الى أبيها وجمعت التركمان . وجاء سقمان بهم الى نصيبين فترك طلب الثار فبعث اليه جكرمش ما أرضاه من المال في دينه ، ورجع وقدم بماردین بعد ياقوتي أخوه علي بطاعة جكرمش ، وخرج منها لبعض المذاهب . وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه يملك ماردین لجكرمش فسار اليها سقمان ، وعوض عليا ابن أخته جبل جور ، وأقامت ماردین في ملكه مع حصن كيفا واستضاف اليها نصيبين ، والله أعلم .

(١) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام ، وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان . م . ب .

وفاته سقمان بن أرتق وولايته أخيه أبي الغازي مكانه بما ردين

ثم بعث فخر الدين بن عمار صاحب طرابلس يستنجد سقمان ابن ارتق على الافرنج، وكان استبد بها على الخلفاء العلويين أهل مصر، ونازله الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصريخ الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين. وأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طفركين صاحب دمشق المستبد بها من موالي بني تش، يستدعيه لحضور وفاته، خوفاً على دمشق من الافرنج فأسرع المسير اليه معتزماً على قصد طرابلس وبعدها دمشق فأنتهى الى القريتين^(١)، وندم طفركين على استدعائه، وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه. ومات هو بالقدس فكفاهم الله أمره، وقد كان أصحابه عندما أشفى على الموت أشاروا عليه بالرجوع الى كيفا فامتنع وقال: هذا جهاد، وان مت كان لي ثواب شهيد. فلما مات حمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه به.

وكان أبو الغازي بن ارتق شحنة بغداد كما قدمناه ولاء السلطان محمد أيام الفتنة بينه وبين أخيه بركيارق. فلما اصطاح بركيارق

(١) القريتين: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سُحنة وأرك. وقال أبو جديفة في فتوح الشام: وسار خالد بن الوليد من تدمر إلى القريتين، وهي التي تدعى حُوارين. م. ب.

وأخوه سنة تسع وتسعين على أن تكون بغداد له ، وممالك أخرى من الممالك الإسلامية ومن جملتها حلوان ، وهي أقطاع أبي الغازي فبادر وخطب لبركيارق ببغداد ، ففكر عليه ذلك صدقة بن مزيد وكان من شيعة السلطان محمد فجاء الى بغداد ليزعج (١) أبا الغازي عنها ففارقها الى يعقوب ، وبعث الى صدقة يعتذر بأنه صار في ولاية بركيارق ، ويحكم الصلح في اقطاعه وولايته فلم يمكنه غير ذلك .

ومات بركيارق على اثر ذلك فخطب ، أبو الغازي لابنه ملك شاه ففكر ذلك السلطان محمد منه ، فلما استولى على الاسر عزله عن شحنة بغداد فلقق بالشام ، وحمل رضوان بن تتش صاحب حلب على حصار نصيبين من بلاد جكرمش فحاصروها . وبعث جكرمش الى رضوان وأغراه بأبي الغازي ففسد ما بينهما ، ورحلوا مفترقين على نصيبين . وسار أبو الغازي الى ماردين ، وقد مات أخوه سقمان كما قلناه فاستولى عليها والله تعالى أعلم .

(١) زعجه وأزعجه : أقلعه وقلعه من مكانه ، طرده . أزعجه إلى المعصية :

ساقه إليها .

تعلیق علی بعض الأخبار المهمة

[ان ابن خلدون قد توسع جداً في أخبار المغرب والبربر لانه مغربي ، واما اخبار المشرق فانه اقتضب في بعضها، لذلك رأينا ان نلحق هنا بعض اخبار الحروب الصليبية واخبار الفاتح صلاح الدين الايوبي وهي عن تاريخ ابن الاثير الذي نقلنا عنه كثيراً أثناء التحقيق : عن الكامل ج ٩ ص ٢١٣ :]

ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر الى عكا

وفي هذه السنة وصلت أمداد الفرنج في البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان أول من وصل منهم الملك فليب ملك افرنسيس وهو من أشرف ملوكهم نسباً وإن كان ملكه ليس بالكثير. وكان وصوله اليها ثاني عشر ربيع الاول ولم يكن في الكثرة التي ظنوها وإنما كان معه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوس من على عكا منهم ولحوا في قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين يشفرهم فكان يركب كل يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد. وأرسل الى الامير أسامة مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحيتها بالمقاتلة وتسييرها في البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكا ففعل ذلك وسير الشواني في البحر فصادفت خمسة مراكب مملوءة

رجالاً من أصحاب ملك إنكلترا الفرنج وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرس ليملكها فاقتتلت شواني المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم وأخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وكتب أيضاً صلاح الدين إلى من بالقرب من النواب له يأمرهم بمثل ذلك ففعلوا وأما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الأولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من شفرعم وزل عليهم لئلا يتعب العسكر كل يوم في الهجم اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتالهم فيخف القتال عن البلد. ثم وصل ملك إنكلترا ثالث عشر جمادى الأولى وكان قد استولى في طريقه على جزيرة قبرس وأخذها من الروم فانه لما وصل إليها غدر بصاحبها وملكها جميعاً فكان ذلك زيادة في ملكه وقوة للفرنج. فلما فرغ منها سار عنها إلى من على عكا من الفرنج فوصل اليهم في خمس وعشرين قطعة كباراً مملوءة رجالاً وأموالاً فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرراً وجلداً وصبراً وبلي المسلمون منه بالدهاية التي لا مثل لها. ولما وردت الأخبار بوصوله أمر صلاح الدين بتجهيز بسطة كبيرة مملوءة من الرجال والعدد والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت. وفيها سبعمائة مقاتل :

فلقبها ملك إنكلترا مصادفة : فقاتلها وصبر من فيها على قتالها فلما أيسوا من الخلاص ونزل مقدم من بها الى أسفلها وهو يعقوب الحلبي مقدم الجندارية يعرف بسلام ابن شقتين فخرقها خرقاً واسعاً لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر ففرق جميع ما فيها وكانت عكا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثم إن الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج ان ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلا كبيراً من التراب مستطيلاً وما زالوا يقربونه الى البلد ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف علوه فكانوا يستطلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها . فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع .

ذكر ملك الفرنج عكا

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان اول وهن دخل على من بالبلد ان الامير سيف الدين علي بن أحمد المكاربي المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج الى ملك افرنسيس وبذل تسليم البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين

الذين فيه ويمكنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علي بن أحمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا وأهمتهم أنفسهم . ثم إن أمراء ممن كان بعكا لما رأوا ما فعلوا بالمشطوب والفرنجة لم يجيبوا الى التسليم ، اتخذوا الليل جملاً وركبوا في شيء صغير وخرجوا سراً من أصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم : عز الدين أرسل الاسدى وابن عز الدين جاوي وسنقر الوشاقى ومعهم غيرهم فلما أصبح الناس ورأوا ذلك ازدادوا وهنا الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وأيقنوا بالعطب . ثم إن الفرنجة أرسلوا الى صلاح الدين في معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك والشرط بينهم أن يطلق من أسراهم بعدد من في البلد ليطلقوا هم من بعكا وأن يسلم اليهم صليب الصليوت فلم يقنعوا بما بدل فأرسل الى من بعكا من المسلمين يأمرهم أن يخرجوا من عكا يداً واحدة ويتركوا البلد بما فيه ، ووعدهم أنه يتقدم الى تلك الجهة التي يخرجون منها بعساكره ويقاقل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من أشغالهم حتى أسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره . فلما عجز الناس من حفظ البلد زحف اليهم الفرنج بجدهم وحديدهم فظهروا من البلد على سوره يحركون أعلاهم ليراها المسلمون وكانت هي العلامة اذا اخترمهم أمر . فلما رأى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء والمويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلباً

منهم أن الفرنج يشتغلون عن الدين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في أولهم. وكان الفرنج قد خفوا عن خنادقهم ومالوا الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى المشطوب أن صلاح الدين لا يقدر على ففع ولا يدفع عنهم ضراً خرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه بأموالهم وأنفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتي ألف دينار وخمسمائة أسير من المعروفين، وإعادة صليب الصلبوت وأربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب صور فأجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه، وأن يكون مدة تحصيل المال والاسرى الى شهرين. فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه مسلماً فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وجسوسهم. وأظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم، وراسلوا صلاح الدين في إرسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع في جمع المال وكان هو الامان له إنما يخرج ما يحصل إليه من دخل البلاد أولاً بأول. فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف دينار جمع الامراء واستشارهم فأشاروا بأن لا يرسل شيئاً حتى يعاود يستحلفهم على إطلاق أصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانهم أهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقال الداوية: لا نخلف ولا نضمن لاننا نخاف غدر

من عندنا. وقال ملوكم: إذا سلتم إلينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا، فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الفدر فلم يرسل إليهم شيئاً وأعاد الرسالة إليهم وقال: نحن نسلم إليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيك رهنا بالباقي وتطلقون أصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف. وإنما نرسل المائة ألف دينار التي حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من أصحابكم من زيد ونترك من يزيد حتى يجيء باقي المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وإنما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والأكراد ومن لا يؤبه له ويمسكون عندهم الأمراء وأرباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبههم السلطان الى ذلك، فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا إلى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون إليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقعهم وإذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الأمراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم وأصحابهم، ومن لا مال له. فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف في المال الذي كان جمعه وسير الاسرى والصليب إلى دمشق .

ذكر رحيل الفرنج إلى ناحية عسقلان وتخريبها

لما فرغ الفرنج لنعمهم الله من اصلاح أمر عكا برزوا منها في

الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهل شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى في عسكره بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين اياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجعان الامراء فضايقوا الفرنج في مسيرهم ، وارسلوا عليهم من السهام ما كان يحجب الشمس ووقعوا على ساقه الفرنج فقتلوا منها جماعة واسروا جماعة. وارسل الافضل الى والده يستمده ويعرفه الحال ، فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بأنهم ماركبوا باهبة الحرب وانما كانوا على عزم المسير لا غير . فبطل المدد وعاد ملك الانكشار الى ساقه الفرنج ، فحماها وجمعهم وساروا حتى اتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون قرية بالقرب منهم ، واحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم واسر ذلك اليوم وعوض ما هلك من الخيل . ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتحفظون منهم من قدروا عليه فيقتلونهم لان صلاح الدين كان قد اقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتلهم بمن قتلوا ممن كان بعكا فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فثالوا منهم نيلاً كثيراً . ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريباً منهم فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فوقع بهم المسلمون الذين كانوا في اليزك فقتلوا منهم واسروا منهم . ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم

يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق . فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوي احد على احد . وكان كثير من الخيالة والسوقة قد الفوا القيام وقت الحرب قريباً من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة لتبعتهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون . لكن كان بالقرب من المسلمين شعري كثيرة الشجر فدخلوها وظنوها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم ، وقتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله فلما نزل المسلمون واعنة خيلهم بأيديهم ثم سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فلكوها ولما كان من المسلمين بأرسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له : قد رأيت ما منا بالامس ، واذا جاء الفرنج الى عسقلان ، ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لا شك يقاتلوننا لتزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ، ويعظم الامر علينا

لان العدو وقد قوي بأخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى ذلك . وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والا فادخلها منا احد لئلا يصيبنا ما اصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها تاسع عشر شعبان والقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره وعفى اثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع . ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها . وكان المركيس لعنه الله لما اخذ الفرنج عكا قد احسن من ملك انكلتار بالنذر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهي له وبيده وكان رجل الفرنج رأياً وشجاعة . وكل هذه الحروب هو اثارها فلما خربت عسقلان ارسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغي ان يكون ملكاً ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت سرت اليه مجدداً فرحلته وملكتها صفواً عفواً بغير قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها . وحق المسيح لو انني معك كانت عسقلان اليوم بأيدينا لم يخرب منها غير برج واحد فلما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثاني شهر رمضان

ومضى الى الرملة فحرب حصنها وخرب كنيسة لذ. وفي مدة مقامه
لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابي بكر بن
ايوب تجاه الفرنج ثم سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب
الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخائر، وقرر قواعده واسبابه
وما يحتاج اليه، وعاد الى المخيم ثامن رمضان. وفي هذه الايام خرج
ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع
به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالاً شديداً وكاد ملك انكلتار
يؤسر فقدها بعض اصحابه بنفسه فتخلص الملك واسر ذلك الرجل
وفيها ايضاً كانت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج
انتصر فيها المسلمون.

تاريخ العلامة ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبرة
في أيام العرب وأهم البربر ومن عاصروهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الخامس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثالث

٩

دار الكتاب اللبناني - بيروت

القِسْمُ الثَّالِثُ

المجلد الخامس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

اضطراب أبي الغازي في طلبته وأسر، ثم خلاصه

لما ولّى السلطان محمد على الموصل والجزيرة وديار بكر سنة اثنتين وخمسمائة مودود بن أفتكين مكان جاولي سكاو الذي ملكها من يد جكرمش كما مرّ في أخبارهم فوصل مودود الى الموصل ، وسار جاولي الى نصيبين وهي يومئذ لابي الغازي، وراسله في المظاهرة والانجاء فوصل اليه بماردين على حين غفلة مستنجداً به فلم يسعه الا اسعافه ، وسار معه الى سنجار والرحبة وحاصرها ، وشدّد عليها . فلما نزل الخابور هرب أبو الغازي راجعاً الى نصيبين، ثم الى بلده، وبقي مضطرباً. ثم بعث السلطان محمد سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود بالمسير الى قتال الافرنج ، وأن يسير الامراء معه من كل جهة، مثل سقمان القطبي صاحب ديار بكر ، وأحمد بك صاحب مراغة ، وأبي الهيجاء صاحب إربل ، وأبي الغازي صاحب ماردين فحضروا كلهم إلا أبا الغازي، فإنه بعث ولده أياز في عسكر فسارت العساكر الى الرُّها وحاصروها ،

وامتنعت عليهم . ثم ساروا سنة ست وخمسمائة الى سروج كذلك .

ثم ساروا سنة سبع الى بلاد الافرنج فهزموهم على طبرية ودّخوا بلادهم وعاد مودود الى دمشق وافترقت العساكر ، ودخل دمشق ليشتي بها عند طغر كين صاحبها فقتل غيلة بها واتهم طغر كين في أمره وبعث السلطان مكانه على العساكر والموصل أقسنقر البرسقي ، وأمره بقصد الافرنج وقتالهم ، وكتب الى الامراء بطاعته ، وبعث ابنه الملك مسعوداً في عسكر كثيف ليكونوا معه فصار أقسنقر سنة ثمان وخمسمائة ، وفرّ أبو الغازي وحاصره بخاردين حتى استقام وبعث معه ابنه اياز في عسكر فحاصروا الرها وعاثوا في نواحيها ، ثم سروج وشمشاط ، وأطاعه صاحب مرعش و كيسوم ورجع فقبض على أياز بن أبي الغازي ، ونهب سواد ماردين فصار أبو الغازي من وقته الى ركن الدولة داود ابن اخيه سقمان ، وهو يجهنم كيفاً مستنجداً به فأنجده وساروا الى البرسقي آخر ثمان وخمسمائة فهزموهم وخلصوا ابنه أياز من الاسر . وارسل السلطان الى أبي الغازي يتهدّد به فليحق بطغر كين صاحب دمشق صريحاً وكان طغر كين مستوحشاً لاتهامه بأمر مودود فاتفقا على الاستنجاد وبعثا بذلك الى صاحب انطاكية فجاء اليهما قرب حمص ، وتحالفا وعاد الى انطاكية . وسار ابو الغازي الى ديار بكر في خف من اصحابه فأعترضه قيرجان صاحب حمص فظفر به واسره وبعث الى السلطان بخبره ، وابطأ عليه وصول جوابه فيه . وجاء طغر كين الى حمص

فدخل على قيرجان والح عليه بقتل أبي الغازي ثم أطلقه قيرجان
واخذ عليه .

وسار أبو الغازي إلى حلب وبعث السلطان العساكر مع يوسف بن
برسق صاحب همدان وغيره من الأمراء لقتال أبي الغازي ، وقتل
الأفرنج بعده فساروا إلى حلب وبها لؤلؤ الخادم ، مولى رضوان بن
تُتَشْ ، كفل ابنه البارسلان بعد موته ، ومعه مقدم العساكر شمس
الخوإص فطالبوها بتسليم حلب بكتاب السلطان إليهما في ذلك .

وبادر أبو الغازي وطريركين فدخلوا إليهما فامتنعت عليهما فساروا
إلى حماة من أعمال طريركين ، وبها ذخائره ففتحوها عنوة ونهبوها ،
وسلموها إلى الأمير قيرجان صاحب حمص فأعطاهم إياز بن أبي الغازي
وكان أبو الغازي وطريركين وشمس الخوإص ساروا إلى روجيل صاحب
أنطاكية يستجدونه على حفظ حماة وجاءهم هنالك بغديون صاحب
القدس ، والقمص صاحب طرابلس وغيرهما . واتفقوا على مطاولة
العساكر ليتفرقوا عند هجوم الشتاء ، واجتمعوا عند قلعة أفامية فلم
تبرح العساكر مكانها فافترقوا وعاد طريركين إلى دمشق وأبو الغازي
إلى ماردين والأفرنج إلى بلادهم . ثم كان أثر ذلك فتح كفرطاب على
المسلمين ، واعتزموا على معاودة حلب فاعترضهم روجيل صاحب
أنطاكية ، وقد جاء في خمسمائة فارس مدداً للأفرنج في كفرطاب فانهزم
المسلمون ، وكان تمحيصهم ، ورجع برسق أمير العساكر وأخوه منهزمين

الى بلادهم . وكان اياز بن ابي الغازي اسيراً عندهم فقتله الموكلون به يوم المعركة سنة تسع وخمسمائة ، والله تعالى أعلم .

استيلاء أبي الغازي على حلب

كان رضوان بن تنش صاحب حلب لما توفي سنة سبع وخمسمائة ، قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم . ونصب ابنه البارسلان في ملكه . ثم استوحش منه ونصب مكانه اخاه سلطان شاه واستبد عليه . ثم سار لؤلؤ الخادم الى قلعة جعبر سنة احدى عشرة ^(١) بينه وبين مالك بن سالم بن بدران فغدر به بماليك الاتراك وقتلوه عند خرت برت ، واستولوا على خزائنه . واعترضهم اهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولي شمس الخواص اتابك مكان لؤلؤ . ثم عزل لشهر وولي ابو المعالي بن الملحي الدمشقي . ثم عزل وصودر واضطربت الدولة ، وخشي اهل حلب على بلادهم من الافرنج فاستدعوا أبا الغازي بن ارتق من ماردين وسلموا له البلد . وانقرض ملك آل رضوان ابن تنش منها فلم يملكها بعد واحد منهم . ولما ملكها لم يجد فيها مالا فصادر جماعة من الخدم ، وصانع الافرنج بالهم . ثم سار الى ماردين بغية العودة الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين قمر تاش

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٧٨ : سار منها إلى قلعة جعبر ليجمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها .

واقعة أبي الغازي مع الإفرنج

ولما استولى أبو الغازي على حلب وسار عنها طمع فيها الإفرنج ،
وساروا اليها فلكوا مراغة وغيرها من أعمالها ، وحاصروها فلم يكن
لاهلها بدّ من مدافعتهم بقتال أو بمال فقاسموهم املا كهمل التي بضاحتها
في سبيل المصانة . وبعثوا الى بغداد يستغيثون فلم يغاثوا . وجع أبو
الغازي من العساكر والمتطوعة نحواً من عشرين ألفاً . وسار بهم الى
الشام سنة ثلاثة عشرة ، ومعه اسامة بن مبارك بن منقذ الكناني ،
وطغان أرسلان ابن اسكين بن جناح صاحب ارض الروم . ونزل الإفرنج
قريباً من حصون الاماري في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل
ونزلوا في تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن قريش ، وتحصنوا بالجبال
من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدتهم أبو الغازي ، ودخل عليهم من
تلك المسارب ، وهم غارون فركبوا وصدقوا الحملة فلقوا عساكر
المسلمين متتابعة فولوا منهزمين ، واخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت
ألا القليل ، واسر من زعمائهم سبعون فاداهم أهل حلب بثلاثمائة الف
دينار ، وقتل سرجان صاحب انطاكية .

ونجاقلهم من المعركة فاجتمع جماعة من الإفرنج وعادوا اللقاء
فهزمهم أبو الغازي ، وفتح حصن الاثارب ورزقنا ، وعاد الى حلب
فأصلح امورها وعبر الفرات الى ماردن ، وولى على حلب ابنه سليمان .
ثم وصل ديبس بن صدقة الى أبي الغازي مستجيراً به . فكتب اليه

المسترشد مع سرير الدولة عبد ابي الغازي ^(١) بأبعاد ديبس . ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع . وسار ابو الغازي الى الافرنج عقب ذلك سنة اربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظفر بهم . ثم سار هو وظفر كين صاحب دمشق فحاصروا الافرنج بالمشيرة وخشوا من استماتتهم فأفرج لهم ابو الغازي حتى خرجوا من الحصن ، وكان لا يطيل المقام بدار الحرب لأن أكثر الغزاة معه . التركان يأتون يجراب دقيق وقديد شاة ، فيستعجل العود إن فئيت ازوادهم والله أعلم

انتقاض سليمان بن أبي الغازي بطب

كان ابو الغازي قد ولي على حلب ابنه سليمان فحملة بطانته على الخلاف على ابيه . وسار اليه ابوه ^(٢) تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه ، وقبض على بطانته الذين داخلوه في ذلك . وكان متولي كبرها أمير كان لقيطاً لابيه ونشأ في بيته فسمله وقطع لسانه . وكان منهم آخر من أهل حماه قدّمه ابو الغازي على أهل حلب فقطعه وسمله فمات وأراد قتل ابنه . ثم ثنته الشفقة عليه ، وهرب الى دمشق وشفع فيه ظفر كين فلم يشفعه . ثم استخلف على حلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار ولقبه

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٤٩ : أرسل المسترشد بالله خلعاً مع سديد الدولة ابن الأنباري لنجم الدين أبلغازي وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ، ويأمره بإبعاد ديبس .

(٢) كذا بياض بالأصل : وفي الكامل ج ٨ ص ٣٠٣ : فسمع والده الخبر فسار مجدداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج إليه معتذراً .

بدر الدولة ، وعاد الى ماردين وذلك سنة خمس عشرة ، ثم ابنه حسام الدين قمرتاش مع القاضي بهاء الدولة ابي الحسن الشهرزوري شافعاً في ديبس وضامناً في طاعته فلم يتم ذلك . فلما انصرف قمرتاش الى أبيه اقطع السلطان أباه أبا الغازي مدينة ميفارقين ، وكانت لسقمان القطبي صاحب خلاط فتسامها أبو الغازي ولم تزل في يده الى أن ملكها صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسة ، والله تعالى أعلم

واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الرها

قد تقدم لنا أن جوسكين من الافرنج كان صاحب الرها وسروج ، وأن مالك بن بهرام كان قد ملك مدينة عانة فسار سنة خمس عشرة الى الرها ، وحاصرها اياماً فامتنعت عليه ، وسار جوسكين في اتباعه بعد أن جمع الافرنج ، وقد تفرق عن مالك أصحابه . ولم يبق معه إلا اربعمائة فلحقوه في أرض رخوة قد نضب عنها الماء فوحت فيها خيولهم ، ولم يقدرُوا على التخلص فظفر بهم أصحاب مالك وأسروهم وجعل جوسكين في اهاب جمل وخيط عليه ، وطلبوا منه تسليم الرها فلم يفعل ، وحبس في خرت برت بعد أن بذل في فديته أموالاً فلم يفادوه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

وفاة أبي الغازي وملك بنييه من بعده

ثم توفي أبو الغازي بن ارتق صاحب ماردين في رمضان سنة ست

عشرة وخمسة فولي بعده بماردين ابنه حسام الدين قرطاش ، وملك سليمان ميفارقين . وكان بحلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار فاستولى عليها . ثم سار مالك بن بهرام بن ارتق الى مدينة حرّان فحاصرها وملكها . وبلغه أن سليمان ابن عمه عبد الجبار صاحب حلب قد عجز عن مدافعة الافرنج ، واعطاهم حصن الاماري فطمع في ملك بلاده وسار اليها في ربيع سنة ست عشرة ، وملكها من يده على الامان . ثم سار سنة ثمان عشرة الى منبج وحاصرها وملك المدينة ، وجلس صاحبها حسان التغلبي . وامتنع اهلها بالقلعة فحاصرها ، وسمع الافرنج بذلك فساروا اليه فترك على القلعة من يحاصرها ، ونهض اليهم فهزمهم ، واثخن فيهم ، وعاد الى منبج فحاصرها . واصابه بعض الايام سهم غرب فقتله فاضطرب العسكر واقترقوا ، وخلص حسان من محبسه . وكان قرطاش ابن ابي الغازي صاحب ماردين معه على منبج فلما قتل حمل شلوه الى حلب ودفنه بها واستولى عليها . ثم استخلف عليها ، وعاد الى ماردين وجاء الافرنج الى مدينة صور فلكوها ، وطمعوا في غيرها من بلاد المسامين . ولحق بهم ديبس بن صدقة ناجياً من واقعته مع المسترشد فأطمعهم في ملك حلب ، وساروا معه فحاصروها وبنوا عليها المساكن . وطال الحصار وقتل الاقوات ، واضطرب اهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبهم ، ولم يكن في الوقت اظهر من البرسقي صاحب الموصل ، ولا اكثر قوة وجمعاً منه فاستدعوه ليدافع عنهم ويملكوه . وشرط عليهم ان يمكنوه من القلعة قبل وصوله . ونزل فيها بوابه وسار . فلما

اشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى بلادهم. وخرج أهل حلب فقتلوا
البرسقي فدخل واستولى على حلب واعمالها ، ولم ترل بيده الى أن هلك
وملكها ابنه عز الدين . ثم هلك فولى السلطان محمود عليها أتابك زكي
حسبما يأتي في اخبار دولته . ورجع تمرتاش الى ماردين واستمر ملكه
بها وكان مستولياً على كثير من قلاع ديار بكر . استولى سنة اثنتين
وثلاثين على قلعة الساج من ديار بكر ، وكانت بيد بعض بني مروان
من بقايا ملوك الاولين . وكان هذا آخرهم بهذه القلعة ، وكان ملك
ميفارقين قد سار لحسام الدين تمرتاش ، وملكها من يد أخيه سليمان ، ولم
يزل تمرتاش ملكاً بماردين الى ان هلك سنة سبع واربعين وخمسة لاهدى
وثلاثين سنة من ملكه ، والله تعالى ولي التوفيق

وفاة تمرتاش وولاية ابنه البي بعده

ثم توفي حسام الدين تمرتاش سنة سبع واربعين وخمسة كما قلنا
فهلك بعده ابنه بماردين ألي بن تمرتاش ، وبقي ملكاً عليها الى ان مات
وولي بعده ابنه ابو الغازي بن البي الى ان مات . ولم يذكر ابن الاثير
تاريخ وفاتها . وقال مؤرخ حماة : لم يقع الي تاريخ وفاتها

ولاية حسام الدين بولق ارسلان بن أبي الغازي بن البي

ولما توفي ابو الغازي بن البي قام بأمر ملكه نظام الملك البقش ،
ونصب للملك مكانه ابنه بولق ارسلان طفلاً ، واستبد عليه ، وكان

البقش غالباً على هواه حيث صار أمر الطفل في يده . ولم تزل حالهم على ذلك إلى ان هلك حسام الدين في سنة خمس وتسعين وخمسمائة على عهد بولق هذا وكناه ابن الاثير حسام الدين ناصراً الملك ، قصد العادل ابوبكر ابن ايوب ماردين ، وخشيت ملوك الجزيرة ، ولم يقدرُوا على منعه . ثم توفي العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر ، وولي اخوه الافضل فاستنفر العادل أهل مصر ودمشق وأهل سنجار ، وبعثهم مع ابنه الكامل ، وحاصروا ماردين فبعث اليه البقش المستولي على بولق بالطاعة ، وتسليم القلعة لاجل معلوم على ان يدخل اليهم الاقوات . ووضع العادل ابنه على بابها ان لا يدخلها زائد على القوت فصانعوا الولد بالمال ، وشحنوها بالاقوات . وبينما هم في ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادهم ، وقاتلهم فانهمز عساكر العادل ، وخرج اهل القلعة فأوقعوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعاً منهزمين . ونزل حسام الدين يولق الى نور الدين ، ولقيه وشكر وعاد . ونزل نور الدين على ديبس ، ثم رحل عنها قاصداً حوران كما نذكره في اخبار دولته ان شاء الله تعالى ، والله أعلم

وفاة بولق ووالية أخيه أرتق

ولما هلك بولق أرسلان نصب لؤلؤ الخادم بعده للملك اخاه الاصغر ناصر الدين أرتق أرسلان بن قطب الدين أبي الغازي . ولم يذكر ابن الاثير خبر وفاته ايضاً ، وبقي مملكاً في كفالة البقش الى سنة احدى وستائة ، والله أعلم

مقتل البقش واستبداد أرتق المنصور واتصال الملك في عقبه

ثم استنكف أرتق من الحجر ، ومرض البقش سنة احدى وستائة فجاء أرتق لعيادته ، وقتل لؤلؤاً خادمه في بعض زوايا بيته ، ورجع الى البقش فقتله في فراشه ، واستقل بملك ماردین ، وتلقب المنصور وتوفي سنة ست وثلاثين وثلثمائة^(١) وملك بعده ابنه السعيد نجم الدين غازي بن أرتق وتوفي سنة ثمان أو ثلاث وخمسين ، وملك بعده أخوه المظفر قرا أرسلان ابن أرتق فأقام سنة أو بعضها . ثم هلك سنة ثلاث وسبعين وستائة ، وملك بعده أخوه المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الى ان توفي سنة اثنتي عشرة وسبعائة لاربع وخمسين سنة من ولايته . وملك بعده ابنه المنصور أحمد الى أن توفي سنة تسع وسنين لثلاث سنين من ولايته . ثم ملك بعده ابنه الصالح محمود أربعة أشهر ، وخلعه عمه المظفر فخر الدين داود المنصور أحمد إلى أن توفي سنة ثمان وسبعين وسبعائة وملك بعده ابنه مجد الدين عيسى وهو السلطان بماردين لهذا العهد . والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده

ولما ملك هلاكو بن طلوخان بن جنكز خان مدينة بغداد وأعمالها ، أعطاه المظفر قرا أرسلان طاعته ، وخطب له في أعماله ، ولم يزالوا يدينون بطاعة بنيهِ الى أن هلك أبو سعيد بن خربهر آخر ملوك التتر ببغداد سنة سبع وثلاثين فقطعوا الخطبة لهم ، واستبد أحمد المنصور

(١) كذا بالأصل ، ويقتضي أن تكون : وستائة حسب سير الحوادث .

منهم وهو الثاني عشر من لدن أبي الغازي جدّهم الاول
وأما داود بن سقمان فانه ملك حصن كيفا من بعد سقمان أبيه
وابراهيم أخيه ، ولم أقف على خبر وفاته
وملك بعده ابنه فخر الدين قرا أرسلان بن داود ، وملك أكثر ديار
بكر مع حصن كيفا . وتوفي سنة اثنتين وستين وخمسائه
وملك بعده ابنه نور الدين محمد بعهده اليه بذلك ، وكانت يده وبين صلاح
الدين مواصلة ومظاهرة . ظاهر صلاح الدين على الموصل على أن يظاھر
على آمد فظاھر صلاح الدين ، وحاصرها من صاحبها ابن سنان سنة تسع
وستين ، وصارت من أعمال نور الدين كما نذكر في دولة صلاح الدين .
ثم توفي نور الدين محمد سنة احدى وثمانين وخلف ولدين : فملك الأكبر
منها قطب الدين سقمان ، وأقام بتدبير دولته العوام ابن سماق الاسعد
وزير أبيه ، وكان عماد الدين أخو نور الدين هو المرشح للامارة ، الا أنه
سار في العساكر مدداً لصلاح الدين على حصار الموصل . فلما بلغه الخبر
بوفاة أخيه سار لملك البلد لصغر أولاد أخيه نور الدين فلم يظفر
واستولى على خرت برت فانتزعها منهم وملكها وأورثها بنيه . فلما أفرج
صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين سقمان ، واقره على ملك أبيه
بكيفيا ، وأبقى بيده آمد التي كان ملكها لآبيه ، وشرط عليه مراجعته
في أحواله والوقوف عند أوامره . وأقام أميراً من أصحاب ابنه قرا
أرسلان اسمه صلاح الدين فقام بأمور دولته . واستقر ملكه بكيفيا
وآمد وما اليهما ، الى أن توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، تردى من

جوسق له ببحسن كيفا فمات . وكان أخوه محمود مرشحاً لمكانه ، إلا أن قطب الدين سقمان كان شديد البغضاء له ، واشخصه الى حصن منصور من آخر عملهم ، واصطفى مملوكه اياساً وزوجّه باخته وجعله ولي عهده

ولما توفي ملك بعده مملوكه ، وشخص أهل الدولة قدسوا الى محمود فسار الى آمد ، وسبقه اياس اليها ليدافعه فلم يطق ، وملك محمود آمد واستولى على البلد كلها وحبس اياسا الى أن أطلقه بشفاعة صاحب بلاد الروم ولحق به وانتظم في امرائه ، واستقل محمود بملك كيفا وآمد وأعمالهما ولقب ناصر الدين وكان ظالماً قبيح السيرة ، وكان ينتحل العلوم الفلسفية وتوفي سنة تسعة عشر وستائة وولي مكانه المسعود ، وحدثت بينه وبين الافضل بن عادل فتنة . واستنجد عليه أخاه الكامل فسار في العساكر من مصر ، ومعه داود صاحب الكرك ، والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى أن نزل عنها وجاء الى الكامل فاعتقله فلم يزل عنده حبيساً الى أن مات الكامل فذهب الى التتر فمات عندهم

وأما عماد الدين بن قرا ارسلان الذي ملك خرت برت من يد قطب الدين سقمان ابن أخيه نور الدين فلم تزل في يده الى أن توفي سنة احدى وستائة لعشرين سنة من ملكه اياها . وملكها بعده ابنه نظام الدين أبو بكر ، وكانت بينه وبين ناصر الدين محمود ابن عمه نور الدين صاحب آمد وكيفا عداوة . ودخل محمود في طاعة العادل بن أيوب وحضر مع ابنه الاشرف في حصار الموصل على أن يسير معه بعدها الى خرت برت فيملكها له ، وكان نظام الدين مستنجداً به .

(١) الدين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فمات وسار الاشرف مع محمود بعساكره وحاصروا خرت برت في شعبان سنة احدى وستين وملكوا ربضها . وبعث غياث الدين صاحب الروم الى نظام الدين المدد بالعساكر مع الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ، فلما انتهوا الى ملطية أفرج الاشرف ومحمود عن خرت برت الى بعض حصون نظام الدين بالصحراء ببخيرة سهنين ، وفتحت في ذي الحجة سنة احدى وستين فلما وصل الافضل بعساكر غياث الدين ووصل الاشرف عن البحيرة راجعاً . جاء نظام الدين بالعساكر الى الحصن فامتنع عليه ، وبقي لصاحب آمد . ثم ملك كيقباد صاحب الروم حصن خرت برت من أيديهم سنة احدى وثلاثين ، وانقرض منها ملك بني سقمان ، والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

(١) كذا بياض بالأصل ، وهو غياث الدين . كما يتضح من العبارة التي تليها .

[illegible]

دَوْلَةُ بَنِي زَنْكِي بْنِ أَقْسَنْقَر

الخبر عن دولة بني زنكي بن أقسنقر من موالى السلجوقية
بالجزيرة والشام ومصر، أمويهم وتصاريق أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر أقسنقر مولى السلطان ملك شاه ، وأنه كان
يلقب قسيم الدولة . وأن السلطان ملك شاه لما بعث الوزير فخر الدولة
ابن جبير سنة سبع وسبعين وأربعمائة بفتح ديار بكر من يد بن مروان ،
واستجد ابن مروان صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل ،
وهزمته العساكر ، وانحصر بآمد فبعث السلطان عميد الدولة بن فخر
الدولة بن جبير ليخالف شرف الدولة إلى السلطان فلقية في الرحبة
وأهدى له فرضي عنه ورده إلى بلده الموصل . واستولى بنو جبير بعد
ذلك على ديار بكر كما مر في موضعنا من دولة بني مروان . ثم كان بعد
ذلك شأن حلب ، واستبد بها أهلها بعد انقراض دولة بني صالح بن
مرداس الكلبي ، وطمع فيها شرف الدولة مسلم بن قريش ، وسليمان
ابن قطامش صاحب بلاد الروم ، وتنتش ابن السلطان ألب أرسلان .
وقتل سليمان بن قطامش مسلم بن قريش . ثم قتل تنتش سليمان بن
قطامش وجاء إلى حلب فلحقها ، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها . وقد
كانوا يبعثوا إلى السلطان ملك شاه واستدعوه للملكها فوصل إليهم سنة
تسع وسبعين ورحل تنتش عن القلعة ، ودخل البيرية ، واستولى السلطان

على حلب ، وولي عليها قسيم الدولة أقسنقر ، وعاد الى العراق فممرها
أقسنقر وأحسن السيرة فيها ، وسار معه تتش حين عهد له اخوه السلطان
ملك شاه بفتح بلاد العلوية بمصر والشام ففتح الكثير منها وهو معه
كأمر . وزحف قبل ذلك سنة ثمانين الى بني منقذ بشيزر ، فحاصره
وضيق عليه . ثم رجع عنه عن صلح ، وأقام بحلب ولم يزل والياً عليها
الى أن هلك السلطان سنة خمس وثمانين .

واختلف ولده من بعده ، وكان اخوه تتش قد استولى على الشام
منذ سنة احدى وسبعين . فلما هلك اخوه طمع في ملك السلجوقية
من بعده فجمع العساكر ، وسار لاقتضاء الطاعة من الامراء معه
بالشام ، وقصد حلب فأطاعه قسيم الدولة أقسنقر ، وحمل باغيسان
صاحب انطاكية وتيران صاحب الرها وحران على طاعته حتى يظهر
مال الامر في ولد سيدهم ملك شاه . وساروا مع تتش الى الرجة
فلما وخطب لنفسه فيها ، ثم الى نصيبين ففتحها عنوة ، ثم الى الموصل
فهزم صاحبها ابراهيم بن قريش بن بدران ، وتولى كبر هزيمته أقسنقر ،
وقتل قريش بن ابراهيم وملك الموصل من يده وولى تتش عليها ابن
عمته علي بن مسلم بن قريش . وسار الى ديار بكر فلما وخطب
اذربيجان .

وكان بركيارق ابن ملك شاه قد استولى على الري وهمدان
وكثير من البلاد فسار لمدافعته ، وجنح قسيم الدولة أقسنقر وبوزان

صاحب الرها الى بر كيارق ابن سيدهم فلحقوا به وتركو انتش فانقلب
عائداً الى الشام ساخطاً على اقسنقر وبوزان ما فعلاه، فجمع العساكر
وسار الى حلب سنة سبع وثمانين لقتال قسيم الدولة . وأمدّه بر كيارق
بالامير كربوقا في العساكر فبرزوا الى لقائهم، والتقوا على ست فراسخ
من حلب . ونزع بعض عساكر اقسنقر الى تنش فاقتل مصافه، وتمت
الهيبة عليه وجيء به أسيراً الى تنش فقتله صبراً .

ولحق كربوقا وبوزان بحلب، وتبعهما فحاصرهما وملكها وأخذها
أسيرين كما مر في اخبار الدولة . وكان قسيم الدولة حسن السياسة كثير
العدل، وكانت بلاده آمنة . ولما مات نشأ ولده في ظل الدولة
السلجوقية . وكان أكبرهم زكي فنشأ مرموقاً بعين التجارة . ولما ولي
كربوقا الموصل من قبل بر كيارق أيام الفتنة بين بر كيارق وأخيه محمد،
كان زكي في جملة، لأنه كان صاحب أبيه . وسار كربوقا أيام ولايته
لحصار آمد وصاحبها يومئذ بعض أمراء التركمان . وأنجده سقمان بن ارتق .
وكان زكي بن اقسنقر يومئذ صبياً، وهو في جملة رجال كربوقا ومعه
جماعة من أصحاب أبيه فجلا في تلك الحرب .

وانهزم سقمان وظهر كربوقا . وفي هذه الحرب أسر ابن ياقوتي ابن
ارتق وسجنه كربوقا بقلمة ماردين فكان ذلك سبباً لملك بني ارتق فيها
كما مر في اخبار دولتهم . ثم تتابعت الولاة على الموصل فولياها جكرمس
بعد كربوقا، وبعده جاولي سكاو، وبعده مودود بن ايتكين،

وبعده أقسُنقرُ البرسقي كما تقدم في أخبار السلجوقية . وولاه
السلطان محمد بن ملك شاه سنة ثمان وخمسين ، وبعث معه ابنه مسعوداً .
وكتب الى سائر الامراء هناك بطاعته ، ومنهم يومئذ عماد الدين زنكي
ابن اقسنقر فاختص به .

ولما ملك السلطان محمود بعد أبيه محمد سنة احدى عشرة ، كان
أخوه مسعود بالموصل ، كما تقدم أتاكه حيوس بك ونقل البرسقي
من الموصل الى شحنة بغداد . وانتقض ديبس ابن صدقة صاحب
الحلة على المسترشد والسلطان محمود ، وجمع البرسقي العساكر وقصد
الحلة فكتب ديبس السلطان مسعود وأتاكه حيوس بك بالموصل ،
وأغراها بالمسير الى بغداد فسار لذلك مع السلطان مسعود وزيره فخر
الملك وأبو علي بن عمار صاحب طرابلس ، وزنكي بن قسيم الدولة
اقسنقر وجماعة من امراء الجزيرة . ووصلوا الى بغداد وصالحهم البرسقي
وسار معهم .

ودخل مسعود الى بغداد ، وجاء منكبرس الى بغداد ونزع اليه
ديبس بن صدقة . ووقعت الحرب بينهما على بغداد كما تقدم في أخبار
الدولة . وأقام منكبرس ببغداد . ثم كان له في خدمة السلطان محمود
عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة . وغلب السلطان أخاه
مسعوداً ، وأخذه عنده ، واستنزل أتاكه حيوس بك من الموصل ،
وأعاد اليها البرسقي سنة خمسة عشر فعاد زنكي الى الاختصاص به كما

مرّ. ثم أضاف إليه السلطان محمود شحنة بغداد، وولاية واسط مضافة إلى ولاية الموصل سنة ستة عشر فولى عليها عماد الدين زنكي فحسن أثره في ولايتهما.

ولما كانت الحرب بين ديبس بن صدقة وبين الخليفة المسترشد، وبرز المسترشد لقتاله من بغداد، وحضر البرسقي من الموصل و عماد زنكي فانهزم ديبس^(١) عماد الدين في ذلك المقام. ثم ذهب ديبس إلى البصرة، وجمع المنتفق من بني عقيل فدخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا أميرها. وبعث المسترشد إلى البرسقي فعذله في إهماله أمر ديبس، حتى فعل في البصرة ما فعل فبادر إلى قصره، وهرب ديبس واستولى^(٢) على البصرة وولى عليها عماد الدين زنكي بن أقسنقر فأحسن حمايتها والدفاع عنها. وكبس العرب في حلهم بضواحيها، وأجفلوا. ثم عزل البرسقي سنة ثمان عشرة عن شحنة بغداد، وعاد إلى الموصل فاستدعى عماد الدين زنكي من البصرة فضجر من ذلك، وقال كل يوم للموصل جديد يستجدنا. وسار إلى السلطان ليكون في جلته فلما قدم عليه باصفهان أقطعه البصرة وأعادها عليها من قبله.

ثم ملك البرسقي مدينة حلب سنة ثمان عشرة وقتل بها سنة تسع عشرة. وكان ابنه عز الدين مسعود بحلب فبادر إلى الموصل، وأقام

(١) كذا بياض الأصل، ويتضح من وقائع هذه المعركة كما ذكرها ابن الأثير في الكامل ج ٨ ص ٣١٠، ٣١١ أن تصويب العبارة ينبغي أن يكون: فانهزم ديبس وأبلى عماد الدين في ذلك المقام.

(٢) أي: واستولى المسترشد على البصرة كما يتضح من العبارة التي بعدها.

ملك أبيه بها ووقع الخلاف بين المسترشد والسلطان محمود، وبعث الخليفة عفيفاً الخادم إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان محمود فصار إليه عماد الدين زنكي من البصرة، وقاتله فهزمه ونفى عفيف إلى المسترشد^(١) وأقام عماد الدين في واسط وأمره أن يحضر بالعساكر في السفن، وفي البر فجمع السفن من البصرة وشحنها بالمقاتلة شاكي السلاح، وأصعد في البرّ وقدم على السلطان، وقد تسلحت العساكر فهاله منظرهم، ووهن المسترشد لما رأى فأجابه إلى الصلح.

ولاية زنكي شحنة بغداد والعراق

ولما ظهر من عماد الدين زنكي من الكفاءة والغناء في ولاية البصرة وواسط ما ظهر، ثم كان له المقام المحمود مع السلطان محمود على بغداد كما مرّ ولآه شحنة بغداد والعراق، لما رأى أنه يستقيم إليه في أمور الخليفة، بعد أن شاور أصحابه فاشاروا به وذلك سنة إحدى وعشرين وسار عن بغداد بعد أن ولّاه على كرسي ملكه باصفهان والله تعالى أعلم

(١) كذا بالأصل، ويظهر أن هنا عبارة سقطت أثناء النسخ أو الطبع، وفي الكامل ج ٨ ص ٣٢١ وأقام الخليفة بالجانب الغربي، فلما حضر عيد الأضحى خطب الناس وصلى بهم، فبكر الناس لحظته. وأرسل عفيفاً الخادم وهو من خواصه في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن أفسقر، وكان له حينئذ البصرة. وقد فارق البرسقي واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة. فلما وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقي، وكان عفيف بالجانب الغربي فأرسل إليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانزاح عنها فأبى ولم يفعل، فعبّر إليه عماد الدين واقتلوا فانهزم عسكر عفيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر فلهم، وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما.

ولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها

قد قدّمنا ان عز الدين مسعود بن البرسقي لما قتل الباطنية أباه بالموصل، وكان نائبه بحلب فبادر الى الموصل وضبط أمورها، وخاطب السلطان محموداً فولاه مكان أبيه وكان شجاعاً قرماً فطمع في ملك الشام فسار وبدأ بالرحبة فحاصرها، حتى استأمن اليه أهل القلعة. وطرقه مرض فمات، وتفرقت عساكره ونهب بعضهم بعضاً، حتى شغلوا عن دفنه. وكان جاولي مولى أبيه مقدّم العساكر عنده فنصب مكانه أخاه الأصغر، وكاتب السلطان في تقرير ولايته. وارسل في ذلك الحاجب صلاح الدين محمد الباغي سياني، والقاضي أبا الحسن علي ابن القاسم الشهرزوري فأوصى صلاح الدين صهره جقري فيما جاء فيه. وكان شيعة عماد الدين زنكي فخوف الحاجب وحذره مغبة حاله معه وأشار عليه وعلى القاضي بطلب عماد الدين زنكي، وضمن لهما عنده الولايات والاقطاع. وركب القاضي مع الحاجب الى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد. وذكر له حال الجزيرة والشام واستيلاء الأفرنج على أكثرها من ماردين الى العريش. وأنها تحتاج الى من يكف طغيانهم، وابن البرسقي المنصوب بالموصل صغير لا يقوى على مدافعتهم، وحماية البلاد منهم. ونحن قد خرجنا عن العهدة وأنهيينا الأمر اليكم فرفع الوزير قولهما الى السلطان فشكرهما، واستدعاهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكر جماعة، وأدرجا فيهم عماد الدين زنكي،

وبدلاً عنه مالاً جزيلاً لخزانة السلطان فأجابها إليه لما يعلم من كفايته وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وشافهه بالولاية. وسار إلى ولايته فبدأ بالفوارع وملكها. ثم سار إلى الموصل، وخرج جاولي والعساكر للقائه.

ودخل الموصل في رمضان سنة إحدى وعشرين وبعث جاولي والياً على الرحبة، وولى على القلعة نصير الدين جقري. وولى على حجابته صلاح الدين الباغيسياني. وعلى القضاء ببلاده جميعاً بهاء الدين الشهرزوري. وزاد في إقطاعه. وكان لا يصدر إلا عن رأيه. ثم خرج إلى جزيرة ابن عمر وبها موالى البرسقي فامتنعوا عليه وحاصروهم. وكان بينه وبين البلد دجلة فعبها. وبين دجلة والبلد فسيح من الأرض فعب دجلة. وقاتلهم في ذلك الفسيح. وهزمهم فتحصنوا بالأسوار

ثم استأمنوا فدخل البلد وملكه وسار لنصيبين. وكانت لحسام الدين قمر تاش بن أبي الغازي صاحب ماردين فأستنجد عليه ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب كيفا فوعده بالنجدة وبعث حسام الدين بذلك إلى أهل نصيبين، يأمرهم بالمصابرة عشرين يوماً إلى حين وصوله فسقط في أيديهم لعجزهم عن ذلك. واستأمنوا لعماد الدين فأمنهم وملكها وسار عنها لسنجار فامتنعوا عليه أولاً. ثم استأمنوا وملكها. وبعث منها إلى الحابور فملك جميعه. ثم سار إلى حران. وكانت الرها وسروج والبيرة في جوارها للفرنج وكانوا معهم في

ضيقة فبادر أهل حران الى طاعته . وأرسل الى جوسكين وهادنه
حتى يتفرغ له فاستقر بينها الصلح . والله تعالى أعلم

استيلاء التتار على حلب

كان البرسقي قد ملك حلب وقلعتها سنة ثمانى عشرة . واستخلف
عليها ابنه مسعود . ثم قتل الباطنية البرسقي بالموصل فبادر ابنه مسعود
الى الموصل . واستخلف على حلب الامير قرمان . ثم عزله وبعث بولايتها
الى الامير قطنج أبه فمنعه قرمان وقال : بيني وبينه علامة لم أرها
في التوقيع فرجع الى مسعود فوجده قد ^(١) الرحبة فعاد الى حلب
مسرعاً ومال اليه أهل البلد ورئيسها مضال بن ربيع ، وأدخلوه وملكوه
واستزلوا قرمان من القلعة وأعطوه ألف دينار وبلغوه مامنه

وملك قطنج القلعة والبلد منتصف احدى وعشرين . ثم ساءت
سيرته وفحش ظلمه ، واشتمل عليه اشرار فاستوحش الناس منه ،
وثاروا به في عيد الفطر من السنة وقبضوا على أصحابه . وولوا عليهم
بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذي كان ملكها من قبل ،
وحاصروا قطنج بالقلعة . ووصل حسان صاحب منبج ، وحسن صاحب
مراغة لاصلاح الامر فلم يتم . وزحف جوسكين صاحب الرها من
الافرنج الى حلب فصانعوه بالمال ، ورجع فزحف صاحب انطاكية

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٣٢٦ : فعاد قطنج أبه إلى مسعود وهو يحاصر
الرحبة فوجده قد مات فعاد إلى حلب مسرعاً .

وحاصر البلد، وهم يحاصرون القلعة الى منتصف ذي القعدة من آخر السنة وانتهى عماد الدين زنكي الى صاحب حران كما ذكرناه فبعث الى أهل حلب أميرين من أصحابه بتوقيع السلطان له بالموصل والجزيرة والشام فبادروا الى الطاعة . وسار اليه بدر الدولة ابن عبد الجبار وقطلع أبه . واقام أحد الاميرين بحلب . ولما وصلا الى عماد الدين أصلح بينهما وأقاما عنده . وبعث الحاجب صلاح الدين محمد الباغي سياني في عسكر اليها فلك القلعة ورتب الامور وولى . ثم وصل عماد الدين بعده في محرم سنة اثنتين وعشرين ، وملك في طريقه منبج من يد حسان ومرآغة من يد حسن . وتلقاه أهل حلب فاستولى وأقطع أعمالها للأمرأء والاجناد ثم قبض على قطلع أبه وأسلمه الى ابن بديع فكحله ومات واستوحش ابن بديع فلحق بقلعة جعبر مستجداً بصاحبها ، وأقام عماد الدين مكانه في رياسة حلب علي بن عبد الرزاق ، وعاد الى الموصل والله أعلم

استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حماة

ثم سار عماد الدين زنكي لجهاد الافرنج وعبر الفرات الى الشام . واستنجد تاج الملوک بوري بن طغر كين صاحب دمشق فأنجده بعد التوثق باستحلافه . وبعث عسكره من دمشق الى ابنه سونج وأمره بالمسير الى زنكي فلما وصلوا اليه أكرمهم . ثم غدر بهم بعد أيام ، وقبض على سونج والامراء الذين معه فاعتقلهم بحلب ونهب خيامهم ، وبادر الى

حماة وهي خلو من الحامية فلصكها ، وسار عنها الى حصص ، وصاحبها
قيرجان بن قراجا معه في عساكره وهو الذي أشار بجس سونج
وأصحابه فقبض عليه يظن أن أهل حصص يسمون بلادهم اليه فامتنعوا
وبعث اليهم قيرجان بذلك فلحق اليها فحاصرها مدة ، وامتنعت
عليه ، فعاد الى الموصل ومعه سونج بن بوري والله أعلم

فتح عماد الدين حصن الأتاب وهزيمة الأفرنج (١)

ولما عاد عماد الدين الى الموصل أراح عساكره أياماً ثم تجهز سنة
أربع وعشرين الى الغزو وعاد الى الشام وقصد حلب ، واعتزم على
قصد حصن الأتاب ، وهو على ثلاثة فراسخ من حلب ، وكان الأفرنج
الذين به قد ضيقوا على حلب فسار اليه وحاصره وجاء الأفرنج من
انطاكية لدفاعه . واستفرغوا فتحهم وترك الحصن وسار اليهم ،
واستمات المسلمون فانهزم الأفرنج وأسر كثير من زعمائهم ، وقتل
كثير حتى بقيت عظامهم ماثلة بذلك الموضع أكثر من ستين سنة .
ثم عاد الى حصن الأتاب فلما عتوه وخربه ، وتقسم جميع من فيه
بين القتل والاسر وسار الى قلعة حارم^(٢) قرب انطاكية ، وهي للأفرنج

(١) قال أبو الفداء: ومن الأماكن المشهورة بالشام: الأتاب بالهزمة المفتوحة والثاء المثلثة
وألّف وراء مهمة موحدة اهـ.

(٢) حارم بالحاء وبراء مكسورة مهملتين بينهما ألف وميم آخرها، من أعمال حلب، وهي
بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير. قال ابن سعيد: هو حصن كثير الأرزاق، وقد
خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه اهـ من أبي الفداء.

فحاصرها حتى صالحوه على نصف خراجها فرجع عنها . وملى . الافرنج رعباً منه ومن استبداد المساميين به وذهب ما كان عندهم من الطمع .

واقعة عماد الدين مع بني أرتق

ولما فرغ عماد الدين من غزو الافرنج وفتح الاثارب وقلعة حارم عاد الى الجزيرة ، وحاصر مدينة سرخس ، وهي لصاحب ماردین ، بينها وبين نصيبين فاجتمع حسام الدين صاحب ماردین وركن الدولة صاحب آمد ، وهما لأبي الغازي صاحب ماردین بن حسام الدين تمرتاش بن أبي الغازي وصاحب كيفا ركن الدولة داود بن سُقمان وتمرتاش بن أرتق . وجمعوا من التركمان نحواً من عشرين ألفاً . وساروا لمداغة زنكي فهزمهم وملك سرخس وسار ركن الدولة الى جزيرة ابن عمر لينهبها فاتبعه عماد الدين فرجع الى بلده فعاد عنه لضيق مسالكه . وملك من قلاعهم د ، ورجع الى الموصل الى آخره

حصول ديبس بن صدقة في أسر الأتابك زنكي

قد تقدم لنا أن ديبس بن صدقة لما فارق البصرة سار الى سرخد من قلاع الشام سنة خمس وعشرين ، باستدعاء الجارية التي خلفها الحسن هنالك ليتزوج بها ، وأنه مرّ في الغوطة بجي من أحياء كلب فأسروه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق . وبلغ الخبر الى الأتابك زنكي . وكان عدوّاً له فبعث فيه الى تاج الملوك بوري . وفادى من ابنه سونج

والامراء الذين معه عنده فأطلقهم . وبعث بوري اليه بديس وهو مستيقن الهلاك فلما وصله أكرمه ، وأحسن اليه وأزاح عله . وبعث المسترشد فيه الى بوري ابن طغر كين صاحب دمشق فوجده قد فات بتسله الى زنكي . فذم الرسل زنكي فيما فعله فأرصد لهم في طريقهم وسيقوا اليه وهم : سيد الدولة بن الانباري . وأبو بكر ابن بشر الجزري فحبسها حتى شفع فيها المسترشد . وبقي ديس عنده حتى اتحد معه الى العراق

سير أتابك زنكي الى العراق لمظاهرة السلطان مسعود وانهازمه

ولما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين . واختلف ولده داود وأخوه مسعود . وسار داود الى مسعود وحاصره بتبريز في محرم سنة ست وعشرين . ثم صالحه وخرج مسعود من تبريز ، واجتمعت عليه العساكر وسار الى همدان ، وبعث يطلب الخطبة من المسترشد فنهه وكتب الأتابك عماد الدين زنكي يستنجد به . وسار الى بغداد فحاصرها وكان قد سبق اليها أخوه سلجوق شاه صاحب فارس وخوزستان ، مع أتابك قراجا الشامي في عسكر كثير . وأثرله المسترشد بدار السلطان ، فلما جاء مسعود ونزل عباسية ، وبرز عسكر المسترشد وعسكر سلجوق شاه وقراجا الشامي لمحاربة مسعود أتاها الخبر بوصول عماد الدين زنكي من ورائهم . وأنه وصل الى المعشوب ، فرجع قراجا الشامي الى محاربه ، وسار سلجوق شاه بالعساكر الى محاربة أخيه مسعود وأعد قراجا السير ، وصبح عماد الدين بعد يوم وليلة على المعشوب وقاتله

وهزمه . واسر كثيراً من أصحابه . وسار زنكي منهزماً إلى^(١) والنائب بها نجم الدين أيوب بن شادي والد السلطان صلاح الدين فتأخر . ثم اصطليح مع الخليفة على أن يكون العراق له ، والسلطنة لمسعود . وولاية العهد لسلجوق شاه . وذلك منتصف سنة ست وعشرين

مسير الأتابك عماد الدين إلى بغداد بابنه وإنهزامه

قد قدّمنا ما كان بعد وفاة السلطان محمود من الخلاف بين ابنه داود وأخويه مسعود و سلجوق شاه . ثم استقرار مسعود في السلطنة وصلحه مع أخيه سلجوق . على أن يكون وليّ عهده . ثم أنّ السلطان سنجر سار من خراسان يطلب السلطنة لطغرل ابن أخيه السلطان محمود وكان عنده مقياً فبلغ همذان . وخرج السلطان مسعود و سلجوق شاه للقاءه وساروا متباطئين ينتظرون لحاق المسترشد بهم وخرج المسترشد إلى^(٢) فجاءته الأخبار بوصول الأتابك زنكي وديس بن صدقة إلى بغداد فذكر ديس أنّ السلطان سنجر أقطعه الحلة وبعث يسترضي ، فلم يشفعه ، وذكر الأتابك زنكي أنّ السلطان سنجر ولأه شحنة بغداد . واستمرّ السلطان مسعود وأخوه سلجوق على المسير للقاء سنجر وكانت الهزيمة على مسعود كما مرّ فعاد المسترشد إلى بغداد . ونزل العباسية من الجانب الغربي ولقي الأتابك .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٣٦ : وسار زنكي منهزماً إلى تكريت فعبّر فيها دجلة وكان الدوادار بها حينئذ نجم الدين أيوب .
(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود إليها وعبر إلى الجانب الغربي ، وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقى بحصن البرامكة .
سابع عشر رجب .

زنكي وديس علي حصن البرامكة فهزمها آخر رجب سنة ست
وعشرين وخلق الأتابك بالموصل

واقعة الفرنج على أهل حلب

وفي غيبة الأتابك زنكي سار ملك الافرنج من القدس الى حلب
فخرج نائبها عن الأتابك زنكي، وهو الامير اسوار. وجمع التركمان
مع عساكره. وقاتل الافرنج عند قنسرين وصارهم ومحص الله
المسلمين وانهزموا الى حلب وسار ملك الافرنج في أعمال حلب ظافراً
ثم سار بعض الافرنج من الرُّها للغارة في أعمال حلب فخرج اليهم الامير
اسوار، ومعه حسن التغلبي الذي كان صاحب منبج فأوقعوا بهم،
واستلحموهم وأسروا من بقي منهم وعادوا ظافرين

حصار المسترشد الموصل

ولما وقع ما قدّمناه من وصول زنكي. الى بغداد، وانهزامة
أمام المسترشد فقد عليه المسترشد ذلك وأقام يتربص. ثم كثر الخلاف
بين سلاطين السُلجوقيّة، واعتزلهم جماعة من أمرائهم فراراً من الفتنة
ولحقوا بالخليفة وأقاموا في ظله فأراد الخليفة المسترشد أن ينتصف بهم
من الأتابك زنكي، فقدم اليه بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني
الواعظ وحمله عتاباً أغلظ فيه، وزاده الواعظ غلظة حفظاً على ناموس
الخلافة في معتقده، فامتعض الأتابك لما شافه به وأهانته وجبسه.

وأرسل المسترشد الى السلطان مسعود^(١) على قصد الموصل وحاصرها لما وقع من زنكي . ثم سار في شعبان سنة سبع وعشرين الى الموصل في ثلاثين ألف مقاتل . فلما قارب الموصل فارقه الأتابك زنكي الى سنجار ، وترك نائبه بها نصر الدين جقري ، وجاء المسترشد فحاصرها والأتابك زنكي قد قطع الميرة عن معسكره فتعذرت الأقوات ، وضائق عليهم الأحوال ، وأرادت جماعة من أهل البلد الوثوب بها . وسعى بهم فأخذوا وصلبوا وذام الحصار ثلاثة أشهر ، وامتنعت عليه فأفرج عنها وعاد الى بغداد . وقيل ان مطراً الخادم جاءه من بغداد وأخبره أن السلطان مسعودا عازم على قصد العراق ، فعاد مسرعاً

ارتجاع صاحب دمشق مدينة حماة

قد كنا قدّمنا أن الأتابك زنكي تغلب على حماة من يد تاج الملوك بوري بن طغر كين صاحب دمشق سنة ثلاث وعشرين ، وأقامت في ملكه أربع سنين . وتوفي تاج الملوك بوري في رجب سنة ست وعشرين ، وولي بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل ، وملك بانياس من الافرنج في صفر سنة سبع وعشرين ، ثم بلغه أن المسترشد بالله حاصر الموصل فسار هو الى حماة وحاصرها ، وقاتلها يوم الفطر ويومين بعده فللكها عنوة واستأمنوا فأمّنهم . ثم حصر اللوالي ومن معه بالقلعة فاستأمنوا أيضاً ،

(١) كذا بياض ، بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٣٤٠ : فأرسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرفه الحال الذي جرى من زنكي ويعرفه أنه على قصد الموصل وحاصرها .

واستولى على ما فيها من الذخائر والسلاح ، وسار منها الى قلعة شيزر
فحاصرها ابن منقذ فحمل اليه مالا صانعه به ، وعاد الى دمشق في ذي
الحجة من السنة .

حصار الأتابك زنكي قلعة آمد واستيلائه على قلعة النسر ثم حصار قلعة الحميدية

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة اجتمع الاتابك زنكي صاحب
الموصل وصاحب ماردين على حصار آمد . واستنجد صاحبها بدادود بن
سقمان صاحب كيفا فجمع العساكر وسار اليها ليدافعها عنه ، وقاتلاه
فهزمه ، وقتل كثير من عسكره . وأطالا حصار آمد وقطعا شجرها
وكرومها ، وامتنعت عليها فرحلا عنها . وسار زنكي الى قلعة النسر
من ديار بكر فحاصرها وملكها منتصف رجب من السنة . ووفد عليه
ضياء الدين أبو سعيد ابن الكفرتوئي فاستوزره الأتابك ، وكان حسن
الطريقة عظيم الرئاسة والكفاية محبباً في الجند ، وتوفي سنة
ست وثلاثين بعدها .

ثم استولى الأتابك على سائر قلاع الاكراد الحميدية ، مثل قلعة
العقر ، وقلعة سوس وغيرها . وكان لما ملك الموصل أمر صاحب هذه
القلاع الامير عيسى الجبيري على ولايتها . فلما حاصر المسترشد الموصل

قام في خدمته أحسن القيام ، وجمع له الأكراد . فلما عاد المسترشد الى بغداد من قتال الأتابك زنكي حاصر قلاعهم وحاصرتها العساكر وقتلوا قتالا شديداً حتى ملكوها في هذه السنة ، ورفع الله شرهم عن أهل السواد المحاربين لهم ، فقد كانوا منهم في ضيقة من كثرة عيشتهم في البلاد وتخريبهم ، والله تعالى اعلم .

استيلاء الأتابك على قلاع الهكارية وقلعة كواشي

حدث ابن الاثير عن الجيني أن الأتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها ، خاف أبو الهيجاء بن عبد الله على قلعة أشب الجزيرة وكواشي فاستأمن الأتابك واستحلفه ، وحمل له مالا . ثم وفد عليه بالموصل بعد أن اخرج ابنه أحمد من أشب خشية أن يغلب عليها ، وأعطاه قلعة كواشي وولى على أشب رجلاً من الكرد ، واسمه باد الارمني . وابنه أحمد هذا هو أبو علي بن أحمد المشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين . ولما مات أبو الهيجاء واسمه موسى ، وسار أحمد الى أشب ليملكها فامتنع عليه باد واراد حفظها لعل الصغير من بني أبي الهيجاء فسار الأتابك زنكي في عساكره ، ونزل على أشب ، وبرز اهلها لقتاله . واستجروهم حتى ابعدوا ، ثم كر عليهم فأفناهم قتلاً واسراً ، وملك القلعة في الحال .

وسيق اليه باد في جماعة من مقدسي الأكراد ، وقتلهم ، وعاد الى

الموصل . ثم سار غازيا في بعض مذاربه فبعث نائبه نصر الدين جقري
عسكراً ، وخلق كنجاً ، ورسى في قلعة العمادية ، وحاصروا قلعة الشغبان
وفرّح و كواشي والزعفراني والغنيّ وسرف وسفروه ، وهي حصون
الهكارية فحاربها وملكها جميعاً . واستقام امر الجبل والزورن .

وأمنت الرعية من الاكراد . وأما باقي قلاع الهكارية وهي حلا
وصورا وهزور والملايسي وياسرما ومازحاً وبأكر ونسر ، فإن قرابا
صاحب العمادية فتحها بعد قتل زنكي بمدة طويلة . كان أميراً على تلك
الحصون الهكارية من قبل زين الدين عليّ ، على ما قال ابن الاثير . ولم
أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلماذا ذكرته هنا .

قال وتحدثني بخلاف هذا الحديث بعض فضلاء الاكراد . أن
أبا بكر زنكي ، لما فتح قلعة أسب وحرساني وقلعة العمادية ، ولم يبق
في الهكارية الا صاحب جبل صورا وصاحب هزور ، ولم يكن لهما
شوكة يخشى منها . ثم عاد الى الموصل وخافه اهل القلاع الجبلية . ثم
توفي عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الريبة والغنيّ ، وفرّح وملكها
بعده ابنه عليّ وكانت أمّه خديجة ابنة الحسن أخت ابراهيم وعيسى ،
وهما من الامراء مع زنكي بالموصل فأرسلها ابنها عليّ الى أخويها
المذكورين ، وهما خاله ليستأمنوا له من الأتابك فاستحلفاه ، وقدم
عليه فأقره على قلاعه ، واستقلّ بفتح قلاع الهكارية .

وكان الشغبان هذا الأمير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فأخذه

منه ، وخرّب له كبره وقلة أعماله . وكان نصر الدين جقري يكره علياً صاحب الريّة والغني وفرح فسعى عند الأتابك في حبسه فأمره بحبسه ثم ندم وكتب اليه أن يطلقه فوجده قد مات فاتهم نصر الدين بقتله . ثم بعث العساكر الى قلعة الرحبة فنازلوها بغتةً وملكوها عنوةً وأسرّوا ولد علي واخوته ، ونجّت أمّه خديجة لمغيها . وجاء البشير الى الأتابك بفتح الريّة فسرّه ذلك . وبعث العساكر الى ما بقي من قلاع علي فأبى الا أن يزيدوه قلعة كواشي ، فضت خديجة أم علي الى صاحب كواشي من المهرانية ، واسمه جرك راهروا وسألته النزول عن كواشي لاطلاق اسراهم ففعل ذلك ، وتسلم زنكي القلاع ، وأطلق الاسرى ، واستقامت له جبال الاكراد ، والله تعالى أعلم .

حصار الأتابك زنكي مدينة دمشق

كان شمس الملوك اسمعيل بن بوري قد انحلت أمره وضعفت دولته ، واستطال عليه الافرنج ، وخشي عاقبة أمرهم فأستدعى الأتابك زنكي سرّاً ليملكه دمشق ويريح نفسه . وشعر بذلك أهل دولته فشكوا الى أمّه فوعدهم الراحة منه ، ثم اغتالته فقتلته . وجاء الأتابك زنكي فقدم رسله من الفرات فألفوا شمس الملوك قد مات ، وولي مكانه أخوه محمود ، واشتمل أهل الدولة عليه ورجعوا الخبر الى الأتابك فلم يحفل به . وسار حتى نزل بظاهر دمشق واشتد أهل الدولة على مدافعتة ومقدمهم معين الدين أربوّه أتابك طغركين . ثم

بعث المسترشد أبا بكر بن بشر الجزري الى الأتابك زنكي فاسره
بصلح صاحب دمشق فصالحه ، ورحل عنه منتصف السنة ، والله
سبحانه وتعالى أعلم .

فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره الى الموصل وخلعه

كان كثير من أمراء السلجوقية قد اجتمعوا على الانتقاض
على السلطان مسعود والخروج عليه . ولحق داود ابن السلطان محمود
من أذربيجان ببغداد في صفر سنة اثنين وثلاثين ، فأثزل بدار
السلطنة ، وراسله أولئك الامراء . وقدم عليه بعضهم مثل صاحب
قزوين ، وصاحب أصفهان ، وصاحب الأهواز وصاحب الأبله
وصاحب الموصل الأتابك زنكي . وخرجت اليهم العساكر من بغداد ،
وولي داود شحنة بغداد وخرج موكب الخليفة مع الوزير جلال الدين
الرضي ، وكان الخليفة قد تغير عليه وعلى قاضي القضاة الزينبي ،
فسمع بهم الأتابك . ثم وقعت العزيمة من الراشد والسلطان داود
والأتابك زنكي ، وحلف كل منهم لصاحبه وبعث الراشد الى الأتابك
بمائتي ألف دينار . ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض على الأمير
بك أبيه ، ونهب ماله فانحدر الأتابك زنكي لمدافته فاصطلحا ، وعاد
زنكي الى بغداد ، ومر على جميع العساكر لقتال السلطان مسعود .
وخرج على طريق خراسان ، وبلغهم أن السلطان مسعوداً سار

الى بغداد فعاد اليها ثم عاد الملك داود ، وجاء السلطان مسعود فنزل على بغداد وحاصره نيفاً وخمسين يوماً ، وارتحل الى النهروان . ثم قدم عليه طرنطاي صاحب واسط بالسفن فرجع الى بغداد ، وعبر الى الجانب الغربي . ثم اختلف العسكر ببغداد ، ورجع الملك داود الى ولايته باذربيجان . وافترق الامراء الذين معه ، ولحق الراشد بالاتبك زنكي في نفر من أصحابه ، وهو بالجانب الغربي . وسار معه الى الموصل ، ودخل السلطان مسعود الى بغداد منتصف ذي القعدة سنة ثلاثين ، واستقر بها وسكن الناس . وجمع القضاة والفقهاء ، وعرض عليهم عين الراشد بخطه ، بأنه متى جمع أو خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه فأفتوا بخلعه .

ثم وقعت الشهادات من أهل الدولة وغيرهم الى الراشد بموجبات العزل وكتبت ، وأفتى الفقهاء عقبها باستحقاق العزل ، وحكم به القاضي المعين حينئذ لغيبة قاضي القضاة بالموصل مع الراشد ، ونصب للخلافة^(١) ابن المستظهر . وجاء رسول الاتابك زنكي الى بغداد ، وهو القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري وباع^(٢) بعد أن ثبت

(١) كذا بياض ، وهو الأمير أبو عبد الله بن المستظهر - قبل الخلافة - ولقب بعد الخلافة المقتفي لأمر الله ، الكامل ج ٨ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٨ ص ٣٥٤ : ويلغى أن السلطان مسعود أرسل الخليفة المقتفي لأمر الله في تقرير إقطاع يكون لخاصته فكان جوابه : إن في الدار ثمانين بغلاً تنقل الماء من دجلة فليُنظر السلطان ما يحتاج إليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فقررت القاعدة على أن يحمل له ما كان للمستظهر بالله فأجاب إلى ذلك . وقال السلطان لما بلغه قوله : لقد جعلنا في الخلافة رجلاً عظيماً .

عنده الخلع ، وانصرف الى الأتابك باقطاع من خاص الخليفة ، ولم يكن ذلك لاحد قبله . وعاد كمال الدين الى الأتابك ، وحمل كتب الخلع فحكم بها قاضي القضاة بالموصل ، وانصرف الراشد عن الموصل الى اذربيجان كما سرّ في أخبار الخلفاء والسلاجقة ، والله تعالى ولي التوفيق .

غزاة عساكر حلب الى الافرنج

ثم اجتمعت عساكر حلب ^(١) مع الامير اسوار نائب الأتابك زنكي بحلب في شعبان سنة ثلاثين ، وساروا غازين الى بلاد الافرنج وقصدوا اللاذقية على غرة فنالوا منها ، وانساحوا في بساطها واكتسحوها ، وامتلات أيديهم من الغنائم ، وخربوا بلاد اللاذقية وما جاورها وخرجوا على شيزر وملؤا الشام بالأتراك والظهر ووهن الافرنج لذلك . والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

حصار الأتابك زنكي مدينة حمص واستيلائه على

بغديون وهزيمة الافرنج واستيلائه على حمص

ثم سار الأتابك في العساكر في شعبان سنة احدى وثلاثين الى مدينة حمص ، وبها يومئذ معين الدين بن القائم بدولة صاحب دمشق

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : في هذه السنة في شعبان اجتمعت عساكر أتابك زنكي صاحب حلب وحماة مع الأمير أسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة .

وحص من أقطاعه ، فقدم اليه صاحبه صلاح الدين الباغيساني في تسليمها فاعتذر بأن ذلك ليس من الاصابة فحاصرها والرسل تردد بينهما ، وامتنعت عليه فرحل عنها الى بغدوين من حصون الافرنج في شوال من السنة فجمع الافرنج ، وأوعبوا وزحفوا اليه واشتد القتال بينهم . ثم هزم الله العدو ونجا المسلمين منهم ، ودخل ملوكهم الى حصن بغدوين فامتنعوا به ، وشد الاتابك حصاره . وذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانية من الروم ، والافرنج يستجدونهم على المسلمين ، ويخوفونهم استيلاء الاتابك على قلعة بغدوين ، وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس .

وجد الاتابك بعد ذلك في حصارها والتضييق عليها حتى جهدهم الحصار ومع عنهم الاخبار . ثم استأمنوا على أن يحملوا اليه خمسين ألف دينار فأجابهم وملك القلعة . ثم سمعوا بمسير الروم والافرنج لانجادهم ، وكان الاتابك خلال الحصار قد فتح المعرة وكفر طاب^(١) في الولايات التي بين حلب وحماة ووهن الافرنج . ثم سار الاتابك زنكي في محرم سنة اثنين وثلاثين الى بعلبك وملك حصن المعدل من أعمال صاحب دمشق . وبعث اليه نايب بانياس بالطاعة كذلك . ثم كانت حادثة ملك الروم ومنازلته حلب كما نذكره فسار الى سامية ولما انجلت حادثة الروم رجع الى حصار حمص وبعث الى محمود صاحب

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نعثري في المراجع التي بين أيدينا على التصويب .

دمشق في خطبة أمه مردخان بنت جاولي التي قتلت ابنها فقزّوجها ،
وملك حمص وقلعتها . وحملت الخاتون اليه في رمضان ، وظن أنه يملك
دمشق بزواجها فلم يحصل على شيء من ذلك . والله تعالى يؤيد بنصره
من يشاء من عباده .

مسير الروم الى الشام وملكهم مراغة

ولما استجد الافرنج ببغديون ملك أمم النصرانية كما مر ، جمع
ملك الروم بالقسطنطينية ، وركب البحر سنة احدى وثلاثين ولحقته
أساطيله وسار الى مدينة قيليقية فحاصرها ، وصالحوه بالمال وسارعنها
الى أدنة والمصيصة ، وهما لابن ليون الأرمني صاحب قلاع الدروب
فحاصرها وملكها . وسار الى عين زربة فملكها عنوة ، وملك تل
حمدون ، ونقل أهله الى جزيرة قبرص . ثم ملك مدينة انطاكية في ذي
القعدة من السنة ، وبها ريمند من ملوك الافرنج فصالحه ، ورجع الى
بغراس ودخل منها بلاد بن ليون فصالحه بالاموال ودخل في طاعته .
ثم خرج الى الشام أول سنة اثنتين وثلاثين ، وحاصر مراغة على ستة
فراسخ من حلب ، وبعثوا بالصريخ الى الاتابك زنكي فبعث
بالمساكر الى حلب لحمايتها ، وقاتل ملك الروم مراغة فملكها بالامان
منتصف السنة .

ثم غدير بهم واستباحهم ، ورحل الى حلب فنزل بدايق ومعه

الافرنج^(١) ورجعوا من الغد الى حلب وحاصروها ثلاثاً فامتنعت عليهم وقتل عليها بطريق كبير منهم . ورحل عنها الى قلعة الأتارب في شعبان من السنة فهرب عنها أهلها ، ووضع الروم بها الأسرى والسبي ، وأثزلوا بها حامية . وبعث اليهم أسوار نائب حلب عسكرياً فقتلوا الحامية ، وخلصوا الأسرى والسبي ورحل الأتابك من حصن الأتارب بعد فتحه الى سلمية وقطع الفرات الى الرقة . واتبع الروم فقطع عنهم الميرة وقصد الروم قلعة شيزر ، وبها سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني فحاصروها ، ونصبوا المجانيق عليها . واستصرخ صاحبها بالأتابك زنكي فسار اليه ، ونزل نهر العاصي بين شيزر وحماة . وبعث السرايا تختطف من حول معسكر الروم .

وبعث الى الروم يدعوهم الى المناجزة والنزول الى البسيط فقاموا عن ذلك ، فرجع الى التضريب بين الروم والافرنج يحذر أحد الفريقين من الآخر ، حتى استراب كل بصاحبه فرحل ملك الروم في رمضان من السنة بعد حصار شيزر أربعين يوماً واتبعه الأتابك فلحقهم واستلحمهم واستباحهم . ثم أرسل القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله الشهرزوري الى السلطان مسعود يستنجده على العدو ويحذره الروم واستيلاهم على حلب ، وينحدرون من الفرات الى بغداد فوضع القاضي كمال الدين في جامع القصر من ينادي بصريخ المسلمين والخطيب

(١) كذا بالأصل، عبارة مرتبكة. وفي الكامل ج ٨ ص ٣٥٩: ثم رحلوا إلى حلب من الغد في خيلهم ورجلهم فخرج إليهم أحداث حلب فقاتلوهم قتالاً شديداً.

على المنبر، وكذا في جامع السلطان فعظم الصراخ والبكاء، وتسايلت العوام من كل جانب، وجاؤا الى دار السلطان في تلك الحالة، وقد وقع العويل والصراخ فعظم الهول على السلطان مسعود وجهاز عسكراً عظيماً. وخاف القاضي كمال الدين غائلته ثم وصل الخبر برحيل ملك الروم فاخبر القاضي السلطان مسعود بذلك و^(١) من مسير العسكر والله تعالى أعلم.

استيلاء الاتابك زنكي على بعلبك

ثم قتل محمود صاحب دمشق سنة ثلاث وثلاثين في شوال كما مرّ في أخبار دولتهم، وكانت أمّه زمر دخان متزوجة بالاتابك كما مرّ فبعثت اليه وهو بالجزيرة تعرفه بالخبر، وتطلب منه أن يسير الى دمشق ويثأر بولدها من أهل دولته فسار لذلك. واستعدّ أهل دمشق للحصار ثم قصد الاتابك مدينة بعلبك ونزلها. وكان بن القائم بالدولة قد نصب كمال الدين محمد بن بوري بدمشق وتزوج أمّه، وبعث بجاريته الى بعلبك. فلما سار الاتابك الى دمشق قدم رسله الى أثر في تسليم البلد على أن يبذل له ما يريد فأبى من ذلك وسار الاتابك الى بعلبك فنازلها آخر ذي الحجة من السنة، ونصب عليها المجانيق. وشدّد جصارها حتى

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل: وإذا قد وصلني كتاب أتابك زنكي من الشام يخبر جيل ملك الروم ويأمرني بأن لا أستصحب من العسكر أحداً فعرفت السلطان ذلك فقال العسكر تجهزت ولا بد من الغزاة إلى الشام، فأعد الجهد وبذل الخزم له ولأصحابه حتى عاد العسكر.

استأنوا فلكها. واعتصم الحامية بالقلعة حتي يسوا من أنز فاستأنوا
الى الاتابك . فلما ملكها قبض عليهم وصلبهم وتروّج جارية أنز ونقلها
الى حلب ، الى أن بعثها ابنه نور الدين محمود الى صاحبها بعد موت
الأتابك والله تعالى أعلم .

حصار الأتابك زنكي مدينة دمشق

ثم سار الاتابك زنكي الى حصار دمشق في ربيع الاول من سنة
أربع وثلاثين بعد الفراغ من بعلبك فنزل بالبقاع ، وأرسل الى جمال
الدين محمد صاحبها في أن يسلمها اليه ، ويعوضه عنها بما شاء فلم يجب الى
ذلك فزحف اليه ، ونزل داريا ، والتقت الطلائع فكان الظفر لأصحاب
الأتابك . ثم تقدّم الى المصلى فنزل بها ، وقاتله أهل دمشق بالغوطة
فظفر بهم وأثخن فيهم . ثم أمسك عن القتال عشرين يوماً فيها صاحب
دمشق . وبذل له بعلبك وحمص وما يختاره من البلاد فجنح الى ذلك
ولم يوافقه أصحابه فعادت الحرب . ثم توفي صاحب دمشق جمال الدين
محمد في شعبان من السنة ، ونصب معين الدين أنز مكانه ابنه محي
الدين أنز وقام بأمره

وطمع زنكي في ملك البلد فامتنعت عليه . وبعث معز الدين
أنز إلى الافرنج يستدعيهم الى النصر على الاتابك ، وببذل لهم
وينوّقهم غائلته ، ويشترط لهم اعانتهم على بانياس حتى يملكوها

فأجاب الافرنج لذلك ، وأجفل زنكي الى حوران خامس رمضان من السنة معتماً على لقائهم فلم يصلوا فعاد الى حصار دمشق ، وأحرق قراها وارتحل الى بلاده . ثم وصل الافرنج ، وارتحل معين الدين أنز في عساكر دمشق الى بانياس ، وهي للاتابك زنكي لبوفي للافرنج بشرطه لهم فيها . وقد كان نائبها سار للاغارة على مدينة صور ، ولقيه في طريقه صاحب انطاكية ذاهباً الى دمشق منجداً فهزم عسكر بانياس ، وقتلوا ولحق فلهم بالبلد ، وقد وهنوا ، وحاصرهم معين الدين أنز والافرنج وملكها عنوة ، وسلمها للافرنج ، وأحفظه ذلك . وفرق العسكر في حوران وأعمال دمشق ، وسار هو فصاحب دمشق ولم يعلموا بمكانه فبرزوا اليه وقتلوه ، وقتل منهم جماعة . ثم أحجم عنهم لقلعة من معه ، وارتحل الى مرج راهط في انتظار عساكره فلما توافوا عنده عاد الى بلاده

استيلاء الاتابك على شهرزور وأعمالها

كان شهرزور بيد قفجاق بن ارسلان شاه أمير التركمان وصالحهم ، وكانت الملوك تتجافى عن أعماله لامتناعها ومضايقتها فعمم شأنه ، واشتمل عليه التركمان وسار اليه الاتابك زنكي سنة أربع وثلاثين فجمع ولقيه فظفر به للاتابك واستباح معسكره ، وسار في اتباعه فحاصر قلاع وحصونه وملك جميعها . واستأمن اليه قفجاق فأمنه وسار في خدمته وخدمة بنييه بعده الى آخر المائة .

ثم كان في سنة خمس وثلاثين بين الاتابك زنكي وبين داود بن سقمان صاحب كيفا فتنة وحروب . وانهزم داود وملك الاتابك من بلاده قلعة همرد وأدركه ^(١) فعاد الى الموصل ثم سار الاتابك الى مدينة الحرمية فملكها سنة ست وثلاثين ونقل آل مهارش الذين كانوا بها الى الموصل ، ورتب أصحابه مكانهم . ثم خطب له صاحب آمد، وصار في طاعته بعد أن كان مع داود عليه . ثم بعث الاتابك لسنة سبع وثلاثين عسكرياً الى قلعة أشهب ، وهي من أعظم حصون الاكراد الهكارية وأمنعها . وفيها أهلوههم وذخائرهم فحاصرها وملكها ، وأسره الأتابك بتخريبها وبني قلعة العمادية عوضاً عنها ، وكانت خربت قبل ذلك لا تساعها وعجزهم عن حمايتها فأعيدت الان . وكان نصير الدين نائب الموصل قد فتح أكثر القلاع الحربية والله تعالى أعلم .

صلح الأتابك مع السلطان مسعود واستيلائه على أكثر ديار بكر

كان السلطان مسعود ملك السلجوقية قد حقق على الاتابك زنكي شأن الخارجين على طاعته من أهل الاطراف ، وينسب ذلك اليه ، وكان يفعل ذلك مشغلة للسلطان عنه . فلما فرغ السلطان مسعود من شواغله سنة ثمان وثلاثين وخمسةائة ، سار الى بغداد عازماً على قصد الاتابك وحصار الموصل فأرسل الاتابك يستعطفه ويستميله ، على ان يدفع اليه

(١) هنا بياض بالأصل ، ولم نعثر بالمصادر التي بين أيدينا على اسم المكان الذي أدركه به .

مائة ألف دينار ويعود عنه فشرع في ذلك ، وحمل منها عشرين ألفاً . ثم حدثت الفتنة على السلطان فاحتاج الى مداراته وترك له الباقي ، وبالع هو في مخالصة السلطان بحيث ان ابنه غازي كان عند السلطان فهرب الى الموصل ، فبعث الى نائبه نصير الدين جقري يمنعه من دخولها وبعث الى ابنه بالرجوع الى خدمة السلطان .

وكتب الى السلطان بان ابني هرب للخوف من تغير السلطان عليه وقد اعدته الى الخدمة ولم ألقه ، وانا مملوكك والبلاد لك فوق ذلك من السلطان احسن المواقع . ثم سار الأتابك الى ديار بكر ففتح طره واسعد وحران وحصن الرزق وحصن تطلت وحصن ياسنه وحصن ذي القرنين وغير هذه ، وملك ايضاً من بلاد ماردن^(١) الافرنج حلين والمودن وتل موزر وغيرها من بلاد حصون سجستان وانزل بها الحامية وقصد آمد فحاصرها ، وسير عسكراً الى مدينة عانة من اعمال الفرات فلكها والله تعالى اعلم .

فتح الرها وغيرها من أعمال الافرنج

كان الافرنج بالرها وسروج والبيرة قد أضروا بالمسلمين جوارهم ، مثل آمد ونصيبين ورأس العين والركة وكان زعيمهم ومقدمهم بتلك البلاد جوسكين الزعيم ورأى الاتابك انه يوري عن قصدهم بنيره

(١) هنا بياض بالأصل ، ولم نعتز بالمصادر التي بين أيدينا على التصويب .

لثلاثا يجمعوا له فوري بغزو ديار بكر كما قلناه و^(١) جوسكين وعبر
الفرات من الرها الى غزنة . وجاء الخبر بذلك الى الاتابك فارتحل
منتصف جمادى الاخيرة سنة تسع وثلاثين ، وحرّض المسلمين
وحشّهم على عدوهم ، ووصل الى الرها ، وجوسكين غائب عنها فانحجز
الافرنج بالبلد ، وحاصروهم شهراً وشداً في حصارهم وقتالهم ، ولج في
ذلك قبل اجتماع الافرنج ومسيرهم اليه . ثم ضعف سورها فسقطت
ثمة منه ، وملك البلد عنوة . ثم حاصر القلعة وملكها كذلك . ثم ردّ
على أهل البلد ما أخذ منهم وأزل فيه حامية . وسار الى سروج وجميع
البلاد التي بيد الافرنج شرقاً فملكها جميعاً إلا البيرة لامتناعها فأقام
يحاصرها حتى امتنعت ورحل عنها ، والله سبحانه وتعالى أعلم

مقتل نصير الدين جقري نائب الموصل وواليه

زين الدين علي كجك مكنه بالقلعة

كان استقرّ عند الاتابك زنكي بالموصل الملك ألب أرسلان ابن
السلطان محمد ، ويلقب الخفاجي ، وكان شبيهاً به وتوهم^(٢) السلطان ان
البلاد له وأنه نائبه و ينتظر وفاة السلطان مسعود فيخطب له ويملك
البلد باسمه . وكان يتردد له ويسعى في خدمته فداخله بعض المفسدين

(١) كذا بياض بالأصل في جميع النسخ ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه
العبارة ومقتضى السياق: فوري بغزو ديار بكر كما قلناه ، وخلد جوسكين وعبر الفرات .
(٢) هنا بياض بالأصل ، ومقتضى السياق: وتوهم أن يخدع السلطان أن البلاد له .

في غيبة الاتابك ، وزين له قتل نصير الدين النائب ، والاستيلاء على الموصل . فلما دخل اليه أغرى به أجناد الاتابك ومواليه فوثبوا به ، وقتلوه في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين . ثم ألقوا برأسه الى أصحابه يحسبون أنهم يفترقون فاعصَوْصَبُوا واقتحموا عليه الدار . ودخل عليه القاضي تاج الدين يحيى ابن الشهرزوري فأوهمه بطاعته ، وأشار عليه بالصعود الى القلعة ليستولي على المال والسلاح فركب وصعد معه ، وتقدم الى حافظ القلعة وأشار عليه بأن يمكنه من الدخول . ثم يقبض عليه فدخل ودخل معه الذين قتلوا نصير الدين فحبسهم والى القلعة ، وعاد القاضي الى البلد . وطار الخبر الى الاتابك زنكي بحصار البيرة فخشي اختلاف البلد وعاد الى الموصل ، وقدم زين الدين علي ابن كجك ، وولاه القلعة مكان نصير الدين ، وأقام ينتظر الخبر . وخاف الافرنج الذين بالبيرة من عودته اليهم فبعثوا الى نجم الدين صاحب ماردين ، وساموها له فملكها المسلمون

حصار زنكي حصن جبر وفنك

ثم سار الاتابك زنكي سنة احدى وأربعين في المحرم الى حصن جبر ، ويسمى دوس وهو مطل على الفرات ، وكان لسالم ابن مالك العقيلي ، أقطعه السلطان ملك شاه لابيّه حين أخذ منه حلب وبعث جيشاً إلى قلعة فنك على فرسخين من جزيرة ابن عمر فحاصروها ، وصاحبها يومئذ حسام الدين الكردي فحاصر قلعة جبر حتى توسط

الحال بينهما حسان المنبجي ورغبه ورهبه . وقال في كلامه من يمنعك منه فقال الذي منعك أنت من مالك بن بهرام ، وقد حاصر حسان منبج فأصابه في بعض الايام سهم فقتله ، وأفرج عن حسان وقدر قتل الأتابك كذلك والله تعالى أعلم

مقتل الأتابك عماد الدين زنكي

كان الأتابك عماد الدين زنكي بن أفسُنقر صاحب الموصل والشام محاصراً لقلعة جعبر كما ذكرنا ، واجتمع جماعة من مواليه واغتالوه ليلاً وقتلوه على فراشه ، ولحقوا بجعبر وأخبروا أهلها فنادوا من السور بقتله . فدخل أصحابه اليه وألفوه بجود بنفسه . وكان قتله لخمس من ربيع الآخر سنة احدى واربعين ، عن ستين سنة من عمره ودفن بالركة ، وكان يوم قتل ابوه ابن سبع سنين . ولما قتل دفن بالركة وكان حسن السياسة كثير العدل مهيباً عند جنده . عمر البلاد وأمنها ، وأنصف المظلوم من الظالم . وكان شجاعاً شديد الغيرة كثير الجهاد . ولما قتل رحل العسكر عن قلعة فنك ، وصاحبها غفار . قال ابن الاثير : سمعهم يزعمون أن لهم فيها نحو ثلثمائة سنة ، وفيهم رفاة وعصبية ويجيرون كل من يلجأ اليهم والله أعلم .

استيلاء ابنه غازي على الموصل وابنه الآخر محمود على حلب

ولما قتل الأتابك زنكي نزع ابنه نور الدين محمود خاتمه من يده ، وسار به الى حلب فاستولى عليها . وخرج الملك البأرسلان ابن

السلطان محمود ، واجتمعت عليه العساكر ، وطمع في الاستقلال بملك الموصل . وحضر ابنه جمال الدين محمد بن علي بن متولي الديوان ، وصلاح الدين بن محمد الباغي سياني الحاجب ، وقد اتفقا فيما بينهما على حفظ الدولة لأصحابهما ، وحسنا لآلب أرسلان ما هو فيه من الاشتغال ببلذاته ، وأدخلاه الرقة فانغمس بها . وهما يأخذان العهود على الأمراء لسيف الدين غازي ، ويبعثانهم إلى الموصل

وكان سيف الدين غازي في مدينة شهرزور ، وهي أقطاعه ، وبعث إليه زين الدين علي كوجك نائب القلعة بالموصل يستدعيه ليحضر عنده . وسار آلب أرسلان إلى سنجار ، والحاجب وصاحبه معه ، ودسوا إلى نائبها بأن يعتذر للملك آلب أرسلان بتأخره حتى يملك الموصل ، فساروا إلى الموصل ومروا بمدينة سنجار وقد وقف العسكر فأشاروا على البأسلان بعبور دجلة إلى الشرق وبعثوا إلى سيف الدين غازي بحجرة وقلة عسكره ، فأرسل إليه عسكراً فقبضوه وجاءوا به فحبسه بقلعة الموصل . واستولى سيف الدين غازي على الموصل والجزيرة ، وأخوه نور الدين محمود على حلب ولحق به صلاح الدين الباغي سياني فقام بدولته ، والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

عصيان الرها

ولما قتل الأتابك زنكي ملك الرها جوسكين ، كان جوسكين

مقيماً في ولايته بتل باشر وما جاورها فراسل أهل الرها ، وعامتهم من الأرمن ، وحملهم على العصيان على المسلمين ، وتسليم البلد له فأجابوه ، وواعدوه ليوم عينوه فصار في عساكره وملك البلد وامتنت القلعة . وبلغ الخبر الى نور الدين محمود ، وهو بحلب فأغذ السير اليها ، وأجفل جو سكين الى بلده . ونهب نور الدين المدينة وسبأ أهلها ، وارتحلوا عنها وبعث سيف الدين غازي العساكر اليها فبلغهم في طريقهم ما فعله نور الدين فعادوا ، وذلك سنة احدى واربعين

ثم قصد صاحب دمشق بعد قتل الاتابك حصن بعلبك ، وبه فجم الدين أيوب بن شادي نائب الاتابك فابطأ عليه انجاده بنيه ، فصالح صاحب دمشق ، وسلم له بعلبك على اقطاع ومال اعطاه إياه وعشر قرى من بلاد دمشق وانتقل معه الى دمشق فسكنها وأقام بها ثم سار نور الدين محمود سنة اثنتين وأربعين من حلب الى الافرنج ففتح مدينة أرتاج عنوة وحاصر حصوناً أخرى . وكان الافرنج بعد قتل الاتابك يظنون أنهم يستردون ما أخذهم منهم فبداهم ما لم يكونوا يحتسون ولما قتل الاتابك زنكي طمع صاحب ماردين وصاحب كيفا أن يستردوا ما أخذ من بلادهم ، فلما تمكن سيف الدين غازي سار الى اعمال ديار بكر فلك دارا وغيرها ، وتقدم الى ماردين وحاصرها وعاث في نواحيها ، حتى ترحم صاحبها حسام الدين قرطاش على الاتابك مع عداوته . ثم أرسل الى سيف الدين غازي وصالحه ، وزوجه بنته

فعاد الى الموصل ، وزفت اليه وهو مريض فهلك قبل زفافها ، وتزوجها
أخوه قطب الدين من بعده ، والله اعلم

مصلحة سيف الدين غازي صاحب دمشق وهزيمة نور الدين محمود للأفرنج

كان تقدم لنا في دولة بني طغر كين موالي دقاق بن تئش أن
ملك اللمان من الأفرنج سار سنة ثلاث وأربعين ، وحاصر دمشق
بمجموع الأفرنج ، وبها مجير الدين أرتق بن بوري بن محمد بن طغر كين في
كفالة معين الدين أنزمولى^(١)

فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن أتابك زنكي بالموصل
يدعوه الى نصرته المسلمين ، فجمع عساكره وسار الى الشام ، واستدعى
أخاه نور الدين من حلب ، ونزلوا على حمص فأخذوا بمحجز الأفرنج
عن الحصار ، وقوي المسلمون بدمشق عليهم . وبعث معين الدين الى
طائفتي الأفرنج من سكان الشام والمان الواردين ، فلم يزل يضرب
بينهم ، وجعل لأفرنج الشام حصن بانياس طعمة على أن يرحلوا بملك
المانيين ففتلوا له في الذروة والغارب ، حتى رحل عن دمشق ، ورجع
الى بلاده وراء قسطنطينية بالشمال .

وحسن أمر سيف الدين غازي وأخيه في الدفاع عن المسلمين ،
وكان مع ملك اللمان حين خرج الى الشام ابن ادفونش ملك الجلائقة

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٠ : تملكه جده طغر كين ، وهو الذي أقام

مجير الدين .

بالاندلس ، وكان جدّه هو الذي ملك طرابلس الشام من المسلمين حين خروج الافرنج الى الشام فلما جاء الان مع ملك اللمان ملك حصن العريمة ، وأخذ في منازلة طرابلس ليملكها من القمص ، فأرسل القمص الى نور الدين محمود ومعين الدين انز وهما مجتمعان بعبك بعد رحيل ملك اللمانيين عن دمشق ، واغراهما بابن ادفونش ملك الجلائقة واستخلاص حصن العريمة من يده ، فسارا لذلك سنة ثلاث وأربعين وخمسة .

وبعث الى سيف الدين وهو بمحصر فأمدّهما بعسكر مع الامير عز الدين أبي بكر الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر ، وحاصروا حصن العريمة أياماً ، ثم نقضوا سوره وملكوه على الافرنج ، وأسروا من كان به من الافرنج ومعهم ابن ادفونش ، وعاد الى سيف الدين عسكره . ثم بلغ نور الدين ان الافرنج تجمعوا في بيقو من ارض الشام للاغارة على أعمال حلب ، فسار اليهم وقتلهم وهزمهم ، واثخن فيهم قتلاً وأسراً ، وبعث من غنائمهم وأسراهم الى أخيه سيف الدين غازي والى المفتي الخليفة انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة سيف الدين غازي وملك أخيه قطب الدين مودود

ثم توفي سيف الدين غازي بن الأتابك زنكي صاحب الموصل منتصف أربع وأربعين وخمسة ، لثلاث سنين وشهرين من ولايته ، وخلف ولداً صغيراً ربي عند عمه نور الدين محمود . وهلك صغيراً

فانقرض عقبه . وكان كريماً شجاعاً متسع المائدة يطعم بكرة وعشية مائة رأس من الغنم في كل نوبة ، وهو أول من حمل الصنjq (١) على رأسه ، وأمر بتعليق السيوف بالمناطق ، وترك التوشح بها ، وحمل الدبوس في حلقة السرج . وبنى المدارس للفقهاء ، والربط للفقراء . ولما أنشده حيص بيص الشاعر يمدحه :

إلام يراك المجد في زي شاعرٍ وقد نحت شوقاً إليك المنايرُ

فوصله بألف مثقال سوى الخلع وغيرها . ولما توفي سيف الدين غازي انتقض الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين علي ، وجاؤا بقطب الدين مودود ، بادروا الى تملكه واستخلفوه وخلفوا له . وركب الى دار السلطنة ، وزين الدين في ركابه فبايعوا له وأطاعه جميع من في أعمال أخيه بالموصل والجزيرة . وتزوج الخاتون بنت حسام الدين قمرناش صاحب ماردين التي هلك أخوه قبل زفافها ، فكان ولده كلهم منها والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء السلطان محمود على سنجار

ولما ملك قطب الدين مودود الموصل ، وكان أخوه نور الدين محمود بالشام ، وكان أكبر منه ، وله حلب وحماة ، كاتبه جماعة من الأمراء بعد أخيه غازي . وفيمن كاتبه نائب سنجار المقدم

(١) كلمة تركية بمعنى : العلم .

عبد الملك فبادر اليه في سبعين فارساً من أمرائه ، وسبق أصحابه في يوم مطير الى مساكن . ودخل البلد ، ولم يعرفوا منه إلا أنه أمير من جند التركمان . ثم دخل على الشحنة بيته فقبل يده وأطاعه ، ولحق به أصحابه ، وساروا جميعاً الى سنجار ، وأخذ السير فقطع عنه أصحابه ووصل الى سنجار في فارسين ، ونزل بظاهر البلد . وبعث الى المقدم فوصله ، وكان قد سار الى الموصل . وترك ابنه شمس الدين محمداً بالقلعة فبعث في أثر أبيه وعاد من طريقه ، وسلم سنجار الى نور الدين محمود فلحقها .

واستدعى فخر الدين قرى أرسلان صاحب كيفا لمودة بينهما فوصل في عساكره ، وبلغ الخبر الى قطب الدين صاحب الموصل ، ووزيره جمال الدين ، وأمير جيشه زين الدين فساروا الى سنجار للقاء نور الدين محمود ، وانتهوا الى تل اعفر ، ثم خاموا عن لقائه . وأشار الوزير جمال الدين بمصالحته وسار اليه بنفسه فمقده معه الصلح ، وأعاد سنجار على أخيه قطب الدين . وسلم له أخوه مدينة حمص والرحبة والسلام فانفرد بملك السلام ، وانفرد أخوه قطب الدين بالجزيرة واتفقا . وعاد نور الدين الى حلب ، وحمل ما كان لآبائهم الاتابك زنكي من الذخيرة لسنجار ، وكانت لا يعبر عنها ، والله تعالى أعلم

غزو نور الدين الى انطاكية وقتل صاحبها وفتح فاميا

ثم غزا نور الدين سنة أربع وأربعين الى انطاكية فعات فيها ، وخرّب كثيراً من حصونها وبينما هو يحاصر بعض الحصون اجتمع الافرنج وزحفوا اليه فلقبهم وحاربهم ، وأبلى في ذلك الموقف فهزم الافرنج وقتل البرنس صاحب انطاكية ، وكان من عتاة الافرنج . وملك بعده ابنه سمند طفلاً ، وتزوجت امه برنس آخر يكفل ولدها ويدبر ملكها فغزاه نور الدين ، ولقوه فهزمهم ، وأسر ذلك البرنس الثاني . وتمكن الطفل سمند من ملكه بانطاكية . ثم سار نور الدين سنة خمس وأربعين الى حصن افاميا بين شيزر وحماة وهو من احسن القلاع فحاصره وملكه ، وشحنه حامية وسلاحاً وأقواتاً . ولم يفرغ من امره الا والافرنج الذين بالشام جمعوا وزحفوا اليه . وبلغهم الخبر فخانوا عن اللقاء وصالحوه في المهادنة فمقد لهم انتهى .

هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين

ثم جمع نور الدين بعد ذلك وسار غازيا الى بلاد زعيم الافرنج ، وهي تل باشر وعتاب وعذار وغيرها من حصون شمالي حلب فجمع جوسكين لمدافعته عنها ، ولقيه فاقتتلوا ومحص الله المسلمين ، واستشهد كثير منهم وأسر آخرون ، وفيهم صاحب صلاح نور الدين فبعثه جوسكين الى الملك مسعود بن قليج ارسلان يعيره به ، لمكان صهره

نور الدين على ابنته فعمم ذلك عليه ، وأعمل الحيلة في جوسكين . وبذل المال لاهياء التركمان البادين بضواحيه أن يحتالوا في القبض عليه ففعلوا ، وظفر به بعضهم فشاركهم في اطلاقه على مال ، وبعث من يأتي به . وشعر بذلك والي حلب أبو بكر بن الرامة فبعث عسكرياً ليسوا من ذلك الحلي جاؤا بجوسكين أسيراً الى حلب وسار نور الدين الى القلاع فملكها ، وهي : تل باشر وعنتاب وعذار وتل خالد وقورص وداوندار ومرج الرصاص وحصن النادة وكفرشود وكفرلات ودلوكا ومرعش ونهر الجود ، وشحنها بالاقوات . وزحف اليه الافرنج ليدافعوه فلقبهم على حصن جلدك . وانهزم الافرنج واثخن المسلمون فيهم بالقتل والاسر ، ورجع نور الدين الى دلوكا ففتحها ، وتأخر فتح تل باشر منها الى أن ملك نور الدين دمشق ، واستأنوا اليه وبعث اليهم حسّان المنبجي فتسلمها منهم وحصنها ، وذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

استيلاء نور الدين على دمشق

كان الافرنج سنة ثمان وأربعين قد ملكوا عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر ، واعترضت دمشق بين نور الدين وبينها فلم يجد سبيلاً الى المدافعة عنها ، واستطال الافرنج على دمشق بعد ملكهم عسقلان ، ووضعوا عليها الجزية ، واشترطوا عليهم تخيير الاسرى

الذين بأيديهم في الرجوع الى وطنهم ، وكان بها يومئذ مجير الدين أنزن محمد بن بوري بن طغر كين الاتابك واهن القوى ، مستضعف القوة . فخشي نور الدين عليها من الافرنج ، وربما ضايق مجير الدين بعض الملوك من جيرانه فيفزع الى الافرنج فيغلبون عليه . وأمعن النظر في ذلك ، وبدأ أمره بمواصلة مجير الدين وملاطفته حتى استحكمت المودة بينهما حتى صار يداخله في اهل دولته ويرميهم عنده أنهم كاتبوه فيوقع الاخر بهم ، حتى هدم أركان دولته ، ولم يبق من امرائه إلا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغص به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجير الدين حتى نكبه وقتله .

وخلت دمشق من الحامية فسار حينئذ نور الدين مجاهراً بعداوة مجير الدولة ومتجنباً عليه . واستنجد بالافرنج على ان يعطيهم الاموال ويسلم لهم بعلبك فجمعوا واحتشدوا . وفي خلال ذلك عمد نور الدين الى دمشق سنة سبع وأربعين ، وكاتب جماعة من احداثها ووعدهم من أنفسهم ، فلما وصل ثاروا بمجير الدين ولجأ الى القلعة . وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة ، وبذل له اقطاعاً منها مدينة حمص . فسار اليها مجير الدين ، وملك نور الدين القلعة . ثم عوضه عن حمص ببالس فلم يرضها ، ولحق ببغداد وابتنى بها داراً وأقام بها الى أن توفي ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء نور الدين على تل باشر وحصاره قلعة حارم

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث اليه الافرنج الذين في تل باشر في شمالي حلب ، واستأمنوا اليه ومكنوه من حصنهم فتسلمه حسان المنبجي من كبار امراء نور الدين سنة تسع واربعين . ثم سار سنة احدى وخمسين الى قلعة بهرام بالقرب من انطاكية وهي لسند أمير انطاكية من الافرنج فحاصرها ، واجتمع الافرنج لمدافعته ، ثم خاموا عن لقائه وصالحوه على نصف أعمال حارم فقبل صلحهم ورحل عنها ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

استيلاء نور الدين على شيزر

شيزر هذه حصن قريب من حماة على نصف مرحلة منها على جبل منيع عال لا يسلك اليه الا من طريق واحدة ، وكانت لبني منقذ الكنانيين يتوارثون ذلك من ايام صالح بن مرداس صاحب حلب من أعوام عشرين واربعائة ، الى أن انتهى ملكه الى المرهف نصر بن علي ابن نصير بن منقذ بعد أبيه أبي الحسن علي . فلما حضره الموت سنة تسعين وأربعمائة عهد لاختيه أبي سلامة بن مرشد ، وكان عالماً بالقراءات والأدب ، وولي مرشداً أخاه الأصغر سلطان بن علي ، وكان بينها من الاتفاق والملازمة ما لم يكن بين اثنين . ونشأ لمرشد بنون كثيرون^(١)

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٥٤ : فأولد مرشد عدة أولاد ذكور وكبروا وسادوا .

في السؤدد ، منهم عز الدولة أبو الحسن علي ، ومؤيد الدولة أسامة وولده علي وتعدّد ولده ونافسوا بني عمهم ، وفشت بينهم السعايات فتماسكوا لمكان مرشد والتثامه بأخيه . فلما مات مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة تنكر اخوه سلطان لولده ، وأخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد بعضهم نور الدين فامتعض لهم وكان مشتغلاً عنهم بالافرنج ثم توفي سلطان وقام بامر شيزر أولاده ، وراسلوا الافرنج فحقن نور الدين عليهم لذلك .

ثم وقعت الزلازل بالشام وخرب أكثر مدنه مثل : حماة وحمص وكفرطاب والمعرّة وأقامية وحصن الاكراد وعرة ولاذقية وطرابلس وانطاكية . هذه سقطت جميعها وتهدمت سنة اثنتين وخمسين ، وما سقط بعضه وتهدمت أسواره فأكثر بلاد الشام . وخشي نور الدين عليها من الافرنج فوقف بعساكره في أطراف البلاد حتى رَمَّ ما تشلّم من أسوارها .

وكان بنو منقذ أمراء شيزر قد اجتمعوا عند صاحبها منهم في دعوة فأصابتهم الزلزلة مجتمعين فسقطت عليهم القلعة ، ولم ينج منهم أحد . وكان بالقرب منها بعض أمراء نور الدين فبادر وصعد اليها ، وملكها منه نور الدين ورمّ ما تشلّم من أسوارها ، وجدد بناءها فعادت كما كانت ، هكذا قال ابن الاثير .

وقال ابن خلكان : وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة استولى بنو

منقذ علي شيزر من يد الروم ، والذي تولى فتحها منهم علي بن منقذ بن نصر بن سعد ، وكتب الي بغداد بشرح الحال ما نصه :

كتابي من حصن شيزر حماه الله ، وقد رزقني الله من الاستيلاء ، علي هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لخلق في هذا الزمان . واذا عرف الامر علي حقيقته علم اني هزبر هذه الامة ، وسليمان الجن والمردة ، وانا أفرق بين المرء وزوجه ، واستنزل القمر من محله . انا ابو النجم وشعري شعري نظرت الي هذا الحصن فرأيت أمراً يذهل الأبواب ، يسع ثلاثة آلاف رجل بالأهل والمال ، وتمسكه خمس نسوة فعمدت الي تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالحواص ، ويسمى هذا التل بالحصن فعمرته حصناً ، وجمعت فيه أهلي وعشيرتي ونفرت نفرة علي حصن الحواص فأخذه بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت اليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلي وعشيرتي ، وخلطت خنازيرهم بغنمي ، ونواقيسهم بصوت الأذان . ورأى اهل شيزر فعلي ذلك فأنسوا بي ، ووصل اليّ منهم قريب من نصفهم فبالغت في اكرامهم . ووصل اليهم مسلم بن قريش العقيلي فقتل من أهل شيزر نحو عشرين رجلاً . فلما انصرف مسلم عنهم ساءوا اليّ الحصن .

انتهى كتاب علي بن منقذ . وبين هذا الذي ذكره ابن خلكان والذي ذكره ابن الاثير نحو خمسين سنة . وما ذكره ابن الاثير أولى

لأن الأفرنج لم يملكوا من الشام شيئاً في أوائل المائة الخامسة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

استيلاء نور الدين على بعلبك

كانت بعلبك في يد الضحّاك البقاعي ، نسبة الى بقاعة ^(١) ، والآن عليها صاحب دمشق . فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحّاك بعلبك ، وشغل نور الدين عنه بالأفرنج . فلما كانت سنة اثنتين وخمسين استنزله نور الدين عنها وملكها ، والله أعلم

استيلاء أخي نور الدين على حرّان ثم ارتجاعها

كان نور الدين سنة أربع وخمسين وخمسمائة بحلب ، ومعه أخوه الأصغر أمير أميران ، فرض نور الدين بالقلعة ، واشتدّ مرضه فجمع أخوه وحاصر قلعة حلب . وكان شير كوه ابن شادي أكبر أمرائه بمحمص ، فلما بلغه الإزحاف ^(٢) سار الى دمشق ليملكها ، وعليها أخوه نجم الدين ايوب فنكر عليه ، وأمره بالمسير الى حلب حتى يتبين حياة نور الدين من موته . فأغذّ السير الى حلب ، وصعد القلعة ، وظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فاقترقوا عن أخيه أمير أميران . فسار الى حرّان فملكها . فلما أفاق نور الدين سلّمها الى زين

(١) كذا بالأصل ، وهي : البقاع . وفي الكامل : بقاع بعلبك .

(٢) كذا بالأصل ، ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على التصويب . والأصح : الزحف .

الدين علي كجك نائب اخيه قطب الدين بالموصل ، وسار الي الرقة
فحاصرها ، والله تعالى وليّ التوفيق .

خبر سليمان شاه وحبيه بالموصل ثم سيره منها الى السلطنة بهمدان

كان الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه
السلطان سنجر بنخراسان ، وقد عهد له بملكه وخطب باسمه على منابر
خراسان . فلما حصل سنجر في أسر العدو سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
كجاً مرّ في أخبار دولتهم ، واجتمعت العساكر على سليمان شاه هذا ،
وقدموه فلم يطق مقاومة العدو ففضى الى خوارزم شاه وزوجه ابنة
أخيه . ثم بلغه عنه ما ارتأب له فأخرجه من خوارزم ، وقصد أصفهان
فمنعه الشحنة من الدخول فقصد قاشان ، فبعث اليه محمد شاه ابن أخيه
محمود عسكرياً دافعوه عنها فسار الى خراسان ، فمنعه ملك شاه منها
فقصد النجف ، ونزل^(١) وأرسل للخليفة المستنصر ، وبعث أهله وولده
رهناً بالطاعة واستأذن في دخول بغداد ، فأكرمهم الخليفة^(٢) وأذن له
وخرج ابن الوزير ابن هبيرة لتلقيه في الموكب ، وفيه قاضي القضاة .
والتقيا ودخل بغداد ، وخلع عليه آخر سنة خمسين .

وبعد أيام أحضر بالقصر واستخلف بحضرة قاضي القضاة والاعيان ،

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٤٨ : ونزل البندنجين ، وأرسل رسولاً إلى
الخليفة المقتضي يعلمه بوصوله .

(٢) كذا بالأصل ، عبارة مرتكبة . وفي الكامل : فأكرم الخليفة زوجته ومن معها ، وأذن له في
القدوم فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلاثمائة رجل .

وخطب له ببغداد ، ولقب ألقاب أبيه . وأمر بثلاثة آلاف فارس ، وسار نحو بلاد الجبل في ربيع سنة احدى وخمسين . ونزل الخليفة حلوان واستنفر له ابن اخيه ملك شاه صاحب همذان ، فقدم اليه في النفي فارس ، وجعله سليمان شاه ولياً عهده ، وامتدّهما الخليفة بالمال والسلاح ولحق بهما ايلد كز صاحب الري فكثرت جوعهم . وبمط السلطان محمد الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ، وزين الدين علي كجك نائبه في المظاهرة والانجاد ، وسار الي لقاء سليمان شاه فانهمز وتمزق عسكره . وفارقه ايلد كز فذهب الى بغداد على طريق شهرزور . وبلغ خبر الهزيمة الي زين الدين علي كجك فخرج في جماعة من عسكر الموصل ، وقعد له بشهرزور ، ومعه الامير ايراق حتى مرّ بهم سليمان شاه فقبض عليه زين الدين ، وحمله الى الموصل فحبسه بها مكرماً ، وطير الى السلطان محمود بالخبر .

فلما هلك السلطان محمود بن محمد سنة خمس وخمسين ، ارسل اكابر الامراء من همذان الى قطب الدين اتابك يطلبون تولية الملك سليمان شاه ، ويكون جمال الدين وزير قطب الدين وزيراً له ، وتعاهدوا على ذلك . وجهزه قطب الدين جهاز الملك ، وسار معه زين الدين علي كجك في عسكر الموصل الى همذان . فلما قاربوا بلاد الجبل تابعت العساكر والامداد للقائهم ارسالاً ، واجتمعوا على سليمان شاه وجروا معه على مذاهب الدولة ، فخشيم زين الدين على نفسه ، وفارقهم الى الموصل . وسار سليمان شاه الى همذان فكان من أمرهم ما تقدّم في اخبار الدولة السلجوقية .

حصار قلعة حارم وانضمام نور الدين أمام الأفرنج ثم هزيمتهم وفتحها

ثم جمع نور الدين محمود عساكر حلب ، وحاصر الأفرنج بقلعة حارم ، وجمعوا المدافعة ثم خاموا عن لقاءه ولم يتاجزوه ، وطال عليه أمرها فعاد عنها . ثم جمع عساكره وسار سنة ثمان وخمسين معتزماً على غزو طرابلس ، وانتهى إلى البقعة تحت حصن الأكراد فكبسهم الأفرنج هنالك وأثخنوا فيهم . ونجا نور الدين في الفلّ إلى بحيرة قطينة قريباً من حصص ، ولحق به المنهزمون . وبعث إلى دمشق وحلب في الأموال والخيام والظفر ، وأزاح علل العسكر . وعلم الأفرنج بمكان نور الدين من حصص فنكبوا عن قصدها . وسألوه الصلح فامتنع فأنزلوا حاميتهم بحصن الأكراد ورجعوا . وفي هذه الغزاة عزل نور الدين رجلاً يعرف بابن نصري ، تنصح له بكثرة خرجة بصيالاته وصدقاته على الفقراء والفقهاء والصوفية والقراء إلى مصارف الجهاد فغضب وقال : والله لا أرجو النصر إلا بأولئك فانهم يقاتلون عني بسهام الدعاء في الليل . وكيف أصرّفا عنهم ، وهي من حقوقهم في بيت المال ذلك شيء لا يحل لي .

ثم أخذ في الاستعداد للاخذ بشأره من الأفرنج ، وسار بعضهم إلى ملك مصر فأراد أن يخالفهم إلى بلادهم ، فبعث إلى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل ، وإلى فخر الدين قرا ارسلان صاحب كيفا ، وإلى نجم الدين ولي صاحب ماردين بالنجدة ، قسار من بينهم

أخوه قطب الدين . وفي مقدمته زين الدين علي كجك صاحب جيشه
ثم تبعه صاحب كيفا . وبعث نجم الدين عسكره ، فلما توافت الامداد
سار نور الدين نحو حارم سنة تسع وخمسين فحاصرها ونصب عليها
المجانيق ، واجتمع من بقي بالساحل من ملوك الافرنج ، ومقدمهم
البرنس سمند صاحب انطاكية ، والقمص صاحب طرابلس وابن
جوسكين ، واستنفر لهم أمم النصرانية وقصدوه فأفرج عن حارم الى
ارتاج .

ثم خاموا عن لقائه وعادوا الى حصن حارم ، وسار في اتباعهم
وناشهم الحرب فحملوا على عساكر حلب ، وصاحب كيفا في ميمنة
المسلمين فهزموها ومرّوا في اتباعهم . وحمل زين الدين في عساكر
الموصل على الصف فلقى الرجل فأنخن فيهم واستلحمهم ، وعاد الافرنج
من اتباع الميمنة فسقط في ايديهم . ودارت رحا الحرب على الافرنج
فانهزموا ، ورجع المسلمون من القتل الى الاسر فأسروا منهم أمماً فيهم
سمند صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس . وبعث السرايا في
تلك الاعمال بقصد انطاكية لخلوها من الحامية فأبى وقال : اخشى أن
يسلمها أصحابها لملك الروم فان سمند ابن أخته ومجاورته أحق الي من
من مجاورة ملك الروم . ثم عاج على قلعة حارم فحاصرها وافتتحها
ورجع مظفراً ، والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

فتح نور الدين قلعة بانياس

ولما افتتح نور الدين قلعة حارم أذن لعسكر الموصل وحصن

كيفا بالانطلاق الى بلادهم ، وعزم على منازلة بانياس وكانت بيد
الافرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . ثم وري عنها بقصد طبرية
فصرف الافرنج همتهم الى حمايتها، وخالف هو الى بانياس لقلة حاميتها
فحاصرها ، وضيق عليها في ذي الحجة من سنة تسع وخمسين . وكان
معه أخوه نصير الدين أمير أميران فأصيب بسهم في إحدى عينيه وأخذ
الافرنج في الجمع لمداقته فلم يستكملوا أمرهم حتى فتحها وشحن
قلعتها بالمقاتلة والسلاح . وخافه الافرنج فشاطروه في أعمال طبرية
وضرب عليهم الجزية في الباقي ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس الى
ملوكهم الذين ساروا الى مصر فسبقهم بالفتح وعاد الى دمشق . ثم سار
سنة إحدى وستين متجردا إلى حصن المنيطرة فنازلهم على غرة
وملكه عنوة ، ولم يجتمع الافرنج الا وقد ملكه فاقترقوا ويئسوا من
ارتجاعه ، والله تعالى أعلم .

وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل

صريخا وانجاء بالعسكر مع أسد الدين شيركوه

كانت دولة العلويين بمصر قد أخذت في التلاشي وصارت الى
استبداد وزرائها على خلفائها . وكان من آخر المسلمين بها شاور السعدي
استعمله الصالح بن زربك^(١) على قوص وندم . فلما هلك الصالح بن

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٧٥ : الصالح بن رزيك .

رزيك وكان مستبدًا على الدولة قام ابنه رزيك مقامه فعزل شاور عن قوص فلم يرض بعزله . وجمع وزحف الى القاهرة فملكها ، وقتل رزيك واستبد على العاضد ولقبه أمير الجيوش . وكانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ثم نازعه الضرغام ، وكان صاحب الباب ومقدم البرقية فتار عليه لسبعة أشهر من وزارته ، وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام ، وقصد نور الدين محمود بن زنكي مستنجدًا به على أن يكون له ثلث الجباية بمصر . ويقيم عسكر نور الدين بها مددا له فاختر من أمرائه لذلك أسد الدين شيركوه بن شادي الكردي ، وكان بمحمص ، وجهزه بالعساكر فسار لذلك في جمادى سنة تسع وخمسين ، واتبعه نور الدين الى أطراف بلاد الافرنج فشغلهم عن التعرض للعساكر .

وسار أسد الدين مع شاور ، وسار معه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب ، وانتهوا الى بلبيس فلقبهم ناصر الدين أخو المضرغام في عساكر مصر فانهزم ورجع الى القاهرة . واتبعه أسد الدين فقتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها . وقتل أخوه وعاد شاور الى وزارته . وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ينتظر الوفاء بالعهد من شاور بما عاهد عليه نور الدين فنكث شاور العهد ، وبعث اليه بالرجوع الى بلده فليج في طلب ضريته ، ورحل الى بلبيس والبلاد الشرقية فاستولى عليها . واستمد شاور عليه بالافرنج فبادروا الى ذلك لما كان في نفوسهم من تخوف غائلته ، وطعموا في ملك مصر .

وسار نور الدين من دمشق ليأخذ بحجزتهم عن المسير فلم يشنهم ذلك ، وتركوا ببلادهم حامية فلما قاربوا مصر فارقها أسد الدين ، واجتمع الافرنج وعساكر مصر فحاصروه ثلاثة أشهر ، يغاديهم القتال ويروا حهم . وجاءهم الخبر بهزيمة الافرنج على حارم ، وما هيا الله لنور الدين في ذلك فراسلوا أسد الدين شيركوه في الصلح ، وطووا عنه الخبر فصالحهم وخرج ولحق بالشام . ووضع له الافرنج المراصد بالطريق فعدل عنها . ثم أعاده نور الدين الى مصر سنة اثنتين وستين فسار بالعساكر في ربيع ، ونزل اطفيح ، وعبر النيل .

وجاء الى القاهرة من جانبها الغربي ونزل الجيزة في عدوة النيل ، وحاصرها خمسين يوماً . واستمد شاور بالافرنج وعبر الى أسد الدين فتأخر الى الصعيد ، ولقيهم منتصف السنة فهزمهم . وسار الى ثغر الاسكندرية فملكها ، وولى عليها صلاح الدين ابن أخيه ورجع فدونخ بلاد الصعيد . وسارت عساكر مصر والافرنج الى الاسكندرية ، وحاصروا بها صلاح الدين فسار اليه أسد الدين فتلقوه بطلب الصلح فتم ذلك بينهم ، وعاد الى الشام وترك لهم الاسكندرية .

وكاتب شجاع بن شاور نور الدين بالطاعة عنه وعن طائفة من الامراء . ثم استطال الافرنج على أهل مصر وفرضوا عليهم الجزية وانزلوا بالقاهرة الشحنة ، وتسلموا أبوابها واستدعوا ملكهم بالشام الى الاستيلاء عليها فبادر نور الدين ، وأعاد أسد الدين في العساكر

اليها في ربيع سنة أربع وستين فلكهما وقتل شاور ، وطرده الافرنج عنها . وقدّمه العاضد لوزارته والاستبداد عليه كما كان من قبله . ثم هلك أسد الدين وقام صلاح الدين ابن أخيه مكانه ، وهو مع ذلك في طاعة نور الدين محمود . وهلك العاضد فكتب نور الدين الى صلاح الدين يأمره باقامة الدعوة العباسية بمصر ، والخطبة للمستضي . ويقال انه كتب له بذلك في حياة العاضد ، وبين يدي وفاته . وهلك لحسين يوما أو نحوها فخطب للمستضي العباسي ، وانقرضت الدولة العلوية بمصر ، وذلك سنة سبع وستين كما نأتي على شرحه وتفصيله في دولة بني أيوب ان شاء الله تعالى . ووقعت خلال ذلك فتنة بين نور الدين محمود وبين صاحب الروم قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان سنة ستين وخمسة ، وكتب الصالح بن رزيك الى قليج أرسلان ينهاه عن الفتنة ، والله تعالى ولي التوفيق

فتح نور الدين صافيتا وعريمة وسنج وجعبر

ثم جمع نور الدين عساكره سنة اثنتين وستين ، واستدعى أخاه قطب الدين من الموصل فقدم عليه بمحمص ، ودخلوا جميعاً بلاد الافرنج ، ومرتوا بحصن الاكراد واكتسحوا نواحيه . ثم حاصروا عرقة وخرّبوا جكة^(١) وفتحوا العريمة وصافيتا ، وبعثوا سراياهم فعالت في البلاد .

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٩ ص ٩٦ : وحصروا حلبة وأخذوها وخرّبوها .

ورجعوا الى حمص فأقاموا بها الى رمضان ، وانتقلوا الى بانياس ، وقصدوا حصن حموص ^(١) فهرب عنه الافرنج فهدم نور الدين سورته وأحرقه . واعتزم على بيروت فرجع عنه اخوه قطب الدين الى الموصل وأعطاه نور الدين من عمله الرقعة على الفرات .

ثم انتفض بمدينة مَنبِج غازي بن حسان . وبعث اليها العساكر فلحقها عَنُوةٌ ، وأقطعها أخاه قطب الدين ينال بن حسان وبقيت بيده الى أن أخذها منه صلاح الدين بن أيوب . ثم قبض بنو كلاب على شهاب الدين ملك بن علي بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعبر ، وكانت تسمى دوس ، ثم سميت باسم جعبر بانيها .

وكان السلطان ملك شاه أعطاهما لجدّه عندما ملك حلب كما مرّ في أخباره . ولم تزل بيده ويد عقبه الى أن هلك هذا فخرج يتصيد سنة ثلاث وستين ، وقد أرصد له بنو كلاب فأسروه ، وحملوه الى نور الدين محمود صاحب دمشق فاعتقله مكرماً . وحاوله في النزول عن جعبر بالترغيب تارة وبالترهيب اخرى فأبى ^(٢) وبعث بالعساكر مع الامير فخر الدين محمود بن أبي علي الزعفراني وحاصرها مدة فامتنعت ، فبعث عسكرياً آخرأ . وقدم على الجميع الامير فخر الدين أبا بكر (١) كذا ، وفي الكامل : وقصدوا حصن هونين ، وهو للفرنج أيضاً من أمتع حصونهم

ومعاقلمهم .

(٢) كذا بالأصل ، العبارة مرتبكة والأسماء محرفة ، وفي الكامل : فاعتقله وأحسن لمواليه ورغبة في الإقطاع والمال ليسلم إليه القلعة فلم يفعل فعُدل إلى الشدة والعنف ، وتهده فلم يفعل فسير إليها نور الدين عسكرياً مقدمه الامير فخر الدين مسعود بن علي الزعفراني ، فحاصرها مدة فلم يظفر منها بشيء .

ابن الداية رضيعه وأكبر أمرائه فحاصرها فامتنت ورجع الى ملاطفة صاحبها فأجاب ، وعوضه نور الدين عنها سروج وأعمالها ، وساحة حلب و مراغة وعشرين ألف دينار. وملك قلعة جعبر سنة أربع وستين ، وانقرض أمر بني مالك منها ، والبقاء لله وحده .

رحلة زين الدين نقيب الموصل الى اربل واستبجاد قطب الدين بملكه

قد كان تقدم لنا أن نصير الدين جقري كان نائب الاتابك زنكي بالموصل ، وقتل ألب أرسلان ابن السلطان محمود آخر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة طمعاً في الملك لغييه الاتابك فرجع من غيبته في حصار البيرة وقدم مكانه زين الدين علي بن كمستكين بقلعة الموصل فلم يزل بها بقية أيام الاتابك ، وأيام ابنه غازي ، وابنه الآخر قطب الدين سنة ثمان وخمسين على وزيرهم جمال الدين محمد بن علي بن منصور الأصفهاني فاعتقله ، وهلك لسنة من الاعتقال . وحمل الى المدينة النبوية علي ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فدفن بها في رباط هتاك أعدّه لذلك. وكانت وفاته أيام سيف الدين غازي بن قطب الدين فولى مكانه جلال الدين أبا الحسن ابنه . وكان زين الدين علي بن كمستكين ويعرف بكجك قد استبدّ في دولة قطب الدين واستقل بحكم الدولة . وصارت بيده أكثر البلاد اقطاعاً مثل : اربل وشهرزور والقلاع البقي في تلك البلاد الهكارية . منها : العمادية وغيرها ، والحמידية

وتكريت وسنجار . وقد كان نقل أهله وولده وذخائره الى إربل ، وأقام بمحل نيابته من قلعة الموصل فأصابه الكبر ، وطرقه العمى والصمم فعزم على مفارقة الموصل الى كسريته باربل ، فسلم جميع البلاد التي بيده الى قطب الدين ما عدا اربل . وسار اليها سنة أربع وستين ، وأقام قطب الدين مكانه فخر الدين عبد المسيح خصياً من موالى جدّه الاتابك زنكي ، وحكمه في دولته فنزل بالقلعة وعمرها ، وكان الخراب قد لحقها باهمال زين الدين أمر البناء ، والله تعالى أعلم .

حصار نور الدين قلعة الكرك

ثم بعث صلاح الدين سنة خمس وستين الى نور الدين محمود يطلب انفاذ أبيه نجم الدين أيوب إليه فبعثه في عسكر ، واجتمع اليه خلق من التجار ومن أصحاب صلاح الدين ، وخشي عليهم نور الدين في طريقهم من الافرنج فسارت العساكر الى الكرك ، وهو حصن اختطه من الافرنج البرنس أرقاط واختط له قلعة فحاصره نور الدين ، وجمع له الافرنج فرحل الى مقدمتهم قبل أن يتلاحقوا فخاموا عن لقائه ونكسوا على أعقابهم . وسار في بلادهم فاكسحها ، وخرب ما مرّ به من القلاع ، وانتهى الى بلاد المسلمين حتى نزل حوشب . وبعث نجم الدين من هنالك الى مصر فوصلها منتصف خمس وستين ، وركب العاضد للقائه .

ولما كان نور الدين بعشير اسار للقاء شهاب الدين محمد بن الياس ابن أبي الغازي بن ارتق صاحب قلعة أكبره . فلما انتهى الى نواحي بعلبك لقي سرية من الافرنج فقاتلهم وهزمهم واستلحمهم ، وجاء بالاسرى ورؤس القتلى الى نور الدين ، وعرف الرؤس مقدم الاستبان^(١) صاحب حصن الاكراد ، وكان شجياً في قلوب المسلمين . وبلغه وهو بهذا المنزل خبر الزلازل التي عمت البلاد بالشام والموصل والجزيرة والعراق ، وخربت أكثر البلاد بعمله فسار اليها وشغل في اصلاحها من واحدة الى أخرى حتى أكملها بمبلغ جهده . واشتغل الافرنج بعمارة بلادهم أيضاً خوفاً من غائلته ، والله تعالى أعلم .

وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك ابنه سيف الدين غازي

ثم توفي قطب الدين مودود بن الاتابك زنكي صاحب الموصل في ذي الحجة سنة خمس وستين لأحدى وعشرين سنة ونصف من ملكه ، وعهد لابنه الأكبر عماد الدين بالملك . وكان القائم بدولته فخر الدين عبد المسيح ، وكان شديد الطواعية لنور الدين محمود ، ويعلم ميله عن عماد الدين زنكي بن مودود فعدل عنه الى أخيه سيف الدين غازي ابن مودود بموافقة أمه خاتون بنت حسام الدين تمرتاش بن أبي الغازي . ولحق عماد الدين بعمه نور الدين منتصراً به . وقام فخر الدين بعبدة المسيح بتدبير الدولة بالموصل واستبد بها ، والله تعالى أعلم .

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٠٦ : فرأى نور الدين في الرؤوس رأس مقدم الاستبان صاحب حصن الاكراد .

استيلاء نور الدين على الموصل واقترابه ابن أخيه سيف الدين عليها

ولما ولي سيف الدين غازي بالموصل بعد أبيه قطب الدين ، واستبدّ عليه فخر الدين عبد المسيح كما تقدّم ، وبلغ الخبر الى نور الدين باستبداده انف من ذلك ، وسار في خف من العسكر ، وعبر الفرات عند جعبر اول سنة ست وستين . وقصد الرقّة فملكها ، ثم الخابور فملك جميعه ، ثم نصيبين وكلها من اعمال الموصل . وجاءه هناك نور الدين محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان صاحب كيفا مدداً . ثم سار الى سنجار فحاصرها وملكها وسامها لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين . ثم جاءته كتب الامراء بالموصل فاستحثوه فأغذ السير الى مدينة كلك . ثم عبر الدجلة ونزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل . وسقطت ذلك اليوم ثلثة كبيرة من سور الموصل .

وكان سيف الدين غازي قد بعث اخاه عز الدين مسعود الى الاتابك شمس الدين صاحب همدان وبلاد الجبل واذربيجان واصفهان والري يستنجد به على عمه نور الدين ، فأرسل ايلدكز الى نور الدين ينهيه عن الموصل فأساء جوابه وتوعده ، واقام يحاصر الموصل . ثم اجتمع امراؤها على طاعة نور الدين . ولما استحث فخر الدين عبد المسيح استأمن الى نور الدين على ان يبقى سيف الدين ابن أخيه على ملكها ، فأجابه على ان يخرج هو عنه ، ويكون معه

بالشام . وتم ذلك بينهما ، وملك نور الدين منتصف جمادى الاولى من سنة ست وستين . ودخل المدينة واستناب بالقلعة خصياً اسمه كستكين ولقبه سعد الدين . فأقر سيف الدين ابن اخيه على ملكه ، وخلع عليه خلعة ، وردت عليه من الخليفة المستضيء وهو يحاصرها ، وامر يينا جامع بالموصل فبني وشهر باسمه . وامر سيف الدين ان يشاور كستكين في جميع اموره ، واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن اخيه قطب الدين وعاد الى الشام ، والله تعالى اعلم .

الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين

ثم سار صلاح الدين في صفر سنة تسع وستين من مصر الى بلاد الافرنج غازياً ونازل حصن الشوبك من اعمال ^(١) واستأمن اليه اهله على ان يمهلم عشرة ايام ، فأجابهم وسمع نور الدين بذلك فسار من دمشق غازياً أيضاً بلاد الافرنج من جانب آخر ، وتنصح لصلاح الدين اصحابه بأنك ان ظاهرته على الافرنج اضمحل امرهم فاستطال عليك نور الدين ، ولا تقدر على الامتناع منه فترك الشوبك وكر راجعاً الى مصر . وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر انهم معتزمون على الوثوب ، فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك ، واعتزم على عزله عن مصر . فاستشار صلاح الدين اياه وخاله

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١١٢ : ونازل حصن الشوبك ، وبينه وبين الكرك يوم ، وحصره وضيق على من به من الفرنج .

شهاب الدين الحارمي وقرابتهم ، فأشار عليه تقي الدين عمر بن اخيه بالامتناع والعصيان فنكر عليه نجم الدين ابوه وقال له : ليس منا من يقوم بعصيان نور الدين لو حضر او بعث وأشار عليه بان يكاتبه بالطاعة ، وانه ان عزم على اخذ البلاد منك فسلمها ويصل بنفسه .

وافترق المجلس فخلا به ابوه وقال : مالك توجد بهذا الكلام السبيل للامراء في استطالتهم عليك . ولو فعلتم ما فعلتم كنت أول الممتنعين عليه ، ولكن ملاطفته اولى . وكتب صلاح الدين الى نور الدين بما اشار به ابوه من الملاطفة فتركمهم نور الدين واعرض عن قصدهم . ثم توفي ، واشتغل صلاح الدين بملك البلاد . ثم جمع نور الدين العساكر وسار لغزو الافرنج بسبب ما اخذوه لاهل البلاد من مراكب التجار ، ونكثوا فيها العهد مغالطين بأنها تكسرت فلم يقبل مغالطتهم . وسار اليهم وبث السرايا في بلادهم نحو انطاكية وطرابلس ، وحاصر هو حصن عرقنة ، وخرّب ربضه ، وارسل عسكرياً الى حصن صافيتا وعريمة ففتحهما عنوة وخرّبهما . ثم سار من عرقنة الى طرابلس واكتسح كل ما مرّ عليه ، حتى رجع الافرنج الى الانصاف من انفسهم ، وردّوا ما اخذوا من المكرمين الأعزّين ، وسألوا تجديد لهدنة فأجابهم بعد ان خربت بلادهم وقتلت رجالهم وغنمت اموالهم ثم اتخذ نور الدين في هذه السنة الحام ... بالشام تطيراً إلى اوعارها

من^(١) لا تساع بلاده ، ووصول الاخبار بسرعة فبادر الى القيام بواجبه ، وأجرى الجرايات على المرتبين لحفظها لتصل الكتب في أجنحتها . ثم أغار الافرنج على حوران من أعمال دمشق ، وكان نور الدين ينزل الكسوة فرحل اليهم ورحلوا أمامه الى السواد ، وتبعهم المسلمون ونالوا منهم . ونزل نور الدين على عشير وبعث منها سرية إلى أعمال طبرية فاكسحها ، وسار الافرنج لمداغتهم فرجعوا عنها واتبعهم الافرنج فعبروا النهر ، وطمعوا في استنقاذ غنائمهم فقاتلهم المسلمون دونها اشد قتال إلى أن استنقذت ، وتحاجزوا ورجع الافرنج خائبين ، والله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين بمنه وكرمه .

واقعة ابن ليون ملك الروم بالروم

كان مليح بن ليون صاحب دروب حلب أطاع نور الدين محمود ابن زنكي ، وأمره على الحاملة وأقطعه ببلاد الشام ، وكان يسير في خدمته ويشهد حروبه مع الافرنج أهل ملته . وكان الأرمني أيضاً يستظهر به على اعدائه ، وكانت أدنة والمصيصة وطرسوس مجاورة لابن ليون ، وهي بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فتغلب عليها ابن ليون وملكها . وبعث صاحب القسطنطينية منتصف سنة

(١) هنا بياضان بالأصل في جمع النسخ ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه العبارة . وبدل السياق العبارة بحسب رأينا أن المقصود : ثم اتخذ نور الدين في هذه السنة الحام الزاجل بالشام لإرسال الأخبار بسرعة ضمن بلاده الواسعة .

ثمان وستين وخمسمائة جيشاً كثيفاً . مع عظيم من بطارقه ، فلقه ابن ليون بعد أن استنجد نور الدين فأنجده بالعساكر ، وقاتلهم فهزمهم ، وبعث بغنائهم وأسراهم إلى نور الدين ، وقويت شوكة ابن ليون ، ويش الروم من تلك البلاد ، والله تعالى أعلم .

مسير نور الدين إلى بلاد الروم

كان ذو النون بن محمد بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس وأخصري وقيسارية ملكها بعد عمه باغي أرسلان ، وأخيه إبراهيم بن محمد فلم يزل قليج أرسلان بن محمد بن قليج أرسلان يتخيف بلاده إلى أن استولى عليها . ولحق ذو النون بنور الدين صريخاً . وأرسل إلى قليج أرسلان بالشفاعة في ردّ بلاده فلم يشفعه ، فسار إليه وملك من بلاده بكسور ومهنسا ومرعش ومرزبان وما بينهما في ذي القعدة سنة ثمان وستين . ثم بعث عسكرياً إلى سيواس فلكوها . ثم أرسل قليج أرسلان إلى نور الدين يستعطفه ، وقد كان يحيز امامه إلى قاصية بلاده فأجابه نور الدين إلى الصلح على أن ينجده بعسكر الافرنج ، ويبقي سيواس بيد ذي النون وعسكر نور الدين الذي معه فيها . ورجع نور الدين إلى بلاده وبقيب سيواس بيد ذي النون حتى مات نور الدين ، وعاد قليج أرسلان . ثم وصل رسول نور الدين من بغداد كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ، ومعه منشور من

الخليفة المستضيء، لنور الدين بالموصل والجزيرة وإربل وخلاط والشام
وببلاد الروم وديار مصر والله سبحانه وتعالى أعلم .

سير صلاح الدين إلى الكرك ورجوعه

ولما كانت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين كما قدّمنا ،
واعترم نور الدين على عزله عن مصر ، واستعطفه صلاح الدين كان
فيما تقرّر بينهما أنها يجتمعان على الكرك ، وأيهما سبق انتظر صاحبه
فسار صلاح الدين من مصر في شوال سنة ثمان وستين ، وسبق إلى
الكرك وحاصره . وخرج نور الدين بعد أن بلغه مسير صلاح من
مصر ، وأزاح علل المساكر وانتهى إلى الرقيم على مرحلتين من
الكرك فخافه صلاح الدين على نفسه ، وخشي أن يعذله عند لقائه .
وكان استخلف أباه نجم الدين أيوب على مصر فبلغه أنه طرده مرض
شديد فوجد فيه عذراً لنور الدين ، وكرّ راجعاً إلى مصر . وبعث
الفقيه عيسى بذلك العذر وإن حفظه مصر أهمّ عليه . فلما وصل مصر
وجد أباه قد توفي من سقطة سقطها عن مركوبه ، هزه المرح فرماه ،
وحمل إلى بيته وقيداً ومات لأيام قريبة آخر ذي الحجة من السنة .

ورجع نور الدين إلى دمشق ، وكان قد بعث رسوله كمال الدين
الشهرزوري القاضي ببلاده ، وصاحب الوقوف والديوان لطلب
التقليد للبلاد التي بيده مثل مصر والشام والجزيرة والموصل ، والتي

دخلت في طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد الروم، وأن يعادله ما كان لآبيه زنكي من الاقطاع بالعراق وهي : صريفين ودرب هرون ، وأن يسوّغ قطعة أرض على شاطئ دجلة بظاهر الموصل بيني فيها مدرسة للشافعية فأسعف بذلك كله .

وفاته نور الدين محمود وولايته ابنه اسمعيل الصالح

ثم توفي نور الدين محمود بن الأتابك زنكي حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة لسبع عشرة سنة من ولايته ، وكان قد شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب ، واستنفر سيف الدين ابن أخيه في العساكر مورياً بغزو الافرنج . وكان قد اتسع ملكه وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما ملكها سيف الدولة بن أيوب . وكان معتياً بمصالح المسلمين مواظباً على الصلاة والجهاد ، وكان عارفاً بمذهب أبي حنيفة ومتحرّياً للعدل ومتجافياً عن أخذ المكوس في جميع أعماله ، وهو الذي حصن قلاع الشام وبني الأسوار على مدنها مثل : دمشق وحمص وحماة وشيزر وبعليك وحلب ، وبني مدارس كثيرة للحنفية والشافعية وبني الجامع النوري بالموصل ، والمارستانات والخانات في الطريق ، والجواسق للصوفية في البلاد . واستكثر من الاوقاف عليها . يقال بلغ ريع أوقافه في كل شهر تسعة آلاف دينار صوري .

وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويتمثل لهم قائماً ،
ويؤنسهم في المجالسة ، ولا يردّ لهم قولاً . وكان متواضعاً مهيباً وقوراً .
ولما توفي اجتمع الأمراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق ، وبايعوا
ابنه الملك الصالح اسمعيل وهو ابن إحدى عشرة سنة . وحلفوا له
وأطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر ، وخطب له هنالك وضرب
السكة باسمه ، وقام بكفالاته وتدير دولته الأمير شمس الدين محمد بن
عبد الملك بن المقدم ، وأشار عليه القاضي كمال الدين الشهرزوري بأن
يرجعوا في جميع أمورهم الى صلاح الدين لئلا ينبد طاعتهم فأعرضوا
عن ذلك ، والله تعالى ولي التوفيق .

استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة

قد كنا قدمنا أن نور الدين استولى على بلاد الجزيرة ، وأقر
سيف الدين ابن أخيه قطب الدين على الموصل ، واحتمل معه فخر
الدين عبد المسيح الذي ولي سيف الدين واستبدّ عليه بأمره . وولي
على قلعة الموصل سعد الدين كمستكين . ولما استنفرهم نور الدين بين
يدي موته سار اليه سيف الدين غازي وكمستكين الخادم في المساكر ،
ويلغهم في طريقهم خبر وفاته . وكان كمستكين في المقدمة فهرب الى
حلب ، واستولى سيف الدين على خلفه وسواده ، وعاد الى نصيبين
فلسها ، وبعث المساكر الى الحابور فاستولى عليها وعلى أقطاعها . ثم

سار الى حرّان ، وبها قايماز الحراي مولى نور الدين فحاصرها أياماً ، ثم استنزله على ان يقطعه حرّان . فلما نزل قبض عليه وملكها . ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلها وعوضه عنها قلعة الزعفراني من جزيرة ابن عمر ، وانتزعها منه بعد ذلك .

ثم سار الى الرقة وسروج فلكتها ، واستوعب بلاد الجزيرة سوى قلعة حمير لامتناعها ، وسوى رأس عين كانت لقطب الدين صاحب ماردين ، وهو ابن خاله . وكان شمس الدين علي بن الداية بحلب ، وهو من أكبر أمراء نور الدين ، ومعه العساكر ، ولم يقدر على مدافعة سيف الدين فخر الدين عبد المسيح . وكان نور الدين تركه قبل موته بسيواس مع ذي النون بن الدانشمند . فلما مات نور الدين رجع الى صاحبه سيف الدين غازي ، وهو الذي كان ملكه فوجده بالجزيرة وقد ملكها فأشار عليه بالعبور الى الشام . وعارضه آخر من أكبر الأمراء في ذلك فرجع سيف الدين الى قوله ، وعاد الى الموصل وأرشد صلاح الدين الى الملك الصالح وأهل دولته يعاتبهم حيث لم يستدعوه لمداغة سيف الدين عن الجزيرة ، ويتهدد ابن المقدم وأهل الدولة على انفرادهم بأمر الملك الصالح دونه ، وعلى قعودهم عن مدافعة سيف الدين غازي . ثم أرسل شمس الدين بن الداية الى الملك الصالح يستدعيه من دمشق الى حلب ليدافع شمس الدين ابن عمه قطب الدين عن الجزيرة فنعه أمراؤه عن ذلك ، مخافة أن يستولي عليه ابن الداية ، والله سبحانه وتعالى اعلم بغيبه .

حصار الافرنج ببانياس

ولما مات نور الدين محمود اجتمع الافرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق . وجمع شمس الدين بن المقدّم العساكر ، وسار عن دمشق ، وراسل الافرنج وتهدّدهم بسيف الدين صاحب الموصل ، وصلاح الدين صاحب مصر فصالحوه على مال يبعثه اليهم . واشترى من الافرنج وأطعمهم ، وتقررت الهدنة . وبلغ ذلك صلاح الدين فنكره واستعظمه ، وكتب الى الصالح وأهل دولته بقبح مرتكبهم ويعدهم بغزوة الافرنج ، وقضده انما هو طريقه الى الشام ليمتلك البلاد ، وانما صالح ابن المقدّم الافرنج خوفاً منه ومن سيف الدين ، والله تعالى أعلم .

استيلاء صلاح الدين على دمشق

ولما كان ما ذكرناه من استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة ، خاف شمس الدين ابن الداية منه على حلب . وكان سعد الدين كستكين قد هرب من سيف الدين غازي اليه فأرسله الى دمشق ليستدعي الملك الصالح للمدافعة . فلما قارب دمشق أنفذ ابن المقدّم اليه عسكرياً . فنهبوه وعاد الى حلب . ثم رأى ابن المقدّم وأهل الدولة بدمشق ان مسير الصالح الى حلب أصلح فبعثوا الى كستكين

وبعثوا معه الملك الصالح . فلما وصل الى حلب قبض كمستكين على ابن الداية واخوته ، وعلى رئيس حلب ابن الحشّاب ، وعلى مقدم الاحداث بها . واستبدّ بأمر الصالح .

وخشي ابن المقدم وأمرأؤه بدمشق غائلته فكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل أن يملكوه فأحجم عن السير اليهم ، وظنها مكيدة . وبعث بنجرهم الى كمستكين ، وصالحه على مال أخذه من البلاد فكثرت ارباب القوم في دمشق ، فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب فسار اليهم ونكب عن الافرنج في طريقه ، وقصد بصرى وأطاعه صاحبها . ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج اليه أهل الدولة بمقدمهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ، وهو الذي كان أبوه سلم سنجار لنور الدين سنة أربع وأربعين كماراً ، ودخل صلاح الدين دمشق آخر ربيع سنة سبعين ونزل دار أبيه المعروفة بدار العفني . وكان في القلعة ريجان خديم نور الدين فبعث اليه صلاح الدين القاضي كمال الدين الشهر وزي بأنه على طاعة الصالح ، والخطبة له في بلاده ، وأنه انما جاء ليرتفع البلاد التي أخذت له فسلم اليه ريجان القلعة واستولى على ما فيها من الاموال ، وهو في ذلك كله يظهر طاعة الملك الصالح ، ويخطب له وينقش السكة باسمه انتهى والله أعلم .

استيلاء صلاح الدين على حمص ودمقة ثم حضارة حلب ثم ملكه بعلبك

ولما ملك صلاح الدين دمشق من ايلة الملك الصالح استخلف

عليها أخاه سيف الاسلام طغر كين بن أيوب ، وكانت حصن وحماة
 وقلعة سرعش وسليمة وتل خالد والرُّها من بلاد الجزيرة في إقطاع
 فخر الدين مسعود الزعفراني من أمراء نور الدين ، ماعدا القلاع منها .
 ولما مات نور الدين أجفل الزعفراني عنها لسوء سيرته . ولما ملك صلاح
 الدين دمشق سار الى حصن فلك البلد ، وامتنعت القلعة بالوالي الذي
 بها فجهز عسكرياً لحصارها ، وسار الى حماة فنازلها منتصف شعبان ،
 وبقلعتها الأمير خرديك فبعث اليه صلاح الدين بأنه في طاعة الملك
 الصالح ، وانما جاء لمداغة الافرنج عنه ، وارتجاع بلاده بالجزيرة من
 ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، واستخلفه على ذلك
 عز الدين . ثم بعثه صلاح الدين الى الملك الصالح بحلب في الاتفاق ،
 وإطلاق شمس الدين علي حسن وعثمان تقي الدين من الاعتقال فسار
 عز الدين لذلك ، واستخلف بالقلعة أخاه . ولما وصل الى حلب قبض
 عليه كمستكين وحبسه فسلم أخوه قلعة حماة لصلاح الدين وملكها .

ثم سار صلاح الدين من وقته الى حلب وحاصرها ، وركب الملك
 الصالح وهو صبي مناهز فسار في البلد واستعان بالناس ، وذكر حقوق
 أبيه فبكى الناس رحمة له واستماتوا دونه ، وخرجوا فدافعوا عسكر
 صلاح الدين . ودس كمستكين الى مقدم الاسماعيليين في الفتك
 بصلاح الدين فبعث لذلك فداوية منهم . وشعر بذلك بعض أصحاب
 صلاح الدين وجماعة منهم معه ، وقتلوا عن آخرهم .

وأقام صلاح الدين محاصراً لحلب، وبعث كمستكين إلى الأفرنج يستنجدهم على منازلة بلاد صلاح الدين ليرحل عنهم. وكان القُصص عند السنجيلي صاحب طرابلس أسره نور الدين في حارم سنة تسع وخمسين ، وبقي معتقلاً بحلب أطلقه الآن كمستكين بمائة وخمسين ألف دينار سورية وألف أسير ، وكان متغلباً على ابن مري ملك الأفرنج لكونه مجذوماً لا يصدر إلا عن رأيه فسار يجمع الأفرنج إلى حصن الرستن سابع رجب وصالحهم صلاح الدين من الغد فأجفلوا ، وحاصر هو القلعة وملكها آخر شعبان ، واستولى على أكثر الشام . ثم سار إلى بعلبك ، وبها يمين الخادم من موالي نور الدين فحاصرها ، حتى استأنموا إليه فلما كانت منتصف رمضان من السنة ، وأقطعها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم بما تولى له من اظهار طاعته بدمشق وتسليمها له ، والله تعالى أعلم .

**حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازي صاحب الموصل وغلبة إياه
واستيلائه على بغديون وغيرها من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب**

لما ملك صلاح الدين حمص وحماة ، وحاصر حلب ، كاتب الملك الصالح اسمعيل من حلب إلى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فجمع عساكره ، واستنجد أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار فلم يجبه لما كان بينه وبين صلاح الدين ، وأنه ولأه سنجار ،

ويطعمه في الملك فبعث سيف الدين غازي بالعساكر لمدافعة صلاح الدين عن الشام في رمضان سنة سبعين وخمسمائة ، مع أخيه عز الدين مسعود وأمير جيوش عز الدين القنذار ، وجعل التدبير اليه ، وسار هو الى سنجار فحاصر بها أخاه عماد الدين ، وامتنع عليه . وبينما هو يحاصره جاءه الخبر بأن صلاح الدين هزم أخاه عز الدين وعساكره فصالح عماد الدين على سنجار ، وعاد الى الموصل .

ثم جهز أخاه عز الدين في العساكر ثانية ومعه القنذار . وساروا الى حلب فانضمت اليهم عساكره ، وساروا جميعا الى صلاح الدين فأرسل الى عماد الدين بالموصل في الصلح بينه وبين الملك الصالح على أن يرد عليه حمص وحماة ، ويسوغه الصالح دمشق فأبى إلا ارتجاع جميع بلاد الشام واقتصاره على مصر ، فسار صلاح الدين الى عساكرهم ولقيها قريباً من حماة ، فانهزمت وثبت عز الدين قليلاً . ثم صدق عليه صلاح الدين الحملة فانهزم وغنم سوادهم ومخلفهم ، واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وحاصرها ، وقطع خطبة الملك الصالح ، وبعث بالخطبة للسلطان في جميع بلاده . ولما طال عليهم الحصار صالحوه على إقراره على جميع ما ملك من الشام .

ورحل عن حلب عاشر شوآل من السنة ، وعاد الى حماة . ثم سار منها الى بغدوين ، وكانت لفخر الدين مسعود بن الزعفراني من أمراء نور الدين ، وكان قد اتصل بالسلطان صلاح الدين واستخدم له . ثم

فارقه حيث لم يحصل على غرضه عنده فلقى ببغديين ، وبها نائب الزعفراني فحاصرها حتى استأمنوا اليه . وأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي ، واقطع حمص ناصر الدين بن عمه شيركوه ، وعاد الى دمشق آخر سنة سبعين . وكان سيف الدين غازي صاحب الموصل بعد هزيمة أخيه وعساكره عاد من حصار أخيه بسنجار كما قلناه الى الموصل ، فجمع العساكر وفرق الأموال . واستجد صاحب كيفا وصاحب ماردين ، وسار في ستة آلاف فارس ، وانتهى الى نصيبين في ربيع سنة احدى وسبعين فأقام الى انسلاخ فصل الشتاء وسار الى حلب فبرز اليه سعد الدين كمستكين الخادم مدير الصالح في عساكر حلب .

وبعث صلاح الدين عن عساكره من مصر ، وقد كان أذن لهم في الانطلاق فجاؤا اليه . وسار من دمشق الى سيف الدين وكمستكين فلقبهم بتل الفحول وانهزموا راجعين الى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها في جمع من العساكر ، وعبر الفرات الى الموصل يظن أن صلاح الدين في اتباعه . وشاور الصالح وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز في مفارقة الموصل الى قلعة الحميدية فعارضاه في ذلك . ثم عزل القنذار عن امارة الجيوش لانه كان جبراً الهزيمة برأيه ومفارقته ، وولى مكانه مجاهد الدين قايماز .

ولما انهزمت العساكر أمام صلاح الدين وغنم خلفها سار الى مراغه وملكها وولي عليها . ثم سار الى مَنبِج وبها صاحبها قطب الدين نبال بن حسان المنبجي ، وكان شديد العداوة لصلاح الدين فملك المدينة ، وحاصره بالقلعة وضيق خنقه . ثم نقب اسوارها وملكها عليه عنوة وأسره . ثم أطلقه سلباً فلحق بالموصل ، وأقطعه سيف الدين الرقة . ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة إعراز وهي في غاية المنعة فحاصرها اربعين يوماً حتى استأمنوا اليه فتسلها في الاضحى . ثم رحل الى حلب فحاصرها ، وبها الملك الصالح ، واشتد أهلها في قتاله فعدل الى المطاولة . ثم سعى بينهما في الصلح ، وعلى أن يدخل فيه سيف الدين صاحب الموصل وصاحب كيفا وصاحب ماردين فاستقر الامر على ذلك ، وخرجت أخت الملك الصالح الى صلاح الدين فأكرمها ، وأفاض عليها العطاء ، وطلبت منه قلعة اعزاز فأعطاه إياها ، ورحل الى بلاد الاسماعيلية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين صاحب الموصل ورجوعه

كان مجاهد الدين قايماز متولي مدينة إربل ، وكان بينه وبين شهاب الدين محمد بن بدران صاحب شهرزور عداوة . فلما ولي سيف الدين مجاهد الدين قايماز نيابة الموصل خاف شهاب الدين غائلته عن

تعاهد الخدمة بالموصل ، وأظهر الامتناع ، وذلك سنة اثنتين وسبعين
فخاطبه جلال الدين الوزير في ذلك مخاطبة بليغة ، وحذره ورغبه
فعاود الطاعة وبادر الى الحضور بالموصل ، والله تعالى ينصر من يشاء
من عباده .

نكبة كمستكين الخادم ومقتله

كان سعد الدين كمستكين الخادم قائماً بدولة الملك الصالح في
حلب وكان يناهضه فيها أبو صالح العجمي فقدم عند نور الدين وعند
ابن الملك الصالح ، وتجاوز مراتب الوزير فعدا عليه بعض الباطنية
فقتله ، وخلا الجو لـ كمستكين ، وانفرد بالاستبداد على الصالح
وكرت السعاية فيه بحجر السلطان والاستبداد عليه وانه قتل وزيره
فقبض عليه وامتحنه . وكان قد أقطعه قلعة حارم فامتنع بها أصحابه ،
وأرادهم الصالح على تسليمها فامتنعوا ، وهلك كمستكين في المحنة .
وطمع فيها وساروا اليها وحاصروها . وصانعهم الصالح بالمال فرجعوا
عنها ، وبعث هو عساكره اليها وقد جهدهم الحصار فسلموها له ،
وولي عليها ، والله تعالى أعلم .

وفاة الصالح اسمعيل واستيلاء ابن عمه عز الدين مسعود على حلب

ثم توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب في
منتصف سنة سبع وسبعين لثمان سنين من ولايته ، وعهد بملكه لابن

عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل . واستحلف أهل دولته على ذلك بعضهم بعماد الدين صاحب سنجار أخيه عز الدين الأكبر لمكان صهره على أخت الصالح ، وأن أباه نور الدين كان يميل إليه فأبى . وقال عز الدين : أنا أقدر على مدافعة صلاح الدين عن حلب . فلما قضى نحبه أرسل الأمراء بحلب إلى عز الدين مسعود يستدعون^(١) هو ومجاهد الدين قايماز إلى الفرات ، ولقي هنالك أمراء حلب ، وجاءوا معه فدخلها آخر شعبان من السنة ، وصلاح الدين يومئذ بمصر بعيداً عنهم وتقي الدين عمر ابن أخيه في منبج ، فلما أحس بهم فارقها إلى حماة ، ونار به أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين ، وأشار أهل حلب عليه بقصد دمشق وبلاد الشام وأطمعوه فيها فأبى من أجل العهد الذي بينه وبين صلاح الدين ثم أقام بحلب شهوراً وسار عنها إلى الرقة ، والله تعالى أعلم .

استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجار لأخيه عز الدين

ولما انتهى عز الدين إلى الرقة منقلباً من حلب ، وافقه هنالك رسل أخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب منه أن يملكه مدينة سنجار ، وينزل هو له عن حلب فلم يجبه إلى ذلك . فبعث عماد الدين إليه بأنه يسلم سنجار إلى صلاح الدين فحمل الأمراء حينئذ على معارضته على سنجار وتمسكهم له . ولم يكن لعز الدين مخالفاً لتمكنه في الدولة

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٥٤ : إلى أتاك عز الدين يستدعون^(١) إلى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز إلى الفرات .

و كثرة بلادده وعساكره فأخذ سنجار من أخيه عماد الدين ، وأعطاه حلب ، وسار إليها عماد الدين وملكها . وسهل أمره على صلاح الدين بعد أن كان متخوفاً من عز الدين على دمشق ، والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير صلاح الدين إلى بلاد الجزيرة وحصار الموصل واستيلائه على كثير من بلادها ثم على سنجار

كان عز الدين صاحب الموصل قد أقطع مظفر الدين كرجكري زين الدين كجك مدينة حرّان وقلعتها . ولما سار صلاح الدين لحصار البيرة جنح إليه مظفر الدين ، ووعدته النصر ، واستحثه للقدوم على الجزيرة فسار إلى الفرات موريا بقصد ^(١) وعبر إليه مظفر الدين فلقيه ، وجاء معه إلى البيرة ، وهي قلعة منيعة على الفرات من عدوة الجزيرة . وكان صاحبها من بني ارتق أهل ماردين قد أطاع صلاح الدين فعبّر من جسرّها وعز الدين صاحب الموصل يومئذ قد سار معه مجاهد الدين إلى نصيبين لمداغة صلاح الدين عن حلب . فلما بلغها عبوره الفرات عاد إلى الموصل ، وبعث حامية إلى الرها .

وكتب صلاح الدين ملوك النواحي بالنجدة والوعد على ذلك . وكان تقدّم العهد بينه وبين نور الدين محمد بن قرى أرسلان صاحب كيفا على أن صلاح الدين يفتح آمد ويسلمها إليه . فلما كاتبهم الآن كان

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٥٧ : فجند صلاح الدين في السير مظهراً أنه يريد حصر حلب تستراً للحال .

صاحب كيفا أول مجيب ، وسار صلاح الدين الى الرها فحاصرها في جمادى سنة ثمان وسبعين ، وبها يومئذ فخر الدين مسعود الزعفراني فلما اشتد به الحصار استأمن الى صلاح الدين ، وحاصر معه القلعة حتى سلمها نائبها على مال أخذه ، وأقطعها صلاح الدين مظفر الدين كوكبري صاحب حران . وسار عنها الى الرقة ، وبها نائبها قطب الدين نبال بن حسّان المنبجي فاجفل عنها الى الموصل ، وملكها صلاح الدين وسار الى الحابور وهو قرقيسيا وما كسين وعرمان فاستولى على جميعها .

وسار الى نصيبين فلما لوقتها ، وحاصر القلعة أياماً وملكها ، وأقطعها أبا الهيجا السمين من أكبر أمرائه . وسار عنها وملكها ، ومعه صاحب كيفا . وجاء الخبر بأن الافرنج أغاروا على أعمال دمشق ووصلوا داريا فلم يحفل بخبرهم ، واستمر على شأنه واغراه مظفر الدين كوكبري وناصر الدين محمد بن شير كوه بالموصل ، ورجحا قصدها على سنجار وجزيرة ابن عمر كما أشار عليها فسار صلاح الدين وصاحبها عز الدين ، ونائبه مجاهد الدين ، وقد جمعوا العساكر وأفاضوا العطاء وشحنوا البلاد التي بأيديهم كالجزيرة وسنجار والموصل واربل ، وسار صلاح الدين حتى قاربها وسار هو ومظفر الدين وابن شير كوه في أعيان دولته الى السور فأراه مخايل الامتناع . وقال لمظفر الدين وناصر الدين ابن عمه قد أغررتما في . ثم صبح البلد ونأشبه وركب أصحابه في المقاعد للقتال . ونصب منجنيقاً فلم يغن ونصب اليه من البلد تسعة .

ثم خرج اليه جماعة من البلد وأخذوه وكانوا يخرجون ليلاً من البلد بالمشاعل يوهمون الحركة . فخشى صلاح الدين من البيات وتأخر عن القصد ، وكان صدر الدين شيخ الشيوخ قد وصل من قبل الخليفة الناصر مع بشير الخادم من خواصة ، في الصلح بين الفريقين على إعادة صلاح الدين بلاد الجزيرة فأجاب على إعادة الآخرين حلب فامتنعوا . ثم رجع عن شرط حلب إلى ترك مظاهرة صاحبها فاعتذروا عن ذلك ، ووصلت رسل صاحب أذربيجان قرا ارسلان . وأرسل صاحب خلاط شاهرين فلم ينتظم بينها أمر ، ورحل صلاح الدين عن الموصل إلى سنجار فحاصرها ، وبها أمير أميران^(١) وأخوه عز الدين صاحب الموصل في عسكر ، ولقيه شرف الدين وجاءها المدد من الموصل فحال بينهم وبينها ، وداخله بعض أمراء الأكراد من الدوادية من داخلها فكبسها صلاح الدين ولحق بالموصل .

وملك صلاح الدين سنجار وصارت سياجاً على جميع ما ملكه بالجزيرة . وولى عليها سعد الدين ابن معين الدين أنز الذي كان متغلباً بدمشق على آخر^(٢) طغر كين وعاد فر بنصيبين وشكا إليه أهلها من أبي الهيجاء السمين فعزله وسار إلى حران بلدة مظفر الدين كوكيري

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٥٨ : وبها أمير أميران هندوا أخو عز الدين صاحب الموصل .

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : واستتاب بها سعد الدين بن معين الدين أنز ، وكان من أكابر الأمراء وأحسنهم صورة ومعنى .

فوصلها في القلعة من سنة سبع وثمانين فأراح بها ، وأذن لعساكره في الانطلاق وكان عز الدين قد بعث الى شاهرين صاحب خلاط يستنجد به . وأرسل شاهرين الى صلاح الدين بالشفاعة في ذلك رسلا عديدة آخرهم مولاه سكرجاء ، وهو على سنجار ، فلم يشفعه ^(١) أخاه من ذلك وفارقه مغاضباً . وسار شاهرين ^(٢) الى قطب الدين صاحب ماردين وهو ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته فاستنجد به ، وسار معه ، وجاءهم عز الدين من الموصل في عساكره ، واعتزموا على قصد صلاح الدين وبلغه الخبر وهو مريح بجران فبعث عن تقي الدين ابن أخيه صاحب حمص وحماة ، وارتحل للقائهم ونزل رأس عين ، فحاضروا عن لقائه ، ولحق كل ببلده ، وسار صلاح الدين الى ماردين فأقام عليها أياماً ورجع ، والله تعالى أعلم

استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها

ولما ارتحل صلاح الدين عن ماردين قصد آمد فحاصرها سنة تسع وسبعين ، وملكها وسلمها لنور الدين محمد بن قرا أرسلان كما كان العهد بينهما ، وقد أشرنا إليه . ثم سار الى الشام فحاصر تل خالد من أعمال

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : فأرسل إليه أخيراً مملوكه سيف الدين بكتمر الذي ملك خلاط بعد شاه أرمن فأتاه وهو يحاصر سنجار يطلب إليه أن يتركها ويرحل عنها . وقال له ، إن رحل عنها وإلا فتهدده بقصده ومحاربته فأبلغه بكتمر الشفاعة فسوفه في الجواب رجاء أن يفتحها فلما رأى بكتمر ذلك أبلغه الرسالة بالتهديد وفارقه غضبان .

(٢) كذا واسمه في الكامل شاه أرمن .

حلب حتى استأمنوا اليه ، وملكها في محرم ستة تسع وسبعين وسار منها الى عينتاب ، وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل خازن نور الدين محمود وصاحبه ، ولأه عليها نور الدين فلم يزل بها فاستأمن الى صلاح الدين على أن يقره على الحصن ، ويكون في خدمته فأقره وأعلمه .

ورحل صلاح الدين الى حلب وبها عماد الدين زنكي بن مودود ، ونزل عليها بالميلان الأخضر أياماً . ثم انتقل الى جبل حوشن أياماً أخرى ، وأظهر أنه أبني عليها ، وعجز عماد الدين عن عطاء الجند فراسل صلاح الدين أن يعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والركة وسروج فأجاب الى ذلك ، وأعطاه عنها تلك البلاد وملكها ، وكان في شرط صلاح الدين عليه انه يبادر الى الخدمة متى دعاه اليها . وسار عماد الدين إلى بلاده تلك ، ودخل صلاح الدين حلب في آخر سنة تسع وسبعين . ومات عليها اخوه الأصغر تاج الملوك يوري بضربة في ركبته تصدعت لها ، ومات بعد فتح حلب .

ثم ارتحل صلاح الدين الى قلعة حارم وبها سرجك من موالي نور الدين ، ولأه عليها عماد الدين . فلما سلم حلب لصلاح الدين امتنع سرجك في قلعة حارم فحاصره صلاح الدين وترددت الرسل بينهما ، وقد دس الى الافرنج ودعاهم . وخشي الجند الذين معه أن يسلمها اليهم فحبسوه ، واستأمنوا الى صلاح الدين فلكها وولى عليها بعض

خواصه ، وعلى تل خالد الأمير داروم الباروقي صاحب تل باشر ، وأقطع قلعة اعزاز الأمير سليمان بن جندر فعمرها بعد ان كان عماد الدين خربها ، وأقطع صلاح الدين أعمال حلب لامرائه وعساكره ، والله تعالى أعلم .

نكبة مجاهد الدين قايماز

كان مجاهد الدين قايماز قائما بدولة الموصل ومتحكما فيها كما قلناه وكان عز الدين محمود الملقب بالقننداز صاحب الجيش ، وشرف الدين أحمد بن أبي الخير الذي كان صاحب العراق . كانا من اكابر الامراء عند السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل ، وكانا يغريانه بمجاهد الدين ويكثران السعاية عنده فيه ، حتى اعتزم على نكبته ، ولم يقدر على ذلك في مجلسه لاستبداد مجاهد الدين وقوة شوكته . فانقطع في بيته لعارض مرض ، وكان مجاهد الدين خصياً لا يجتنب منه النساء . فدخل عليه يعود فقبض عليه ، وركب الى القلعة فاحتوى على أمواله وذخائره . وولى بها القننداز نائباً ، وجعل ابن صاحب العراق أميراً حاجباً ، وحكمها في دولته .

وكان في يد مجاهد الدين إربل وأعمالها فيها زين الدين يوسف ابن زين الدين علي كجك صبياً صغيراً تحت استبداده ويده أيضاً جزيرة ابن عمر لمز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي ، وهو صبي

تحت استبداده . وبيده أيضاً شهرزور وأعمالها ودقوقا وقلعة عقر الحميدية ، ونوابه في جميعها ولم يكن لعز الدين مسعود بعد استيلاء صلاح الدين على الجزيرة سوى الموصل وقلعتها لمجاهد الدين ، وهو الملك في الحقيقة فلما قبض عز الدين عليه امتنع صاحب اربل ، واستبد بنفسه ، وكان صاحب جزيرة ابن عمر ، وبعث بطاعته الى صلاح الدين .

وبعث الخليفة الناصر شيخ الشيوخ ، وبشير الخادم بالصلح بين عز الدين وصلاح الدين على أن تكون الجزيرة واربل من أعماله ، وامتنع عز الدين وقال : هما من أعمالي . وطمع صلاح الدين في الموصل فتنكر عز الدين لزقنداز ولابن صاحب العراق ، لما حملاه عليه من الفساد لنكبة مجاهد الدين فبدأ أولاً بعزل صاحب أذربيجان فقال : له أنا أكفله وجهازه عسكراً نحو ثلاثة آلاف فارس . وساروا نحو اربل فاكتمسحوا البلد وخربوها ، وسار اليهم زين الدين يوسف باربل فوجدتهم مفترقين في النهب فهزمهم ومن كان معهم وعاد مظفراً ، ولحق العجم ببلادهم . وعاد مجاهد الدين الى الموصل ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

حصار صلاح الدين الموصل وصلحه مع عز الدين صاحبها

ثم سار صلاح الدين من دمشق في ذي القعدة سنة احدى وثمانين ، فلما انتهى الى حرّان قبض على صاحبها مظفر الدين كوكبري

لأنه كان لذلك وعده بخمسين ألف دينار ، حتى اذا وصل لم يف له بها فقبض عليه لانحراف أهل الجزيرة عنه ، فأطلقه ورد عليه عمله بجرّان والرّها . وسار عن حران ، وجاء معه عساكر كيفاوداري ، وعساكر جزيرة ابن عمر مع صاحبها معز الدين سنجر شاه ابن أخي معز الدين صاحب الموصل ، وقد استبدّ بأمره ، وفارق طاعة عمه بعد نكبة مجاهد الدين كما قلنا ، فساروا مع صلاح الدين الى الموصل ولما انتهوا الى مدينة الأبله وفدت عليه أم عز الدين ، وابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة ظناً بأنه لا يردهم وأشار عليه الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب بردهم ، ورحل الى الموصل فقاتلها وامتنعت عليه ، وندم على ردّ الوفاء ، وجاءه كتاب القاضي الفاضل باللائمة .

ثم قدم عليه زين الدين يوسف صاحب اربل فأتزله مع أخيه مظفر الدين كوكبري وغيره من الأمراء . ثم بعث الأمير علي بن أحمد المشطوب الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فاجتمع عليه الأكراد الهكارية وأقام يحاصرها ، وكاتب نائب القلعة القنداز . ونمي خبر مكاتبتة الى عز الدين فنعه واطرحه من المشورة ، وعدل الى مجاهد الدين قايماز ، وكان يقتدي برأيه فضبط الأمور وأصلحها . ثم بلغه في آخر ربيع من سنة اثنين وثمانين ، وقد ضجر من حصار الموصل ان شاهرين صاحب خلاط توفي تاسع ربيع ، واستولي عليها مولاهم بكتمر فرحل عن الموصل ، ومملك ميافارقين كما يأتي في أخبار دولته

ولما فرغ منها عاد الى الموصل ، ومر بنصيبين ، وزل الموصل في رمضان سنة اثنتين وثمانين ، وترددت الرسل بينها في الصلح ، على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية الفرائلي وما وراء الزاب ، ويخطب له على منابرها ، وينقش اسمه على سكوته . ومرض صلاح الدين اثناء ذلك ووصل الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى الصلح وتحالفا عليه ، وبعث من يسلم البلاد وأقام ممرضاً بجران ، عند أخوه العادل وناصر الدولة ابن عمه شيركوه ، وامنت بلاد الموصل .

ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين التركمان والاكراد بالجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور وأذربيجان ، وقتل فيها ما لا يحصى من الامم ، واتصلت أعواماً وسببها أن عروساً من التركمان أهديت الى زوجها ، ومروا بقلعة الزوزان والاكراد ، وطلبوا منهم الوليمة على عادة الفتيان فأغلظوا في الرد فقتل صاحب القلعة الزوج ، وثار التركمان بجماعة من الاكراد فقتلوه . ثم أصلح مجاهد الدين بينهم وأفاض فيهم العطاء فعادوا الى الوفاق ، وذهبت بينهم الفتنة ، والله تعالى أعلم .

وفاة زين الدين يوسف صاحب أربل وولاية أخيه مظفر الدين

كان زين الدين يوسف بن علي كجك قد صار في طاعة صلاح الدين كما ذكرناه قبل ، واربل من أعماله . ووقع الصلح على ذلك بينه

وبين عز الدين صاحب الموصل سنة ست وثمانين ^(١) للعسكر معه فمات عنده أخريات رمضان من السنة واستولى أخوه علي موجوده وقبض على جماعة من أمرائه مثل بلداحي صاحب قلعة حقيبكان وغيره ، وطلب من صلاح الدين أن يقطعه اربل مكان أخيه ، وينزل عن حرّان والرها فأقطعه اربل ، وأضاف إليها شهرزور وأعمالها ودوقبر قرابلي وبني قفجاق وراسل أهل اربل مجاهد الدين قايمآز واستدعوه ليملكوه ، وهو بالموصل فلم يتطاول لذلك خوفاً من صلاح الدين . ولأن عز الدين لما كان ولاه نيابته بعد أن أطلقه من الاعتقال لم يمكنه كما كان أول مرة ، وجعل معه رديفاً في الحكم كان من بعض غلمانته ، فكان أسفاً لذلك . فلما راسله أهل اربل قال : والله لا أفعل لتلايحكم معي فيها فلان ، وسار مظفر الدين إليها وملكها .

حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر

كان سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود قد ملك جزيرة ابن عمر بوصية أبيه ، وخرج عن طاعة عمه عز الدين عند نكبة مجاهد الدين كما قلناه ، وصار عيناً على عمه يكاتب صلاح الدين بأخباره ويغريه به ويسعى في القطيعة بينهما . ثم حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ست وثمانين ، واستنفر لها أصحاب الاطراف المتشبهين بدعوته مثل عز

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢١٠ كان زين الدين يوسف صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات .

الدين صاحب الموصل ، وأخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين
وسنجان شاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم . واجتمعوا عنده
على عكا ، وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجان شاه
فخاف واستأذن في الانطلاق ، فاعتذر صلاح الدين بأن في ذلك
افتراق هذه العساكر فالح عليه في ذلك ، وغدا عليه يوم المفطر مسلماً
فوعده وانصرف وكان تقي الدين عمر بن شاه أخي صلاح الدين مقيلاً
من حماة في عسكر فأرسل اليه صلاح الدين باعتراضه ، وردّه طوعاً
أو كرهاً قلقه بقلعة فنك وردّه كرهاً وكتب صلاح الدين الى عز
الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر يظنها مكيدة فتلقاها
بالمراجعة ، وطلب اقطاع الجزيرة فأسعهه ، وسار اليها وحاصرها أربعة
أشهر فامتنعت عليه . ثم صالحه على نصف أعماله ، ورجع إلى الموصل ،
والله تعالى أعلم

سيرة عز الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة ورجوعه عنها

كان صلاح الدين قد ملك من بلاد الجزيرة حرّان والرها
وسميساط وميفارقين ، وكانت بيد ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاه .
ثم توفي تقي الدين فأقطعها أخاه العادل أبا بكر بن أيوب . ثم توفي
صلاح الدين سنة تسع وثمانين فطمع عز الدين صاحب الموصل في
ارتجاعها ، واستشار أصحابه فأشار عليه بعضهم بمعاجلتها وأن يستنفر
أصحاب الاطراف لها مثل : صاحب اربل ، وصاحب جزيرة ابن عمر ،

وصاحب سنجار ونصيبين . ومن امتنع يعاجله حرباً ويعاجل البلد قبل
أن يستعدّ أهلها للدافعة .

وأشار مجاهد الدين قايماز بمشاوره هؤلاء الملوك والعمل بإشارتهم
فقبل من مجاهد الدين وكاتبهم فأشاروا بانتظار أولاد صلاح الدين ،
وأن البلد في طاعته ، وأنه القائم بدولته ، وأنه بلغه أن صاحب ماردين
تعرض لبعض بلاده فجهز جيشاً كثيفاً لقصد ماردين فوجها الكتابة
وتركوا الحركة . ثم بلغهم أنه بظاهر حران في خوف من العسكر
فتجهز للحركة عليه . ولما وقع الاتفاق مع سنجار جاءت عساكر
الشام الى العادل من الافضل ، فامتنع وسار عز الدين في عساكره من
الموصل الى نصيبين ، واجتمع بأخيه عماد الدين ، وساروا الى الرها ،
وقد عسكر العادل قريباً منهم بمرج الريجان ، وخافهم فأقاموا أياماً
كذلك . ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع أخيه عماد الدين
وساروا الى الموصل ، والله أعلم

وفاة عز الدين صاحب الموصل وولايته ابنه نور الدين

ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها مدة شهرين ، واشتدّ
مرضه فتوفي آخر شعبان سنة تسع وثمانين ، وولى ابنه نور الدين
ارسلان شاه بن عز الدين فمسعود بن مودود بن الأتابك زنكي ، وقام

بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز مدبر دولة أبيه ، والله سبحانه
وتعالى أعلم

وفاة عماد الدين صاحب سنجار وولاية قطب الدين

ثم توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي ، صاحب
سنجار والخابور ونصيبين والركة وسروج ، وهي التي عوضه صلاح
الدين عن حلب لما أخذها منه . توفي في حرّم سنة أربع وتسعين ،
وملك بعده ابنه قطب الدين ، وتولى تدبير دولته مجاهد برتقش مولى
أبيه . وكان ديناً خيراً عادلاً متواضعاً محباً لاهل العلم والدين معظماً
لهم ، وكان متعصباً على الشافعية حتى انه بنى مدرسة للحنفية
بسنجار ، وكان حسن السيرة ، والله تعالى أعلم

استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصيبين

كان عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين ، قد امتدت أيدي
نوابه بنصيبين الى قرى من اعمال الموصل تجاورهم ، وبعث اليه في
ذلك مجاهد الدين قايماز صاحب دولة الموصل يشكو اليه نوابه سرّاً
من سلطانه نور الدين ، فلجّ عماد الدين في ادعاء انها من أعماله ،
وأساء الردّ فأعاد نور الدين الرسالة اليه مع بعض مشايخ دولته ، وقد
طرقه المرض فأجاب مثل الاول فنصح الرسول ، وكان من بقية

الأتابك زنكي . وعاد الى ^(١) فأغلظ له في القول ، واعتزم نور الدين على المسير الى نصيبين ، ووصل الخبر اثر ذلك بوفاة عماد الدين ، وولاية ابنه قطب الدين فقوي طمع نور الدين في نصيبين ، وتجهز لها في جمادي سنة أربع وتسعين . وسار قطب الدين بن سنجر في عسكره فسبقه نور الدين الى نصيبين . فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ، ودخل الى قلعة نصيبين مهزوماً . ثم أسرى منها الى حرّان ، ومعه نائبه مجاهد الدين يرتقش ، وكاتبوا العادل أبا بكر بن ايوب يستحثونه من دمشق . وأقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل في رمضان من السنة . وعاد قطب الدين اليها . وكان الموتان قد وقع في عسكر نور الدين فمات كثير من امراء الموصل . ومات مجاهد الدين قايماز القائم بالدولة . ولما عاد نور الدين الى الموصل ، وعاد قطب الدين الى نصيبين سار العادل الى ماردين فحاصرها أياماً وضيق عليها ثم انصرف ، والله تعالى أعلم .

هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور

الدين صاحب الموصل وبني عمه ملوك الجزيرة

لما رحل العادل عن ماردين كبا قدّمناه جمر العساكر عليها للحصار

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٤٠ : فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال : لا أعيد ملكي ، فأشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك وتسليم ما أخذه ، وحذره عاقبة ذلك فأغلظ عليه عماد الدين القول ، وعرض بدم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال ، فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين .

مع ابنه الكامل ، وعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر ، وخافوا ان ملكها يغلبهم على امرهم ، ولم يكن سار من سار معه منهم عند اشتغاله بحرب نور الدين إلاّ تقيّة لكثرة عساكره . فلما رجع الى دمشق ، وبقي الكامل على ماردين استهانوا بأمره ، وطمعوا في مدافعته . وأغراهم بذلك الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين لفتنتهم مع عمهم العادل . فتجهز نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل ، وسار أوّل شعبان سنة خمس وتسعين ، وانتهى الى ديبس فأقام بها ، ولحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار ، وابن عمه الآخر سنجار شاه ابن غازي صاحب جزيرة ابن عمر ، حتى اذا انقضى عيد الفطر ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين .

وكان أهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنقهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولي على دولة صاحبها الى الكامل يرأوده في الصلح ، وتسليم القلعة له الى أجل سماه على أن يبيح لهم بقوتهم من الميرة فأسمعهم بذلك وبينما هم في ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا ، وزحف الكامل مهزوماً الى معسكره بالربض فخرج أهل القلعة اليهم وقاتلوهم الى المساء ثم أجفل الكامل من ليلته منتصف شوال ، وعاد الى بلاده ونهب أهل القلعة مخلفه ، وخرج صاحب ماردين وهو بولو أرسلان ابن أبي الغازي فلقى نور الدين وشكره ، وعاد الى حصنه ، ورجع نور الدين وأصحابه الى تـُسْتَر . ثم سار منها الى رأس عين فقدم

عليها هنالك رسول الظاهر بن صلاح الدين من حلب يطلب له منه
السكة والخطبة ، فوجم لذلك وثنى عزمه عن مظاهرتهم . ثم طرده
المرض فبعث اليهم بالعدر ، وعاد الى الموصل في ذي الحجة آخر السنة ،
والله تعالى أعلم

سير نور الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة

ثم ان الملك العادل مَلَكَ مصر سنة ست وتسعين من يد
الأفضل ابن أخيه ، فغشيه الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين ،
وراسلوا نور الدين صاحب الموصل في الاتفاق ، وأن يسير الى بلاد
العادل بالجزيرة : حرّان والرّها والرقة وسنجار ، فسار نور الدين
لملكها في شعبان سنة سبع وتسعين . وسار معه ابن عمه قطب الدين
سنجار ، وحسام الدين صاحب ماردين ، وانتهوا الى رأس العين ،
وكان بحران الفائز بن العادل في عسكر فأرسل الى نور الدين في
الصلح فبادر الى الاجابة لما وقع في عسكره من الموتان ، واستحلفهم
وحلف لهم . وبعثوا إلى العادل فحلف وعاد نور الدين الى الموصل في
ذي القعدة من السنة ، والله تعالى أعلم

هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام عسكر العادل

لم يزل الملك العادل يرسل قطب الدين صاحب سنجار ، ويستميله
الى أن يخطب له في أعماله سنة ست مائة فسار نور الدين صاحب الموصل

الى نصيبين من أعمال قطب الدين فحاصرها وملك المدينة . وأقام يحاصر القلعة فبينما هو قد قارب فتحها بلغه الخبر من نائبه بالموصل بأن مظفر الدين كوكبري صاحب إربل ^(١) من أعمال الموصل فرحل عن نصيبين معتماً على قصد إربل فلم يجد كل الخير صحيحاً فسار الى تل أعفر من أعمال سنجار فحاصرها وملكها . وكان الأشرف موسى بن العادل قد سار من حران الى رأس العين فاجدة لصاحب سنجار . وقد اتفق معه على ذلك مظفر الدين صاحب إربل وصاحب كيفا وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر ، وراسلوا وتواعدوا للاجتماع . فلما ارتحل نور الدين عن نصيبين اجتمعوا عليها ، وجاءهم اخو الأشرف نجم الدين صاحب ميفارقين وساروا الى البقعا من تل أعفر الى كفر رقان . وقصده المطاولة حتى ^(٢) جاءه بعض عيونه فقللهم في عينه وأطعمه فيهم ، وكان من مواليه فوثق بقوله ورحل الى نوشرى قريباً منهم . وتراءى الجمعان فالتقوا ، وانهزم نور الدين ونجافي فل قليل ، ونزلت العساكر كفررقان ونهبوا مدينة فيد ، وما اليها ، وأقاموا هنالك . وترددت الرسل في الصلح على ان يعيد نور الدين تل أعفر

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٦٤ : «إن مظفر الدين بوكبري زين الدين علي صاحب إربل قد قصد أعمال الموصل فنهب نينوى وأخرق غلالها» . وتري أن اسم صاحب إربل هنا عند ابن خلدون «كوكبري» وفي الكامل عند ابن الأثير «بوكبري» . وكثيراً ما تختلف هذه الأسماء الأعجمية بين كتاب وآخر .

(٢) كذا بياض بالأصل ، مع اختلاف في الأسماء ؛ وفي الكامل ج ٩ ص ٢٦٤ : وسار نور الدين من تل أعفر إلى كفرزما ، وعزم على المطاولة ليتفرقوا فأتاه كتاب من بعض مماليكه يسمى جرديك ، وقد أرسله يتجسس أخباره فيقللهم في عينه ويطعمهم فيهم ويقول : إن أذنت لي لقيتهم بمفردي .

لقطب الدين صاحب سنجر فأعادها ، واصطلحوا سنة احدى وستماية ،
ورجع كل الى بلده . والله تعالى ولي التوفيق .

مقتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وولايته ابنه مودود بعده

كان سنجر شاه بن غازي بن مودود ابن الأتابك زنكي صاحب
جزيرة ابن عمر وأعمالها أوصى له بها أبوه عند وفاته كما مر وكان سيء
السيرة غشوماً ظلوماً مرهف الحد على رعيته وجنده وحرمه وولده ،
كثير القهر لهم والانتقام منهم فاقد الشفقة على بنيه حتى غرب ابنه
محمودا ومودودا الى قلعة فرج من بلاد الزوزان ، لتوهم توهمه فيها .
وأخرج ابنه غازي الى دار بالمدينة ووكّل به فسأت حاله . وكانت
الدار كثيرة الخشاش فضجر من حاله وتناول حية وبعثها الى أبيه فلم
يعطف عليه ، فتسلل من الدار واستخفى في المدينة وبعث الى نور
الدين صاحب الموصل من أُوهمه بوصوله اليه فبعث اليه بنفقة وردة
خوفا من أبيه وترك أبوه طلبه لما شاع انه بالشام فلم يزل غازي يعمل
الحيلة حتى دخل دار أبيه ، واختفى عند بعض حظاياها ، وطرق عليه
الخلا في بعض الليالي وهو سكران فطعته أربع عشرة طعنة . ثم ذبحه
وأقام مع الحرم . وعلم استاذ الدولة من خارج بالخبر فأحضر أعيان
الدولة ، وأغلق أبواب القصر ، وبايع الناس لمحمود بن سنجر شاه
واستدعاه وأخاه مودوداً من قلعة فرج . ثم دخلوا الى غازي وقتلوه .

ووصل محمود فملكوه ولقبوه معن الدين لقب أبيه ، وعمد الى الجواري التي واطأت على قتل ابيه ففرقهن في الدجلة ، والله تعالى أعلم .

استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من أعمال صاحب سنجار وحصاره إياه

كان بين قطب الدين محمود بن زنكي بن مودود ، وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه ، بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة ، قد مر كثير من أخبارها . ولما كانت سنة خمس وستائة أصهر العادل بن أيوب صاحب مصر والشام الى نور الدين في ابنته ، فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به ، وطمح الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فأغرى العادل بأن يظاھرہ على ولاية ابن عمه قطب الدين سنجر ، وتكون ولاية قطب الدين وهي : سنجار ونصيبين والخابور للعادل . وتكون ولاية غازي بن سنجر شاه لنور الدين صاحب الموصل فأجاب الى ذلك العادل ، وأطع نور الدين في أنه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته ، وتحالفا على ذلك . وسار العادل سنة ست وستائة من دمشق لملك الخابور .

وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط ، وانه يملك البلاد كما يجب دونه إن وفى له . وسار نور الدين الى الجزيرة فرجما حال بنو العادل بينه وبين الموصل ، وان انتقض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب في أمره ، وملك العادل الخابور ونصيبين . واعتزم قطب الدين على أن

يعتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فمنعه من ذلك احمد بن برتقش مولى ابيه ، وجهز نور الدين عسكرياً مع ابنه القاهر مدداً للعادل كما اتفقا عليه . وفي خلال ذلك بعث قطب الدين سنجر ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجد به فأرسل الى العادل شافعاً في امره ، فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه فغضب مظفر الدين وأرسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فأجاب نور الدين الى ذلك ، ورجع عن مظاهرة العادل .

وأرسل هو ومظفر الدين الى الطاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والي كسنجر بن قليج أرسلان صاحب الروم يستجدانها فأجاباهما وتذاعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار . وبعث الخليفة الناصر أستاذ الدار أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك ، والامير اقناش من خواص مواليه في الافراج عن سنجار ، وتحاذل أصحابه عن مضايقة سنجار معه ، وسيا أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه في ذلك فاجاب العادل في الصلح ، على ان تكون نصيبين والخابور اللذان ملكهما له ، وتبقى سنجار لقطب الدين ، وتحالفوا على ذلك ، ورجع العادل الى حران ، ومظفر الدين الى اربل ، والله تعالى أعلم .

وفاته نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر

ثم توفي نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي منتصف سنة سبع وستمئة لثمان عشرة سنة من ولايته ، وكان

شهماً شجاعاً مهيباً عند أصحابه حسن السياسة لرعيته . وجدّد ملك آبائه بعد أن أشفى على الذهاب . ولما احتضر عهد بالملك لابنه عز الدين مسعود ، وهو ابن عشرين سنة ، وأوصاه أن يتولى تدبير ملكه مولاه بدر الدين لؤلؤ لما فيه من حسن السياسة . وكان قائماً بأمره منذ توفي مجاهد الدين قايتاز وأوصى لولده الأصغر عماد الدين بقلعة عقر الحميدية ، وقلعة شوش وولايتها ، ولفته إلى العقر . فلما توفي نور الدين بايع الناس ابنه عز الدين مسعوداً ولقبوه القاهر ، واستقرّ ملك الموصل . وأعمالها له ، وقام بدر الدين لؤلؤ بتدبير دولته ، والبقاء لله وحده .

وفاة القاهر وولاية ابنه نور الدين إرسلان شاه في كفالة بحر الدين لؤلؤ

لما توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن إرسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن الاتابك زنكي صاحب الموصل ، آخر ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وخمسمائة^(١) ثمان سنين من ولايته بعد أن عهد بالملك لابنه الأكبر نور الدين إرسلان شاه ، وعمره عشرون سنة ، وجعل الوصي عليه والمدير لدولته لؤلؤاً كما كان في دولة القاهر ، وابنه نور الدين فبايع له وقام بملكه . وأرسل إلى الخليفة في التقليد والخلع على العادة فوصلت ، وبعث إلى الملوك في الأطراف في تجديد العهد كما كان بينهم وبين سلفه وضبط أموره . وكان عمه نور الدين زنكي إرسلان شاه بقلعة

(١) كذا بالأصل ، وأن تاريخ وفاته كما في الكامل ج ٩ ص ٣٩ : سنة خمس عشرة وستمائة .

عقر الحميدية لا يشك في مصير السلطان له فدفعه عن ذلك ، واستقامت .
 أموره وأحسن السيرة ، وسمع شكوى المتظلمين وأنصفهم ، ووصل
 في تقليد الخليفة لنور الدين اسناد التتر في أموره لبدر الدين لؤلؤ^(١)
 والله أعلم .

استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلعة الكاربية والنوزان

كان عماد الدين زنكي قد ولاء أبوه قلعتي العقر والشوش قريباً من
 الموصل ، وأوصى له بهما وعهد بالملك لابنه الأكبر القاهر . فلما توفي
 القاهر كما ذكرنا طمح زنكي الى الملك ، وكان يحدث به نفسه فلم يحصل
 له . وكان بالعمادية نائب من موالي جده مسعود فدخله في الطاعة له .
 وشعر بذلك بدر الدين لؤلؤ فعزل ذلك النائب ، وبعث اليها أميراً أنزله
 بها وجعل فيها نائباً من قبله . واستبد بالنواب في غيرها . وكان نور
 الدين بن القاهر لا يزال عليلاً لضعف مزاجه وتوالي الاضرار عليه
 فبقي محتجباً طول المدة . فأرسل زنكي الى نور الدين بالعمادية يشيع
 موته ، ويقول : أنا أحق بملك سلمي فتوهوا صدقه ، وقبضوا على
 نائب لؤلؤ ومن معه ، وسلموا البلد لعماد الدين زنكي منتصف رمضان
 سنة خمس عشرة .

(١) كذا بالأصل ، هنا عبارة ساقطة وفي الكامل : وبعد أيام وصل التقليد من الخليفة لنور
 الدين بالولاية لبدر الدين بالنظر في أمر دولته والتشريفات لها أيضاً . وأنتهم رسل الملوك بالتعزية
 وبذل ما طلب منهم من العهود ، واستقرت القواعد لها .

وجهاز لؤلؤ العساكر وحاصروه بالعمادية في فصل الشتاء وكلب
البرد وتراكم الثلج ، ولم يتمكنوا من قتاله . وظهره مظفر الدين
صاحب إربل على شأنه ، وذكر لؤلؤاً بالعهد الذي بينهما ان لا يتعرض
لاعمال الموصل ، والنص فيها على قلاع الحكارية والزوزان وأنه مظاهر
لهم علي من يتعرض لها فلج في مظاهرتة ، واعتمد نقض العهد وأقام
العسكر محاصراً لنزكي بالعمادية . وتقدموا بعض الليالي وركبوا
الاوراع اليه فبرز اليهم أهل العمادية ، وهزموهم في المضائق والشعاب
فعادوا الى الموصل ، وارسل عماد الدين قلاع الحكارية والزوزان في
الطاعة له فأجابوه ، وملكها وولي عليها ، والله أعلم .

مظاهرة الأشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصل

ولما استولى عماد الدين زنكي على قلاع الحكارية والزوزان ،
وظهره مظفر الدين صاحب إربل خاف لؤلؤ غائلته فبعث بطاعته الى
الأشرف موسى بن العادل ، وقد ملك أكثر بلاد الجزيرة وخلاط
وأعمالها ، ويسأله المعاوضة فأجابته . وكان يومئذ يحلب في مدافعة
كيكاوس صاحب بلاد الروم من أعمالها فأرسل الى مظفر الدين بالنكير
عليه فيما فعل من نقضه العهد الذي كان بينهم جميعاً كيما مر ، ويعزم عليه
في إعادة ما اخذ من بلاد الموصل ، ويتوعده إن أصر على مظاهرة
زنكي بقصد بلاده فلم يجب مظفر الدين الى ذلك ، واستألف على أمره

صاحب ماردين وناصر الدين محموداً صاحب كيفا وآمد فوافقوه ،
وفارقوا طاعة الأشرف في ذلك فبعث الأشرف عساكره الى نصيبين
لأنجاد لؤلؤ متى احتاج اليه ، والله تعالى أعلم .

واقعة عساكر لؤلؤ بعماد الدين

ولما عاد عسكر الموصل عن حصار العمادية ، خرج زنكي الى
قلعة العقير ليتمكن من أعمال الموصل الصحراوية اذ كان قد فرغ من
أعمالها الجبلية ، وأمدّه مظفر الدين صاحب إربل بالعساكر ، وعسكر
جند الموصل على أربع فراسخ من البلد من ناحية العقير . ثم اتفقوا
على المسير الى زنكي وصبحوه آخر المحرم سنة ست عشرة وستمئة
وهزموه فلاحق بإربل ، وعاد الرسل الى مكانهم . ووصل رسل
الخليفة الناصر والأشرف ابن العادل في الصلح بينها فاصطالحوا وتحالفوا
والله تعالى أعلم .

وفاته نور الدين صاحب الموصل وولاية أخيه ناصر الدين

لما توفي نور الدين أرسلان شاه بن الملك القاهر كما قدّمنا من سوء
مزاجه واختلاف الأسقام عليه ، فتوفي قبل كمال الحول . ونصب
لؤلؤ مكانه أخاه ناصر الدين محمد بن القاهر في سن الثلاث ، واستحلف
له الجند وأركبه في الموكب فرضي به الناس لما أبلوا من عجز أخيه عن
الركوب لمرضه ، والله تعالى وليّ التوفيق .

هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب أربل

ولما توفي نور الدين ، ونصب لؤلؤ أخاه ناصر الدين محمداً على صغر سنه ، تجدد الطمع لعماد الدين عمه ولمظفر الدين صاحب أربل في الاستيلاء على الموصل ، وتجهزوا لذلك . وعاثت سراياه في نواحي الموصل . وكذا لؤلؤ قد بعث ابنه الأكبر في العساكر فنجدة للملك الأشرف ، وهو يقصد بلاد الأفرنج بالسواحل ليأخذ بحجزتهم عن امداد إخوانهم بدمياط عن أبيه الكامل بمصر ، فبادر لؤلؤ الى عسكر الأشرف الذين بنصيبين واستدعاهم فجاءوا الى الموصل منتصف سنة عشر وستائة ، وعليهم ايبك مولى الأشرف فاستقلهم لؤلؤ وآهم مثل عسكره الذين بالشام ودونهم .

والح ايبك على عبور دجلة الى أربل ففعله اياماً فلما أصرّ عبر لؤلؤ معه ، ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة وجمع مظفر الدين زنكي وعبروا^(١) الزاب وتقدم اليهم ايبك في عسكره وأصحاب لؤلؤ وسار منتصف الليل من رجب ، وأشار عليه لؤلؤ بانتظار الصباح فلم يفعل ولقيهم بالليل . وحمل ايبك على زنكي في الميسرة فهزمه . وانهزمت ميسرة لؤلؤ فبقي في نفر قليل فتقدم اليه مظفر الدين فهزمه ، وعبر دجلة الى الموصل . وظهر مظفر الدين على تبرير

(١) كذا يبايض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٢٣ : فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار إليهم ، ومعه زنكي فعبر الزاب ، وسبق خبره فسمع بدر الدين فعلى أصحابه .

ثلاثاً . لؤلؤاً يريد تبليته فأجفل راجعاً ، وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على أن يبقى لكل ما بيده ، والله أعلم

وفاته صاحب سنجار وولايته ابنه ثم مقتله وولايته أخيه

ثم توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب سنجار في ثامن صفر سنة ست عشرة وستمائة ، وكان حسن السيرة مسلماً الى نوابه . وملك بعده ابنه عماد الدين شاهين شاه ، واشتمل الناس عليه شهوراً . ثم سار الى تل اعفر فاغتاله أخوه عمر ، دخل اليه في جماعة فقتلوه وملك بعده . وبقي مدة الى أن تسلم الاشرف بن العادل مدينة سنجار في جمادي سنة سبع عشر وستمائة ، والله أعلم .

استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل اعفر والاشرف على سنجار

كانت كواشي من أحسن قلاع الموصل وأمنه وأعلامه ، ولما رأى الجند الذين بها بعد أهل العمادية واستبدادهم بأنفسهم طمعوا في مثل ذلك ، وأخرجوا نواب لؤلؤ عنهم وتمسكوا باظهار الطاعة على البعد خوفاً على رهائنهم بالموصل . ثم استدعوا عماد الدين زنكي وسلموا له القلعة ، وأقام عندهم وبعث لؤلؤ الى مظفر الدين يذكره اليهود التي لم يحز ثلها بعد ، فأعرض وأرسل الى الاشرف بحلب يستنجد فسار وعبر الفرات الى حران . وكان مظفر الدين صاحب

اربيل يرسل الملوك بالاطراف ويفريهم بالاشرف وينجوهم غائلته . ولما كان بين كيكائوس بن كنخسرو صاحب الروم من الفتنة ما ذكره في أخباره ، وسار كيكائوس الى حلب دعا مظفر الدين الملوك بناحيته الى وفاق كيكائوس مثل صاحب كيفا وآمد وصاحب ماردين فأطاعوه وخطبوا له في أعمالهم .

ومات كيكائوس وفي نفس الاشرف منه ومن مظفر الدين ما في نفسه . ولما سار الاشرف الى حران لمظاهرة لؤلؤ وارسل مظفر الدين جماعة من أمرائه مثل أحمد بن علي المشطوب وعزالدين محمد بن بدر الحميدي وغيرهما ، واستألمهم ففارقوا الأشرف ونازلوا ديبس تحت ماردين ليجتمعوا مع ملوك الاطراف المدافعة الاشرف . واستألم الاشرف صاحب آمد وأعطاه مدينة حالي وجبل حودي ، ووعد به إذا ملكها فأجاب وفارقهم اليه . واضطر آخرون منهم الى طاعته فأنحل أمرهم . وانفرد ابن المشطوب بمشاقة الاشرف فقصد اربيل ومر بنصيبين فقاتله شيخ بها فانهزم الى سنجار فأسره صاحبها . وأطلقه فجمع المفسدين ، وقصد البقعا من أعمال الموصل فاكثسح نواحيها وعاد .

ثم سار من سنجار ثانية الى الموصل ، وأرصد له لؤلؤ عسكراً فاعترضوه فهزمه . واجتاز بتل أعفر من أعمال سنجار فأقاموا عليها وبعثوا الى لؤلؤ فسار وحاصرها وملكها في ربيع سنة سبع عشرة

وستمائه ، وأسر ابن المشطوب وجاء به الى الموصل . ثم بعث به الى الاشرف فحبسه بجران سنين ، وهلك في حبسه . ولما أطاع صاحب آمد الاشرف رحل من حران الى ماردين ، ونزل ديبس وحاصر ماردين ، ومعه صاحب آمد . وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين على أن يرد عليه رأس العين . وكان الأشرف قد أقطعها له على أن يحمل اليه ثلاثين الف دينار ، وأن يعطي لصاحب آمد الورزني بلد ^(١) وانعقد الصلح بينها ، وارتحل الاشرف من ديبس الى نصيبين يريد الموصل ، فلقه رسل صاحب سنجار يطلب من يتسلمها منه على أن يعوضه الأشرف منها بالرقعة بما أدركه من الخوف عند استيلائه . لو لو على تل أعفر ونفرة أهل دولته عنه لقتله أخاه كما ذكرناه . فأجابه الاشرف وأعطاه الرقة ، وملك سنجار في جمادى سنة سبع عشرة وستمائة ، ورحل عنها باهله وعشيرته وانقراض امر بني زنكي منها بعد اربع وتسعين سنة ، والبقاء لله وحده

صلح الأشرف مع مظفر الدين

ولما ملك الاشرف سنجار سار الى الموصل ، ووافاه بها رسل الخليفة الناصر ومظفر الدين صاحب اربل في الصلح ، ورد القلاع المأخوذة من ايلة الموصل على صاحبها لو لو ما عدا العمادية فتبقى بيد زنكي . وتردد الحديث في ذلك شهرين ، ولم يتم فرحل الأشرف بقصد

(١) كذا بياض بالأصل ، وأخطأ في الأسماء ، وفي الكامل ج ٩ ص ٣٢٣ : ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شختان ، فلما تم الصلح سار الأشرف من دنيسر إلى نصيبين يريد الموصل .

إربل حتى قارب نهر الزاب . وكان العسكر قد ضجروا سوء ، صاحب
 آمد مع مظفر الدين فأشار بإجابته إلى ما سأل ، ووافق على ذلك .
 أصحاب الأشرف فانعقد الصلح ، وساق زنكي إلى الأشرف رهينة .
 على ذلك . وسلمت قلعة العقرو وشوش لنوآب الأشرف وهما زنكي
 رهناً أيضاً . وعاد الأشرف إلى سنجار في رمضان سنة سبع عشرة .
 وبعثوا إلى القلاع فلم يسلمها حنّدها وامتنعوا بها . واستجار عماد الدين
 زنكي بشهاب ابن العادل فاستعطف له أخاه الأشرف فأطلقه ، ورد
 عليه قلعتي العقرو وشوش . وصرف نوآبه عنهما . وسمع لوآب الأشرف
 يميل إلى قلعة تل اعفر ، وإنها لم تزل لسنجار قديماً فبعث إليه بتسليمها ،
 والله تعالى أعلم

رجوع قلاع الهكارية والزوزان إلى طاعة صاحب الموصل

لما رأى زنكي أنه ملك قلاع الهكارية والزوزان وسادة ، فلم يروا
 عنده ما ظنّوه من حسن السيرة كما يفعله لوآب ، وطلبوه في الاقطاع
 فأجابهم . واستأذن الأشرف فلم يأذن له ، وجاء زنكي من عند
 الأشرف فحاصر العمادية ، ولم يبلغ منها غرضاً فأعادوا مراسلة لوآب
 فاستأذن الأشرف ، وأعطاه قلعة جديدة ونصيبين وولاية ما بين النهرين
 وأذن له في تملك القلاع ، وأرسل نوآبه إليها ، ووفى لهم بما عاهدهم
 عليه . وتبعم بقية القلاع من أعمال الموصل فدخلوا كلهم في طاعة
 لوآب وانتظم له ملكها ، والله تعالى أعلم

استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس

كانت قلعة سوس وقلعة العقير متجاورتين على اثني عشر فرسخاً من الموصل ، وكانتا لعماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه بوصية أبيه كما مرّ . وملك معها قلاع الهكارية والزوزان ، ورجعت الى الموصل وسار هو سنة تسعة عشر الى اذربك بن البهلوان صاحب أذربيجان من بقية السلجوقية فسار معه ، وأقطع له الاقطاعات وأقام عنده فسار لؤلؤ من الموصل الى قلعة سوس فحاصرها وضيق عليها . وامتنعت عليه فجمر العساكر لحصارها وعاد الى الموصل . ثم اشتد الحصار بأهلها ، وانقطعت عنهم الاسباب فاستأمنوا الى لؤلؤ ونزلوا له عنها على شروط اشترطوها وقبلها ، وبعث نوابه عليها ، والله تعالى أعلم

حصار مظفر الدين الموصل

كان الاشرف بن العادل بن أيوب قد استولى على الموصل ، ودخل لؤلؤ في طاعته واستولى على خلاط وسائر ارمينية ، وأقطعها أخاه شهاب الدين غازي ، ثم جعله وليّ عهده في سائر أعماله . ثم نشأت الفتنة بينها فاستظهر غازي بأخيه المعظم صاحب دمشق وبمظفر الدين كوكبري . وتداعوا لحصار الموصل فجمع أخوها الكامل عساكره ،

وسار الى خلاط فحاصرها بعد ان بعث الى المعظم صاحب دمشق وتهدّده فأقصر عن مظاهرة أخيه . واستنجد غازي مظفر الدين كوكبري صاحب اربل فسار الى الموصل وحاصرها ليأخذ بحجزة الأشرف عن خلاط . ونهض المعظم صاحب دمشق لانجاذ أخيه غازي وكان لؤلؤ صاحب الموصل قد استعدّ للحصار فأقام عليها مظفر الدين عشرًا . ثم رحل منتصف احدى وعشرين لامتناعها عليه ، ولقيه الخبر بأن الاشرف قد ملك خلاط من يد أخيه فندم على ما كان منه .

انتفاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلائه عليها

قد تقدم لنا انتفاض أهل قلعة العمادية من أعمال الموصل سنة خمس عشرة ، ورجوعه الى عماد الدين زنكي ، ثم عودهم الى طاعة لؤلؤ فأقاموا على ذلك مدة . ثم عادوا الى ديدنهم من التمريض في الطاعة وتجنوا على لؤلؤ بعزل نوابه فعزلهم مرّة بعد أخرى . ثم استبدّ بها أولاد خواجا ابراهيم وأخوه فيمن تبعهم ، وأخرجوا من خالفهم وأظهروا العصيان على لؤلؤ فسار اليهم سنة اثنتين وعشرين ، وحاصره وقطع الميرة عنهم . وبعث عسكرياً الى قلعة هزوران وقد كانوا اتبعوا أهل العمادية في العصيان فحاصره حتى استأمنوا وملكها . ثم جهز العساكر الى العمادية مع نائبه أمين الدين ، وعاد الى الموصل واستمرّ الحصار الى ذي القعدة من السنة . ثم راسلوا أمين الدين في الصلح على مال وأقطاع وعوض عن القلعة ، وأجاب لؤلؤ الى ذلك . وكان أمين الدين

قد وليها قبل ذلك فكان له فيها بطانة مستمدون على عهده ومكاتبته، وسخط كثير من أهل البلد فعل أولاد خواجا ابراهيم واستنثارهم بالصالح دونهم فوجد أولئك البطانة سبيلاً الى التسلط عليهم، ودسوا لأمين الدين أن يبيت البلد ويصالحها فصالحهم فوثبوا بأولاد خواجا، ونادوا بشعار لؤلؤ فصعد العسكر القلعة وملكها أمين الدين وبعث بالخبر الى لؤلؤ قبل أن ينقذ النمين مع وفد أولاد خواجا . والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

سير مظفر الدين صاحب أربل الى أعمال الموصل وعوده منها

كان جلال الدين شكري بن خوارزم شاه قد غلبه التتر أول خروجهم سنة سبع عشرة وستائة على خوارزم وخراسان وغزته ، وفرأ امامهم الى الهند ، ثم رجع عنها سنة اثنتين وعشرين ، واستولى على العراق ، ثم على اذربيجان وجاور الاشرف بن العادل في ولايته بخلاط والجزيرة ، وحدثت بينها الفتنة . وراسله اعيان الاشرف في الاغراء به مثل : مظفر الدين صاحب اربل ، ومسعود صاحب آمد وأخيه المعظم صاحب دمشق . واتفقوا على ذلك ، وسار جلال الدين الى خلاط وسار مظفر الدين الى الموصل ، وانتهى الى الزاب ينتظر الخبر عن جلال الدين ، وسار المعظم صاحب دمشق الى حمص وحماة . وبعث لؤلؤ من الموصل يستنجد الاشرف فزار آل حران ، ثم الى

دييس فاكشسح أعمال ماردین . وكان جلال الدين قد بلغه انتقاض نائبه بكرمان فاغذ السير اليه ، وترك خلاط بعد ان عاث في أعمالها ، وقت ذلك في أعضاء الآخرين ، وعظمت سطوة الاشرف بهم . وبعث اليه أخوه المعظم وقد نازل حمص وحماة يتوعده بمحاصرتها ومحاصرة مظفر الدين الموصل ، فرجع إلى ماردین ، ورجع الاخران عن حمص وحماة والموصل ولحق كل ببلده ، والله تعالى أعلم .

مسير التتر في بلاد الموصل وأربل

ولما وقع بجلال الدين خوارزم شاه على آمد سنة ثمان وعشرين وقتلوه ، ولم يبق لهم مدافع من الملوك ولا مانع انساحوا في البلاد طولاً وعرضاً ، ودخلوا ديار بكر ، واكتسحوا سواد آمد وارزن وميفارقين وحاصروا^(١) وملكوها بالامان . ثم استباحوها وساروا الى ماردین فعاثوا في نواحيها . ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا اعمال نصيبين . ثم مروا الى سنجار فنهبوها ، ودخلوا الخابور واستباحوه . وسارت طائفة منهم الى الموصل فاستباحوا أعمالها ، ثم أعمال اربل وأفحشوا فيها . وبرز مظفر الدين في عساكره ، واستمد عساكر الموصل فبعث بها لؤلؤ اليه . ثم عاد التتر عنهم الى ادريجان فعاد كل الى بلاده ، والله أعلم

(١) هنا بياض بالأصل ، ولم نعثر بالمصادر التي بين أيدينا على اسم المكان الذي حاصروه وملكوه .

وفاته مظفر الدين صاحب أربل وعودها إلى الخليفة

ثم توفي مظفر الدين كوكبيري بن زين الدين كجك صاحب أربل سنة تسع وعشرين لأربع وأربعين سنة من ولايته عليها ؛ أيام صلاح الدين بعد أخيه يوسف ؛ ولم يكن له ولد فأوصى بآربل للخليفة المستنصر فبعث إليها نوابه ، واستولى عليها وصارت من أعماله والله تعالى أعلم

بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل

كان عسكر خوارزم شاه بعد مهلكه سنة ثمان وعشرين على آمد لحقوا بصاحب الروم كيقباد فاستنجدهم وهلك سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وولي ابنه كنخسرو فقبض على أميرهم ومرّ الباقون وانتبذوا بأطراف البلاد . وكان الصالح نجم الدين أيوب في حران ، وكيفاً وآمد نائباً عن أبيه الملك العادل ، فرأى المصلحة في استضافتهم إليه فاستمالهم ، وأستخدمهم بعد أن أذن أبوه له في ذلك . فلما مات أبوه سنة خمس انتقضوا ولحقوا بالموصل ، واشتمل عليهم لؤلؤ وسار معهم فحاصر الصالح بسنجان إلى الخوارزمية واستمالهم فرجعوا إلى طاعته ، على أن يعطيهم حرّان والرّها ينزلون بها فاعطاها إياهم وملكوها ، ثم ملكوا نصيبين من أعمال لؤلؤ ، وبنو أيوب يومئذ

متفرقون على كراسي الشام ، وبينهم من الانفة والفرقة ما نتلو عليك قصصه في دولتهم . ثم استقر ملك سنجار للجواد يونس منهم ، وهو ابن مودود بن العادل أخذها من الصالح نجم الدين أيوب عوضاً عن دمشق ، واستولى لؤلؤ على سنجار من يده سنة سبع وثلاثين . ثم حدثت بين صاحب حلب وبين الخوارزمية فتنة وجرأوا يومئذ لصفيتهم خاتون بنت العادل فبعثت العساكر اليهم مع المعظم بوران شاه بن صلاح الدين فهزموا عساكره ، وأسروا ابن أخيه الأفضل ؛ ودخلوا حلب واستباحوها . ثم فتحوا منبج وعاثوا فيها ، وقطعوا الفرات من الرقة وهم يذهبون . وتبعهم عسكر دمشق وحصن فهزموهم وأثخنوا فيهم ، ولحقوا ببلدهم حران فسارت اليهم عساكر حلب ، واستولوا على حران . ولحق الخوارزمية بغانة وبادر لؤلؤ صاحب الموصل الى نصيبين فملكها من أيديهم .

ثم توفيت صفية بنت العادل سنة أربعين في حلب ، وكانت ولايتها بعد وفاة أبيها العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين فولي بعدها ابنه الناصر يوسف ابن العزيز في كفالة مولاه حيال الخاتوني . فلما كانت سنة ثمان وأربعين ، وستائة وقع بين عسكره وبين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل حرب انهزم فيها لؤلؤ ، وملك الناصر نصيبين وقرقيسيا ولحق لؤلؤ بحلب . ثم زحف هلاكو ملك التتر

الى بغداد سنة ^(١) وملكها ، وقتل الخليفة المستعصم واستلحم العلية
من بغداد كما مرّ في أخبار الخلفاء . ويأتي في أخبار التتر ، وتخطى منها
الى اذربيجان فبادر لؤلؤ ووصل اليه باذربيجان وآتاه طاعته وعاد الى
الموصل ، والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

وفاته صاحب الموصل وولايته ابنه الصالح

ثم توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين وستمائة ،
وكان يلقب الملك الرحيم وملك بعده على الموصل ابنه الصالح
السميل ، وعلى سنجار ابنه المظفر علاء الدين عليّ وعلى جزيرة ابن
عمر ابنه المجاهد اسحق ، وأبقاهم هلاكو عليها مدة ؛ ثم أخذها منهم
ولحقوا بمصر فنزّلوا على الملك الظاهر بيبرس كما نذكر في أخباره .
وسار هلاكو إلى الشام فملكها وانقرضت دولة الأتابك زنكي وبنيه
ومواليه من الشام والجزيرة أجمع كأن لم تكن ، والله وارث الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين ، والبقاء لله تعالى وحده ، والله
تعالى أعلم

(١) كذا بياض بالأصل ، وقد ذكر أبو الفداء في أخبار البشر هذا الحدث في العشرين من
المحرم سنة ست وخمسين وستمائة .

[illegible]

دَوْلَةُ بَنِي يُوسُفَ

الخبر عن دولة بني أيوب القاطنين بالدولة الصليبية وما كان لهم
من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصلحيه

هذه الدولة من فروع دولة بني زنكي كما تراه ، وجدهم هو
أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشرة بن الحسن بن علي بن أحمد
ابن علي عبد العزيز بن هـدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر
مرّة بن عوف الحميري اللدوسي : هكذا نسبه بعض المؤرخين لدولتهم
قال ابن الاثير : انهم من الاكراد الروادية . وقال ابن خلكان : شادي
أبوهم من أعيان درين ، وكان صاحبه بها بهروز فأصابه خصي من
بعض امرائه وفرّ حياء من المثلة ، فاحق بدولة السلطان مسعود بن
محمد بن ملك الشاه ، وتعلق بخدمة داية بنيه حتى اذا هلك الداية أقامه
السلطان لبنيه مقامه فظهرت كفايته ، وعلا في الدولة محله فبعث عن
شادي بن مروان صاحبه لما بينهما من الالفة وأكد الصلابة فقدم عليه .

ثم ولي السلطان بهروز شحنة بغداد فصار اليها ، واستصحب
شادي معه . ثم أقطعه السلطان قلعة تكريت فوّل عليها شادي فهلك
وهو وال عليها . ووّل بهروز مكانه ابنه نجم الدين أيوب وهو اكبر
من أسد الدين شير كوه ، فلم يزل والياً عليها . ولما زحف عماد الدين

زنكي صاحب الموصل لمظاهرة مسعود على الخليفة المسترشد سنة عشرين وخمسة ، وانهزم الاتابك وانكفأ راجعاً الى الموصل ، ومرت بتكريت قام نجم الدين بعلوفته وازواده ، وعقد له الجسور على دجلة ، وسهل له عبورها . ثم ان شير كوه أصاب دماً في تكريت ولم يفده منه أخوه أيوب فعزله بهروز ، وأخرجها من تكريت فلحقا بعماد الدين بالموصل فأحسن اليها واقطعها .

ثم ملك بعلبك سنة اثنين وثلاثين جعله نائباً بها ، ولم يزل بها أيوب . ولما مات عماد الدين زنكي سنة احدى وأربعين زحف صاحب دمشق فخر الدين طغر كين الى بعلبك وحاصرها ، واستنزل أيوب منها على ما شرط لنفسه من الاقطاع ، وأقام معه بدمشق . وبقي شير كوه مع نور الدين محمود بن زنكي ، وأقطعه حمص والرحبة لاستطلاعه وكفايته ، وجعله مقدم عساكره . ولما صرف نظره الى الاستيلاء على دمشق ، واعتزم على مداخلة اهلها ، وكان ذلك على يد شير كوه وبمكاتبته لأخيه أيوب ، وهو بدمشق فتم ذلك على أيديهما وبمحاولتهما ، وملكها سنة تسع وأربعين وخمسة . وكانت دولة العلويين بمصر قد أخلقت جدتها ، وذهب استفحالها واستبد وزراؤها على خلفائها . فلم يكن الخلفاء يملكون معهم . وطمع الافرنج في سواحلهم وامصارهم لما نالهم من الهرم والوهن ، فمالوا عليهم وانتزعوا البلاد من أيديهم ، وكانوا يردون عليهم كرسي خلافتهم بالقاهرة ، ووضعوا عليهم الجزية

وهم يتجرعون المصاب من ذلك، ويتحملونه مع بقاء أمرهم. كاد الاتابك زنكي وقومه السلجوقية من قبله أن يحوا دعوتهم، ويذهبوا بدولتهم. واقاموا من ذلك على مضض وقلق وجاء الله بدعوة العاضد آخرهم.

وتغلب عليه بعد الصالح بن رزيك شاور السعدي، وقتل رزيك ابن صالح سنة ثمان وخمسين، واستبد على العاضد. ثم نازعه الضرغام لتسعة أشهر من ولايته وغلبه واخرجه من القاهرة فلحق بالشام، ولحق بنور الدين صريحاً سنة تسع وخمسين، وشرط له على نفسه ثلث الجباية بأعمال مصر، على ان يبعث معه عسكراً يقيمون بها فأجابه الى ذلك، وبعث اسد الدين شيركوه في العساكر فقتل الضرغام، ورد شاور الى رتبته وآل امرهم الى نحو الدولة العلوية، وانتظام مصر واعمالها في ملكة ابن ايوب بدعوة نور الدين محمود بن زنكي، ويخطب للحلفاء العباسيين لما هلك نور الدين محمود واستبد صلاح الدين بأمره في مصر. ثم غلب على بني نور الدين محمود، وملك الشام من ايديهم وكثر عيث ابن عمهم مودود واستفحل ملكه، وعظمت دولة بنييه من بعده الى ان انقرضوا والبقاء لله وحده.

سير أسد الدين شيركوه الى مصر وإعادة شاور الى وزارته

لما اعتزم نور الدين محمود صاحب الشام على صريح شاور، وارسال العساكر معه واختار لذلك أسد الدين شيركوه بن شادي،

وكان من أكبر أمرائه فاستدعاه من حمص وكان أميراً عليها وهي أقطاعه ، وجمع له العساكر وأزاح عنهم . وفصل بهم شيركوه من دمشق في جمادى سنة تسع وخمسين . وسار نور الدين بالعساكر إلى بلاد الأفرنج ليأخذ بحجزتهم عن اعتراضه أو صده ، لما كان بينهم وبين صاحب مصر من الإلفة والتظاهر ، ولما وصل أسد الدين بلبس لقيه هنالك ناصر الدين أخو الضرغام وقاتله فانهزم ، وعاد إلى القاهرة مهزوماً . وخرج الضرغام منسلخ جمادى الأخيرة فقتل عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وقتل أخوه ، وأعاد شاور إلى وزارته وتمكن فيها . وصرف أسد الدين إلى بلده وأعرض عما كان بينها فطالبه أسد الدين بالوفاء ، فلم يجب إليه فتغلب أسد الدين على بلبس والبلاد الشرقية . وبعث شاور إلى الأفرنج يستنجد بهم ، ويعددهم فبادروا إلى إجابته ، وسار بهم ملكهم مري لخوفهم أن يملك أسد الدين مصر ، واستعانوا بجمع من الأفرنج جاءوا الزيارة القدس .

وسار نور الدين إليهم ليشفلهم فلم يشنهم ذلك وطمعوا لعزمهم ورزأ أسد الدين إلى بلبس ، واجتمعت العساكر المصرية والأفرنج عليه ، وحاصروه ثلاثة أشهر وهو يغاديرهم القتال ويروحهم ، وامتنع عليهم ، وقصاراهم منع الأخبار عنه . واستنفر نور الدين ملوك الجزيرة وديار بكر وقصر حارم . وسار الأفرنج لمدافعته فهزمهم وأثنى فيهم .

وأسر صاحب انطاكية وطرابلس وفتح حارم قريباً من حلب .
ثم سار الى بانياس قريباً من دمشق ففتحها كما مر في أخبار نور الدين
وبلغ الخبر بذلك الى الافرنج وهم محاصرون أسد الدين في بلبس
ففت في عزائهم ، وطلووا الخبر عنه وراسلوه في الصلح على أن يعود الى
الشام فصالحهم ، وعاد الى الشام في ذي الحجة من السنة ، والله
تعالى أعلم

سير أسد الدين ثانياً الى مصر وملكه الاسكندرية ثم طرده عليها وعود

ولما رجع أسد الدين الى الشام لم يزل في نفسه ما كان من غدر
شاور ، وبقي يشحن لغزوهم الى سنة اثنتين وستين فجمع العساكر
وبعث معه نور الدين جماعة من الامراء ، وأكثف له العسكر خوفاً
على حامية الاسلام ، وسار أسد الدين الى مصر ، وانتهى الى اطفح
وعبر منها الى العدو الغربية ، ونزل الجيزة وأقام نحواً من خمسين
يوماً . وبعث شاور الى الافرنج يستمدّهم على العادة ، وعلى ما لهم
من التخوف من استفحال ملك نور الدين وشير كوه فسارعوا الى
مصر ، وعبروا مع عساكرها الى الجيزة ، وقد أرتحل عنها أسد الدين
الى الصعيد ، وانتهى منها الى ^(١) وتبعوه وأدر كوه بها منتصف
اثنتين وستين

(١) كذا بيض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٩٥ : وكان أسد الدين وعساكره قد ساروا
الى الصعيد فبلغ مكاناً يعرف بالبلين .

ولما رأى كثرة عددهم واستعدادهم مع تحاذل اصحابه فاستشارهم
فاشار بعضهم بعبور النيل الى العدو الشرقية والعود الى الشام وابى
زعماؤهم إلا الاستماتة سيما مع خشية العتب من نور الدين ، وتقدم
صلاح الدين بذلك ؛ وأدر كههم القوم على تعبئة وجعل صلاح الدين
في القلب ، واوصاه ان يندفع امامهم ، ووقف هو في الميمنة مع من
وثق باستماتته. وحمل القوم على صلاح الدين فسار بين ايديهم على تعبته
وخالفهم اسد الدين الى مخلفهم فوضع السيف فيهم واثخن قتلاً واسراً.
ورجعوا عن صلاح الدين يظنون انهم ساروا منهزمين فوجدوا اسد
الدين قد استولى على مخلفهم واستباحه فانهمزوا الى مصر .

وسار أسد الدين الى الاسكندرية فتلقاها أهلها بالطاعة ،
واستخلف بها صلاح الدين ابن أخيه . وعاد الى الصعيد فاستولى عليه ،
وفرق العمال على جباية أمواله . ووصلت عساكر مصر والافرنج الى
القاهرة ، وازاحوا عنهم وساروا الى الاسكندرية فحاصروا بها صلاح
الدين ، وجهده الحصار . وسار أسد الدين من الصعيد لامداده ، وقد
انتقض عليه طائفة من التركمان من عسكره . وبينما هو في ذلك جاءته
رسل القوم في الصلح على أن يرد عليهم الاسكندرية ، ويعطوه خمسين
ألف دينار سوى ما جاءه من أموال الصعيد فأجابهم الى ذلك ، على
أن يرجع الافرنج الى بلادهم ، ولا يملكوا من البلاد قرية فانهقد ذلك
بينهم منتصف شوآل .

وعاد أسد الدين وأصحابه إلى الشام منتصف ذي القعدة . ثم شرط
الافرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة ، وتكون أبوابها بأيديهم
ليتمكنوا من مدافعة نور الدين ، فضربوا عليه مائة ألف دينار في
كل سنة جزية فقبل ذلك ، وعاد الافرنج إلى بلادهم بسواحل الشام
وتركوا بمصر جماعة من زعمائهم . وبعث الكامل أبا شجاع شاور إلى
نور الدين بطاعته ، وأن يبيت بمصر دعوته . وقرر على نفسه مالا يحمل
كل سنة إلى نور الدين فأجابه إلى ذلك وبقي شيعة له بمصر ، والله
تعالى أعلم .

استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور

ولما ضرب الافرنج الجزية على القاهرة ومصر ، وأنزلوا بها الشحنة
وملكوا أبوابها تمكنوا من البلاد ، وأقاموا فيها جماعة من زعمائهم
فتحكموا وأطلعوا على عورات الدولة ، فطمعوا فيها وراء ذلك من
الاستيلاء ورأسلوا بذلك ملكهم بالشام ، وأسمه مري ، ولم يكن
ظهر بالشام من الافرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغروه فلم يجبههم ،
واستحثه أصحابه لملكها . وما زالوا يفتلون له في الذروة والغارب ،
ويوهونه القوة بتملكها على نور الدين ، ويريه هو أن ذلك يؤل إلى
خروج أصحابها عنها لنور الدين فيبقى بها إلى أن يغلِبوا عليه . فرجع إلى
رأيهم . وتجهز وبلغ الخبر نور الدين فجمع عساكره ، واستنفر من في

ثغوره . وسار الافرنج الى مصر مفتتح اربع وستين فلكوا بلبس
عنوة في صفر واستباحوها وكاتبهم جماعة من أعداء شاور فأنسوا
مكاتبتهم ، وساروا الى مصر ونازلوا القاهرة .

وأمر شاور باحراق مدينة مصر لينتقل أهلها الى القاهرة فيصبط
الحصار فانتقلوا وأخذهم الحريق ، وامتدت الأيدي وانتهبت أموالهم
واتصل الحريق فيها شهرين . وبعث العاضد الى نور الدين يستغيث به
فأجاب وأخذ في تجهيز العساكر فاشتد الحصار على القاهرة ، وضاق
الامر بشاور فبعث الى ملك الافرنج يذكره بقديمه ، وان هواه
معه دون العاضد ونور الدين ، ويسأل في الصلح على المال لنفور
المسلمين مما سوى ذلك فأجابه ملك الافرنج على ألف ألف دينار لما
رأى من امتناع القاهرة ، وبعث اليهم شاور بمائة الف منها ، وسألهم
في الافراج فارتحلوا .

وشرع في جمع المال فعجز الناس عنه ورسل العاضد خلال ذلك
تردد الى نور الدين في أن يكون أسد الدين وعساكره حامية عنده
وعطاؤهم عليه ، وثلاث الجباية خالصة لنور الدين فاستدعى نور الدين
أسد الدين من حمص وأعطاه مائتي ألف دينار ، وجهزه بما يحتاجه من
السياب والدواب والاسلحة ، وحكمه في العساكر والخزائن ونقل
العسكر عشرين ديناراً لكل فارس ، وبعث معه من أمرائه مولاة
عز الدين خردك ، وعز الدين قليج ، وشرف الدين مرعشي وعز الدولة

الباروقي وقطب الدين نبال بن حسان المنبجي . وأمد صلاح الدين . يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين فتعلل عليه ، واعتزم عليه فأجاب . ، وسار أسد الدين منتصف ربيع . فلما قارب مصر رجع الافرنج الى بلادهم فسرّ بذلك نور الدين ، وأقام عليه البشائر في الشام .

ووصل أسد الدين القاهرة ودخلها منتصف جمادى الآخرة وزل بظاهرها ، ولقي العاضد وخلع عليه وأجرى عليه وعلى عساكره الجرايات والآتوات . وأقام أسد الدين ينتظر شرطهم ، وشاور يماطله ويعلله بالمواعيد . ثم فاوض أصحابه في القبض على أسد الدين واستخدام جنده فمنعه ابنه الكامل من ذلك فأقصر . ثم أشرف أصحاب أسد الدين على اليأس من شاور ، وتفاوض أمراؤه في ذلك فاتفق صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خردك على قتل شاور وأسد الدين بينهما . وغدا شاور يوماً على أسد الدين في خيامه فألفاه قدر كب لزيارة تربة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، فتلقاه صلاح الدين وخردك ، وركبوا معه لقصد أسد الدين فقبضوا عليه في طريقهم ، وطيروا بالخبر الى أسد الدين . وبعث العاضد لوقته يجرّضهم على قتله فبعثوا اليه برأسه ، وأمر العاضد بنهب دوره فنهبها العامة .

وجاء أسد الدين للقصر العاضد فخلع عليه الوزارة ، وتقبه الملك المنصور أمير الجيوش . وخرج له من القصر منشور من انشاء القاضي

الفاضل البيساني ، وعليه مكتوب بخط الخليفة ما نصه : هذا عهد لا عهد لوزير بمثله ، فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلاً لحمله ، وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مرشد سبله ، فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة ، واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلاً ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً

ثم ركب أسد الدين الى دار الوزارة التي كان فيها شاور ، وجلس مجلس الامر والنهي وولى على الاعمال ، وأقطع البلاد للعساكر ، وأمن أهل مصر بالرجوع الى بلادهم ورممها وعمارتها. وكاتب نور الدين بالواقع مفصلاً وانتصب للامور. ثم دخل للعاقد ، وخطب الاستاذ جوهر الخصي عنه وهو يومئذ أكبر الاساتيد فقال : يقول لك مولانا نوثر مقامك عندنا من أول قدومك ، وأنت تعلم الواقع من ذلك ، وقد تيقنا أن الله عز وجل ادّخرك لنا نصرة على أعدائنا فحلف له اسد الدين على النصيحة واظهار الدولة . فقال الاستاذ عن العاقد الامر بيدك هذا وأكثر . ثم جدّت الخلع واستخلص أسد الدين المجلس عبد القوي . وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة واستحسنه واختصه . وأما الكامل بن شاور فدخل القصر مع اخوته معتصمين به ، وكان آخر المهديه وأسف أسد الدين عليه لما كان منه في ردّ ابیه ، وذهب كل بما كسب ، والله تعالى اعلم

وفاة أسد الدين وولايته ابن أخيه صلاح الدين

ثم توفي أسد الدين شيركوه آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وستين لشهرين من وزارته . ولما احتضر أوصى أحد حواشيه بها ، الدين قراقوش فقال له : « الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما اردنا ، وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة ، ولا تفرطوا في الاسطول » ولما توفي تشوَّف الامراء الذين معه الى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الباروقي ، وشرف الدين المشطوب الهكاري ، وقطب الدين نبال بن حسّان المنبجي وشهاب الدين الحارمي ، وهو خال صلاح الدين ، وجمع كل لمغالبة صاحبه . وكان أهل القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جوهر باخلا ، رتبة الوزارة ، واصطفاء ثلاثة آلاف من عسكر الغز يقودهم قراقوش ، ويعطي لهم الشرقية اقطاء ينزلون بها حشداً دون الافرنج^(١) من يستبد على الخليفة بل يقيم واسطه بينه وبين الناس على العادة . وأشار آخرون باقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له ، ومال القاضي لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحاً الى صغر سنه ، وأنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه ، وأنهم في سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه ، ولقبه الملك الناصر . واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكاري شيعة له ،

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نعثري في المراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه العبارة .

واستألمهم اليه إلا الباروقي فانه امتنع وعاد الى نور الدين بالشام وثبتت قدم صلاح الدين في مصر ، وكان نائباً عن نور الدين ونور الدين يكتبه بالامير الاسفهسار ، ويجمعه في الخطاب مع كافة الامراء بالديار المصرية . وما زال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس ، ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس ، وضعف امر العاضد . ثم أرسل يطلب اخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم اليه من الشام . واستقامت أموره واطردت سعادته ، والله تعالى ولي التوفيق .

واقعة السودان بمصر

كان بقصر العاضد خصي حاكم على أهل القصر يدعى مؤتمن الخلافة ، فلما غص أهل الدولة بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم ، وكاتب الافرنج يستدعيهم ليبرز صلاح الدين لمدافعتهم فيثوروا بمخلفه . ثم يتبعونه وقد ناشب الافرنج فيأتون عليه . وبعثوا الكتاب مع ذي طمرين حمله في ^(١) نعاله فاعترضه بعض التركمان واستلبه ، ورأوا النعال جديدة فاسترابوا بها فجاءوا به الى صلاح الدين فقرأ الكتاب ، ودخل على كاتبه فأخبره بحقيقة الامر فطوى ذلك . وانتظر مؤتمن الخلافة حتى خرج الى بعض قراء متزهاً وبعث من جاء برأسه ،

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٩ ص ١٠٣ : وسيروا الكتب مع إنسان يتقون إليه وأقاموا ينتظرون جوابه ، وسار ذلك إلى العاضد إلى البئر البيضاء فلقبه إنسان تركماني فرأى معه نعلين جديدين فأخذهما منه ، وارتاب به وبهما فأتى به صلاح الدين ففتقهما فرأى الكتاب فيهما فقرأ وسكت عليه .

ومنع الحصيان بالقصر عن ولاية أموره ، وقدم عليهم بهاء الدين قراقوش خصياً أبيض من خدمه ، وجعل اليه جميع الامور بالقصر وامتعض السودان بمصر لمؤمن الخلافة . واجتمعوا لحرب صلاح الدين . وبلغوا خمسة آلاف وناجزوا عسكره من القصر في ذي القعدة من السنة . وبعث الى محلتهم بالمنصورة من أحرقها ، على أهلهم واولادهم . فلما سمعوا بذلك انهزموا واخذهم السيف في السكك فاستأمنوا وعبروا الى الجيزة فصار اليهم شمس الدولة اخو صلاح الدين في طائفة من العسكر فاستلحمهم وأبادهم ، والله اعلم .

منازلة الافرنج دمياط وفتح ايلة

ولما استولى صلاح الدين على دولة مصر ، وقد كان الافرنج أسفوا على ما فاتهم من صده وصده عنه عن مصر ، وتوقعوا الهلاك من استطالة نور الدين عليهم بملك مصر فبعثوا الزهبان والآقسة الى بلاد القرانية يدعونهم الى المدافعة عن بيت المقدس ، وكاتبوا الافرنج بصقلية والاندلس يستنجدونهم فنفروا واستعدوا لامدادهم . واجتمع الذين بسواحل الشام في فاتح خمس وستين وثلثمائة ، وركبوا في ألف من الاساطيل ، وأرسلوا لدمياط ليملكوها ويقربوا من مصر . وكان صلاح الدين قد ولاها شمس الخواص منكبوس فبعث اليه بالخبر فجهز اليها بهاء الدين قراقوش ، وأمراء الغز في البر

ممتابعين ، وواصل المراكب بالأسلحة والاتاوات ، وخاطب نور الدين يستمده لدمياط لانه لا يقدر على المسير اليها خشية من أهل الدولة بمصر ، فبعث نور الدين اليها العساكر أرسالاً . ثم سار بنفسه وخالف الافرنج الى بلادهم بسواحل الشام فاستباحها وخربها .

وبلغهم الخبر بذلك على دمياط ، وقد امتنعت عليهم ، ووقع فيهم الموتان فأقلعوا عنها الحُسين يوماً من حصارها . ورجع أهل سواحل الشام لبلادهم فوجدوها خراباً . وكان جملة ما بعثه نور الدين في المدد لصالح الدين في شأن دمياط هذه ألف ألف دينار سوى الثياب والأسلحة وغيرها . ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين في منتصف السنة يستدعي منه أباه نجم الدين أيوب فجهزه اليه مع عسكر ، واجتمع معهم من التجار جماعة . وخشي عليهم نور الدين في طريقهم من الافرنج الذين بالكرك فسار الى الكرك وحاصره بها .

وجمع الافرنج الآخرون فصمد للقائهم فخاموا عنه ، وسار في وسط بلادهم ، وسار الى عسيرا ، ووصل نجم الدين أيوب الى مصر ، وركب العاضد لتلقيه . ثم سار صلاح الدين سنة ست وستين لغزو بلاد الافرنج ، وأغار على أعمال عسقلان والرملة . ونهب ربط غزة ولقي ملك الافرنج فهزمه ، وعاد الى مصر . ثم أنشأ مراكب وحملها مفصلة على الجبال الى أيله فألفها وألقاها في البحر ، وحاصر أيله برّاً وبحراً ،

وفتحها عنوة في شهر ربيع من السنة ، واستباحها وعاد الى مصر فعزل
 قضاة الشيعة ، وأقام قاضياً شافعيّاً فيها . وولى في جميع البلاد كذلك .
 ثم بعث أخاه شمس الدولة توران شاه الى الصعيد فأغار على العرب
 وكانوا قد عاثوا وأفسدوا فكفهم عن ذلك ، والله تعالى أعلم

الخطبة العباسية بمصر

أقامة الخطبة العباسية بمصر

ثم كتب نور الدين باقامة الخطبة للمستضي العباسي ، وترك
 الخطبة للعاضد بمصر فاعتذر عن ذلك بميل أهل مصر للعلويين ، وفي
 باطن الأمر خشي من نور الدين فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك ،
 ولم تسمعه مخالفته ، وأحجم عن القيام بذلك . ورد على صلاح الدين
 شخص من علماء الأعاجم يعرف بالخبشاني ، ويلقب بالامير العالم فلما رآهم
 محجّمين عن ذلك صعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطيب ودعا للمستضي .
 فلما كانت الجمعة القابلة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع
 خطبة العاضد والخطبة للمستضي ، فتراسلوا بذلك ثاني جمعة من المحرم
 سنة سبع وستين وخمسمائة

وكان المستضي قد ولي الخلافة بعد أبيه المستنجد في ربيع من
 السنة قبلها . ولما خطب له بمصر كان العاضد مريضاً فلم يشعروه بذلك .

وتوفي يوم عاشوراء من السنة. ولما خطب له على منابر مصر جلس صلاح الدين للعزاء ، واستولى على قصره و وكل به بهاء الدين قراقوش ، وكان فيه من الذخائر ما يعز وجوده مثل جبل الياقوت الذي وزن كل حصاة منه سبعة عشر مثقالاً ، ومصاف الزمرد الذي طوله أربعة أصابع طولاً في عرض ، ومثل طبل القولنج الذي يضربه ضاربه فيعافي بذلك من داء القولنج ، وكسروه لما وجدوا ذلك منه فلما ذكرت لهم منفعتهم ندموا عليه ، ووجدوا من الكتب النفيسة ما لا يعد .

ونقل أهل العاضد الى بعض حجر القصر و وكل بهم ، واخرج الاماء والعبيد وقسمهم بين البيع والهبة والعنق . وكان العاضد لما اشتد مرضه استدعاه فلم يجب داعيه ، وظنها خديعة فلما توفي ندم ، وكان يصفه بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه والانتقياد . ولما وصل الخبر الى بغداد بالخطبة للمستضي ، ضربت البشائر وزينت بغداد أياماً وبعثت الخلع لنور الدين وصلاح الدين مع صندل الخادم من خواص المقتني ، فوصل الى نور الدين وبعث بخلعة صلاح الدين وخلع الخطباء بمصر والاعلام السود ، والله تعالى أعلم

الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين

قد كان تقدم لنا ذكر هذه الوحشة في أخبار نور الدين مستوفاة ،

وأن صلاح الدين غزا بلاد الأفرنج سنة سبع وستين ، وحاصر حصن الشوبك على مرحلة من الكرك حتى استأمنوا اليه ، فبلغ ذلك نور الدين فاعتزم على قصد بلاد الأفرنج من ناحية أخرى فارتأى صلاح الدين في أمره وفي لقاء نور الدين وإظهار طاعته ، وما ينشأ عن ذلك من تحكمه فيه فأسرع العود إلى مصر ، واعتذر لنور الدين بشي ، بلغه عن شيعة العلويين ليعتزله نور الدين ، وأخذ في الاستعداد لعزله . وبلغ ذلك صلاح الدين وأصحابه فتفاوضوا في مدافعتهم ونهاهم أبوه نجم الدين أيوب وأشار بمكاتبتة والتلطف له مخافة أن يبلغه غير ذلك فيقوى عزمه على العمل به ، ففعل ذلك صلاح الدين فسأله نور الدين . وعادت المخالطة بينهما كما كانت ، واتفقا على اجتماعهما لحصار الكرك فسار صلاح الدين لذلك سنة ثمان وستين ، وخرج نور الدين من دمشق بعد أن تجهز . فلما انتهى إلى الرقيم على مرحلتين من الكرك ، وبلغ صلاح الدين خبره ارتأى ثانياً . وجاءه الخبر بمرض نجم الدين أبيه بمصر ففكر راجعاً . وأرسل إلى نور الدين الفقيه عيسى الهكاري بما وقع من حديث المرض بأبيه ، وأنه رجع من أجله فأظهر نور الدين القبول ، وعاد إلى دمشق ، والله تعالى أعلم

وفاة نجم الدين أيوب

كان نجم الدين أيوب بعد انصراف ابنه صلاح الدين إلى مصر أقام بدمشق عند نور الدين ، ثم بعث عنه ابنه صلاح الدين عندما

استوثق له ملك مصر فجهزه نور الدين سنة خمس وستين في عسكره .
وسار لحصار الكرك ليشغل الافرنج عن اعتراضه كما مر ذكره .
ووصل الى مصر وخرج العاضد لتلقيه ، وأقام مكرماً . ثم سار صلاح
الدين الى الكرك سنة ثمان وستين المرة الثانية في مواعدة نور الدين
وأقام نجم الدين بمصر ، وركب يوماً في مركب وسار ظاهر البلد ،
والفرس في غلواء . مراحه وملاعبة ظله فسقط عنه ، وحمل وقيدا إلى
بيته فهلك لايام منها آخر ذي الحجة من السنة . وكان خيراً جواداً
محسناً للعلماء والفقراء ، وقد تقدم ذكر أوليته ، والله ولي التوفيق

استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب

كان قراقوش من موالي تقي الدين عمر بن شاه بن نجم الدين
أيوب ، وهو ابن أخي صلاح الدين فغضب مولاه في بعض النزعات ،
وذهب مغاضباً الى المغرب ولحق يجبل نفوسه من ضواحي طرابلس
الغرب . وأقام هنالك دعوة مواليه ، وكان في بسائط تلك الجبال
مسعود ابن زمام المعروف بالبلط في اجيائه من رياح من عرب هلال
ابن عامر ، وكان منحرفاً عن طاعة عبد المؤمن شيخ الموحدين ،
وخليفة المهدي فيهم فانتبذ مسعود بقومه عن المغرب وافريقية الى
تلك القاصية ، فدعاه قراقوش الى اظهار دعوة مواليه بني أيوب
فأجابه ونزل معه باحيائه على طرابلس فحاصرها قراقوش وافتتحها ،
ونزل بأهله وبعياله في قصرها

ثم استولى على قابس من وراثها ، وعلى توزر ونفطة وبلاد نفزاوة من افريقية ، وجمع أموالاً جمة ، وجعل ذخيره بمدينة قابس ، وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها . ولم يكن لهم قدرة على منهم . ثم طمع في الاستيلاء على جميع افريقية ووصل يده بيحيى بن غانية اللمتوني الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة ، من بقية الامراء في دولتهم . فكانت لهما بتلك الناحية آثار مذكورة في أخبار دولة الموحيدين الى أن غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد ، وقتله كما هو مذكور في أخبارهم ، والله أعلم

استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن

كان صلاح الدين وقومه على كثرة ارتياحهم من نور الدين ، وظنهم به الظنون يحاولون ملك القاصية عن مصر ليمتنعوا بها ان طرقتهم منه حادث ، أو عزم على المسير اليهم في مصر فصرفوا عزمهم في ذلك الى بلاد النوبة أو بلاد اليمن . وتجهز شمس الدولة توران شاه ابن أيوب ، وهو اخو صلاح الدين الأكبر الى ملك النوبة . وسار اليها في العساكر سنة ثمان وستين ، وحاصر قلعة من ثغورهم ففتحها واختبرها فلم يجد فيها خراجاً ولا في البلاد بأسرها جباية . وأقواتهم الذرة وهم في شطف من العيش ومعاناة للفتن . فاقتصر على ما فتحه من ثغورهم ، وعاد في غنيته بالعبدى والجواري . فلما وصل الى مصر أقام بها قليلاً ، وبعثه صلاح الدين الى اليمن ، وقد كان غلب عليه على بن مهدي

الخارجي سنة أربع وخمسين، وصار أمره الى ابنه عبد النبي ، وكرسي ملكه زبيد منها . وفي عدد ياسر بن بلال بقية ملوك بني الربيع .

وكان عمارة اليمني الشاعر العبيدي وصاحب بني رزيك من أمرائهم ، وكان أصله من اليمن . وكان في خدمة شمس الدولة ويغريه به فسار اليه شمس الدولة بعد ان تجهز ، وأزاح العلل ، واستعد للمال والعيال . وسار من مصر منتصف سنة تسع وستين ، ومرت بمكة وانتهى الى زبيد . وبها ملك اليمن عبد النبي بن علي بن مهدي فبرز اليه وقاتله فانهمز وانحجر بالبلد . وزحفت عساكر شمس الدولة فقتلوا أسوارها وملكوها عنوة واستباحوها ، وأسروا عبد النبي وزوجته . وولى شمس الدولة علي زبيد مبارك بن كامل ابن منقذ من أمراء شيزر ، كان في جلته ، ودفع اليه عبد النبي ليستخلص منه الاموال فاستخرج من قربته دقائن كانت فيها أموال جليلة . ودلتهم زوجته الحرّة على ودائع استولوا منها على أموال جمة .

وأقيمت الخطبة العباسية في زبيد ، وسار شمس الدولة توران شاه الى عدن وبها ياسر بن بلال ، كان ابوه بلال بن جرير مستبداً بها على مواليه بني الزريع ، وورثها عنه ابنه ياسر ، فسار ياسر للقائه فهزمه شمس الدولة ، وسارت عساكره الى البلد فملكوها ، وجاؤا بياسر أسيراً الى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبي معه في الاعتقال ، واستولى على نواحيها ، وعاد الى زبيد . ثم سار الى حصون الجبال فملك تعز ،

وهي من أحسن القلاع ، وحصن التعكر والجند وغيرها من المعاقل والحصون. ووُلى علي عدن عز الدولة عثمان بن الزنجيلي ، واتخذ زبيد سبياً للملكه . ثم استوخها ، وسار في الجبال ومعه الاطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء للسكنى فوق عتق اختيارهم على تعز ، فاخبط هنالك مدينة واتخذها كرسياً للملكه . وبقيت لبنيه ومواليهم بني رسول كما نذكره في أخبارهم والله تعالى وليّ التوفيق .

واقعة عمارة ومقتله

كان جماعة من شيعة العلويّين بمصر منهم : 'عمارة بن أبي الحسن اليميني الشاعر ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضي العويدس ، وابن كامل ، وداعي الدعاة ، وجماعة من الجند وحاشية القصر ، اتفقوا على استدعاء الافرنج من صقليّة وسواحل الشام ، وبذلوا لهم الاموال على ان يقصدوا مصر . فان خرج صلاح الدين للقائهم بالعساكر ثار هؤلأ بالقاهرة ، وأعادوا الدولة العبّيدية . وإلا فلا بدّ له ان أقام من بعث عساكره لمداومة الافرنج فينفردون به ويقبضون عليه . وواطأهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين ، وتحيتوا لذلك غيبة أخيه توران شاه باليمن ، وثقوا بأنفسهم وصدقوا توهّماتهم ورتبوا وظائف الدولة وخططها . وتنازع في الوزارة بنو رزيك وبنو شاور . وكان علي بن نجى الواعظ ممن داخلهم في ذلك فأطلع صلاح الدين هو في الباطن اليهم . ونفي الخبر الى صلاح الدين من عيونه ببلاد الافرنج فوضع على

الرسول عنده عيوناً جاؤه بجليّة خبره ، فقبض حينئذ عليهم . وقيل إنّ علي بن نجيب أنمى خبرهم إلى القاضي فأوصله إلى صلاح الدين . ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم ، ومرت عمارة بيت القاضي وطلب لقاءه فلم يسعفه ، وأنشد البيت المشهور :

عبد الرحيم قد احتجب ان الخلاص هو العجب

ثم صلبوا جميعاً ، ونودي في شعبة العلويين بالخروج من ديار مصر إلى الصعيد ، واحتيط على سلالة العاضد بالقصر ، وجاء الإفرنج بعد ذلك من صقلية إلى الاسكندرية كما يأتي خبره ان شاء الله تعالى ، والله أعلم

وصول الإفرنج من صقلية إلى الإسكندرية

لما وصلت رسل هؤلاء الشيعة إلى الإفرنج بصقلية تجهزوا ، وبعثوا مرابكهم مائتي اسطول للمقاتلة فيها : خمسون ألف رجل ، وألفان وخمسمائة فارس ، وثلاثون مركباً للخيول ، وستة مرابكب لآلة الحرب ، وأربعون للازواد . وتقدم عليهم ابن عم الملك صاحب صقلية ، ووصلوا إلى ساحل الاسكندرية سنة سبعين . وركب أهل البلد الأسوار ، وقتلهم الإفرنج ، ونصبوا الآلات عليها . وطار الخبر إلى صلاح الدين بمصر ، ووصلت الأمراء إلى الاسكندرية من كل جانب من نواحيها . وخرجوا في اليوم الثالث فقاتلوا الإفرنج فظفروا عليهم . ثم جاءهم البشير آخر النهار بمجيء صلاح الدين فاهتاجوا للحرب

وخرجوا عند اختلاط الظلام فكبسوا الافرنج في خيامهم بالسواحل وتبادروا إلى ركوب البحر فتقسموا بين القتل والغرق ولم ينج إلا القليل. واعثصم منهم نحو من ثلثائة برأس رابية هنالك الى أن أصبحوا فقتل بعضهم وأسروا الباقون ، واقلموا بأساطيلهم راجعين ، والله تعالى أعلم .

واقعة كنز الدولة بالصعيد

كان أمير العرب بنواحي اسوان يلقب كنز الدولة ، وكان شيعية للعلوية بمصر ، وطالت أيامه واشتهر . ولما ملك صلاح الدين قسم الصعيد اقطاعا بين أمرائه . وكان أخو أبي الهيجاء البسمين من أمرائه ، واقطاعه في نواحيهم فعصى كنز الدولة سنة سبعين ، واجتمع اليه العرب والسودان . وهجم علي أخي أبي الهيجاء البسمين في اقطاعه فقتله . وكان أبو الهيجاء من أكبر الامراء فيعه صلاح الدين لقتال الكنز ، وبعث معه جماعة من الامراء ، والتف له الخند فساروا الى اسوان ، ومرتوا بالصعيد فحاصروا بها جماعة وظفروا بهم فاستلحموهم . ثم ساروا الى الكنز فقاتلوه وهزموه ، وقتلوا واستلحم جميع أصحابه ، وأمنت بلاد اسوان والصعيد ، والله تعالى ولي التوفيق .

استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين

كان صلاح الدين كما قدمنا قائما في مصر بطاعة العادل نور الدين

محمود بن زنكي . ولما توفي سنة تسع وستين ، ونصب ابنه الصالح اسمعيل في كفالة شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ، وبعث اليه صلاح الدين بطاعته ، ونقم عليهم انهم لم يردوا الأمر اليه . وسار غازي صاحب الموصل بن قطب الدين مودود بن زنكي الى بلاد نور الدين التي بالجزيرة وهي : نصيبين والخابور وحرّان والرُّها والرَّقَّة فلكها . ونقم عليه صلاح الدين أنهم لم يخبروه حتى يدافعه عن بلادهم . وكان الخادم سعد الدين كهستكين الذي ولاه نور الدين قلعة الموصل ، وأمر سيف الدين غازي بمطالعة بأموره قد لحق عند وفاة نور الدين بحلب ، وأقام بها عند شمس الدين علي بن الداية المستبد بها بعد نور الدين فبعثه ابن الداية الى دمشق في عسكر ليحجى بالملك الصالح الى حلب لمداغة سيف الدين غازي فنكروه أولا وطرده .

ثم رجعوا الى هذا الرأي ، وبعثوا عنه فصار مع الملك الصالح الى حلب ولحين دخوله قبض على ابن الداية وعلى مقدمي حلب ، واستبد بكفالة الصالح ، وخاف الامراء بدمشق ، وبعثوا الى سيف الدين غازي ليملكوه فظنهم مكيدة من ابن عمه . وامتنع عليهم وصالح ابن عمه على ما أخذ من البلاد فبعث أمراء دمشق الى صلاح الدين ، وتولى كبر ذلك ابن المقدم فبادر الى الشام وملك بصرى . ثم سار الى دمشق فدخلها في منسلخ ربيع سنة سبعين وخمائة . ونزل دار أبيه المعروفة بالعفيني وبعث القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري الى

ريحان الخادم بالقلعة انه على طاعة الملك الصالح وفي خدمته ، وما جاء
الا لنصرته فسلم اليه القلعة وملكها .

واستخلف على دمشق الخاه سيف الاسلام طغر كين ، وسار الى
حصص ، وبها وال من قبل الامير مسعود الزعفراني . وكانت من أعماله
فقاتلها وملكها ، وجر عسكراً لقتال قلعتها . وسار الى حماة مظهراً
لطاعة الملك الصالح ، وارتجاع ما أخذ من بلاده بالجزيرة . وبعث
بذلك الى صاحب قلعتها خرديك واستخلفه . وسار الى الملك الصالح
ليجمع الكلمة ، ويطلق أولاد الداية . واستخلف على قلعة حماة أخاه .

ولما وصل الى حلب حبسه كستكيين الخادم ، ووصل الخبر الى أخيه
بقلعة حماة فسأها لصلاح الدين . وسار الى حلب فحاصرها ثالث جمادى
الاخيرة ، وأسّات أهلها في المدافعة عن الصالح . وكان بحلب سمند
صاحب طرابلس من الافرنج محبوباً منذ أسره نور الدين على حارم
سنة تسع وخمسين فأطلقه كستكيين على مال وأسرى ببلده . وتوفي
نور الدين أول السنة وخلف ابنه مجذوماً فكفله سمند واستولى على
ملكهم . فلما حاصر صلاح الدين حلب بعث كستكيين الى سمند
يستنجده ، فسار الى حصص ونازلها فسار اليه صلاح الدين ، وترك
حلب .

وسمع الافرنج بمسيره فرحلوا عن حصص ووصل هو اليها وعاشر
وجيب فحاصر قلعتها ، وملكها آخر شعبان من السنة . ثم سار الى

بعلبك وبها يمن الخادم من أيام نور الدين فحاصره حتى استأمن اليه ،
وملكها ربيع رمضان من السنة ، وصار بيده من الشام : دمشق
وحماة وبعلبك . ولما استولى صلاح الدين على هذه البلاد من أعمال
الملك الصالح ، كتب الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب
الموصل يستنجد به على صلاح الدين فأنجده بعساكره مع أخيه عز الدين
مسعود ، وصاحب جيشه عز الدين زلقندار . وسارت معهم عساكر
حلب ، وساروا جميعا لمحاربة صلاح الدين .

وبعث صلاح الدين الى سيف الدين غازي أن يسلم لهم حصص
وحماة ، ويبقى بدمشق نائباً عن الصالح فأبى إلا رد جميعها ، فسار
صلاح الدين الى العساكر ولقيهم آخر رمضان بنواحي حماة فهزمهم
وغنم ما معهم . واتبعهم الى حلب وحاصرها ، وقطع خطبة الصالح .
ثم صالحوه على ما بيده من الشام فأجابهم ، ورحل عن حلب لعشرين
من شوال . وعاد الى حماة ، وكان فخر الدين مسعود بن الزعفراني
من الأمراء النورية ، وكانت ماردن من أعماله مع حصص وحماة
وسلمية وتل خالد والرها . فلما ملك أقطاعة هذه اتصل به فلم ير
نفسه عنده كما ظن ففارقه . فلما عاد صلاح الدين من حصار حلب الى
حماة سار الى بعلبك ، واستأمن اليه واليه فملكها ، وعاد الى حماة
فأقطعها خاله شهاب الدين محمود ، وأقطع حصص ناصر الدولة بن شيركوه ،
وأقطع بعلبك شمس الدين ابن المقدّم ودمشق الى عماد ، والله تعالى
ولي التوفيق بمنه وكرمه .

واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب الموصل وما ملك من الشام بعد انهزامهما

ثم سار سيف الدين غازي صاحب الموصل في سنة احدى وسبعين بعد انهزام أخيه وعساكره ، واستقدم صاحب كيفا وصاحب ماردن ، وسار في ستة آلاف فارس وانتهى الى نصيبين في ربيع من السنة فشتى بها حتى ضجرت العساكر من طول المقام . وسار الى حلب فخرجت اليه عساكر الملك الصالح مع كمستكين الخادم ، وسار صلاح الدين من دمشق للقائهم فلقبهم قبل السلطان فهزمهم واتبعهم الى حلب . وعبر سيف الدين الفرات منهزماً إلى الموصل ، وترك أخاه عز الدين بحلب . واستولى صلاح الدين على مخلفهم ، وسار الى مراغة فملكها وولى عليها . ثم الى منبج وبها قطب الدين نبال بن حسان المنبجي وكان حنقاً عليه لقبح آثاره في عداوته فلحق بالموصل ، وولاه غازي مدينة الرقة

ثم سار صلاح الدين الى قلعة اعزاز فحاصرها أوائل ذي القعدة من السنة اربعين يوماً وشد حصارها فاستأمنوا اليه فملكها ثاني الاضحى من السنة . وثب عليه في بعض أيام حصارها باصني من الفداوية فضربه ، وكان مسلحاً فأمسك يد الفداوي حتى قتل وقتل جماعة كانوا معه لذلك ورحل صلاح الدين بعد الاستيلاء على قلعة اعزاز الى حلب

فحاصرها وبها الملك الصالح . واعصوب عليه أهل البلد واستماتوا في المدافعة عنه . ثم ترددت الرسل في الصلح بينها وبين صاحب الموصل وكيفا وصاحب ماردين فانهقد بينهم في محرم سنة اثنتين وتسعين ، وعاد صلاح الدين الى دمشق بعد أن رد قلعة إغزاز الى الملك الصالح بوسيلة أخته الصغيرة ، خرجت الى صلاح الدين نائرة فاستوهبته قلعة إغزاز فوهبها لها ، والله تعالى أعلم

مسير صلاح الدين إلى بلاد الإسماعيلية

ولما رحل صلاح الدين عن حلب ، وقد وقع من الاسماعيلية على حصن إغزاز ما وقع ، قصد بلادهم في محرم سنة اثنتين وتسعين ونهبها وخرّبها ، وحاصر قلعة مصياف ، ونصب عليها المجانيق . وبعث سنان مقدّم الاسماعيلية بالشام الى شهاب الدين الحارمي خال صلاح الدين بحجة يسأله الشفاعة فيهم ، ويتوعده بالقتل فشفع فيهم وأرحل العساكر عنهم . وقدم عليه أخوه توران شاه من اليمن بعد فتحه واظهار دعوتهم فيه ، وولى على مدنه وامصاره فاستخلفه صلاح الدين على دمشق ، وسار الى مصر لطول عهده بها أبو الحسن ابن سنان بن سقمان بن محمد . ولما وصل اليها أمر بإدارة سور على مصر القاهرة والقلعة التي بالجبل دورة تسعة وعشرون ألف ذراع بالهاشمي . واتصل العمل فيه الى أن مات صلاح الدين ، وكان متولي النظر فيه مولاه

قراقوش ، والله تعالى ولي التوفيق بمنه

غزوات بين المسلمين والافرنج

كان شمس الدين محمد بن المقدم صاحب بعلبك ، وأغار جمع من الافرنج على البقاع من أعمال حلب فسار اليهم وأمكن لهم في الغياض ، حتى نال منهم وفتك فيهم. وبعث الى صلاح الدين بمائتي أسير منهم وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن فبلغه أن جمعاً من الافرنج أغاروا على أعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم بالمروج فلم يشبت وهزموه ، وأسر سيف الدين أبو بكر بن السلار من أعيان الجند بدمشق ، وتجاسر الافرنج على تلك الولاية . ثم اعتزم صلاح الدين على غزو بلاد الافرنج فبعثوا في الهدنة وأجابهم اليها وعقد لهم ، والله تعالى ولي التوفيق .

هزيمة صلاح الدين بالرملة امام الافرنج

ثم سار صلاح الدين من مصر في جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى ساحل الشام لغزو بلاد الافرنج ، وانتهى الى عسقلان فاكتمسح أعمالها ولم يروا للافرنج خبراً فانساخوا في البلاد وانقلبوا الى الرملة فاداعهم الا الافرنج مقبلين في جموعهم وأبطالهم ، وقد افترق أصحاب صلاح الدين في السرايا فثبت في موقفه واشتد القتال . وأبلى

يومئذ محمد ابن أخيه في المدافعة عنه وقتل من أصحابه جماعة . وكان لتقي الدين بن شاه ابن اسمه أحمد متكامل الخلال لم يطرّ شاربه . فأبلى يومئذ واستشهد ، وتمت الهزيمة علي المسلمين . وكان بعض الافرنج تخلصوا الى صلاح الدين فقتل بين يديه وعاد منهزماً ، واسر الفقيه عيسى الهكاري بعد ان أبلى يومئذ بلاءً شديداً .

وسار صلاح الدين حتى غشيه الليل . ثم دخل البرية في فلّ قليل الى مصر ، ولحقهم الجهد والعطش ، ودخل الى القاهرة منتصف جمادى الاخيرة . قال ابن الاثير : ورأيت كتابه الى اخيه توران شاه بدمشق يذكر الواقعة :

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد فتكت فينا المثقفة السمر

ومن فصوله : لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله سبحانه منه إلا لأمر يريده ، وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر انتهى . وأما السرايا التي دخلت بلاد الافرنج فتقسمهم القتل والاسر وأما الفقيه عيسى الهكاري فلما ولى منهزماً ، ومعه أخوه الظهير ضل عن الطريق ، ومعها جماعة من اصحابها فأسروا . وفداه صلاح الدين بعد ذلك بستين ألف دينار ، والله تعالى أعلم .

حصار الإفرنج مدينة حماة

ثم وصل في جمادى الاولى الى ساحل الشام زعيم من طواغيت

الافرنج ، وقارن وصوله هزيمة صلاح الدين . وعاد الى دمشق يومئذ توران شاه بن أيوب في قلة من العسكر ، وهو مع ذلك منهمك في ملذاته فسار ذلك الزعيم بعد ان جمع فرنج الشام ، وبذل لهم العطاء فحاصر مدينة حماة ، وبها شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين مريضاً . وشدّ حصارها وقتلها حتى أشرف على أخذها . وهجموا يوماً على البلد وملكوا ناحية منه فدافعهم المسلمون وأخرجوهم ، ومنعوا حماة منهم فأفرجوا عنها بعد أربعة ايام ، وساروا الى حارم فحاصروها . ولما رحلوا عن حماة مات شهاب الدين الحارمي ، ولم يزل الافرنج على حارم يحاصرونها ، وأطعمهم فيها ما كان من نكبة الصالح صاحب حلب لكمستكين الخادم كافل دولته . ثم صانعهم بالمال فرحلوا عنها . ثم عاد الافرنج الى مدينة حماة في ربيع سنة أربع وسبعين فعاثوا في نواحيها واكتسحوا أعمالها ، وخرج العسكر حامية البلد اليهم فهزموهم ، واستردوا ما اخذوا من السواد ، وبعثوا بالرؤس والاسرى الى صلاح الدين وهو بظاهر حمص منقلباً من الشام ، فأمر بقتل الاسرى ، والله تعالى ولي التوفيق .

انتقاض ابن المقدم ببلبك وفتحها

كان صلاح الدين لما ملك ببلبك استخلف فيها شمس الدين محمد ابن عبد الملك المقدم جزاء بما فعله في تسليم دمشق ، وكان شمس الدولة محمد أخو صلاح الدين ناشئاً في ظل أخيه وكفالته فكان يميل اليه ،

وطلب منه أقطاع بعلبك فأمر ابن المقدم بتمكينه منها فأبى . وذكره
عهده في أمر دمشق فسار ابن المقدم الى بعلبك وامتنع فيها ، ونازلته
العساكر فامتنع ، وطاولوه حتى بعث الى صلاح الدين يطلب العوض
فموّضه عنها . وسار أخوه شمس الدين اليها فلحقها ، والله تعالى ولي
التوفيق .

وقائع مع الإفرنج

وفي سنة أربع وسبعين سار ملك الإفرنج في عسكر عظيم
فاغار على أعمال دمشق ، واكتسحها وأثخن فيها قتلاً وسيّياً . وأرسل
صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه في العساكر لمدافعتة فسار يطلبهم ،
ولقيهم على غير استعداد فقاتل أشد القتال . ونصر الله المسلمين ،
وقتل جماعة من زعماء الإفرنج منهم هنفري ، وكان يضرب به المثل .
ثم أغار البرنس صاحب انطاكية واللاذقية على صرح المسلمين بشيزر ،
وكان صلاح الدين على بانياس لتخريب حصن الإفرنج بمخاضة
الاضرار فبعث تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه ، وناصر الدين محمد
الى حصن لحماية البلد من العدو ، كما ذكره ان شاء الله تعالى .

تخريب حصن الإفرنج

كان الإفرنج قد اتخذوا حصناً منيعاً بقرب بانياس ، عند بيت
يعقوب عليه السلام ، ويسمى مكانه مخاضة الاضرار فسار صلاح

الدين من دمشق الى بانياس سنة خمس وسبعين ، وأقام بها ، وبث فيها الغارات على بلادهم . ثم سار الى الحصن فحاصره ليختبره ، وعاد عنه الى اجتماع العساكر وبث السرايا في بلاد الافرنج للغارة . وجاء ملك الافرنج للغارة على سريته ، ومعه جماعة من عساكره فبعثوا الى صلاح الدين بالخبر فوافاهم وهم يقتتلون ، فهزم الافرنج وأئخن فيهم . ونجا ملكهم في قلّ وأسر صاحب الرملة وناבלس منهم ، وكان رديف ملكهم . وأسر أخوه صاحب جبيل وطبرية ، ومقدم الفداوية ، ومقدم الاستبائية وغيرهم من طواغيتهم ، وفادى صاحب الرملة نفسه وهو أرتيرزان بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير من المسلمين .

وأبلى في هذا اليوم عز الدين فرخشاه ابن أخي صلاح الدين بلاء حسناً . ثم عاد صلاح الدين الى بانياس وبث السرايا في بلاد الافرنج ، وسار لحصار الحصن فقاتله قتالاً شديداً . وتسلم المسلمون سوره حتى ملكوا برجاً منه . وكان مدد الافرنج بطبرية ، والمسلمون يرتقبون وصولهم فأصبحوا من الغد ونقبوا السور ، وأضرموها فيه النار فسقط . وملك المسلمون الحصن عنوة آخر ربيع سنة خمس وسبعين ، وأسروا كل من فيه . وأمر صلاح الدين بهدم الحصن فالحق بالأرض ، وبلغ الخبر الى الافرنج ، وهم مجتمعون بطبرية لامداده فافترقوا وانهزم الافرنج ، والله سبحانه وتعالى أعلم

الفتنة بين صلاح الدين وقلبيج إرسلان صاحب الروم

كان حصن زغبان من شمالي حلب قد ملكه نور الدين العادل بن قليج إرسلان صاحب بلاد الروم ، وهو بيد شمس الدين ابن المقدم . فلما انقطع حصن زغبان عن إيالة صلاح الدين وراء حلب ، طمع قليج إرسلان في استرجاعه فبعث إليه عسكرياً يحاصرونه . وبعث صلاح الدين تقي الدين ابن أخيه في عسكرياً لمدافعتهم فلقبهم وهزمهم ، وعاد إلى عمه صلاح الدين . ولم يحضر معه تخريب حصن الاضرار . وكان نور الدين محمود بن قليج إرسلان بن داود ، صاحب حصن كيفا وآمد وغيرها من ديار بكر قد فسد ما بينه وبين قليج إرسلان صاحب بلاد الروم بسبب اضراره ببنته وزواجه عليها . واعتزم قليج إرسلان على حربه وأخذ بلادهم فاستنجد نور الدين بصلاح الدين ، وبعث إلى قليج إرسلان يشفع في شأنه فطلب استرجاع حصونه التي اعطاها لنور الدين عند المصاهرة . ولج في ذلك صلاح الدين على قليج ، وسار إلى زغبان ومر بحلب فتركها ذات الشمال ، وسلك على تل باشر .

ولما انتهى إلى زغبان جاءه نور الدين محمود واقام عنده . وارسل إليه قليج إرسلان يصف فعل نور الدين واضراره ببنته . فلما أدى الرسول رسالته امتنع صلاح الدين ، وتوعدهم بالمسير إلى بلده فتركه الرسول حتى سكن . وعدا عليه فطلب الخلوة وتلطف له في

فسخ ما هو فيه من ترك الغزو ونفقة الأموال في هذا الغرض الحقير،
وان بنت قليج أرسلان يجب على مثلك من الملوك الامتعاض لها،
ولا تترك المضارة من دونها فعلم صلاح الدين الحق فيما قاله . وقال
للسول ان نور الدين استند الى فعلك فاصلح الامر بينهما، وأنا معين
علي ما تحبونه جميعا ففعل الرسول ذلك وأصلح بينهما . وعاد صلاح الدين
الى الشام ، ونور الدين محمود الى ديار بكر ، وطلق ضرة بنت قليج
ارسلان بالأجل الذي أجله للرسول ، والله تعالى أعلم

سير صلاح الدين الى بلاد ابن اليون

كان قليج بن اليون من ملوك الأرض صاحب الدروب المجاورة
لحلب ، وكان نور الدين محمود قد استخدمه وأقطع له في الشام . وكان
يمسكهم معه ، وكان جريئاً على صاحب القسطنطينية . وملك وادقة
والمصيصة وطرطوس من يد الروم ، وكانت بينهما من أجل ذلك
حروب . ولما توفي نور الدين وانتقضت دولته أقام ابن اليون في بلاده ،
وكان التركمان يحتاجون الى رعي مواشيهم بارضه على حصانتها وصعوبة
مضايقتها . وكان يأذن لهم فيدخلونها . وغدر بهم في بعض السنين
واستباحهم واستاق مواشيهم . وبلغ الخبر الى صلاح الدين منصرفه
من زغبان فقصده بلده ، ونزل النهر الاسود . وبث الفارات في بلادهم
واكتسحها ، وكان لابن إليون حصن ، وفيه ذخيرته فخشي عليه

فقصده تخريبه . وسابقه اليه صلاح الدين فغنم ما فيه ، وبعث اليه ابن
اليون برداً ما أخذ من التركمان واطلاق أسراهم على الصلح والرجوع
عنه . فاجابه الى ذلك وعاد عنه في منتصف سنة خمس وسبعين ، والله
تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

غزوة صلاح الدين إلى الكرك

كان البرنس أرناط صاحب الكرك من مردة الافرنج
وشياطينهم ، وهو الذي اختط مدينة الكرك وقلعتها ، ولم تكن
هنالك . واعتزم على غزو المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة
وأتم السلام . وسمع عز الدين فرخشاه بذلك وهو بدمشق فجمع وسار
الى الكرك سنة سبع وسبعين ، واكتسح نواحيه ، وأقام ليشغله عن
ذلك الغرض حتى انقطع أمه ، وعاد الى الكرك . فعاد فرخشاه الى
دمشق ، والله تعالى أعلم بغيبه

سير سيف الإسلام طغركين بن أيوب إلى اليمن واستيلائه عليها

قد كان تقدم لنا فتح شمس الدولة توران شاه لليمن ، واستيلائه
عليه سنة ثمان وستين . وأنه ولي على زبيد مبارك بن كامل بن متقد
من أمراء شيزر ، وعلى عدن عز الدولة عثمان الزنجبيلي ، واختط مدينة
تعز في بلاد اليمن واتخذها كرسياً لملكه . ثم عاد الى أخيه سنة اثنتين

وسبعين وأدر كه منصرفاً من حصار حلب فولاه على دمشق ، وسار الى مصر . ثم ولّاه أخوه صلاح الدين بعد ذلك مدينة الإسكندرية ، وأقطعه إياها مضافة الى أعمال اليمن . وكانت الاموال تحمل اليه من زبيد وعدن وسائر ولايات اليمن . ومع ذلك فكان عليه دين قريب من مائتي ألف دينار مصرية ، وتوفي سنة ست وسبعين فقضاها عنه صلاح الدين . ولما بلغه خبر وفاته سار الى مصر ، واستخلف على دمشق عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه . وكان سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ الكناني نائبه بزبيد قد تغلب في ولايته وتحكم في الاموال فنزع الى وطنه ، وأستأذن شمس الدولة قبل موته فأذن له في الحج .

واستأذن أخاه عطف بن زبيد وأقام مع شمس الدولة حتى اذا مات بقي في خدمة صلاح الدين . وكان محشداً فسعى فيه عنده أنه احتجز أموال اليمن ، ولم يعرض له فتحيل اعداؤه عليه . وكان ينزل بالعدوية قرب مصر ، فصنع في بعض الايام صنيعاً دعي اليه أعيان الدولة ، واختلف مواليه وخدامه الى مصر في شراء حاجتهم فتحيلوا لصلاح الدين انه هارب الى اليمن . فتمت حيلتهم فقبض عليه . ثم ضاق عليه الحال وهاج به على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما أعطى لاهل الدولة فأطلقه ، وأعادته الى منزله فلما بلغ شمس الدين الى اليمن اختلف نوابه بها : حطان بن منقذ ، وعثمان بن الزنجبيلي .

وخشي صلاح الدين أن تخرج اليمن عن طاعته فجهز جماعة من

أمرائه إلى اليمن مع صارم الدين قطنغ أبيه والي مصر من أمرائه . فساروا لذلك سنة سبع وسبعين ، واستولى قطنغ أبيه على زبيد من حطان بن منقذ . ثم مات قريباً فعاد حطان إلى زبيد وأطاعه الناس ، وقوي على عثمان الزنجيلي فكتب عثمان إلى صلاح الدين أن يبعث قرابته فجهز صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طفركين ، فسار إلى اليمن وخرج حطان بن منقذ من زبيد وتحصن في بعض القلاع ونزل سيف الإسلام زبيد ، وبعث إلى حطان بالأمان فنزل إليه وأولاه الاحسان . ثم طلب اللحاق بالشام فنهه . ثم ألح عليه فأذن له حتى إذا خرج واحتمل رواحله ، وجاء ليودعه قبض عليه واستولى على ما معه . ثم حبسه في بعض القلاع فكان آخر العهده . ويقال كان فيما أخذه سبعون حملاً من الذهب . ولما سمع عثمان الزنجيلي خبر حطان خشي على نفسه ، وحمل أمواله في البحر ولحق بالشام . وبقيت مراكبه مراكب لسيف الإسلام فاستولى عليها . ولم يخلص إلا بما كان معه في طريقه ، وصفا اليمن لسيف الإسلام ، والله تعالى أعلم

دخول قلعة البيرة في أيالة صلاح الدين وغزوه الإفرنج

وفتح بعض حصونهم مثل الشقيف والفرر وبيروت

كانت قلعة البيرة من قلاع العراق لشهاب الدين بن ارتق ، وهو ابن عم قطب الدين أبي الغازي بن ارتق صاحب ماردين ، وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام . ثم مات وملك البيرة

بعده ابنه . ومات نور الدين فصار الى طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم وقع بين صاحب ماردين وصاحب الموصل من المخالصة والاتفاق ما وقع ، وطلب من عز الدين أن يأذن له في أخذ البيرة فأذن له ، فسار قطب الدين في عسكره الى قلعة شمشاط وأقام بها وبعث العسكر الى البيرة وحاصرها . وبعث صاحبها يستنجد صلاح الدين ويكون له كما كان أبوه لنور الدين فشفع صلاح الدين الى قطب الدين صاحب ماردين ولم يشفعه ، وشغل عنه بأمر الافرنج

ورحلت عساكر قطب الدين عنها فرجع صاحبها الى صلاح الدين وأعطاه طاعته ، وعاد في اياكته . ثم خرج صلاح الدين من مصر في محرم سنة ثمان وسبعين قاصداً الشام ومرّ بآياله وجمع الافرنج لاعتراضه فبعث أثقاله مع أخيه تاج الملوك الى دمشق ، ومال عن بلادهم فاكثسح نواحي الكرك والشوبك ، وعاد الى دمشق منتصف صفر . وكان الافرنج لما اجتمعوا على الكرك دخلوا بلادهم من نواحي الشام فخالفهم عز الدين فرخشاه نائب دمشق إليها ، واكتسح نواحيها وخرب قراها وأخذ فيهم قتلاً وسبياً وفتح الشقيف من حصونهم عنوة وكان له نكاية في المسلمين فبعث الى صلاح الدين بفتحه فسر بذلك

ثم أراح صلاح بدمشق أياماً وسار في ربيع الاول من السنة ، وقصد طبرية وخيم بالاردن . واجتمعت الافرنج على طبرية فسير

صلاح الدين فرخشاہ ابن أخيه إلى بيسان فملكها عنوة واستباحها . وأغار على الغور فأئخذ فيها قتلاً وسبياً . وسار الأفرنج من طبرية إلى جبل كوكب ، وتقدم صلاح الدين إليهم بعساكره فتحصنوا بالجبل فأمر ابن أخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاہ ابني شاهنشاه فقاتلوا الأفرنج قتالاً شديداً . ثم تجاوزوا وعاد صلاح الدين إلى دمشق . ثم سار إلى بيروت فاكتمسح نواحيها ، وكان قد استدعى الأسطول من مصر لحصارها فوافاه بها وحاصرها أياماً . ثم بلغه أن البحر قد قذف بدمياط مركباً للأفرنج فيه جماعة منهم جاؤا لزيارة القدس فآلقتهم الريح بدمياط ، وأسر منهم ألف وستمائة أسير ، ثم ارتحل عن بيروت إلى الجزيرة كما نذكره ان شاء الله تعالى

مسير صلاح الدين إلى الجزيرة واستيلائه على حران والرها والرقّة والخابور ونصيبين وسنجار وحصار الموصل

كان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كجك الذي كان أبوه نائب القلعة بالموصل مستولياً في دولة مودود وبنيه ، وانتقل آخرأ إلى إربل ومات بها . وأقطعه عز الدين صاحب الموصل ابنه مظفر الدين ، وكان هوأ مع صلاح الدين يؤمله ملكه بلاد الجزيرة فراسله وهو محاصر لبيروت ، وأطعمه في البلاد ، واستحثه للوصول فسار صلاح الدين عن بيروت مورياً بحلب ، وقصد الفرات ، ولقيه مظفر الدين وساروا إلى البيرة ، وقد دخل طاعة عز الدين . وكان عز الدين صاحب

الموصل ومجاهد الدين لما بلغها مسير صلاح الدين الى الشام ظنوا أنه يريد حلب فساروا المدافعته . فلما عبر الفرات عادوا الى الموصل ، وبعثوا حامية الى الرُّها . وكاتب صلاح الدين ملوك الأطراف بديار بكر وغيرها بالوعد والمقاربة

ووعد نور الدين محموداً صاحب كيفا أنه يملكه آمد . ووصل اليه فساروا الى مدينة الرها فحاصروها ، وبها يومئذ الامير فخر الدين بن مسعود الزعفراني . واشتد عليه القتال فاستأمن الى صلاح الدين وملكه المدينة ، وحاصر معه القلعة حتى سلمها النائب الذي بها على مال شرطه فأضافها صلاح الدين الى مظفر الدين مع حرّان وساروا الى الرقة ، وبها نائبها قطب الدين نيال بن حسنّ المنبجي ففارقها الى الموصل ، وملكها صلاح الدين . ثم سار الى قرقيصيا وماسكين وعربان ، وهي بلاد الخابور فاستولى على جميعها . وسار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها ، وحاصر القلعة أياماً ثم ملكها وأقطعها للامير أبي الهيجاء السمين . ثم رحل عنها ونور الدين صاحب كيفا معه معتزماً على قصد الموصل . وجاءه الخبر بأن الإفرنج أغاروا على نواحي دمشق ، واكتسحوا قراها وأرادوا تخريب جامع داريا فتوعدهم نائب دمشق بتخريب بيعة وكنائسهم فتركوه فلم يثن ذلك من عزمه وقصد الموصل ، وقد جمع صاحبها المساكر واستعد للحصار . وخلي نائبه في الاستعداد .

وبعث الى سنجار واربل وجزيرة ابن عمر فشحنها بالامداد من الرجال والسلاح والاموال ، وأنزل صاحب الدار عساكره بقربها ، وتقدم هو ومظفر الدين وابن شير كوه فهاهم استعداد صاحب البلد ، وأيقنوا بامتناعه وعدل صاحبيه هذين فانهما كانا أشارا بالبداة بالموصل . ثم اصبح صلاح الدين من الغد في عسكره ، ونزل عليه أول رجب على باب كندة ، وأنزل صاحب الحصن باب الجسر وأخاه تاج الملوك بالباب العمادي ، وقاتلهم فلم يظفر . وخرج بعض الرجال فنالوا منه . ونصب منجنيقاً فنصبوا عليه من البلد تسعة . ثم خرجوا اليه من البلد فأخذوه بعد قتال كثير . وخشي صلاح الدين من البيات فتأخر لانه رآهم في بعض الليالي يخرجون من باب الجسر بالمشاعل ويرجعون .

وكان صدر الدين شيخ الشيوخ ومشير الخادم وقد وصلا من عند الخليفة الناصر في الصلح . وترددت الرسل بينهم فطلب عز الدين من صلاح الدين رد ما أخذه من بلادهم فأجاب على أن يمكنه من حلب فامتنع ، فرجع الى ترك مظهرة صاحبها فامتنع ايضا . ثم وصلت أيضا رسل صاحب أذربيجان ورسل شاهين صاحب خلاط في الصلح فلم يتم ، وسار أهل سنجار يعترضون من يقصده من عساكره واصحابه فأفرج عن الموصل ، وسار اليها ، وبها شرف الدين أمير أميران هند وأخوه عز الدين صاحب الموصل في عسكر . وبعث اليه

مجاهد الدين النائب بعسكر آخر مدداً وحاصرها صلاح الدين وضيق عليها ، واستمال بعض امراء الاكراد الذين بها من الزواوية فواعده من ناحيته .

وطرقه صلاح الدين فلكه البرج الذي في ناحيته فاستأمن أمير أميران وخرج عسكره معه الى الموصل . وملك صلاح الدين سنجار ، وولى عليها سعد الدين بن معين الدين الذي كان أبوه عند كامل بن طغر كين بدمشق . وصارت سنجار من سائر البلاد التي ملكها من الجزيرة . وسار صلاح الدين الى نصيبين فشكا اليه اهلها من أي الهيجا السمين فعزله عنهم ، واستصحبه معه ، وسار الى حران في ذي القعدة من سنة ثمان وسبعين . وفرق عساكره ليستريحوا وأقام في خواصه وكبار أصحابه ، والله أعلم .

سير شاهين صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل

كان عز الدين قد أرسل الى شاهرين يستنجده على صلاح الدين فبعث اليه عدة رسل شافعاً في أمره فلم يشفعه ، وغالطه فبعث اليه مولاه آخرأ سيف الدين بكتمر ، وهو على سنجار يسأله في الافراج عنها فلم يجبه الى ذلك . وسوقه رجاء ان يفوتها فأبلغه بكتمر الوعيد عن مولاه ، وفارقه مغاضباً ولم يقبل صلته ، وأغراه بصلاح الدين فسار شاهرين من مخيمه بظاهر خلاط الى ماردين ، وصاحبها يومئذ

ابن اخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته ، وهو قطب الدين نجم الدين . وسار اليهم أتاك عز الدين صاحب الموصل . وكان صلاح الدين في حران منصرفه من سنجار . وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم استدعى تقي الدين ابن اخيه شاهنشاه من حماة ، ورحل الى رأس عين فافترق القوم ، وعاد كل الى بلده . وقصد صلاح الدين ماردین فأقام عليها عدة أيام ورجع ، والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه .

واقعة الإفرنج في بحر السويس

كان البرنس أرناط صاحب الكرك قد أنشأ اسطولاً مفصلاً ، وحمل أجزاءه الى صاحب ايلة وركبه على ما تقتضيه صناعة النشابة ، وقذفه في السويس ، وشحنه بالمقاتلة ، وأقلموا في البحر . ففرقة أقاموا على حصن أيلة يحاصرونه ، وفرقة ساروا نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز ، وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار . وطرق الناس منهم بلية لم يعرفونها لانه لم يعهد ببحر السويس إفرنجي محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائباً عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولاً وشحنه بالمقاتلة ، وسار به حسام الدين لؤلؤ الحالج قائد الاساطيل بديار مصر ، فبدأ باسطول الإفرنج الذي يحاصر ايلة فزقهم كل ممزق .

وبعد الظفر بهم اقلع في طلب الآخرين وانتهى الى عيذاب فلم

يُجدهم فرجع الى رابغ وأدر كههم بساحل الحوراء ، وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاغارة على الحاج . فلما أظلم عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وتراموا على الحوراء وأسمنوا اليها ، واعتصموا بشعابها . ونزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خيل الأعراب هنالك وقتلهم فظفر بهم ، وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم الى منى فقتلوا بها أيام النحر وعاد بالباقيين الى مصر ، والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء .

وفاته فرخشا

ثم توفي عز الدين فرخشا بن شاهنشاه أخو صلاح الدين النائب عنه بدمشق ، وكان خليفته في أهله ووثوقه به أكثر من جميع أصحابه . وخرج من دمشق غازياً الافرنج وطرقه المرض . وعاد فتوفي في جمادى سنة ثمان وسبعين . وبلغ خبره صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الجزيرة الموصل ، فأعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق وجعله نائباً فيها واستمر لشأنه ، والله تعالى يورث الملك لمن يشاء من عباده .

استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصلاح

قد تقدّم لنا مسير صلاح الدين الى ماردین واقامته عليها أياماً^(١)

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٦١ : قد ذكرنا نزول صلاح الدين بجوزم ، تحت ماردین ، فلم ير لطمعه وجهاً . وسار عنها إلى آمد عن طريق البارعية .

من نواحيها ، ثم ارتحل عنها الى آمد كما كان العهد بينه وبين نور الدين صاحب كيفا فنازلها منتصف ذي الحجة ، وبها بهاء الدين بن بيسان فحاصرها ، وكانت غاية في المنعة وأساء ابن بيسان التدبير وقبض يده عن العطاء ، وكان أهلها قد ضجروا منه لسوء سيرته وتضييقه عليهم في مكاسبهم . وكتب اليهم صلاح الدين بالترغيب والترهيب فتخاذلوا عن ابن بيسان وتركوا القتال معه ، ونقب السور من خارج بيت ابن بيسان ، وأخرج نساءه مع القاضي الفاضل يستميل اليه صلاح الدين ويؤجله ثلاثة أيام للرحلة ، فأجابه صلاح الدين وملك البلد في عاشوراء سنة تسع وسبعين .

وبنى خيمة بظاهر البلد ينقل اليها ذخيرته فلم يلتفت الناس اليه ، وتعذر عليه أمره فبعث الى صلاح الدين يسأله الاعانة فأمر له بالدواب والرجال ، فنقل في الايام الثلاثة كثيراً من موجوده . ومنع بعد انقضاء الاجل عن نقل ما بقي . ولما ملكها صلاح الدين سلمها لنور الدين صاحب كيفا وأخبر صلاح الدين بما فيها من الذخائر لينقلها لنفسه فأبى . وقال : ما كنت لاعطي الأصل وأبخل بالفرع ، ودخل نور الدين البلد ، ودعا صلاح الدين وأمرأه الى صنيع صنعه لهم ، وقدم لهم من التحف والهدايا ما يليق بهم ، وعاد صلاح الدين ، والله تعالى أعلم .

استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعتاب

ولما فرغ صلاح الدين من آمد سار الى أعمال حلب فحاصر تل خالد ، ونصب عليه المجانيق حتى تسلمه بالامان في محرم سنة تسع وسبعين . ثم سار الى عتاب فحاصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذي كان خازن نور الدين العادل وصاحبه . وهو الذي ولاه عليها فطلب من صلاح الدين أن يقرها بيده ، ويكون في طاعته فأجابته الى ذلك وحلف له . وسار في خدمته ، وغنم المسلمون خلال ذلك مغنم : فنها في البحر سار اسطول مصر ، فلقى في البحر مركباً فيه نحو ستائة من الافرنج بالسلاح والاموال قاصدون الافرنج بالشام فظفروا بهم ، وغنموا ما معهم ، وعادوا الى مصر سالمين . ومنها في البر أغار بالدارون جماعة من الافرنج ، ولحقهم المسلمون بأيلة واتبعوهم الى العسيلة ، وعطش المسلمون فانزل الله تعالى عليهم المطر حتى رووا . وقتلوا الافرنج فظفروا بهم هنالك واستلحموهم ، واستقاموا معهم وعادوا سالمين الى مصر ، والله أعلم .

استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم

كان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين العادل صاحب حلب ، لم يبق له من الشام غيرها ، وهو يدافع صلاح الدين عنها فتوفي منتصف سنة سبع وسبعين ، وعهد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل .

وسار عز الدين صاحب الموصل مع نائبه مجاهد الدين قايماز اليها فملكها. طلبها منه أخوه عماد الدين صاحب سنجار على أن يأخذ عنها سنجار فأجابته الى ذلك ، وأخذ عز الدين سنجار ، وعاد الى الموصل . وسار عماد الدين الى حلب فملكها ، وعظم ذلك على صلاح الدين ، وخشي أن يسير منها الى دمشق . وكان بمصر فسار الى الشام ، وسار منها الى الجزيرة ، وملك ما ملك منها وحاصر الموصل ، ثم حاصر آمد وملكها . ثم سار الى أعمال حلب كما ذكرناه فملك تل خالد وعنتاب . ثم سار الى حلب وحاصرها في محرم سنة تسع وسبعين ، ونزل الميدان الأخضر أياماً . ثم انتقل الى جبل جوشق وأظهر البقاء عليها وهو يغاديا القتال ويروحها ، وطلب عماد الدين جنده في العطاء ، وضايقوه في تسليم حلب لصلاح الدين . وأرسل اليه في ذلك الأمر طومان الباروقي ، وكان يميل الى صلاح الدين فشارطه على سنجار ونصيبين والرقه والخابور ، وينزل له عن حلب . وتحالفوا على ذلك وخرج عنها عماد الدين ثامن عشر صفر من السنة الى هذه البلاد . ودخل صلاح الدين حلب بعد أن شرط على عماد الدين أن يعسكر معه متى عاد .

ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين صنع له دعوة احتفل فيها وانصرف ، وكان فيمن هلك في حصار حلب تاج الملوك نور الدين أخو صلاح الدين الأصغر ، أصابته جراحة فمات منها بعد

الصلح ، وقبل أن يدخل صلاح الدين البلد . ولما ملك صلاح الدين حلب سار الى قلعة حارم ، وبها الامير طرخك من موالي نور الدين العادل ، وكان عليها ابنه الملك النصالح فحاصره صلاح الدين ووعده ، وترددت الرسل بينهم وهو يمتنع ، وقد ارسل الى الافرنج يدعوهم للانجاد ، وسمع بذلك الجند الذين معه فوثبوا به وحبسوه . واستأمنوا الى صلاح الدين فلك الحصن ، وولى عليه بعض خواصه . وقطع تل خالد^(١) الباروقي صاحب تل باشر . وأما قلعة اعزاز فان عماد الدين اسمعيل كان خربها فأقطعها صلاح الدين سليمان بن جسر^(٢) وأقام بحلب الى أن قضى جميع أشغالها وأقطع أعمالها ، وسار الى دمشق والله تعالى أعلم .

غزوة بيسان

ولما فرغ صلاح الدين من أمر حلب ولى عليها ابنه الظاهر غازي ، ومعه الامير سيف الدين تاو كج كافلاً له لصغره ، وهو أكبر الامراء الأسديّة . وسار الى دمشق فتجهز للغزو ، وجمع عساكر الشام والجزيرة وديار بكر ، وقصد بلاد الافرنج فعبّر الأردن منتصف سبع وسبعين ، وأجفل أهل تلك الاعمال أمامه فقصده بيسان وخربها وأحرقها ، واغار على نواحيها واجتمع الافرنج له . فلما رأوه

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٦٣ : وأقطع تل خالد لأمير يقال له داروم الباروقي وهو صاحب تل باشر .
(٢) كذا ، واسمه في الكامل : سليمان بن جندر .

خاموا عن لقائه واستندوا الى جبل وخندقوا عليهم ، وأقام يحاصرهم خمسة ايام ويستدرجهم للنزول فلم يفعلوا فرجع المسلمون عنهم ، وأغاروا على تلك النواحي وامتلات ايديهم بالغنائم وعادوا الى بلادهم ، والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

غزو الكرك وولاية العادل على حلب

ولما عاد صلاح الدين من غزوة بيسان تجهز لغزو الكرك وسار في العساكر ، واستدعى اخاه العادل ابا بكر بن ايوب من مصر وهو نائبها ليلحق به على الكرك ، وكان قد سأله في ولاية حلب وقلعتها فأجابه الى ذلك ، وامره ان يجي بأهله وماله فوافاه على الكرك ، وحاصروه اياماً وملكوا ارباضه ، ونصبوا عليها المجانيق ، ولم يكن بالغ في الاستعداد لحصاره لظنه ان الافرنج يدافعون عنه ، فأفرج عنه منتصف شعبان وبعث تقي الدين ابن اخيه شاه على نيابة مصر مكان اخيه العادل واستصحب العادل معه الى دمشق فولاه مدينة حلب ومدينة مَنبِج وما اليها ، وبعثه بذلك في شهر رمضان من السنة . واستدعى ولده الظاهر غازي من حلب الى دمشق .

ثم سار في ربيع الآخر من سنة ثمانين لحصار الكرك بعد ان جمع العساكر ، واستدعى نور الدين صاحب كيفا وعساكر مصر واستعد لحصاره ، ونصب المجانيق على ربضه فلكه المسلمون ، وبقي الحصن

وراء خندق بينه وبين الربض عمقه ستون ذراعاً . وراموا طمّه
فنضجوههم بالسهم ، ورموهم بالحجارة فأمر برفع السقف ليمشي
المقاتلة تحتها الى الخندق . وارسل اهل الحصن الى ملكهم يستمدّونه
ويخبرونه بما نزل بهم فاجتمع الافرنج واوعبوا وساروا إليهم فرحل
صلاح الدين للقائهم ، حتى انتهى الى خزونة الارض فأقام ينتظر
خروجهم الى البسيط فظاموا عن ذلك فتأخر عنهم فراسخ ، ومروا
الى الكرك . وعلم صلاح الدين أن الكرك قد امتنع بهؤلاء فتركه
وسار الى نابلس فخرّبها وحرّقها وسار الى سنطية^(١) وبها مشهد زكرياء
عليه السلام فاستنقذ من وجد بها من اسارى المسلمين ، ورحل الى
جينين^(٢) فنهّبها وخرّبها . وسار الى دمشق بعد ان بث السرايا في كل
ناحية ، ونهب كل ما مرّ به ، وامتلاّت الأيدي من الغنائم وعاد الى
دمشق مظفراً والله تعالى اعلم .

حصار صلاح الدين الموصل

ثم سار صلاح الدين من دمشق الى الجزيرة في ذي القعدة من سنة
ثمان ، وعبر الفرات . وكان مظفر الدين كوكبري علي كجك يستحثه
للمسير الى الموصل في كل وقت ، وربما وعده بخمسين ألف دينار اذا

(١) كذا، وهي : سبسطية .

(٢) كذا، وهي جنين .

وصل . فلما وصل الى حرّان لم يف له فقبض عليه ، ثم خشي معيرة ^(١) أهل الجزيرة فأطلقه وأعاد عليهم حرّان والرّها . وسار في ربيع الاول ، ولقيه نور الدين صاحب كيفا ، ومعز الدين سنجار شاه صاحب جزيرة ابن عمر ، وقد انحرف عن عمه عز الدين صاحب الموصل بعد نكبة مجاهد الدين نائبه . وساروا كلهم مع صلاح الدين الى الموصل ، وانتهوا الى مدينة بلد فلقية هنالك أمّ عز الدين ، وابنة عمه نور الدين وجماعة من أهل بيته يسألونه الصلح ظناً بأنه لا يردّه ، وسيما بنت نور الدين .

واستشار صلاح الدين اصحابه فأشار الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب بردّه وساروا إلى الموصل وقتلوا ، واستمات أهلها وامتعضوا لردّ النساء فامتنعت عليهم وعاد على أصحابه باللوم في اشارتهم . وجاء زين الدين يوسف صاحب إربل وأخوه مظفر الدين كوكبري فانزلهما بالجانب الشرقي . وبعث علي بن أحمد المشطوب الهكاري الى قلعة الجزيرة ليحاصرها فاجتمع عليه الاكراد الهكارية الى ان عاد صلاح الدين عن الموصل ، وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة زلقندار يكاآب صلاح الدين فنعه منها ، وانحرف عنه الى الاقتداء برأي مجاهد الدين وتصدر عنه .

ثم بلغه خبر وفاة شاهرين صاحب خلاط فطمع صلاح الدين في

(١) كذا بالأصل ، وهي تصحيف عن معرة: بمعنى الأذى ، الغرم ، الجناية ومعرة الجيش : أن ينزلوا يقوم فيأكلوا من زرعهم شيئاً بغير علم - قاموس .

ملكها ، وأنه يستعين بها على أموره . ثم جاءته كتب أهلها يستدعونه فصار عن الموصل إليها ، وكان أهل خلاط انما كاتبوه مكرراً لان شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان قصده تملكهم ، بعد ان كان زوج ابنته من شاهرين على كبره ، وجعل ذلك ذريعة الى ملك خلاط . فلما سار اليهم كاتبوا صلاح الدين ودافعوا كلا منهما بالآخر فصار صلاح الدين وفي مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ومظفر الدين صاحب اربل وغيرهما . وتقدموا إلى خلاط وتقدم صاحب اذربيجان فنزل قريباً من خلاط . وترددت رسل أهل خلاط بينه وبين البهلوان ، ثم خطبوا للبهلوان ، والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

استيلاء صلاح الدين على ميفارقين

ولما خطب أهل خلاط للبهلوان ، وصلاح الدين على ميفارقين ، وكانت لقطب الدين صاحب ماردن فتوفي ، وملك ابنه طفلاً صغيراً بعده ، ورد أمرها الى شاهرين صاحب خلاط . وأنزل بها عسكره فطمع فيها صلاح الدين بعد وفاة شاهرين ، وحاصرها من اول جمادى سنة احدى وثمانين ، وعلى اجنادها الأمير أسد الدين برنيقش فأحسن الدفاع ، وكان بالبلد زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بناتها منه ، وهي أخت نور الدين صاحب كيفا فراسلها صلاح الدين بأن برنيقش قد مال إليها في تسليم البلد ، ونحن ندعي حق اخيك نور الدين فأزوج

بناتك من ابنائي ، وتكون البلد لنا . ووضع على برنيقش من أخبره بأن الخاتون مالت الى صلاح الدين ، وأن اهل خلاط كاتبوه .

وكان خبر أهل خلاط صحيحاً فسقط في يده ، وبعث في التسليم على شروط اشترطها من إقطاع ومال . وسلم البلد فملكها صلاح الدين وعقد النكاح لبعض ولده على بعض بنات خاتون . وأنزلها وبناتها بقلعة هقناج وعاد الى الموصل ، ومربصيين ، وانتهى الى كفر أرماني ، وأعتزم على أن يشتوبه ، ويقطع جميع ضياع الموصل ويحبي أعمالها ، ويكتسح غلاتها . وجنح مجاهد الدين الى مصالحته وترددت الرسل في ذلك على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية الغرابلي ، وما وراء الزاب من الاعمال .

ثم طرقة المرض فعاد الى حرّان وأدركه الرسل بالاجابة الى ما طلب فانعقد هنالك ، وتحالفوا وتسلم البلاد وطال مرضه بحران ، وكان عنده أخوه العادل ، ويده حلب ، وبها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين . واشتد به المرض فقسم البلاد بين أولاده ، وأوصى أخاه العادل على الجميع . وعاد الى دمشق في محرم سنة اثنتين وثمانين ، وكان عنده بحران ناصر الدين محمد بن عمه شيركوه ، ومن اقطاعه حمص والرحبة فعاد قبله الى حمص ، ومر بحلب ، وصانع جماعة من امرائها على أن يقوموا بدعوته ان حدث بصلاح الدين أمر . وبلغ الى حمص فبعث الى أهل دمشق بمثل ذلك ، وأفاق صلاح الدين من مرضه ،

ومات ناصر الدين ليلة الاضحى ، ويقال دس عليه من سمه وورث أعماله
ابنه شير كوه ، وهو ابن اثني عشرة سنة ، والله تعالى أعلم

قصة صلاح الدين الأعمال بين ولده وأخيه

كان ابنه العزيز عثمان بحلب في كفالة أخيه العادل ، وابنه الأكبر
الأفضل علي بمصر في كفالة تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه ، بعثه
إليها عندما استدعى العادل منها كما مر . فلما مرض بجرّ أن أسف على
كونه لم يول أحداً من ولده استقلالاً ، وسعى إليه بذلك بعض بطانته .
فبعث ابنه عثمان العزيز إلى مصر في كفالة أخيه العادل كما كان بحلب .
ثم قطع العادل حران والرها وميفارقين من بلاد الجزيرة ، وترك عثمان
ابنه بمصر . ثم بعث عن ابنه الأفضل وتقي الدين ابن أخيه فامتنع تقي
الدين من الحضور ، واعتزم على المسير إلى المغرب والحق بمولاه
قراقوش في ولايته التي حصلت له بطرابلس ، والجريد من إفريقية
فراسله صلاح الدين ولاطفه . ولما وصل أقطعه حماة ومنبج والمعرّة
وكفرطاب وجبل جوز وسائر أعمالها . وقيل إن تقي الدين لما أُرْجف
بمرض صلاح الدين وموته تحرّك في طلب الأمر لنفسه ، وبلغ ذلك
صلاح الدين فأرسل الفقيه عيسى الهكاري ، وكان مطاعاً فيهم وأمره
باخراج تقي الدين من مصر والمقام بها فساد ودخلها على حين غفلة .
وأمر تقي الدين بالخروج فأقام خارج البلد ، وتجهز للمغرب فراسله
صلاح الدين إلى آخر الخبر ، والله تعالى أعلم .

اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين وسابذة البرنس صاحب الكرك له وحصاره اياه والاعانة على عكا

كان القمص صاحب طرابلس، وهو ريمند بن ريمند بن صنجيل تزوج بالقومصة صاحبة طبرية، وانتقل اليها فأقام عندها، ومات ملك الافرنج بالشام وكان مجذوما كمار، وأوصى بالملك لابن اخيه صغيراً فكفله هذا القمص، وقام بتدبير ملكه لعظمه فيهم، وطمع أن تكون كفالته ذريعة الى الملك. ثم مات الصغير فانتقل الملك الى ابيه، ويش القمص عندها مما كان يحدث به نفسه. ثم ان الملكة تزوجت ابن غتم من الافرنج القادمين من المغرب، وتوَّجته وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستتارية والداوية والبارونية، وأشهدتهم خروجها له عن الملك.

ثم طوَلب القمص بالجباية أيام كفالته الصبي فأنف وغضب، وجاهر بالشقاق لهم. وراسل صلاح الدين وسار الى ولايته وخلف له على مصره من أهل ملته. وأطلق له صلاح الدين جماعة من زعماء النصارى كانوا أسارى عنده فازداد غبطة بمظاهرتة. وكان ذلك ذريعة لفتح بلادهم وارتجاع القدس منهم. وبث صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية في سائر بلاد الافرنج فاكسحوها وعادوا غانمين، وذلك كله سنة اثنتين وثمانين. وكان البرنس أرناط صاحب الكرك

من اعظم الافرنج مكرراً وأشدّهم ضرراً . وكان صلاح الدين قد سلط الغارة والحصار على بلده حتى سأل في الصلح فصالحه فصلحت السابلة بين الامتين

ثم مرت في هذه السنة قافلة كثيرة التجار والجند فغدر بهم وأسر وأخذ ما معهم ، وبعث اليه صلاح الدين فأصرّ على غدرته فنذر أنه يقتله إن ظفر به ، واستنفر الناس للجهاد من سائر الاعمال من الموصل والجزيرة وإربل ومصر والشام . وخرج من دمشق في محرم سنة ثلاث وثمانين وانتهى الى رأس الماء . وبلغه انّ البرنس أونات صاحب الكرك يريد أن يتعرّض للحاج من الشام ، وكان معهم ابن أخيه محمد بن لاجين وغيره فترك من العساكر مع ابنه الافضل عليّ ، وسار الى بصرى . وسمع البرنس بمسيره فأحجم عن الخروج ، ووصل الحاج سالمين

وساء صلاح الدين الى الكرك ، وبث السرايا في أعمالها وأعمال الشوبك فاكتمسحوها . والبرنس محصور بالكرك ، وقد عجز الافرنج عن امداده لمكان العساكر مع الافضل بن صلاح الدين . ثم بعث صلاح الدين الى ابنه الافضل فامرّه بارسال بعث الى عكا ليكتسحوا نواحيها ، فبعث مظفر الدين كوكبري صاحب حرّان والرها وقايماز النجمي وداروم الياروقي ، وساروا في آخر صفر فصبجوا صفورية وبها جمع من الفداوية والاسبتارية فبرزوا اليهم . وكانت بينهم حروب

شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين، وانهزم الإفرنج، وقتل مقدمهم، وامتلات أيدي المسلمين من الغنائم وانقلبوا ظافرين. ومرّوا بطبرية، وبها القمص فلم يهجم لما تقدّم بينه وبين صلاح الدين من الولاية، وعظم هذا الفتح وسار البشير به في البلاد، والله تعالى أعلم

هزيمة الإفرنج وفتح طبرية ثم عكا

ولما انهزم الفداوية والاستتارية بصفورية، ومرّ المسلمون بالغنائم على القمص ريمند بطبرية، ووصلت البشائر بذلك الى صلاح الدين عاد الى معسكره الذي مع ابنه، ومرّ بالكرك، واعتزم على غزو بلاد الإفرنج فاعترض عساكره وبلغه ان القمص ريمند قد راجع أهل ملته ونقض عهده معه. وان البطرك والقسيس والرهبان أنكروا عليه مظاهرته للمسلمين، ومرور عساكرهم به بأسرى النصارى وغنائمهم. ولم يعترضهم مع ايقاعهم بالفداوية والاستتارية أعيان الملة، وتهّدوه بالحاق كلمة الكفر به فتنصل وراجع رأيه، واعتذر اليهم فقبلوا عذره، وخلص لكفره وطواغيته فجحدوا الحلف والاجتماع. وساروا من عكا الى صفورية، وبلغ الخبر الى صلاح الدين. وشاور أصحابه فمنهم من أشار بترك اللقاء وشن الغارات عليهم حتى يضعفوا. ومنهم من أشار باللقاء لنزول عكا واستيفاء ما فعلوه في المسلمين بالجزيرة فاستصوبه صلاح الدين واستعجل لقاءهم.

ثم رحل من الأقخوانة أواخر رمضان فساد حتى خلف طبرية ، وتقدّم الى معسكر الافرنج فلم يفارقوا خيامهم . فلما كان الليل أقام طائفة من العسكر فساد الى طبرية فلكها من ليلته عَنوةً ونهبها وأحرقها . وامتنع أهلها بالقلعة ، ومعهم الملكة وأولادها فبلغ الخبر الى الافرنج فضج القمص ، وعمد الى الصلح .

وأطال القول في تعظيم الخطب وكثرة المسلمين ، فنكر عليه البرنس صاحب الكرك واتهمه ببقائه على ولاية صلاح الدين . واعتزموا على اللقاء ووصلوا من مكانهم لقصد المعسكر ، وعاد صلاح الدين الى معسكره ، وبعدت المياه من حوالي الافرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدهم . واشتدت الحرب وصلاح الدين يحول بين الصفوف يتفقد أحوال المسلمين

ثم حمل القمص على ناحية تقي الدين عمر بن شاه حملة استمات فيها هو وأصحابه فأفرج له الصف ، وخلص من تلك الناحية الى منجاته ، واختل مصاف الافرنج ، وتابعوا الحملات . وكان بالارض هشيم أصابه شرر فاضطرم ناراً فجهدهم لفجها ، ومات جلّهم من العطش فوهنوا ، وأحاط بهم المسلمون من كل ناحية فارتفعوا الى تل بناحية حطين لينصبوا خيامهم به فلم يتمكنوا إلا من خيمة الملك فقط ، والسيف يحول فيهم بحاله حتى فني أكثرهم ، ولم يبق الا نحو المائة والحسين من خلاصة زعمائهم مع ملكهم . والمسلمون يكرّون عليهم

مرة بعد أخرى حتى ألقوا ما بأيديهم وأسروا الملك وأخاه البرنس أرناط صاحب الكرك وصاحب جبيل ، وابن هنفري ، ومقدم الفداوية ، وجماعة من الفداوية والاستتارية ، ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد أعوام التسعين والاربعمائة بمثل هذه الواقعة .

ثم جلس صلاح الدين في خيمته وأحضر هؤلاء الاسرى فقرر ع الملك ووبخه بعد أن أجلسه الى جانبه وفاء بمنصب الملك ، وقام الى البرنس فتولى قتله بيده حرصاً على الوفاء بنذره بعد ان عرفه بغدرته ، ويجسارته على ما كان يرومه في الحرمين ، وجلس الباقيين . وأما القمص صاحب طرابلس فنجا كما ذكرناه الى بلده ، ثم مات لأيام قلائل أسفأ . ولما فرغ صلاح الدين من هزيمتهم نهض الى طبرية فنزلها واستأمنت اليه الملكة بها فأمنها في ولدها وأصحابها ومالها ، وخرجت اليه فوفى لها وبعث الملك وأعيان الاسرى الى دمشق فحبسوا بها . وجمع اسرى الفداوية والاستتارية بعد ان بذل لمن يجده منهم من المقاتلة خمسين ديناراً مصرية لكل واحد وقتلهم أجمعين .

قال ابن الاثير : ولقد اجتزت بمكان الواقعة بعد سنة فرأيت عظامهم ماثلة على البعد أجحفتها السيول ومزقتها السباع . ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنزلها ، واعتصم الإفرنج الذين بها بالأسوار ، وشادوا بالاستثنان فأمنهم وخيرهم فاختراروا

الرحيل ، فحملوا ما أقلته رحالهم ودخلها صلاح الدين غرة جمادى سنة ثلاث وثمانين . وصلوا في جامعها القديم الجمعة يوم دخلوهم ، فكانت أول جمعة أقيمت بساحل الشام بعد استيلاء الافرنج عليه . وأقطع صلاح الدين بلد عكا لابنه الافضل ، وجميع ما كان فيه للفداوية من أقطاع وضياع . ووهب للفقيه عيسى الهكاري كثيراً مما عجز الافرنج عن حمله ، وقسم الباقي على أصحابه . ثم قسم الافضل ما بقي في أصحابه بعد مسير صلاح الدين . ثم أقام صلاح الدين أياماً حتى أصلح أحوالها ورحل عنها ، والله تعالى أعلم

فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا

لما هزم صلاح الدين الافرنج كتب الى أخيه العادل بمصر يسيره ويأمره بالمسير الى جهات الافرنج من جهات مصر ، فنازل حصن مجدل وفتح وغنم ما فيه ، ثم سار الى مدينة يافا ففتحها عنوة واستباحها وكان صلاح الدين ايام مقامه بعكا بعث بعوثه الى قيسارية وحيفا واسطورية وبعليك وشقيف^(١) وغيرها في نواحي عكا ، فلكوها واستباحوها وامتلات أيديهم من غنائمها وبعث حسام الدين عمر بن الاصع في عسكر الى نابلس فلك سسطة مدينة الاسباط ، وبها قبر زكريا عليه السلام . ثم سار الى مدينة نابلس فلكها واعتصم الافرنج

(١) كذا ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٧٩ : في مدة مقام صلاح الدين بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا .

الذين بها بالقلعة فأقرهم على أموالهم .

وبعث تقي الدين عمر ابن شاهنشاه الى تبين ليقطع الميرة عنها وعن صور فوصل اليها وحاصرها وضيق عليها ، حتى استأمنوا فأمنهم وملكها . ومرّ الى صيدا ومرّ في طريقه بصرخد فلكها بعد قتال . وجاء الخبر بفرار صاحب صيدا فصار وملكها آخر جمادى الاولى من السنة . ثم سار من يومه الى بيروت وقاتلها من احد جوانبها فتوهموا أنّ المسلمين دخلوا عليهم من الجانب الآخر فاهتاجوا لذلك ، فلم يستقرّوا ولا قدرّوا على تسكين الهيعة لكثرة ما معهم من أخلاط السواد فاستأمنوا اليه . وملكها آخر يوم من جمادى لثمانية أيام من حصارها . وكان صاحب جبيل أسيراً بدمشق فضمن لنائبها تسليم جبيل لصالح الدين على أن يطلقه فاستدعاه وهو محاصر لبيروت ، وسلم الحصن وأطلقه ، وكان من أعيان الافرنج وأولي الرأي منهم ، والله تعالى أعلم .

وصول المركيش إلى صور وامتناعه بها

كان القمص صاحب طرابلس لما نجا من هزيمة ^(١) لحق بمدينة صور وأقام بها يريد حمايتها ومنعها من المسلمين . فلما ملك صلاح الدين نسيس وصيدا وبيروت ضعف عزمه عن ذلك ، ولحق ببلاطه طرابلس . وبقيت صيدا وصور بدون حامية . وجاء المركيش من تجار الافرنج

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٨١ : لما انهزم القمص صاحب طرابلس من حطين إلى مدينة صور فأقام بها ، وهي أعظم بلاد الشام حصانة ، وأشد امتناعاً على من رامها .

من المغرب في كثرة وقوة فأرسي بعكا ولم يشعر بفتحها . وخرج اليه
الرائد فأخبره بمكان الأفضل بن صلاح الدين فيها ، وان صور
وعسقلان باقية للافرنج فلم يطلق الاقلاع اليها لركود الريح فشغلهم
بطلب الامان ليدخل المرسى . ثم طابت ريحه وجرت به الى صور ،
وامر الأفضل بخروج الشواني في طلبه فلم يدركوه حتى دخل مرسى
صور فوجد بها اخلاطاً كثيرة من قل الحصون المفتحة ، فجاؤا اليه
وضمن لهم حفظ المدينة ، وبذل أمواله في الانفاق عليها على أن تكون
هي وأعمالها له دون غيره واستحلفهم على ذلك . ثم قام بتدبير أحوالها
وشرع في تحصيتها فحفر الخنادق ورم الأسوار واستبدتها ، والله
سبحانه وتعالى أعلم

فتح عسقلان وما جاورها

ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وتلك الحصون صرف
همته الى عسقلان والقدس لعظم شأن القدس ، ولأن عسقلان مقطع
بين الشام ومصر فسار عن بيروت إلى عسقلان ، ولحق به
أخوه العادل في عساكر مصر . ونازلها أوائل جمادى الآخرة .
استدعى ملك الافرنج ومقدم الراية ، وكانا أسيرين بدمشق فأحضرهما
وأمرهما بالاذن للافرنج بعسقلان في تسليمها فلم يجيبوا إلى ذلك ،
أساؤا الرد عليهما فاشتد في قتالهم ونصب المجانيق عليهم ، وملكهم

يردد الرسائل اليهم في التسليم عساه ينطلق ويأخذ بالثار من المسلمين فلم يجيبوه .

ثم جهدهم الحصار وبعد عليهم الصريخ فاستأمنوا الى صلاح الدين على شروط اشترطوها ، كان أهمها عندهم أن يمنهم من المهرانية بما قتلوا أميرهم في الحصار فأجابهم الى جميع ما اشترطوه . وملك المدينة منتصف السنة لأربعة عشر يوماً من حصارها ، وخرجوا بأهلهم وأموالهم وأولادهم الى القدس ثم بعث السرايا في تلك الاعمال ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والنطرون ، وكل ما كان للفداوية . وكان أيام حصار عسقلان قد بعث عن اسطول مصر فجاء به حسام الدين لؤلؤ الحاجب ، وأقام يغير على مرسى عسقلان والقدس ، ويغنم جميع ما يقصده من النواحي ، والله سبحانه وتعالى يؤيد من يشاء بنصره

فتح القدس

ولما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها سار الى بيت المقدس ، وبها البطرك الاعظم وبليان بن نيزران ^(١) صاحب الرملة ، ورئيسة قرية الملك ، ومن نجا من زعمائهم من حطين ، وأهل البلد المفتحة عليهم ، وقد اجتمعوا كلهم بالقدس واستأمنوا للدين . وبعد

(١) كذا ، واسمه في الكامل : باليان بن نيزران .

الصريخ وأكثروا الاستعداد ونصبوا المجانيق من داخله ، وتقدم اليه أمير من المسلمين فخرج اليه الافرنج فأوقعوا به وقتلوه في جماعة ممن معه ، وفجع المسلمون بقتله . وساروا فنزلوا على القدس منتصف رجب ، وهالهم كثرة حاميته ، وطاف بهم صلاح الدين خمسة أيام فتحيز متبوءاً عليه للقتال ، حتى اختار جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون فتحول اليه . ونصب المجانيق عليها ، واشتد القتال ، وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق .

وكان ممن استشهد عز الدين عيسى بن مالك من أكابر أمراء بني بدران ، وأبوه صاحب قلعة جعبر فأسف المسلمون لقتله ، وحملوا عليهم حتى أزالوهم عن مواقعهم وأحجروهم بالبلد ، وملكوا عليهم الخندق ونقبوا السور فوهن الافرنج واستأمنوا لصلاح الدين فأبى إلا العنوة كما ملكه الافرنج أول الامر سنة احدى وسبعين وأربعمائة فاستأمن له بالباب ابن نيزران صاحب الرملة ، وخرج اليه وشافه بالاستئمان . واستعطفه فأصر على الامتناع فهدده بالاستماتة ، وقتل النساء والابناء وحرق الامتعة وتخريب المشاعر المعظمة ، واستلحام أسرى المسلمين ، وكانوا خمسة آلاف أسير ، واستهلك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من الظهر وغيره

فحينئذ استشار صلاح الدين أصحابه فجنحوا الى تأمينهم فشارطهم على عشرة دنانير للرجل ، وخمسة للمرأة ، ودينارين للولد

صبي أو صبية ، وعلى أجل أربعين يوماً فمن تأخر أداؤه عنها فهو أسير ، وبذل بليان بن نيزران عن فقراء أهل ملته ثلاثين ألف دينار . وملك صلاح الدين المدينة يوم الجمعة لتسع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ، ورفعت الاعلام الاسلامية على أسواره ، وكان يوماً مشهودا . ورتب على أبواب القدس الامناء لقبض هذا المال ، ولم ين الامر فيه على المشاحة فذهب أكثرهم دون شي . وعجز آخر الامر ستة عشر ألف نسمة فأخذوا أسارى ، وكان فيه على التحقيق ستون ألف مقاتل غير النساء والولدان فان الافرنج أرزوا اليه من كل جانب لما افتتحت عليهم حصونهم وقلاعهم

ومن الدليل على مقاربة هذا العدد ان بليان صاحب الرملة أعطى ثلاثين ألف دينار على ثمانية عشر ألفاً ، وعجز منهم ستة عشر ألفاً ، وأخرج جميع الامراء خلقا لا تحصى في زي المسلمين بعد ان يشارطوهم على بعض القطيعة . واستوهب آخرون جموعاً منهم يأخذون قطيعتهم فوهبهم اياهم . وأطلق بعض نساء الملوك من الروم كانوا مترهبات فأطلقهم بعبيدهم وحشمهم وأموالهم . وكذا ملكة القدس التي أسر صلاح الدين زوجها ملك الافرنج بسببها ، وكان محبوساً بقلعة نابلس فأطلقها بجميع ما معها ، ولم يحصل من القطيعة على خراج .

وخرج البطرك الاعظم بما معه من ماله وأموال البيع ، ولم يتعرض له . وجاءته امرأة البرنس صاحب الكرك الذي قتله يوم حطين تشفع

في ولدها ، وكان أسيراً فبعثها إلى الكرك لتأذن الإفرنج في النزول عنه للمسلمين وكان على رأسه قبة خضراء لها صليب عظيم مذهب ، وتسلق جماعة من المسلمين إليه واقتلوه ، وارتجت الأرض بالتكبير والعييل . ولما خلا القدس من العدو أمر صلاح الدين برد مشاعره إلى أوضاعها القديمة ، وكانوا قد غيروها فأعيدت إلى حالها الأولى . وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الاقدار فطهرها . ثم صلى المسلمون الجمعة الأخرى في قبة الصخرة ، وخطب محيي الدين بن زنكي قاضي دمشق بأمر صلاح الدين ، وأتى في خطبته بعجائب من البلاغة في وصف الحال وعظمة الاسلام اقشعرت لها الجلود ، وتناقلها الرواة . وتحدثت بها السهار أحوالا

ثم أقام صلاح الدين بالمسجد الصلوات الخمس إماماً وخطيباً ، وأمر بعمل المنبر له فتحدثوا عنده بأن نور الدين محمود اتخذ له منبراً منذ عشرين سنة ، وجمع الصناع بحلب فأحسنوا صنعته في عدد سنين فأمر بحمله ونصبه بالمسجد الأقصى . ثم أمره بعمارة المسجد واقتلاع الرخام الذي فوق الصخرة ، لأن القيسيين كانوا يبيعون الحجر من الصخرة ينحتونها نحتاً ويبيعونها بالذهب وزناً بوزن . فتنافس الإفرنج فيها التماس البركة منها ويدعونها في الكنائس فخشي ملوكهم ان

تفنى الصخرة فعالوا عليها بفرش الرخام فأمر صلاح الدين بقلعه^(١)

ثم استكثر في المسجد من المصاحف ورتب فيه القراء ، ووفر لهم الجرايات . وتقدم ببناء الربط والمدارس فكانت من مكارمه رحمه الله تعالى . وارتحل الافرنج بعد ان باعوا جميع ما يملكونه من العقار بأرخص ثمن ، واشترأه أهل العسكر ونصارى القدس الأقدمون بعد أن ضربت عليهم الجزية كما كانوا ، والله تعالى أعلم .

حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك

لما فتح صلاح الدين القدس أقام بظاهره الى آخر شعبان من السنة حتى فرغ من جميع أشغاله ، ثم رحل الى مدينة صور ، وقد اجتمع فيها من الافرنج عوالم وقد نزل بها المراكيش وضبطها . ولما أنهى صلاح الدين الى عكا أقام بها اياماً فبالغ المراكيش في الاستعداد وتعميق الخنادق واصلاح الاسوار ، وكان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها فوصل جانب اليمين بالسبال وصارت كالجزيرة . وسار اليها فنزل عليها لتسع بقين من رمضان على تل يشرف منه على مكان القتال ، وجعل القتال على أقبال عسكره نوباً بين ابنه الافضل

(١) كذا بالأصل ، والعبارة مرتبكة . وفي الكامل ج ٩ ص ١٨٥ : وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوا فأمر بكشفها : وكان سبب تغطيتها بالفرش : أن القيسيين باعوا كثيراً منها للفرنج ، الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة يشترونه بوزنه ذهباً رجاء بركتها ، وكان أحدهم إذا دخل إلى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ، ويجعل في مذبحتها ، فخاف بعض ملوكهم أن تفنى فأمر بها فرش فوقها حفظاً لها .

وابنه الظاهر وأخيه العادل وابن أخيه تقي الدين ، ونصب عليها
المجانيق والعرادات .

وكان الافرنج يركبون في الشواني والحراقات ويأتون المسلمين
من ورائهم فيرمون عليهم من البحر ، ويقاثلونهم ويمنعونهم من الدنو
الى السور فبعث صلاح الدين عن أسطول مصر من مرسى عكا ،
فجاء ودافع الافرنج . وتمكن المسلمون من قتال الاسوار وحاصروها
براً وبحراً . ثم كبس اسطول الافرنج خمسة من اساطيل المسلمين
ففتكوا بهم ورد صلاح الدين الباقي الى بيروت لقلتها فاتبعها اساطيل
الافرنج ، فلما ارهقوهم في الطلب القوا بأنفسهم الى الساحل وتركوها
فحكمها صلاح الدين ونقضها ، وجد في حصار صور فلم يفد
وامتنعت عليه لما كان فيها من كثرة الافرنج الذين أمنهم
بمسكا وعسقلان والقدس فنزّلوا اليها بأموالهم وأمدوا صاحبها ،
واستدعوا الافرنج وراء البحر فوعدوهم بالنصر ، وأقاموا في
انتظارهم .

ولما رأى صلاح الدين امتناعها شاور أصحابه في الرحيل فترددوا ،
وتخاذلوا في القتال فرحل آخر شوال الى عكا وأذن للعساكر في المشي
الى أوطانهم الى فصل الربيع . وعادت عساكر الشرق والشام ومصر ،
وأقام بقلعة عكا في خواصه ، ورد أحكام البلد الى خرديك من
أمراء نور الدين . وكان صلاح الدين عندما اشتغل بحصار عسقلان

بعث عسكرياً لحصار صور فشدّ دوا حصارها وقطعوا عنها الميرة ،
وبعثوا إلى صلاح الدين وهو يحاصر صور فاستأمنوا له ونزلوا عنها
فلكها .

وكان أيضاً صلاح الدين لما سار إلى عسقلان جهز عسكرياً لحصار
قلعة كوكب يجرسون السابلة في طريقها من الافرنج الذين فيها ، وهي
مطة على الاردن ، وهي للاستتارية . وجهز عسكرياً لحصار صفد ،
وهي للفداوية مطلة على طبرية . ولجأ إلى هذين الحصنين من سلم من
وقعة حطين ، وامتنعوا بهما . فلما جهز العساكر اليهما صلحت الطريق
وارتفع منها الفساد . فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الموكلون
بالحصار على قلعة كوكب ، وكانت ليلة شاتية باردة فكبسهم
الافرنج ، ونهبوا ما عندهم من طعام وسلاح وعادوا إلى قلعته .
وبلغ ذلك صلاح الدين ، وهو يعتزم على الرحيل عن صور فشحن من
عزيمته . ثم جهز عسكرياً على صور مع الأمير قايماز النجمي ، وارتحل
إلى عكا فلما انصرم فصل الشتاء سار من عكا في محرّم سنة أربع
وثمانين إلى قلعة كوكب فحاصرها ، وامتنعت عليه ولم يكن بقي في
البلاد الساحلية من عكا إلى الجنوب غيرها وغير صفد والكرك .
فلما امتنعت عليه جهز العساكر لحصارها مع قايماز النجمي ، ورحل
عنها في ربيع الأول إلى دمشق ووافته رسل أرسلان^(١) وفرح الناس

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ١٩٠ : وأتاه رسل الملك قليج أرسلان وقرل
أرسلان وغيرهما يهنئونه بالفتح والظفر ، وسار من كوكب إلى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب إلى
البلاد جميعاً باجتماع العساكر بها . وأقام بها إلى أن سار إلى الساحل بالبلاد الشامية .

بقدومه ، والله تعالى وليّ التوفيق

**غزو صلاح الدين الى سواحل الشام وما فتحه
من حصونها وصله اخرا مع صاحب انطاكية**

لما رجع صلاح الدين من فتح القدس وحاصر صور وصفد
و كوكب عاد الى دمشق ، ثم تجهز للغزو الى سواحل الشام وأعمال
انطاكية ، وسار عن دمشق في ربيع سنة أربع وثمانين فنزل على حصن
واستدعى عساكر الجزيرة وملوك الاطراف فاجتمعوا اليه . وسار الى
حصن الاكراد ف ضرب عسكره هنالك ، ودخل متجرداً الى القلاع
بنواحي انطاكية فنقص طرفها وأغار على ولايتها الى طرابلس حتى
شفى نفسه من ارتيادها . وعاد الى معسكره فجرت الارض بالغنائم
فأقام عند حصن الاكراد ، ووفد عليه هنالك منصور بن نبييل
صاحب جبلة .

وكان من يوم استيلاء الافرنج على جبلة عند صاحب انطاكية
حاكماً على جميع المسلمين فيها ، ومتولياً أمور سمند فلما هبت رياح
الاسلام بصلاح الدين وظهره نزل اليه ليكشف الغم ، ودله على
عورة جبلة واللاذقية ، واستحثد لهما فصار أول جمادى ونزل
بطرطوس ، وقد اعتصم الافرنج منها ببرجين حصينين واخلوا المدينة
فخربوها واستباحوها . وكان أحد الحصنين للفداوية وفيه مقدّماتهم
الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف ، وأطلقه عند فتح القدس .

وأستأمن اليه أهل البرج الآخر ونزلوا له عنه فخربه صلاح الدين ،
والقى حجارته في البحر ، وامتنع عليه برج الفداوية فسار الى المرقب
وهو للاستتارية ولا يرام لعلوه وارتفاعه وامتناعه ، والطريق في الجبل
الى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره في مسلك ضيق
انما يمر به الواحد تلو الواحد

فتح جبلة

وكان وصل اسطول من صاحب صقلية مدداً للافرنج في تلك
السواحل في ستين قطعة فأرسوا بطرابلس ، فلما سمعوا بصلاح الدين
أقلعوا الى المغرب ووقفوا قبالتها ينضحون بسهامهم المارة بتلك
الطريق فضرب صلاح الدين على ذلك الطريق سوراً من جهة البحر
من المتارس ، ووقف وراء الرماة حتى سلك العسكر المضيق الى
جبلة . ووصلها آخر جمادى وسبق اليها القاضي ، وملكها صلاح الدين
لحينه ، ورفع أعلام الاسلام على سورها ونفى حاميتها الى القلعة
فاستنزلم القاضي على الامان . واستمر منهم جماعة في رهن القاضي
والمسلمين عند صاحب انطاكية حتى أطلقهم . وجاء رؤساء أهل البلد
الى طاعة صلاح الدين ، وهو يجبل ما بين جبلة وحماة . وكان الطريق
عليه بينهم صعبا ففتح صلاح الدين من ذلك الوقت ، واستتاب بجبلة

سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر ، وسار عنها للاذقية ، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم .

فتح اللاذقية

ولما فرغ صلاح الدين من أمر جبلة سار الى اللاذقية فوصلها آخر جمادى الاولى وامتنع حاميتها بمحصنين لها في أعلى الجبل ، وملك المسلمون المدينة وحصروا الافرنج في القلعتين وحفروا تحت الاسوار. وأيقن الافرنج بالهلكة، ودخل اليهم قاضي جبلة ثالث نزولها فاستأمنوا معه . وأمنهم صلاح الدين ورفعوا أعلام الاسلام في الحصنين ، وخرب المسلمون المدينة . وكانت مبانيها في غاية الوثاقة والضخامة ، واقطعها لتقي الدين ابن أخيه فأعادها الى أحسن ما كانت من العماراة والتحصين وكان عظيم الهمة في ذلك . وكان اسطول صقلية في مرسى اللاذقية وسخطوا ما فعله أهلها ومنعواهم من الخروج منها . وجاء مقدمهم الى صلاح الدين فرغب منه اقامتهم على الجزية . وعرض في كلامه بالتهديد بامداد الافرنج من وراء البحر فاجابه صلاح الدين باستهانة أمر الافرنج ، وهدده فانصرف الى أصحابه ، ورحل صلاح الدين الى صهيون ، والله تعالى أعلم .

فتح صهيون

ولما فرغ صلاح الدين من فتح اللاذقية سار الى قلعة صهيون وهي

على جبل صعبة المرتقى بعيدة المهوى يحيط بجبلها واد عميق ضيق ،
ويتصل بالجبل من جهة الشمال ، وعليها خمسة أسوار وخندق عميق
فتزل صلاح الدين على الجبل لضيقها ، وقدّم ولده الظاهر صاحب حلب
فتزل مضيق الوادي . ونصب المنجنيقات هنالك ، فرمى بها على
الحصن ، ونضحهم بالسهم من سائر أصناف القسي وصابروا قليلا .

ثم زحف المسلمون ثاني جمادى الاخرى ، وسلكوا بين الصخور
حتى ملكوا أحد اسوارها وقتلوه منهم فلكوا عليهم سورين آخرين ،
وغنموا جميع ما كان في البلد من الدواب والبقر والذخائر . ولجأ
الحامية الى القلعة ، وقتلهم المسلمون عليها فنادوا بالامان فشرط عليهم
مثل قطعة القدس ، وملك المسلمون الحصن . وولى عليه ناصر الدين بن
كورس صاحب قلعة بوفلس فحصنه ، وافترق المسلمون في تلك
النواحي فوجدوا الافرنج قد فروا من حصونها فلكوها جميعاً . وهيؤا
اليها طريقاً على عقبة صعبة لعفاء طريقها السهلة بالافرنج والاسماعيلية ،
والله تعالى أعلم

فتح بكاس والشجر

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الى قلعة بكاس ، وقد
فارقها الافرنج وتحصنوا بقلعة شجر فملك بكاس ، وحاصر قلعة الشجر
والطريق منها مسلول الى اللاذقية وجبله وصهيون فقاتلهم . ونصب

المنجنيقات عليها فقصرت حجارتها عن الوصول . وكانوا يتمنوا وبعثوا خلال ذلك الى صاحب انطاكية ، وكان الحصن من ايلته فاستمدّوه وإلا اعطوا الحصن بما قذف الله في قلوبهم من الرعب . فلما قعد عن نصرهم استأمنوا الى صلاح الدين وسأله انظار ثلاث للفتح فأنظرهم وأخذ رهنهم . ثم سلموه بعد الثلاث في منتصف جمادى من السنة ، والله تعالى أعلم .

فتح سمرين

كان صلاح الدين عند اشتغاله بفتح هذه الحصون بعث ابنه الظاهر غازيا صاحب حلب الى سمرين وحاصرها ، واستنزل الافرنج الذين بها على قطعة اعطوها وهدم الحصن ، وكان فتحه آخر جمادى الاخيرة فانطلق جماعة من الاسارى كانوا بهذا الحصن ، وكانت هذه الفتوحات كلها في مقدار شهر ، وجميعها من أعمال انطاكية ، والله تعالى أعلم .

فتح برزبة

ولما فرغ صلاح الدين من قلعة الشغرسار الى قلعة برزبة قبالة أفامية وتقاسمها في اعمالها . وبينها بحيرة من ماء العاصي والعيون التي تجري ، وكانوا أشدّ شي . في الاذى للمسلمين فنازلها في الرابع والعشرين من جمادى الاخيرة ، وهي متعذرة المصعد من الشمال والجنوب ، وصعبته من الشرق ويجهة الغرب مسلك اليها فنزل هنالك

صلاح الدين ، ونصب المجانيق فلم تصل حجارتها لبعده القلعة وعلوها فرجع الى المراحفة ، وقسم عساكره على أمرائها ، وجعل القتال بينهم نوباً فقاتلهم أولاً عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ، واصعدهم الى قلعتهم حتى صعب المرتقى على المسلمين ، وبلغوا مواقع سهامهم وحجارتهم من الحصن . وكانوا يدحرجون الحجارة على المقاتلة فلا يقوم لها شيء . فلما تعب أهل هذه النوبة عادوا وصعدوا خاصة صلاح الدين فقاتلوا قتالاً شديداً ، وصلاح الدين وتقي الدين ابن أخيه يجرضانهم حتى أعيوا وهموا بالجوع ، فصاح فيهم صلاح الدين وفي أهل النوبة الثانية فتلاحقوا بهم ، وجاء أهل نوبة عماد الدين على اثرهم وحمي الوطيس وردّ الافرنج على أعقابهم الى حصنهم فدخلوه ودخل المسلمون معهم .

وكان بقية المسلمين في الخيام شرقي الحصن ، وقد أهمله الافرنج فعمد أهل الخيام من تلك الناحية ، واجتمعوا مع المسلمين في أعقاب الافرنج عند الحصن فملكوه عنوة وجاء الافرنج الى قبة الحصن ومعهم جماعة من أسارى المسلمين في القيود . فلما سمعوا تكبير اخوانهم خارج القبة كبروا فدهش الافرنج ، وظنوا أن المسلمين خالطوهم فألقوا باليد ، واسرهم المسلمون واستباحوهم واحرقوا البلد ، وأسروا صاحبها وأهله وولده ، وافترقوا في أسراهم فجمعهم صلاح الدين حتى اذا قارب انطاكية بعثهم اليها ، لان زوجة صاحب انطاكية

كانت تراسل صلاح الدين بالآخبار وتهاوية فرعي لها ذلك ، والله تعالى ولي التوفيق .

فتح دربساك

ولما فرغ صلاح الدين من حصن برزية دخل من الغد الى الجسر الجديد على نهر العاصي قرب انطاكية فاقام عليه فلحق به فخلف العسكر ، ثم سار الى قلعة درساك ونزل عليها في رجب من السنة وهي معقل الفداوية التي يلجأون الى الاعتصام بها ونصب عليها المجانيق حتى هدم من سورها . ثم هجمها بالمزاحفة وكشف المقاتلة عن سورها ونقبوا منها برجاً من أسفله فسقط . ثم باكروا الزحف من الغد ، وصابروهم الافرنج ينتظرون المدد من صاحبهم سمند صاحب انطاكية . فلما تبينوا عجزه استأمنوا صلاح الدين فأمنهم في أنفسهم فقط وخرجوا الى انطاكية . وملك الحصن في عشرين من رجب من السنة والله تعالى أعلم

فتح بغراس

ثم سار عماد الدين عن دربساك الى قلعة بغراس على تعددها وقربها من انطاكية فيحتاج مع قتالها الى ردة من العسكر بينه وبين انطاكية فحاصرها ونصب عليها المجانيق فقصرت عنها لعلوها ، وشق عليهم حمل الماء الى أعلى الجبل . وبينما هم في ذلك اذ جاء رسولهم يستأمن لهم فأمنهم في أنفسهم فقط كما أمن أهل دربساك . وتسلم القلعة بما

فيها وخربها . فجددها ابن اليون صاحب الارمن ، وحصنها وصارت
في ايالته ، والله أعلم

صلح انطاكية

ولما فتح حصن بفراس خاف سمند صاحب انطاكية ، وأرسل الى
صلاح الدين في الصلح على أن يطلق أسرى المسلمين الذين عنده .
وتحامل عليه أصحابه في ذلك ليريح الناس ويستعدوا فأجابه صلاح
الدين الى ذلك لثمانية أشهر من يوم عقد الهدنة . وبعث اليه من
استحلفه وأطلق الأسرى . وكان سمند في هذا الوقت عظيم الافرنج
متسع المملكة ، وطرابلس وأعمالها قد صارت اليه بعد القمص ،
واستخلف فيها ابنه الأكبر . وعاد صلاح الدين الى حلب فدخلها
ثالث شعبان من السنة ، وانطلق ملوك الاطراف بالجزيرة وغيرها الى
بلادهم . ثم رحل إلى دمشق وكان معه أبو فليته قاسم بن مهنا أمير
المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد عسكر معه ،
وشهد فتوحه . وكان يتيمن بصحبته ويتبرك برؤيته ، ويجتهد في
تأنيسه وتكرمه ، ويرجع الى مشورته . ودخل دمشق أوّل رمضان
من السنة ، وأشير عليه بتفريق العساكر فأبى وقال : هذه الحصون
كوكب وصفد والكرك في وسط بلاد الاسلام فلا بدّ من البدار
الى فتحها ، والله سبحانه وتعالى أعلم

فتح الكرك

كان صلاح الدين قد جهز العساكر على الكرك مع أخيه العادل حتى سار الى دربساك وبغراس ، وأبعد في تلك الناحية فشدّ العادل حصارها حتى جهدوا وفنيت أقواتهم فراسلوه في الامان فأجابهم . وساموا القلعة فملكها ، وملك الحصون التي حوالها وأعظمها الشوبك ، وأمنت تلك الناحية ، واتصلت ايلة المسلمين من مصر الى القدس والله تعالى أعلم .

فتح صفد

لما عاد صلاح الدين الى دمشق أقام بها نصف رمضان ، ثم تجهز لحصار صفد فنزل عليها ونصب المجانيق ، وكانت أقواتهم قد تسلط عليها الحصار الأوّل فخافوا من نفادها فاستأمنوا فأمنهم وملكها ، ولحقوا بمدينة صور ، والله تعالى أعلم .

فتح كوكب

لما كان صلاح الدين على صفد خافه الافرنج على حصن كوكب فبعثوا اليه فجدة وكان قايمز النجمي يحاصره فشرع بتلك النجدة ، وركب اليهم وهم يختفون ببعض الشباب فكبسهم ، ولم يفلت منهم أحد . وكان فيهم مقدّمان من

الاستبارية فحملها الى صلاح الدين على صفد ، فاحضرهما للقتل على عادته في الفداوية والاستبارية فاستعطفه واحد منها فعفا عنها وجبسها . ولما فتح صفد سار الى كوكب وحاصره وارسل اليهم بالامان فاصروا على الامتناع عليه فنصب عليهم المجانيق ، وتابع الملاحقة . ثم عاقه المطر عن القتال وطال مقامه . فلما انقضى المطر عاود الملاحقة وضايقهم بالسور ونقب منه برجاً فسقط فارتاعوا واستأمنوا . وملك الحصن منتصف ذي القعدة من السنة ، ولحق الافرنج بصور واجتمع الزعماء وتابعوا الرسل الى اخوانهم وراء البحر في حوزة يستصرخونهم فتابعوا اليهم المدد ، واتصل المسلمون في الساحل من ايلة الى بيروت لا يفصل بينهم إلا مدينة صور . ولما فرغ صلاح الدين من صفد وكوكب سار الى القدس فقبض فيه نسك الأضحية . ثم سار الى عكا قام بها الى انسلاخ الشتاء ، والله تعالى أعلم

فتح الشقيف

ثم سار صلاح الدين في ربيع سنة خمس وثمانين الى محاصرة الشقيف ، وكان لأرنط صاحب صيدا ، وهو من أعظم الناس مكرراً ودهاء . فلما نزل صلاح الدين بمرج العيون جاء اليه وأظهر له الحجة والميل ، وطلب المهلة الى جمادى الأخيرة ليتخلص أهله وولده من المركيش بصور ، ويسلم له حصن الشقيف فأقام صلاح الدين هنالك لوعده . وانقضت مدة الهدنة بينه وبين سمند صاحب انطاكية فبعث

تقي الدين ابن أخيه مسلحة في العساكر إلى البلاد التي قرب انطاكية .
ثم بلغه اجتماع الافرنج بصور عند المراكيش ، وأن الامداد وافتهم من
أهل ملتهم وراء البحر . وأن ملك الافرنج بالشام الذي أطلقه صلاح
الدين بعد فتح القدس قد اتفق مع المراكيش ووصل يده به . واجتمعوا
في أمم لا تحصى وخشي أن يتقدم إليهم ويترك الشقيف وراءه فتقطع
عنه الميرة ، فأقام بمكانه .

فلما انقضى الأجل تقدم إلى الشقيف واستدعى ارناط فجاء واعتذر
بأن المراكيش لم يمكنه من أهله وولده ، وطلب الامهال مرة أخرى
فتبين صلاح الدين مكره فحبسه ، وأمره أن يبعث إلى أهل الشقيف
بالتسليم فلم يجب فبعث به إلى دمشق فحبس بها . وتقدم إلى الشقيف
فحاصره بعد أن أقام مسلحة قبالة الافرنج الذين بظاهر صور ، فجاءه
الخبر بأنهم فارقوا صور لحصار صيدا فلقيتهم المسلحة وقاتلوهم
فغلبوهم ، وأسروا سبعة من فرسانهم ، وقتلوا آخرين . وقتل مولى
لصلاح الدين من أشجع الناس وردوهم على أعقابهم إلى معسكرهم
بظاهر صور . وجاء صلاح الدين بعد انقضاء الوقعة فأقام في المسلحة
رجاء أن يصادف أحداً من الافرنج فينتقم منهم . وركب في بعض
الايام ليشارف معسكر الافرنج فظن عسكره أنه يريد القتال فنجعوا
وأوغلوا إلى العدو .

وبعث صلاح الدين الامراء في أثرهم يردونهم فلم يرجعوا ، وراهم

الافرنج فظنوا أن وراءهم كميناً فارسلوا من يكشف خبرهم فوجدوهم منقطعين فحملوا عليهم وأناموهم جميعاً ، وذلك تاسع جمادى الاولى من السنة . ثم انحدر اليهم صلاح الدين في عساكره من الجبل فهزمهم الى الجسر ، وغرق منهم في البحر نحو من مائة دارع سوى من قتل . وعزم السلطان على حصارهم ، واجتمع اليه الناس . ثم عاد الافرنج الى صور ، وعاد السلطان الى بليس ليشارف عكا ويرجع الى مخيمه .

ولما وصل الى المعسكر جاء الخبر بأن الافرنج يتعدون عن صدور مذاهبهم لحاجاتهم فكتب الى المعسكر بعكا ، ووعدهم ثامن جمادى الاخيرة يوافونه من ناحيتهم للاغارة عليهم . وأكن لهم في الاودية والشعاب من سائر النواحي ، واختار جماعة من فرسان عسكره ، وتقدم اليهم بأن يتعرضوا للافرنج ، ثم يستطردوا لهم الى مواضع الكمناء ففعلوا ، وناشبو الافرنج وانفوا من الاستطراد . وطال على الكمناء الانتظار فخرجوا خشية على أصحابهم فوافوهم في شدة الحرب فانهزم المسلمون ، ووقع التمهيص . وكان أربعة في الكمين من امراء طي فعدلوا عن طريق أصحابهم ، وسلكوا الوادي ، وتبعهم بعض العسكر من موالي صلاح الدين . ورآهم الافرنج في الوادي فعملوا أنهم أضلوا الطريق فاتبعوهم وقتلوهم ، والله تعالى أعلم

مداخلة الافرنج أهل صور لكنا والدروب عليها

كانت صور كما قد مناضبطها المريكش من الافرنج الواصل من وراء البحر ، وقام بها وكان كلما فتح صلاح الدين مدينة أو حصناً على الأمان لحق أهلها بصور فاجتمع بها عدد عظيم من الافرنج وأموال حجة . ولما فتح القدس لبس كثير من رهبانهم وقسيسينهم وزعمائهم السواد حزناً على البيت المقدس . وارتحل بطرك من القدس ، وهم معه يستصرخون أهل الملة النصرانية من وراء البحر للاخذ بفأر القدس فخرجوا للجهاد من كل بلد ، حتى النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب . ومن لم يستطع الخروج استأجر مكانه ، وبذلوا الاموال لهم . وجاء الافرنج من كل مكان ونزلوا بصور ، ومدد الرجال والاقوات والاسلحة متداركة لهم في كل وقت . واتفقوا على الرحيل الى عكا ومحاصرتها فخرجوا ثامن رجب من سنة خمس وثمانين ، وسلكوا على طريق الساحل وأساطيلهم تحاذيهم في البحر . ومسلحة المسلمين تتخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا الى عكا منتصف رجب . وكان رأي صلاح الدين أن يحاذيهم في مسيرهم لينال منهم فخالفه أصحابه واعتذروا بضيق الطريق ووعده فسلك طريقاً آخر ، ووافاهم على عكا وقد نزلوا عليها ، وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق .

ونزل صلاح الدين قبالتهم ، وبعث الى الاطراف يستنفر الناس فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر بلاد الجزيرة . وجاء تقي الدين ابن أخيه من حماة ، ومظفر الدين كوكبري عن حرّان والرّها ، وكانت أمداد المسلمين تصل في البر ، وامداد الافرنج في البحر وهم محصورون في صور . وكانت بينهم أيام مذكورة ووقائع مشهورة وأقام السلطان بقية رجب لم يقاتلهم ، فلما استهل شعبان قاتلهم يوماً بكمالهم ، وبات الناس على تعية . ثم صبحهم بالقتال ونزل الصبر وحمل عليهم تقي الدين ابن أخيه منتصف النهار من الميمنة حملة أزالتهم عن مواقعهم وملك مكانهم واتصل بالبلد فدخلها المسلمون ، وشحنها صلاح الدين بالمدد من كل شيء . وبعث اليهم الامير حسام الدين أبا الهيضاء السمين من أكابر امرائه من الاكراد الخطيّة من اربل . ثم نهض المسلمون من الغد فوجدوا الافرنج قد أداروا عليهم خذفاً يمتنعون به ، ومنعواهم القتال يومهم ، وأقاموا كذلك . ومع السلطان أحياء من العرب فكمنوا في معاطف النهر من ناحية الافرنج على الساحل للخطف منهم ، وكبسوهم منتصف شعبان وقتلوهم ، وجاؤا برؤسهم الى صلاح الدين فأحسن اليهم ، والله تعالى أعلم .

الوقعة على عكا

كان صلاح الدين قد بعث عن عسكر مصر ، وبلغ الخبر الافرنج فارادوا معاجلته قبل وصولهم . وكانت عساكره متفرقة في المساح

على الجملات فمسلحة تقابل انطاكية وملكها سمند في البلاد التي من أعمال حلب، ومسلحة بمحصى تحفظها من أهل طرابلس، ومسلحة تقابل صور، ومسلحة بدمياط والاسكندرية. واعتزم الافرنج على مهاجمتهم بالقتال، ولم يشعروا بهم وصبحوهم لعشرين من شعبان، وركب صلاح الدين وعبي عساكره، وقصدوا الميمنة وعليها تقي الدين ابن أخيه فتزحزح بعض الشيء، وأمدّه صلاح الدين بالرجال من عنده. فخطوا على صلاح الدين في القلب فتضعضع، واستشهد جماعة منهم الأمير علي ابن مردان، والظهير أخو الفقيه عيسى والي القدس، والحاجب خليل الهكاري وغيرهم.

وقصدوا خيمة صلاح الدين فقتلوا من وزرائه ونهبوا، واستشهد جمال الدين بن راحة من العلماء، ووضعوا السيف في المسلمين، وانهزم الذين كانوا حوالى الخيمة، ولم تسقط، وانقطع الذين ولوها من الافرنج عن أصحابهم وراءهم، وحملت ميسرة المسلمين عليهم فاحجموا الى وراء الخنادق، وعادوا الى خيمة صلاح الدين فقتلوا كل من وجدوا عندها من الافرنج. وصلاح الدين قد عاد من اتباع أصحابه يردّهم للقتال. وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد، وأسروا مقدّم الفداوية فأمر بقتله، وكان أطلقه مرة أخرى. وبلغت عدة القتلى عشرة آلاف فألقوا في النهر، وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية، ومنهم من جاوز الأردن ورجع، ومنهم من

بلغ دمشق . واتصل قتال المسلمين للإفرنج وكادوا يلجون عليهم معسكرهم . ثم جاءهم الصريخ بنهب أموالهم ، وكان المنهزمون قد حملوا أثقالهم فامتدت اليها أيدي الأوباش ونهبوها فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استئصال الإفرنج ، وأقاموا في ذلك يوماً وليلة يستردون النهب من أيدي المسلمين ، ونفس بذلك عن الإفرنج بعض الشيء ، والله تعالى أعلم .

رحيل صلاح الدين عن الإفرنج بعكا

ولما انقضت هذه الوقعة وامتلات الأرض من جيف الإفرنج تغير الهواء ، وأنتن ، وحدث بصلاح الدين قولنج كان يعاوده فأشار عليه أصحابه بالانتقال عسى الإفرنج ينتقلون . وإن أقاموا عدنا اليهم وحمله الأطباء على ذلك ذلك فرحل رابع رمضان من السنة وتقدم الى عكا بجياداتها ، وأعلمهم سبب رحيله . فلما ارتحل أشد الإفرنج في حصار عكا وأحاطوا بها دائرة مع أسطولهم في البحر ، وحفروا خندقاً على معسكرهم وأداروا عليهم سوراً من ترابه حصناً من صلاح الدين أن يعود اليهم ، ومسلحة المسلمين قبالتهم يناوشوهم القتال فلا يقاتلونهم . وبلغ ذلك صلاح الدين ، وأشار أصحابه بإرسال المساكر ليمنع من التحصين فامتنع من ذلك لمرضه . فتم للإفرنج ما أرادوه ، وأهل عكا يخرجون اليهم في كل يوم ويقاتلونهم ، والله تعالى أعلم .

معلومة صلاح الدين حصار الافرنج على عكا

ثم وصل العادل أبو بكر بن أيوب منتصب شوال في عساكر مصر ، ومعه الجيوش الغفير من المقاتلة والاصناف الكثيرة من آلات الحصار . ووصل على اثره اسطول مصر مع الامير لؤلؤ وكبس مركبا ففتم ما فيه ودخل به الى عكا ، ويرى صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة الى انسلاخ الشتاء . وسمع الافرنج أن صلاح الدين سار اليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا اليهم في صفر سنة ست وثمانين ، واستمات المسلمون ، وقتل بين الفريقين خلق . وبلغ الخبر بذلك صلاح الدين وجاءته العساكر من دمشق وحمص وحماء فتقدم من الجزيرة الى تل كيسان ، وتابع القتال على الافرنج يشغلهم عن المسلمين فكانوا يقاتلون الفريقين .

وكان الافرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب ارتفاع كل برج ستون ذراعاً ، وفيه خمس طبقات ، وغشوها بالجلود وطلوها بالأدوية التي لا تعلق النار بها . وشحنوها بالمقاتلة وأدنها الى البلد من ثلاث جهات في العشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانين . وأشرفوا بها على السور فكشف من عليه من المقاتلة ، وشرع الافرنج في طم الخندق ، وبعث أهل عكا ساجداً في البحر يصف لهم حالهم فركب في عساكره ، واشتد في قتال الافرنج فخف على أهل

البلد ما كانوا فيه ، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين ، وعجزوا عن دفع الأبراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها . وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعاني أحوال النفط فأخذ عقاقير وصنعها ، وحضر عند قراقوش حاكم البلد ، وأعطاه دواء . وقال : ارم بهذا في المنجنيق المقابل لاحدى الأبراج فيحترق فجرد عليه ، ثم وافق ورمى به في قدر . ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوءة ناراً فاضطربت النار واحترق البرج بمن فيه ، ثم فعل بالثاني والثالث كذلك .

وفرّح أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح الدين بالاحسان الى ذلك الرجل فلم يقبل ، وقال : إنفا فعلته الله ، ولا أريد الجزاء ، إلاّ منه . ثم بعث صلاح الدين الى ملوك الاطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ، ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ، ثم عز الدين مسعود بن مودود ، وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب اربل ، وكان كل واحد منهم اذا وصل يتقدم بعسكره فيقاتلون الافرنج ، ثم يضربون أنبيتهم . وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر فجهز الافرنج اسطولاً لقتاله ، وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه ، وقاتلوا الفريقين برأ وبجراً ، ودخل الاسطول الى مرسى عكا سالماً ، والله تعالى أعلم بغيبه .

وحول ملك الألمان إلى الشام وملكه

هوؤلاء الألمان شعب من شعوب الأفرنج كثير العدد موصوف
بالأس والشدة ، وهم موطنون بجزيرة انكلطيرة^(١) في الجهة الشمالية
الغربية من البحر المحيط ، وهم حديثو عهد بالنصرانية . ولما سار
القسس والرهبان بخبر بيت المقدس واستنفار النصرانية لها قام ملكهم
لها وقعد ، وجمع عساكره ، وسار للجهاد بزعمه وفسح النصارى له
الطريق . وقصد القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منعه بعد ان كان
يعد بذلك نفسه ، وكتب بها الى صلاح الدين ، لكنه منع عنهم الميرة
فضاقت عليهم الاقوات . وعبروا خليج القسطنطينية ، ومروا بمملكة
قليج أرسلان ، وتبعهم التركمان يحفون بهم ويتخطفون منهم ، وكان
الفصل شتاء والبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع .

ومروا بقونية وبها قطب الدين ملك شاه بن قليج أرسلان قد
غلب عليه أولاده وافترقوا في النواحي فخرج ليصدّهم فلم يطق
ذلك ، ورجع فساروا في أثره الى قونية وبعثوا اليه بهدية على أن
يأذن لهم في الميرة فاذن لهم . واسترهنوا عشرين من أمرائه ، وتكاثر
عليهم اللصوص فقيدوا أولئك الأمراء وحبسوهم وساروا الى بلاد
الأرمن ، وصاحبها كاقولي بن خطفائي بن اليون^(٢) فأمدهم بالازواد

(١) كذا ، وهي : إنكلترة .

(٢) كذا ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٠٧ : وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون .

والعلوفات ، وأظهر طاعتهم ، وسار الى انطاكية . ودخل ملكهم ليغتسل في نهر هنالك فغرق ، وملك بعده ابنه . ولما بلغوا انطاكية اختلفوا فبعضهم مال الى قليك أخيه ، وبعضهم مال الى العود فعادوا كلهم .

وسار ابن الملك فيمن ثبت معه يزيدون على أربعين ألفاً ، وأصابهم الموتان وحسن اليهم صاحب انطاكية المسير الى الافرنج على عكا فساروا على جيلة واللاذقية ، ومرتوا بحلب وتخطف أهلها منهم خلقاً ، وبلغوا طرابلس ، وقد أفنأهم الموتان ، ولم يبق منهم إلا نحو ألف رجل فركبوا البحر الى عكا . ثم رأوا ما هم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر الى بلدهم ، وغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد . وكان الملك قليج أرسلان يكاتب صلاح الدين بأخبارهم ، ويعده بمنعهم من العبور عليه فلما عبروا اعتذر بالعجز عنهم ، وافترق أولاده واستبدادهم عليه . وأما صلاح الدين فانه استشار أصحابه عند وصول خبرهم فأشار بعضهم الى لقائهم في طريقهم ومحاربتهم ، وأشار آخرون بالمقام ثلثاً يأخذ الافرنج عكا . ومال صلاح الدين إلى هذا الرأي ، وبعث العساكر من جيلة واللاذقية وشيزر الى حلب ليحفظوها من عاديتهم ، والله تعالى ولي التوفيق

واقعة المسلمين مع الافرنج على عكا

ثم زحف الافرنج على عكا في عشر من جمادى الاخيرة من سنة

ست وثمانين ، وخرجوا من خنادقهم الى عساكر صلاح الدين وقصد العادل أبو بكر بن أيوب في عساكر مصر فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كشفهم الافرنج عن الخيام وملكوها . ثم كرّ عليهم المصريون فكشفوهم عن خيامهم ، وخالفهم بعض عساكر مصر الى الخنادق فقطعوا عنهم بعض مدد أصحابهم فأخذتهم السيوف ، وقتل منهم ما يزيد على عشرين ألفاً . وكانت عساكر الموصل قريباً من عسكر مصر ، ومقدمهم علاء الدين خوارزم شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فعدمت ميرتهم وأمر صلاح الدين بمناجزتهم على هذا الحال . وبلغه الخبر بموت ملك الالمان وما أصاب قومه من الشتات فسر المسلمون بذلك ، وظنوا وهن الافرنج به .

ثم بعد يومين لحقت بالافرنج امداد في البحر مع كند من الكنود يقال له الكندهري ابن أخي الاقرسيس^(١) لأبيه ، وابن أخي ملك انكلطرية لأنه ففرّق في الافرنج أموالاً ، وجند لهم أجناداً ، ووعدهم بوصول الامداد على أثره فاعتزموا على الخروج لقتال المسلمين . فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الحزونة لثلاث بقين من جمادى الآخرة لصيق المجال ، وتنن المكان من جيف القتلى . ثم نصب الكندهري على عكا مجانيق وذبابات فاخذها أهل عكا ، وقتلوا عندها جموعاً من الافرنج ، فلم يتمكن من متابعة ذلك ولا من اقامة الستائر عليها ،

(١) كذا بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٠٩ : أتت الفرنج أمداد في البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكندهري ابن أخي ملك إفريقيا لأبيه وابن أخي ملك انكلترا لأنه .

لأن أهل البلاد كانوا يصيبونها فعمل تلاً عالياً من التراب ونصب المجانيق من ورائه وضائق الاحوال ، وقلت الميرة .

وأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية ببعث الاقوات في المراكب الى عكا ، وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركباً ونصبوا فيها الصلبان يوهمون أنه للإفرنج ، حتى دخلوا الى المرسى . وجاءت بعد الميرة من الاسكندرية . ثم جاءت ملكة من الإفرنج من وراء البحر في نحو ألف مقاتل للجهاد بزعمها ، فأخذت ببحر الاسكندرية هي وجميع ما معها . ثم كتب البابا كبير الملة النصرانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ، ويخبرهم بوصول الامداد ، وأنه راسل ملوك الإفرنج يحثهم على امدادهم فازدادوا بذلك قوة ، واعتزموا على مناجزة المسلمين وجروا عسكرياً لحصار عكا ، وارتحلوا حادي عشر شوآل من السنة فنقل صلاح الدين ائقال العسكر الى ^(١) على ثلاثة فراسخ من عكا ، ولقي الإفرنج على التعبئة .

وكان اولاده الافضل علي والظاهر غازي والظافر خضر في القلب وأخوه العادل أبو بكر في الميمنة بعساكر مصر ومن انضم اليهم ، وعماد الدين صاحب سنجار وتقي الدين صاحب حماة ، ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر في الميسرة ، وصلاح الدين في خيمة

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٠٩ : فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل ائقال المسلمين إلى ميمون ، وهو على ثلاثة فراسخ من عكا .

صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه . فلما وصل الافرنج وعينوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم ، وباتوا ليلتهم وعادوا من الغد إلى معسكرهم فأتبعوهم أهل المقدمة وتخطفوهم من كل ناحية ، وأحجروهم وراء خنادقهم .

ثم ناوشوهم القتال في الثالث والعشرين من شوال بعد أن أكنوا لهم عسكرياً فخرج لهم الافرنج في نحو أربعائة فارس ، واستطرد لهم المسلمون إلى أن وصلوا كمينهم فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد . واشتد الغلاء على الافرنج ، وبلغت الفرارة مائة دينار صوري ، مع ما كان يحمل اليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ، ومن صيدا على يد نائبا سيف الدين علي بن أحمد المشطوب ، ومن عسقلان وغيرها . ثم اشتد عليهم الحال عند هيجان البحر وانقطاع المراكب في فصل الشتاء

ثم هجم الشتاء وأرسي الافرنج مراكبهم بصور خوفاً عليها على عادتهم في صور في فصل الشتاء . ووجد الطريق إلى عكا في البحر فأرسل أهلها إلى صلاح الدين يشكون ما نزل بهم ، وكان بها الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين فشكى من ضجره بطول المقام والحرب فأمر صلاح الدين بانفاذ نائب وعسكر إليها بدلاً منهم ، وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فانتقل إلى جانب البحر عند جبل حيفا ، وجمع المراكب والشواني ، وبعث العساكر إليها شيئاً فشيئاً ، كلما

دخلت طائفة خرج بدلها فدخل عشرون أميراً بدلاً من ستين كانوا .
وأهملوا أهل الرجل ، وتعينت دواوين صاحب صلاح الدين _ وكانوا
نصارى _ على الجند في اثباتهم وإطلاق نفقاتهم فبلغ الحامية بعكا ،
وضعت وعادت مراكب الأفرنج بعد انحسار الشتاء فانقطت الأخبار
عن عكا وعنهما . وكان من الأمراء الذين دخلوا عكا : سيف الدين علي بن
أحمد المشطوب وعز الدين أرسلان مقدّم الاسدية وابن جاولي وغيرهم .
وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة زين الدين صاحب إربل وولاية أخيه كوكبري

كان زين الدين يوسف بن زين الدين قد دخل في طاعة صلاح الدين ،
وكانت له إربل كما مرّ لأيام أبيه ، وحرّان والرها لأخيه مظفر الدين
كوكبري ، وكان يعسكر مع صلاح الدين في غزواته وحضر عنده
على عكا فأصابه المرض . وتوفي في ثامن عشر رمضان سنة أربع وثمانين
فقبض أخوه مظفر الدين كوكبري على بلد أمير من أمرائه . وبعث إلى
صلاح الدين يطلب إربل وينزل عن حران والرها فأجابته وأقطعه إياهما ،
وأضاف إليهما شهرزور وأعمالها ودار بند العراقي ، وهي قفجاق .
وكتب أهل إربل مجاهد الدين صاحب الموصل خوفاً من صلاح الدين
مع أن مجاهد الدين كان عز الدين قد حبسه كما مرّ ثم أطلقه ، وولاه
نائبه وجعل بعض غلمانه عيناً عليه فكان يناقضه في كثير من الأحوال

فقصده مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك في أربل فامتنع منها ،
وولاها مظفر الدين واستفحل أمره فيها

ولما نزل مظفر الدين عن حرّان والرّها وولاها صلاح الدين لابن
أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه مضافة الى ميافارقين بديار بكر ،
وحماة وأعمالها بالشام . وتقدم له أن يقطع أعمالها للجند فيقتوى بهم
على الافرنج فسار تقي الدين اليها . وقرّر أمورها . ثم انتهى الى
ميافارقين ، وتجدد له طمع فيما يجاورها من البلاد فقصده مدينة حال
من ديار بكر . وسار اليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط في
عساكره وقاتله فهزمه تقي الدين ووطي . بلاده . وكان بكتمر قد
قبض على مجد الدين بن رستق وزير سلطان شاكرين وجبسه في قلعة
هنالك . فلما انهزم كتب الى والي القلعة بقتله فوافاه الكتاب وتقي
الدين محاصر له . فلما ملك القلعة أطلق ابن رستق وسار الى خلاط
وحاصرها فامتنعت عليه ، فعاد عنها الى ملاز كرد فضيق عليها حتى
استأمنوا له ، وضرب لهم أجلا في تسليم البلد . ثم مرض ومات قبل
ذلك الاجل بيومين ، وحمله ابنه الى ميافارقين فدفنه بها ، واستفحلت
دولة بكتمر في خلاط ، والله تعالى أعلم .

وصول أمداد الافرنج من الغرب الى عكا

ثم تتابعت امداد الافرنج من وراء البحر لآخوانهم المحاصرين

فقصد مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك في أربل فامتنع منها ،
ولأها مظفر الدين واستفحل أمره فيها

ولما نزل مظفر الدين عن حرّان والرّها ولأها صلاح الدين لابن
أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه مضافة الى ميافارقين بديار بكر ،
وحماة وأعمالها بالشام . وتقدم له أن يقطع أعمالها للجند فيتقوى بهم
على الافرنج فسار تقي الدين اليها . وقرّر أمورها . ثم انتهى الى
ميافارقين ، وتجدد له طمع فيما يجاورها من البلاد فقصد مدينة حال
من ديار بكر . وسار اليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط في
عساكره وقاتله فهزمه تقي الدين ووطي ، بلاده . وكان بكتمر قد
قبض على مجد الدين بن رستق وزير سلطان شاكركن وجبسه في قلعة
هنالك . فلما انهزم كتب الى والي القلعة بقتله فوافاه الكتاب وتقي
الدين محاصر له . فلما ملك القلعة أطلق ابن رستق وسار الى خلاط
وحاصرها فامتنعت عليه ، فعاد عنها الى ملاز كرد فضيق عليها حتى
استأمنوا له ، وضرب لهم أجلا في تسليم البلد . ثم مرض ومات قبل
ذلك الاجل بيومين ، وحمله ابنه الى ميافارقين فدفنه بها ، واستفحلت
دولة بكتمر في خلاط ، والله تعالى أعلم .

وصول أمداد الافرنج من الغرب الى عكا

ثم تتابعت امداد الافرنج من وراء البحر لآخوانهم المحاصرين

يشس المسلمون الذين به من الخلاص نزل مقدّمهم وهو يعقوب الحلبي غلام ابن شفين^(١) فحرق المركب خوفاً من أن يظفر الافرنج برجاله وذخائره ففرق. ثم عمل الافرنج ذبايات وكباشاً وزحفوا بها فأحرق المسلمون بعضها، وأخذوا بعضها فرجع الافرنج الى نصب التلال من التراب يقاتلون من ورائها فامتنعت من نفوذ الحيلة فيها وضاق حال أهل عكا.

استيلاء الافرنج على عكا

ولما جهد المسلمين بعكا الحصار خرج الامير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المشطوب من اكبر أمرائها الى ملك افرنسة يستأمنه لاهل عكا فلم يجبه، وضعفت نفوس اهل البلد لذلك ووهنوا. ثم هرب من الامراء عز الدين ارسل الأسدي وابن عز الدين جاوي وسنقر الأرجاني في جماعة منهم. ولحقوا بالعسكر فازداد اهل عكا وهناً. وبعث الافرنج الى صلاح الدين في تسليمها فأجاب على ان يؤمنوا أهل البلد، ويطلق لهم من أسراهم بعدد أهل البلد، ويعطيهم الصليب الذي أخذه من القدس فلم يرضوا بما فعل فبعث الى المسلمين بعكا ان يخرجوا بهمهم، ويتركوا البلد ويسيروا مع البحر ويحملوا على العدو حملة مستميتين، ويحجى المسلمون من وراء العدو فمساهم يخلصون بذلك فلما أصبحوا زحف الافرنج الى البلد، ورفع المسلمون اعلامهم،

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٢١٣: وهو يعقوب الحلبي مقدّم الجندارية، يعرف بغلام ابن شفين.

وارسل المشطوب من البلد الى الافرنج فصالحهم على الامان على أن يعطيهم مائتي الف دينار ، ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب . ويعطي للمركيش صاحب صور أربعة عشر الف دينار فأجابوا الى ذلك وضربوا المدة للمال والاسرى شهرين . وسلموا لهم البلد فلما ملكوها غدروا بهم وجسوهم رهناً بزعمهم في المال والاسرى والصليب .

ولم يكن لصلاح الدين ذخيرة من المال لكثرة انفاقه في المصالح فشرع في جمع المال حتى اجتمع مائة الف دينار ، وبعث نائباً يستحلفهم على أن يضمن الفداوية من الخلف والضمان خوفاً من غدر أصحابه . وقال ملوكم : اذا سلمتم المال والاسرى والصليب تعطوننا رهناً في بقية المال ، ونطلق أصحابكم ، وطلب صلاح الدين أن يضمن الفداوية الرهن ويحلفوا فامتنعوا ايضاً ، وقالوا : ترسلون المائة الف دينار والاسرى والصليب فنطلق من نراه ونبقي الباقي الى مجي بقية المال فتبين المسلمون غدرهم ، وانهم يطلقون من لا يعأ به ويمسكون الامراء والاعيان حتى يفادوهم فلم يجبههم صلاح الدين الى شئ . . ولما كان آخر رجب ركب الافرنج الى ظاهر البلد في احتفال ، وركب المسلمون فشدوا عليهم وكشفوهم عن مواقفهم فاذا المسلمون الذين كانوا عندهم قتلى بين الصفيين قد استلحموا ضعفاءهم ، وتمسكوا بالاعيان للمفاداة فسقط في يد صلاح الدين ، وتمسك بالمال الذي جمعه لغيرها من المصالح ، والله تعالى أعلم .

تذريب صلاح الدين عسقلان

ولما استولى الافرنج على عكا استوحش المراكيش صاحب صور من ملك انكلطيرة ، وأحس منه بالفدر فلهق ببلده صور . ثم سار الافرنج مستهل شعبان لقصد عسقلان ، وساروا مع ساحل البحر لا يفارقونه . ونادى صلاح الدين باتباعهم مع ابنه الافضل وسيف الدين ابي زكوش ، وعزالدين خرديك فاتبعوهم يقاتلونهم ويتخطفونهم من كل ناحية . ففتكوا فيهم بالقتل والاسر ، وبعث الافضل الى أبيه يستمدّه فلم يجد العساكر مستعدة . وسار ملك انكلطيرة في ساقية الافرنج فحملهم وانتهوا الى يافا فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم مقيمون . ولحق بهم من عكا من احتاجوا اليه . ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ، ويقتلون من ظفروا به منهم ، وزاحمهم عند قيسارية فقالوا منهم وقاتلوا بها مشاورين . واخطف المسلمون منهم بالليل فقتلوا وأسروا .

وساروا من الفد الى أرسوف ، وسبقهم المسلمون اليها لضيق الطريق فحملوا عليهم عندها حتى اختطروهم الى البحر . فحينئذ استمات الافرنج وحملوا على المسلمين فهزموهم واتخذوا في تابعهم . وألحقوهم بالقلب ، وفيه صلاح الدين . وتستر المسلمون المنهزمون بخمر الشعراء فرجع الافرنج عنهم ، وانفرج ما كانوا فيه من الضيق

المذكور ، وساروا الى يافا فوجدوها خالية وملكوها وكان صلاح الدين قد سار من مكان الهزيمة الى الرملة ، وجمع خلفه وأتقاه ، واعتزم على مسابقة الافرنج الى عسقلان فنعه أصحابه وقالوا : نخشى أن يزاحمنا الافرنج عليها ، ويغلبونا على حصارها كما غلبونا على حصار عكا . ويملكوها آخرأ ويقووا بما فيها من الذخائر والاسلحة فندبهم الى المسير اليها وحمايتها من الافرنج ، فلحقوا في الامتناع من ذلك فسار وترك العساكر مع أخيه العادل قبالة الافرنج ، ووصل الى عسقلان وخربها تاسع عشر شعبان ، والقيت حجارتها في البحر وبقي أثرها ، وهلك فيها من الاموال والذخائر ما لا يحصى . فلما بلغ الافرنج ذلك أقاموا بيافا .

وبعث المراكيش الى ملك انكلطرا يعذله حيث لم يناجز صلاح الدين على عسقلان ثاني رمضان الى الرملة فخرّب حصنها . ثم سار الى القدس من شدة البرد والمطر لينظر في مصالح القدس وترتيبهم في الاستعداد للحصار . وأذن للعساكر في العود الى بلادهم للراحة . وعاد الى مخيمه ثامن رمضان . وأقام الافرنج بيافا وشرعوا في عمارتها فرحل صلاح الدين الى نظرون ، وخيم به منتصف رمضان . وتردد الرسل بين ملك انكلطيرة وبين العادل على أن يزوجه ملك انكلطيرة أخته ، ويكون القدس وبلاد المسلمين بالساحل للعادل ، وعكا وبلاد الافرنج بالساحل لها الى مملكتها وراء البحر بشرط رضا الفداوية .

وأجاب صلاح الدين إلى ذلك ، ومنع الاقسة والرهبان أخت ملك انكلطرة من ذلك ونكروا عليها فلم يتم ، وانما كان ملك انكلطرة يخادع بذلك . ثم اعتزم الافرنج على القدس ورحلوا من يافا إلى الرملة ثالث ذي القعدة ، وسار صلاح الدين إلى القدس وقد ترك عليه عساكر مصر مع أبي الهيجاء ففويت به نفوس المسلمين . وسار الافرنج من الرملة إلى النطرون ثالث ذي الحجة والمسلمون يحاذونهم . وكانت بينهم وقعات اسروا في واحدة منها نيفاً وخمسين من مقاتلة الافرنج ، واهتم صلاح الدين بعمارة اسوار القدس ، ورم ما ثلم وضبط المكان الذي ملك القدس منه وسد فروجه . وامر بحفر الخندق خارج الفصيل .

وقسم ولاية هذه الاعمال بين ولده وأصحابه ، وقلت الحجارة للبنيان . وكان صلاح الدين يركب إلى الاماكن البعيدة وينقلها على مركوبه فيقتدي به العسكر . ثم ان الافرنج ضاقت أحوالهم بالنطرون ، وقطع المسلمون عنهم الميرة من ساحلهم فلم يكن كما عهدوه بالرملة ، وسأل ملك انكلطرة عن صورة القدس ليعلم كيفية ترتيب حصارها فصورت له . ورأى الوادي محيطاً بها إلا قليلاً من جهة الشمال مع عمقه ووعرة مسالكه فقال : هذه لا يمكن حصارها لانا اذا اجتمعنا ههنا من جانب بقيت الجوانب الاخرى ، وان افترقنا على جانبيه الوادي والجانب الاخر كبس المسلمون احدى الطائفتين .

ولم تصل الاخرى لانجادهم خوفاً من المسلمين على معسكرهم ، وان
تركوه من أصحابه حامية المعسكر فالمدى بعيد لا يصلون للانجاد الا
بعد الوفاة ، هذا الى ما يلحقنا من تعذر القوت بانقطاع الميرة فعلموا
صدقه ، وارتحلوا عائدين الى الرملة . ثم ارتحلوا في محرم سنة ثمان
وثمانين الى عسقلان وشرعوا في عمارتها ، وسار ملك انكلطرة الى
مسلحة المسلمين فواقعوهم ، وجرت بينهم حروب شديدة وصلاح الدين
يبعث سراياه من القدس الى الافرنج للاغارة وقطع الميرة فيغنمون
ويعودون ، والله تعالى أعلم .

مقتل المركيش وملك الكندهري مكانه

ثم ارتحل صلاح الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية بالشام في قتل
ملك انكلطرة والمركيش ، وجعل له على ذلك عشرة آلاف دينار فلم
يمكنهم قتل ملك انكلطرة لما رأوه من المصلحة لئلا يتفرغ لهم صلاح
الدين . وبعث رجلين لقتل المركيش في زي الرهبان فاتصلا بصاحب
صيدا وابن بازران صاحب^(١) واقاما عندهما بصور ستة أشهر مقبلين
على رهبانيتها ، حتى أنس بهما المركيش . ثم دعاه الأسقف بصور
دعوى فوثبا عليه فجرحاه ولجا أحدهما الى كنيسة واختفى فيها ، وحمل
اليها المركيش لشدة جراحه فأجهز عليه ذلك الباطني وقتله . ونسب

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٠٩ : واتصل بصاحب صيدا وابن بازران
صاحب رمله ، وكانا مع المركيس بصور . راجع ما نقلناه عن تاريخ ابن الأثير منفصلاً بخصوص
هذه الوقائع ، في آخر القسم الثاني من هذا المجلد ص ٤٧٠ وما بعدها .

ذلك الى ملك انكلطيرة رجاء ان ينفرد بملك الافرنج بالشام . ولما قتل المراكيش ملك المدينة زعيم من الافرنج الواردين من وراء البحر يعرف بالكندھري ابن أخت ملك افرنسة ، وابن أخيه ملك انكلطيرة من أبيه وتزوج بالملكة في ليلته وبني بها . وملك عكاً وسائر البلاد بعد عود ملك انكلطيرة ، وعاش الى سنة أربع وتسعين وسقط من سطح . ولما رحل ملك انكلطيرة الى بلاده أرسل هذا الكندھري الى صلاح الدين واستماله للصلح ، والتمس منه الخلة فبعث اليه بها ولبسها بعكاً ، والله تعالى أعلم .

سير الافرنج الى القدس

ولما قدم صلاح الدين الى القدس ، وكان قد بلغه مهلك تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه ، وان ابنه ناصر الدين استولى على أعماله بالجزيرة وهي : حرّان والرّها وسميساط وميافارقين وأرجان ، وبعث الى صلاح الدين يسأل ابقاءها في يده مضافة الى ما كان لآبيه من الاعمال بالشام فاستقصره صلاح الدين لصغره . وطلب منه ابنه الافضل ان يعطيها له ، وينزل عن دمشق فأجابه الى ذلك ، وأمره أن يسير اليها . وكاتب ملوك البلاد الشرقية بالموصل وسنجار والجزيرة واربل ، وسائر الانجاده بالعساكر . وعلم ناصر الدين انه لا قبل له بذلك فبعث للملك العادل يستشفع له عند صلاح الدين على ان يبقى بيده له ما كان لآبيه بالشام فقط ، وينزل عن بلاد الجزيرة فأقطعها صلاح الدين أخاه الملك العادل

وبعثة يتسلمها ويرد ابنه الافضل فلحق بالافضل بحلب وأعادته ، وعبر
الفرات وتسلم البلاد من ناصر الدين بن تقي الدين ، وانزل بها عماله .
واستصعبه وسائر المساكر الجزرية الى صلاح الدين بالقدس .

ولما بلغ الافرنج أن صلاح الدين بعث ابنه الافضل وأخاه العادل
وفرق المساكر عليها ، ولم يبق معه بالقدس الا بعض الخاصة طمعوا
فيه وأغاروا على عسكر مصر وهو قاصد اليه ، ومقدمهم سليمان أخو
العادل لأمه فأخذوه بنواحي الخليل ، وقتلوا وغنموا ونجا فلثمهم الى
جبل الخليل . وساروا الى الداروم فخربوه . ثم ساروا الى القدس وانتهوا
الى بيت فوجة على فرسخين من القدس تاسع جمادى الاولى من سنة
ثمان وثمانين . واستعد صلاح الدين للحصار ، وفرق ابراج السور على
أمرائه ، وسلط السرايا والبعوث عليهم فرأوا ما لا قبل لهم به فتأخروا
عن منازلهم بيافا . وأصبحت بقولهم وميرتهم غنائم للمسلمين . وبلغهم
أن المساكر الشرقية التي مع العادل والافضل عادت الى دمشق فعادوا
الى عكا ، وعزموا على محاصرة بيروت فأمر صلاح الدين ابنه الافضل
أن يسير في المساكر الشرقية اليها فسار وانتهى الى مرج العيون ، فلم
يرح الافرنج من عكا .

واجتمع عند صلاح الدين خلال ذلك المساكر من حلب وغيرها
فسار الى يافا فحاصرها ، وملكها عنوة في العاشر من رجب من السنة .
ثم حاصر القلعة بقية يومه ، وأشرفوا على فتحها . وكانوا ينتظرون المدد

من عكا فشغلوا المسلمين بطلب الأمان الى الغد فأجابوهم اليه . وجاءهم ملك انكلطيرة ليلاً وتبعه مدد عكا . وبرز من الغد فلم يتقدم اليه أحد من المسلمين . ثم نزل بين السماطين وجلس للأكل ، وأمر صلاح الدين بالحملة عليهم فتقدم أخ المشطوب ، وكان يلقب بالجناح ، وقال لصلاح الدين : نحن نتقدم للقتال ومماليكك للفنيمة ففضب صلاح الدين ، وعاد عن الافرنج الى خيامه حتى جاء ابنه الافضل وأخوه العادل فرحل الى الرملة ينتظر ما آل أمره مع الافرنج ، وأقاموا بيافا ، والله تعالى أعلم .

الصلح بين صلاح الدين والافرنج وسير ملك انكلطيرة الى بلاده

كان ملك انكلطيرة الى هذه المدة قد طال مغيبه عن بلاده ، ويش من بلاد الساحل لأن المسلمين استولوا عليه فأرسل الى صلاح الدين يسأله في الصلح . وظن صلاح الدين أن ذلك مكر فلم يجبه . وطلب الحرب فألح ملك انكلطيرة في السؤال وظهر صدق ذلك منه فترك ما كان فيه من عمارة عسقلان وغزة والداروم والرملة ، وبعث الى الملك العادل بأن يتوسط في ذلك فأشار على صلاح الدين بالاجابة هو وسائر الامراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاذ النفقات ، وهلاك الدواب والاسلحة ، وما بلغهم أن ملك انكلطيرة عائد الى بلاده . وان لم تقع الاجابة آخر فصل الشتاء امتنع ركوب البحر فيقيم الى قابل . فلما وعى ذلك صلاح الدين ، وعلم صحته أجاب الى

الصلح ، وعقد الهدنة مع رسل الافرنج في عشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمدة أربعة وأربعين شهرا ، فتحالفوا على ذلك وأذن صلاح الدين للافرنج في زيارة القدس .

وارتحل ملك انكلطيرة في البحر عائداً إلى بلده ، وأقام الكندهري صاحب صور بعد المراكيش ملكاً على الافرنج بسواحل الشام ، وتزوج الملكة التي كانت تملكهم قبله ، وقبل صلاح الدين كما مرّ . وسار صلاح الدين الى القدس فأصلح أسواره ، وأدخل كنيسة صهيون في البلد ، وكانت خارج السور . واخطت المدارس والربط والمارستان ، ووقف عليها الاوقاف ، واعتزم على الاحرام منه للحج فاعترضته القواطع دون ذلك فسار الى دمشق خامس شوال ، واستخلف عليها الامير جرديك من موالي نور الدين . ومر بكفور المسلمين نابلس وطبرية وصفد ويروت . ولما انتهى الى بيروت أثار بهاسمند صاحب انطاكية وطرابلس وأعمالها فالتزم طاعة صلاح الدين ، وعاد ودخل صلاح الدين دمشق في الخامس والعشرين من شوال ، وسرّ الناس بقدومه ووهن العدو ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة صلاح الدين وحوال ولده وأخيه من بعده

ولما وصل صلاح الدين الى دمشق ، وقد خف من شواغل الافرنج بوهنهم ، وما عقد من الهدنة فأراح قليلاً . ثم اعتزم على احداث الغزو

فاستشار ابنه الأفضّل ، وأخاه العادل في مذهبه فأشار العادل بخلاط
لأنه كان وعده أن يقطعه إياها إذا ملكها . وأشار الأفضّل ببلاد الروم
إيالة بني قليج أرسلان لسهولة أمرها ، واعتراض الأفرنج فيها إذا
قصدوا الشام لأنها طريقهم . فقال لأخيه تذهب أنت لخلاط في بعض
ولدي وبعض العساكر . وأذهب أنا إلى بلاد الروم . فإذا فرغت منها
لحقت بكم فسرنا إلى أذربيجان ، ثم إلى بلاد العجم . وأمره بالمسير إلى
الكرك وهي من أقطاعه ليتجهز منها ويعود لشأنه . فسار إلى الكرك
ومرض صلاح الدين بعده ومات في صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة
لخمس وعشرين سنة من ملكه مصر رحمه الله تعالى .

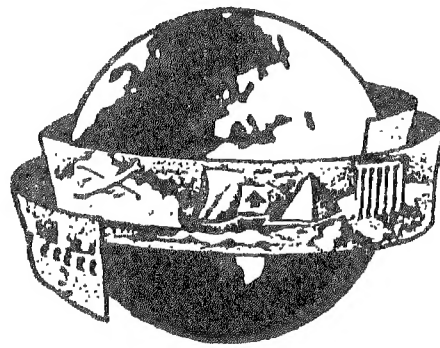
وكان معه بدمشق ابنه الأفضّل نور الدين ، والعساكر عنده فلك
دمشق والساحل وبلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع
الأعمال إلى الداروم . وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها . وكان
بجلب ابنه الظاهر غازي فاستولى عليها وعلى أعمالها مثل : حارم وتل
باشر واعزاز وبرزية ودر بساك وغيرها . وأطاعه صاحب حماة ناصر الدين
محمد بن تقي الدين عمر بن شيركوه . وله مع حماة سلمية والمعرفة ومنبج .
وابن محمد بن شيركوه ، وله مع الرحبة حصص وتدمر . وبيبلبك بهرام
شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه ، ولقبه الأجد . وبيصرى الطافرين
صلاح الدين ، ولقبه الأجد مع أخيه الأفضّل . وفي شيزر سابق الدين
عثمان بن الداية ، وبالكرك والشوبك الملك العادل . وبلغ الخبر

الى العادل فأقام بالكرك . واستدعاه الأفضل من دمشق فلم يجبه
فخوفه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل .
وقد كان سار من الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة فوعده بالنصر منه .
وأوممه الرسول ان يسر الى الأفضل بدمشق أنه متوجه الى العزيز
بمصر ليحالفه عليه . فحينئذ ارتاب العادل وسار الى الأفضل بدمشق
فتلقاه بالمبرة وجهاز العساكر لمدافعة عز الدين صاحب الموصل عن بلاد
الجزيرة .

وأرسل الى صاحب حمص وصاحب حماة يحضهم على انفاذ العساكر
معه ، وعبر بها الفرات . وأقام بنواحي الرها . وكان عز الدين مسعود
ابن مودود صاحب الموصل لما بلغه وفاة صلاح الدين اعتزم على المسير
الى بلاد العادل بالجزيرة وحران والرها وسائرهما ليرتجعهما من يده ،
ومجاهد الدين قايمز أتابك دولته يشنيه عن ذلك ، ويعذله فيه فتبين
حال العادل مع ابن أخيه . وبينما هو في ذلك اذ جاءت الاخبار بأن
العادل بمرآن . ثم وافاهم كتابه بأن الأفضل ملك بعد أبيه صلاح
الدين ، وأطاعه الناس فكاتب عز الدين جيرانه من الملوك مثل صاحب
سنجار وصاحب ماردن يستنجدهم . وجاء اليه أخوه على نصيبين
وسار معه الى الرها فأصابه المرض في طريقه ورجع الى الموصل فمات
أول رجب من السنة ، واستقرت ايلة العادل في ملكه من الجزيرة فلم
يهجه منها أحد ، والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

سير العزيز من مصر الى حصار الافضل بدمشق وما استقر بينهم في الولايات

كان العزيز عثمان بن صلاح الدين قد استقر بمصر كما ذكرناه، وكان موالي أبيه منحرفين عن الافضل ورؤساؤهم يومئذ جهار كس وقراجا، وقد استقر بهم عدو الافضل والاكراد وموالي شيركوه شيعة له، فكان العدو يعدون العزيز بهؤلاء الشيع ويخوفونه من أخيه الافضل ويغرونه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة تسعين وخمسمائة ونزل على دمشق واستنزل الافضل، وهو بأعماله بالجزيرة، وسار لعمه العادل بنفسه، وسار معه الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب، وناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة، وشيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص، وعساكر الموصل من قبل عز الدين مسعود بن مودود. وساروا كلهم إلى الافضل بدمشق لانجاده فامتنع على العزيز مرامه، وتراسلوا في الصلح على أن يكون القدس وأعمال فلسطين للعزيز، وجبله واللاذقية للظاهر صاحب حلب، وتبقى دمشق وطبرية والنور للأفضل، وأن يستقر العادل بمصر مدبراً دولة العزيز على اقطاعه الأول، وانعقد الصلح على ذلك، ورجع العزيز إلى مصر، وعاد كل إلى بلده والله تعالى أعلم.



دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج.م.ع

تلفون: ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي: ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)

ص.ب. ١٥٦١ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً، كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL ZEIN

طباعة - نشر - توزيع

ATT MR HASSAN EL-ZEIN

